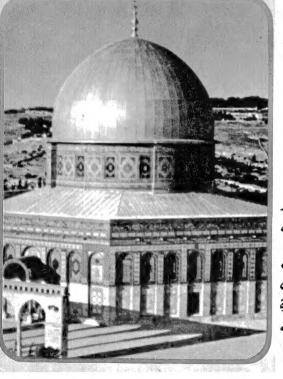
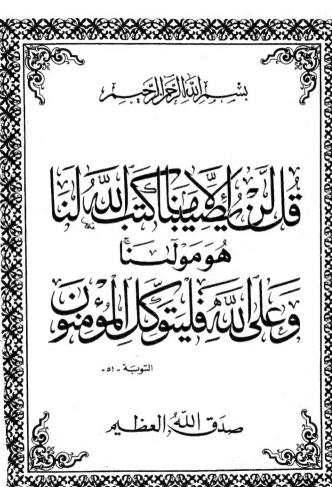




العدد الثالث سالسنة التاسعة سربيع الناني 1 • ١٩٨٤ سيناير ١٩٨١م



عربیت سلامیت من الأوابد الأردنیت حملات الرومان علی الجزیرة مدیدیت





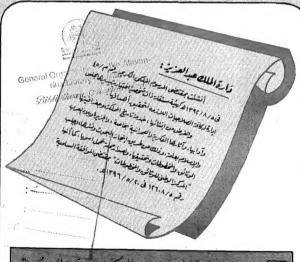


مجَده فصلية تصدرعن دُارة الملك عبدالعزيز

وبيع الشاق ١٤٠٤ هـ يستنساير ١٩٨٤م

السَسنة السعة

العدد الشالث



٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - الملكثة العربيَّة السعوُّديَّة



المشرف العشام

معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ

وزير التعليم العالي ، ورشيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعريز

. .

المدبيرالعشام

عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ

••

أعضاء مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز ؛

متاليات عبيدالعزبيسة الرفساعي

ستارة المحتاذ عبد الله بسن خملسيان

معتادة الكتر عيد الرحين بن صدالح الشيديلي كيل وزارة التساي

سعة اللكتر مسلمة المع العسف في وكيل جاسة الملات مولالدراستان

المست والمبتد عسف اللغ المحسد في وكين وزاة العارف المساون المساون المنافذة

سعتارة الامتان عنيد المرحسن فنصد الواشيد مرين وزارة الهلام الشامد للهام العافان

ستادة الاستاد محمد حسين زسدان

مانة الاعنز عبد الملائد عاعبد الله آل الشيخ الأسين العام ببدارة

الادارة والتحسيرير ٤٤١٢٢١٦ ك

ترس الاشتراكات باست الأمسين العسام للسدارة عدد ١٤١٤٦٨١



دشيس التحريو

محمد حسين زيدان

••

مديوالتحوير

عبدالله حمد الحقيل

.

هيئت ترالتحرب

د. منصورابراميم الحازمي

عبدالله بن عبدالعزبيز إدريس

د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

د. عبد الله الصالح العثيمين

د. محمد السليمان السديس

••

سكرتيوالتحويرالفني

مصطفى اسين چاهسين

مسدنيرالتعسرير كالمائة

و المعتالات بالمعتالات بالمعتالات والمعتالات المعتالات ا



• صورة العنسلاف

0 القدس تناديكم ..

الح المراد المر

0 الافتتاحية رئيس التحرير ٦
O القدس عربية اسلامية فرج راشد ٨
 ٥ ايديولوجية الثنمية في المملكة العربية السعودية د . محمد شوقى الفنجرى ٢٢.
 ابن فضلان فی مملکة روثغار
« مغامرات سفير عربي باسكاندينافيا منذ الف عام « أ - احمد عبد السلام البقالي ٤١
0 من الأوابد الأردنية العزيزى ٩٤
٥ من الآراء اللغوية والنحوية لعبد القاهر الجرجاني ١ . الغزالي حرب ٦٨
٥ ملاحظات على كتاب الدكتور محسن غياض عجيل د . عبد الله الصالح العثيمين ٨١
عن الصحفي والسياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل
٥ حمالت الرومان على الجزيرة العربية ١٠١ ابراهيم يوسف الشتلة ١٠١
 ٥ المجمع العلمي اللغوى صرح جديد من صروح العلم
والمعرفة الادبية والفكرية في بلادنا أ. عبد الله حمد الحقيل ١١٧
 ٥ البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي د . عبد الرحيم محمود زلط ١٢١
· O تحية من الرياط « شعر »
O سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي « عرض كتاب » د . عبد الله حسن الاشعل ١٦٢
٥ علوم وفنون ا . مصطفى أمين جاهين ١٧٠
O القدس عربية اسلامية « مترجم الى اللغة الانجليزية » 1. عبد السلام عبد المنعم 5

* آراء الكتّاب لا تعبر - بالضرورة عن راى المجلة

* الإشتراكات *

. ١٩ ريالا للاشتراك السنوي داخل

. ٦ دولارات خارج البلاد العربية:

... الملكة العربية السبعودية ـ وق البلاد العربية ما يعادل القيمة

ترتب الموضوعات داخلُ العدد يخضع لأسناب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب

لا ترد النحوث الى اضحابها سواء تشرت أو لم تنشر ...



السعودية ٢ ريال - الإمارات العربية ٤ دراهم - قطر ٤ ريالات - مصر ٢٥ قرشا - اللغرب ٤ دراهم - تونس ٣٥٠ مليما . خارج البلاد العربية دولار للعدد

البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع السعودية : مؤسسة الجريسي للتوزيع ص . ب ١٤٠٥ الرياض ـ ت ١٤٠٥ ع ص . ب ۲۲۲ النامة ت ۲۲۰۲۲ الله مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيم الله فلي : مكتبة المنهل شارع الجلاء ــ القامرة ب ٧٥٥٥٠٠ ص . ب ۲۷۷۸ أيو ظبي .. ت ۲۲۲۰۱۱ الشركة التونسية للتوريم الحكمة عكتبة دار الحكمة و نهم قرطاج ص . پ ۲۰۰۷ ټ ۲۰۵۲۲۲ المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع الم قطر : دار الثقافة ص . ب ۱۸۳ الدار البيضاء ٥٠ ص رب ۲۲۳ ت ۱۸۱۲۱۶



من هم العبرانيون ؟..

ولعلى طالب علم أبحث عن الحكمة، فإن وجدتها أقتع بها والمتعة بالمعرفة أريدها للجميع للمسلم والعربى والإنسان . من هنا تعودت أن أطرح أسئلة عن خواطر ترد عن رؤية الواقع أو عن فكرة خفية على معالمها وحتى لو اتضحت تلك المعالم فليس من المستحسن أن أصدق هذا الوضوح ؛ بل ينبغي أن أضعه أمام القارئ" .

إن هذه الدهازة بسطتها أمام ما أطرحه من أسئلة . كما يأتي :

 ١ - قالوا إن أبناء سام قد اقتسموا الأرض وليست هى إلا جزيرة العرب حول النهرين ووسط الجزيرة واليمن السعيد . حتى الأحقاف والربع الخالى .

وقد درج العرب فى تاريخهم الحديث على أن يحددوا جزيرتهم شهالا من جنوب جبال طورس، والبحر الاحمر وشرقا أرمينيا وأرض فارس، وجنوبا المحيط الهندى، وغربا البحر الأحمر وبرزخ السويس. إن هذا التحديد الحديث لعلم قد وصل إلينا من التحديد القديم. ٢ ـ فأبناء سام قد أطلقت عليهم أسهاء ثلاثة حسب تحركهم من أرض الحصب إلى أرض الجدب أو من أرض الجدب إلى أرض الخصب. فقد قالوا إن أبناء سام هم عربيون أو عربيون وعبرانيون وخبريون.

فالعربين توطن الصحراء والخبيري سكن اليمن السعيده والعبراني عبر النهر أو هو عبر إلى النهر . المؤل

ليست المشكلة أمامى أن أعرف العربى وموطنه ، ولا الخبيرى وموطنه ، ولكن هو ماذا تعنيه كلمة العبرانى ؟! ومن هم العبرانيون ؟! إن العبرانيين فيا شاع وذاع أنهم اليهود ولا أعتقد أن هذا الاسم لم يطلق عليهم في حياة أبيهم اسرائيل يعقوب عليه السلام . فالذى عبر النهر وحده هو جد يعقوب ابو الأنبياء عليه السلام وما أطلق على نفسه أنه العبرانى ، فلو كان هذا اللقب من ألقاب إبراهيم عليه السلام لأطلق على إسهاعيل وبنيه مادام قد أطلق على إسحاق وبتيه . وهذا اللقب أيضا لم يطنق على يعقوب فحين قدم إلى مصــر لم يكن معه إلا ستة وثبانون شخصا وما قالوا عنهم أنهم العبرانيون أو العابرون إنهم أبو يوسف ، وإخوة يوسف بنو اسرائيل ، جاء بهم من البدو فقد كان يعقوب يرحل من قرية إلى قرية وكان يعقوب وبيوه بدو أهل عير . فالعير مطية الرحال .



بقلم : محمدحسین زبیران

ولعلى أزعم أن إطلاق لقب العبرانين على اليهود قد أضافوه إلى أنقسهم حين عبروا البحر من مصــر إلى سينا .

٣ ـ مادام أنى قد حاولت أن أنفى اللقب خاصا باليهود فإنى أحاول أن أثبته للذين عبروا النهر إلى ما حول النهر غربا وجنوبا . فاذا كان العابرون عبروا النهر . فقد كان هذا اللقب يطلق على الذين عبروا . ويعنى أنهم موجة .

فالآشوريون عابرون والهكسوس عابرون فلم يطلق عليهم هذا اللقب. إذاً فعلى من ينحصر هذا اللقب؟.

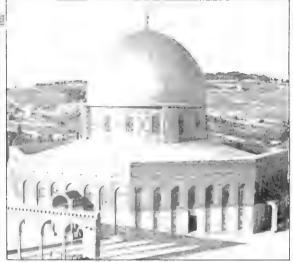
لكى نحصر هذا اللقب على من سمى به ينبغى أن نرجع قول الذين أنكروا العبور من أرض الخصب إلى أرض الجدب وجعلوا العبور من أرض الجدب إلى أرض الخصب .

إذا فالكندان الذين عمروا ما بين النهرين هم (العبرانيون) .

لكن حين انتشر أبناء سام في جزيرة العرب هل كان الخصب محصوراً حول النهر وفي اليمن السعيده أم أن انتشار أبناء سام في جزيرة العرب كلها يوم كانت الجزيرة كلها خصبة ء فقد أدرك بنو سام ؛ فهم نسل نوح بعد الطوفان امتداد بعيد الزمن في العصر المطير . فانتشار بني سام كان من الخصب إلى الخصب عربيون وعبرانيون وخبرريون حتى إذا بدأ عصر الجفاف تحددت معالم الخصب ومعالم الجدب . ودليلي على أن جزيرة العرب كانت مخصبة هذا الحديث في مسند الإمام أحمد (لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً) . أي أنها كانت مروج وأنهار وسوف تعود .

فكانت موجات العبور _ أي الهجرة _ موجات من الجدب إلى الخصب _

أرجو أن يفهم القارئ أن هذا ليس بحثا كله الصواب ، وإنما هى أسئلة عن خواطر أحببت أن أعالجها راجيا من الدكتور حسن ظاظا والدكتور عبدالرحمن الأنصارى والدكتور عبدالله المصرى ومن إليه . أن يواكبوا هذا الموضوع زيادة وإيضاحا وتصويباً وتخطئه .



العَسُد س جربسته السلامية

د . سید فرج راشد

البحث محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على مدينة القدس ؛ المدينة التاريخية التاريخية التي تعتبر من أقدس المدن الإسلامية بعد مدينتى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، يقدسها المسلمون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . وقد خصها الله بعقيدة التوحيد للأله الواحد لأول مرة في تاريخ البشرية ، كها خصها بعدد كبير من الأنبياء « وما فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه بنى أو قام فيه ملك »(۱) ، وقد شرفها الله بإسراء رسوله المصطفى ﷺ؛ فجاء في كتابه العزيز « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من أياتنا إنه هو السميع البصير »(۱) .

والدين الاسلامي هو الدين الذي جعل الحج ركنا من أركانه ، وبهود العصور الوسطى عاشوا في كنف المسلمين ورأوا احتفال المسلمين بوسم الحج حيث انداعت الحروب الصليبية في هذا الوقت فرأوا استاتة المسلمين في القدس ، فأيقظ هذا عندهم الاهتام بالمدينة المقدسة ، ولقد كان الشتات اليهودي في العصر المسيحي السابق على الاسلام شتات خوف من الاقتراب من القدس ؛ لأن الرومان كانوا يسيطرون عليها ، فلها دخلت ضمن ممتلكات المسلمين أصبح حج اليهود إليها ميسورا وبخاصة وأنهم كانوا متمركزين في المغرب والأندلس .

ومازالت المدينة حتى يومنا هذا تقدسها الديانات السياوية الثلاث . وقد أطلق على المدينة أسياء عديدة خلال تاريخها الطويل .

أولا: أسهاء المدينة في مختلف أدوارها والآراء العلمية في تفسيرها:

ذكرت أول اشارة الى مدينة القدس فى النصوص المصرية السائدة منذ القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وكان اسمها على الأرجع ينطق روشاليمم Rushalimum ووردت بعد ذلك فى رسائل تل العارنة (القرن ١٤ ق . م) باسم أوروسالم كها جاء فى رسائة وجهها « عبديخيبا » " حاكمها الى ملك مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق . م) ، يطلب فيها العون العسكرى .

وقد سميت « يبوس » نسبة الى اليبوسيين الذين سكنوا القدس وما حولها⁽¹⁾ . وكانوا قد نزحوا اليها من قلب الجزيرة العربية ، وقد عرفها الكنعانيون باسم

« أوروسالم » ومن المحتمل ان صيغة هذه الكلمة أرامية تشركب من مقطعين :

المقطع الأول « أور » بمعنى موضع أو مدينة ، والثانى « سالم » بمعنى السلام وهو غالبا اسم إله وثنى لسكان فلسطين الأصليين وهو إله سلامة القوافل ، وعلى ذلك فكلمة « أوروسالم » تعنى مدينة السلامة . وظل اسم « يبوس » علما على المدينة « قضاه ١٩ : ١٠) حتى تم استيلاء داود عليها وصار بعد ذلك اسمها « مدينة داود » .

وقد وجد اليهود بعد ذلك صعوبة فى كتابة اسمها « أوروسالم » باللغة العربية فوردت فى أسفار العهد القديم ست مرات تحت اسم « يروشاليم »(٥) لكنها وردت بدون ياه ٢٥٦ مرة فى هذه الأسفار أيضا .

ثم نجد اسم القدس واردا في نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (حوالي بعد اسم « أوروسليمو » . وفي عهد الاسكندر الاكبر سهاها اليونانيون « هير وسوليا » ثم صار اسمها « ايليا كابيتولينا » () في عصر الامبراطور اليونانيون « هير وسوليا » ثم صار اسمها « ايليا كابيتولينا » () في عصر الامبراطور الوماني « ايليوس هدريان » بعد ان قضى على الكيان الديني لليهود ، وفي أعقاب نغلك أصدر مرسوما يتضمن امرا بقتل كل من يدخل القدس من اليهود ، وظلت تعرف بهذا الاسم (ايليا) حتى اوائل الفتح الاسلامي ، وسميت كذلك في العهدة المهارية . أما اسم « القدس » فقد عرفت بها المدينة منذ بداية تاريخها عندما اقيمت فيها اماكن مقدسة للعبادة . ومن الجليّ أن المؤرخ اليوناني « هرودوت (٤٨٤ – ٢٥٥ فيها اماكن مقدسة للعبادة . ومن الجليّ أن المؤرخ اليوناني « هرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥ ق. م) » لم يذكر اسم أورشليم ولكنه ذكر كلمة « قديتس » مرتبن ، وقد حاول بعض الباحثين الوصول إلى تفسير العلاقة بين القدس وكلمة قديتس فجاء التفسير بعض الانظر ؛ فاسم القدس محرف في اليونانية عن النطق الآرامي « قديشتا » وعما يثير في النفس , ربية أن اليهود أطلقوا عليها احيانا اسم « مدينة القدس » () .

أما « بيت المقدس » فقد أطلق على المدينة ابتداء من العصر الاسلامي ، ومن أسائها « الزيتون » وفي ذلك نزلت الآية « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » . قال ابن عساكر عن ابن عباس « ان التين بلاد الشام والزيتون في بلاد المقدس ، وطور سينين هو الجبل الذي كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الامن :

مكة المكرمة ».

ومؤدى هذا كله أن مدينة القدس كانت تحمل اسم أورشليم وهو الصيغة العربية لاسم أوروسالم ، قبل غزو العبريين لها وهذا يظهر بوضوح في رسائل تل العهارنة ، كها كانت تحتل مكانة بارزة في التاريخ قل الوجود اليهودي فيها . جغرافية القدس .

تتمتع مدينة القدس بموقع استراتيجي متميز؛ فهي تقع على خط عرض ٣١ شيال خط الاستواء، وعلى خط طول شرق جرنتش ، على هضبة غير مستوية يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ ـ ٢٤٦٩ قدما ٢٨ ويحيط بها من جميع أطرافها اودية عميقة ، وادى « قدرون » في الشرق ، ووادى « هنم » في الغرب وأيضا وادى سلوان ، ويلتقى الواديان عند الطرف الجنوبي تاركين الجبهة الشيالية فقط بغير حماية طبيعية . وهناك واد ثالث يسمى « وادى الجبانة » يمتد من الشيال الغربي الى الجنوب الشرقى حتى يتصل بوادى سلوان الذي يتصل بدوره بوادى قدرون شرقا ، وبذلك تقسم ارض المدينة قسمين مكونين من هضبتين مستطيلتين ؛ الهضبة الغربية يحدها وادى هنوم من الغرب والهضبة الشرقية يحدها وادى قدرون من الشرق .. وهناك وادى الأرواح الذي يلتف حول غرب جبل صهيون ولأقصى الجنوب .

ومن أهم جبال المدينة جبل الزيتون ويسميه العرب « جبل الطور » وعلى امتداده من الجنوب الشرقى للقدس يقع جبل بطن الهوا ، أما جبل صهيون فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقدس وكانت قلعة اليبوسيين ، وإلى الشيال الشرقى لجبل صهيون يمتد جبل أكرا على شكل هلال . بالاضافة الى ذلك هنالك جبل بيت المقدس (الموريا) حيث المسجد الاقصى ويسمى ايضا هضبة الحرم . وعلى امتداد جبل الزيتون من الشيال الشرقى يقع جبل رأس المشارف « سكوبوس » وعلى هذا الشكل تقوم المدينة على مرتفعين اثنين ها : هضبة الحرم وفي مواجهتها في الجنوب الشرقى «جبل صهيون» يقصل بينها جزء من وادى الجبانة . (١٥)

طرق القدس:

يختلف المؤرخون في أمر بناء المدن: ومهها يكن فان موقع المدينة لا يتم اختياره
بحض الصدفة: بل يكون على عدة أسس: أهمها وجود موارد كافية للمياه، كها ان
بموقعها ينبغى ان يكون حصينا بحيث يضمن حمايتها ضد أية قوى معادية،
وينبغى ان يكون الموقع ذا استراتيجية خاصة تسهل للمدينة الحركة والتجارة مع
جيرانها: ولذلك كان من الضرورى ان نتعرف على الطرق الرئيسية والفرعية التي
تربط القدس بالمدن الهامة في فلسطين. وإذا رجعنا الى الطرق القدمية نرى أنها
فرضت نفسها على جغرافية المنطقة، وإن كانت قد حدثت بعض التغييرات الطفيفة:
إلا إن هذا لم يؤثر على اتجاهات الطرق الرئيسية.

١ _ طريق القدس _ يافا :

وهو طريق وعر يمر بمناطق جبلية حتى يصل الى السهل الساحلى ، ويبلغ طوله سبعة وستين كيلو مترا ، ويبدأ هذا الطريق من غرب القدس _ من الباب الغربى للقدس والمسمى باب يافا _ ويستمر على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين وابو غوش ثم الرملة ، ويبدأ الطريق فى الانحدار من ابو غوش الى الرملة ، ويطلق على الطريق من جهة الرملة حتى السهل الساحلى اسم باب الوادى (١٠٠٠) .

٢ ـ طريق القدس ـ حيفا:

يمر برام الله ونابلس (شكيم) وجنين ثم حيفا .

٣ ـ طريق القدس ـ طبرية (الجليل) :

بمر برام الله وقليقلة وطولكرم ونابلس (شكيم) وسبسطية (السامرة) والعقولة ثم طبرية (الجليل)(١١)

تحتل مدينة القدس مكانة بارزة في التاريخ وذلك قبل الوجود اليهودي فيها ، فقد سكنها اليبوسيون ـ اقدم سكان القدس ـ ومن المرجح انهم كانوا بطنا من بطون العرب الأوائل نشأوا في داخل الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع من نزحوا من القبائل الكنعانية في القرن الثالث قبل الميلاد . ومن ملوكهم ملك صادق (۱٬۰۰ و كان أول من خطط لبناء مدينة يبوس « القدس » وقام بتحصينها . وهناك حقيقة هامة مؤداها ان العبريين عندما غزوا فلسطين بقيادة يوشع بن نون ، وجدوا اليبوسيين والأروميين والمؤابيين العمونين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب . وقد فشل العبريون تماما في غزو يبوس (القدس) ، الا انهم احتلوا كثيرا من المدن الكنعانية وتشربوا كثيرا من عادات الكنعانية وتشربوا كثيرا من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية (۱٬۰۰).

واستمرت المعابد الكنعانية تخدم الكنعانيين والاسرائيليين، ومن هنا بدأوا في التعرف على الطقـوس الكنعانية حتى اصبحت الاعياد الكنعانية اعيادا اسرائيلية (١٣) وظلت القدس (يبوس) في أيدى اليبوسيين حتى احتلها داود وجعلها عاصمته لفترة محدودة حيث قام بتجهيز المواد اللازمة لبناء المعبد ، ثم بدأ سلمان بعد ذلك في بنائه .

ومن المؤكد أن المهندس المعارى الفينيقى الذى صمم الهيكل ، قد استوحاه من الفن المعارى السامى فهو يكاد عائل تصميم المعبد الكنعانى مع اختلافات غير جوهرية ، بالاضافة الى ذلك نجد تأثير الفن البابلى والمصرى يتمثل فى وجود عمودين على مقربة من مدخل الهيكل على شاكلة المسلات المصرية ، على أن تلك الطقوس ترجع أيضا فى أصلها الى عبادة الشمس (معبد أتون فى تل العارنة) (١١١) .

ومن الأمور التي تلفت النظر أن الحرم الاسلامي الشريف في القدس مستطيل ويأخذ الاتجاه من الشهال الى الجنوب في اتجاه قبلة مكة المكرمة ، على خلاف الهيكل ، فبرغم استطالته يأخذ الاتجاه من الغرب الى الشرق (نحو الشمس) وكان هذا الاتجاه سائدا في المعابد القديمة في مصر وبابل كها ذكرنا . ومقاييس الحرم الاسلامي حسب القياس المعروف ، الضلع الشرقي لسور الحرم ٣٨٤ مترا والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥ مترا ، ثم يمتد الضلع الغربي في خط مستقيم بزاوية منفرجة ، وبذلك يصبح الهيكل داخل اسوار سليان او نحميا أهير وبس . ومن المرجع ان طول ضلع السور المحيط بمنطقة الهيكل في عصر سليان ١٨٠ مترا ؛ حيث كان على هيئة مربع ، أما ابعاد الهيكل نفسه فكان طوله ٣٥ متراً وعرضه ٢٠ متراً ١٥٠٠ .

تلك هى البذور الذى بذرها اليهود من زمن بعيد فى حملة الدعاية هذه بأسلوبهم ، وذلك بإعطاء الهيكل كل هذه الأهمية بالرغم من أبعاده البسيطة ؛ ولذلك صوره العهد القديم فى صورة فخمة مهيبة على ان بناءه استغرق سبع سنوات ، ولنا ان نتصور كيف ان هذا الحجم الصغير من البناء يستغرق هذه الفترة الزمنية الكبيرة ، ولذلك كان لابد ان تحدث تحولات فى رؤية الانسان العربى على ضوء ذلك .

ومؤدى هذا كله ينفى نفيا قاطعا الرأى القائل بأن الهيكل يقوم مكان الحرم الاسلامي الشريف.

المقدسات الاسلامية في القدس:

ليس بغريب ان يفكر المسلمون فى فتح « بيت المفدس » وهو البيت الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم وعلى لسان النبى ﷺ وفى أحاديث الصحابة .

ان ثمة حديثا قدسيا عن سيدنا رسول الله على يوضح للمسلمين مكانة القدس عند الله تعالى بقوله : « أنت جنتى وقدسى ، وصفوتى فى بلادى ، ومن سكنك فبرحمة منى ، ومن خرج منك فبسخط منى عليه » .

ومؤدى هذا الحديث القدسى: أننا نستطيع ان نقول إن الله تعالى اختص بسكنى هذا المكان الطاهر من يرضى أمانته واستحقاقه بشرف العيش فيه .. وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل فيه سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وان يجعل من ذريته الأنبياء ، فاختص الله تعالى بيته العتيق ، وهو أول بيت وضع للناس فى مكة المكرمة بالرسالة الحاقة ، حيث أقام فيه سيدنا اساعيل أول أبناء سيدنا ابراهيم بذريته العرب ، وفيه وحوله قامت الرسالة الحاقة للأديان جميعا بنزول القرآن الكريم على المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ونحن إذ نتمعن مطلع سورة الاسراء بقول الله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » ندرك انه كان فى القدس من قديم الأزل مسجد يعبد فيه الله تعالى ، ذلك هو المسجد الاقصى الأول ، أو ما يسمونه بالمسجد الاقصى القديم تحت محراب المسجد الاقصى الحالى ، وهو الذي أسرى اليه بنبينا محمد ﷺ .

وحقيقة الأمر ان سيدنا ابراهيم الخليل قد بنى المسجد الاقصى الأول بعد عودته من رحلته التاريخية التى امره الله تعالى فيها بأن يرفع القراعد من البيت العنيق بحكة المكرمة هو وسيدنا اسهاعيل عليهها الصلاة والسلام.

وهكذا تجسدت قدسية القدس في إسراء محمد ﷺ الى الصخرة المقدسة ، وبها صلى بالانبياء والرسل إماما ، ومنها عرج الى السموات العلا ، ثم عاد الى القدس ومنها الى مكة المكرمة .

فالقدس إذاً بأنبيائها ورسلها وعبادها تنتمى الى الاسلام من قديم الحقب . ومن الجدير بالملاحظة ان نذكر ان المسلمين بعد ان هزموا الروم فى معركة اليرموك وفتحوا الشام ، توجه أبو عبيدة بن الجراح الى فلسطين وحاصر مدينة ايليا (القدس) فترة اربعة اشهر وتم تسليمها سنة 10 للهجرة (٦٣٦ ميلادية) فى حضور الخليفة عمر ابن الخطاب ففتحت له ابوابها ، وعندما دخلها أمن أهلها على أنفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم واعطاهم عهدا بذلك (١١٠) وكتب لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهدة العمرية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الأمان .

أعطاهم امانا لأنفسهم وامواهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبرينها وساتر ملتها . انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ، ولا من من من أمواهم . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم . ولا يسكن بإيلياء معهم احد من اليهود . وعلى اهل إيلياء ان يعطوا الجزية كيا تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو أمن ، وعليه مِثلُ ما على اهل إيلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه ومالهم وعلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد ، وعليهم مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن شاء مرجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يجصدوا حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية ابن أبي سفيان . كُتب سنة خمس عشرة هجرية .

ولما زار عمر بن الخطاب كنيسة القيامة استقبله هناك بطريرك النصارى صفرونيوس ، وصادف ان حان وقت الصلاة وهو يزور الكنيسة فأشار عليه البطريرك ان يصلى حيث هو فأبى ذلك خشية ان يتخذها المسلمون فيا بعد حجة يتذرعون بها للمطالبة بحق في الكنيسة ، ويقال انه امسك بحجر ورماه بالقدر الذي سمحت له به قوته وصلى في المكان الذي رمى فيه الحجر وهو المكان الذي يقوم عليه الجامع المعروف باسمه الآن وهو على بعد خطوات من كنيسة القيامة .

ولم يجرق اليهود طوال ايام الخلفاء الراشدين على الاقامة في القدس ، ولما جاء الأمويون أولوا القدس اهتامهم ، وبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (١٩٦ م) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة ، ويقع مسجد قبة الصخرة وسط فناء واسع على أرض الحرم ، ويتميز مبناه بقية هي من أهم المعالم البارزة لمدينة القدس حيث يبلغ ارتفاعها ثلاثين مترأ وتتكون من جزئين . العلوى منها مغطى برقائق الرصاص الذى لا يتغير لونه مع الزمن ، وقد تم تجديده بصفائح الألمنيوم المذهبة بعد ان تعرض للقصف اليهودي الأعمى ايام حرب عام ١٩٤٨ م ، امنا الجزء السفلى فقد بنى برقائق الرخام البديع وقوقه مربعات من القيشاني الأزرق ، وقد كتب عليه سورة يس باللون الأبيض ،

وتعتبر قبة الصخرة المشرفة اقدم نموذج فريد لفن العيارة الاسلامية ، وفي طليعة الاعيال العالمية . واجماع علماء الآثار وفن العيارة شاهد على صدق هذا الذي نقوله فجانب كبير من الفن العربي الاسلامي يتميز به جامع قبة الصخرة فهو مثمن الشكل ، طول كل ضلع فيه عشرون مترا وارتفاعه عشرة امتار وترتفع القبة فوق الفناء عشرين مترا ويرتفع في اعلاها هلال طوله اربعة امتار وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة ويقوم المسجد على ستة عشر عمودا رخاميا مختلفة الالوان بالاضافة الى ثياني

دعائم مكسوة بالرخام المعرق ويعلو هذه الدعائم والاعمدة زخارف بانواع الفسيفساء المختلفة .

وتحت هذه القبة صخرة يتراوح ارتفاعها عن الأرض بين متر ومترين وشكلها غير منتظم وطولها حوالى ثهانية عشر مترا وهر محاطة بسياج من الخشب المنقوش ، ومن قمة هذه الصخرة المشرفة عرج سيدنا محمد على السياء .

وروى عنه ﷺ انه قال « صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة »

ومؤدى هذا كله ان صلة اليهود بالقدس صلة مؤقتة جاًءت وليدة غزوة طارئة لا يترتب عليها أي حقوق قومية .

وجريا على هذه الصورة فان التاريخ من قديم الحقب وعلى مر الزمان اوضح بما لا يدع مجالا للشك عدم صحة ادعاءات الصهيونية حول القدس الآن ، فقد سكنها اليبوسيون ـ اقدم سكان القدس ـ قبل الوجود اليهودى بأكثر من الف وسيعيائة عام ، وهم بطن من بطون العرب الاوائل هاجروا اليها منذ اللف الثالث قبل الميلاد ، كها ان اسم القدس قد عرفت به المدينة منذ بداية تاريخها ، بالاضافة الى ان الاسم « أورشليم » الذي يفضله اليهود هو صيغة آرامية كها أثبتنا وورد في رسائل تل المعارنة (القرن ١٤ ق . م) قبل الوجود اليهودي في فلسطين .

ومن الجلى ان هذه المقارنات قد اكدت بالبراهين الساطعة انتاء القدس الى العرب منذ فجر التاريخ، ثم تأكدت قدسنا العربية الاسلامية بعد الفتح الاسلامى لفلسطين .

المراجع العربية

- ١ ـ القرآن الكريم.
- ٢ _ اسفار العهد القديم .
- " بابن حزم الاندلسي : الفصل من الملل والاهواء والنحل مكتبة محمد صبيح ، القاهرة
 1978 .
 - ٤ .. ابن الاثير: الكامل من التاريخ.
 - ٥ _ احمد امين . الدكتور : ظهر الاسلام .
 - الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ .
 - ٦ اسعد مرزوق . الدكتور : التلمود والصهيونية .
 - منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٠ .
 - ٧ ... العارف . عارف باشا : تاريخ القدس .
 - دار المعارف عصر ، القاهرة ١٩٥١ .
 - العقاد . عباس محمود : ابراهيم ابو الانبياء .
 - مطابع الهلال . القاهرة .
 - ٩ ـ النجار . عبد الوهاب : قصص الانبياء .
 - مطبعة العلوم ، القاهرة ١٩٣٢ .
 - ١٠ ـ اولبريت ـ وليم ف : أثار فلسطين .
 - ترجمة د . زكى اسكندر ، د . محمد عبد القادر محمد ، مطابع الاهرام ، القاهرة ١٩٧١ .
 - ١١ ـ سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة .
 - ترجمة د . حسن حفني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ .
 - ١٢ سوسة . د . احمد : المعرب واليهود في التاريخ .
 - الطبعة الثانية ، مطبعة دار الاعتدال ـ دمشق .
 - ١٣ ظاظا . د . حسن : اسرائيل ركيزة للاستعار بن المسلمين _ القاهرة ١٩٧٣ .

١٤ _ ظاظا . د . حسن : الساميون ولغاتهم .

دار المعارف عصر ، القاهرة ١٩٧١ .

10 _ ظاظا . د . حسن : الفكر الديني الاسرائيلي .

معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧١ .

١٦ ... فريزر . جيمي : الفولكلور في العهد القديم .

ترجمة د . نبيلة ابراهيم .. الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .. القاهرة ١٩٧٢ .

١٧ _ مراد كامل. الدكتور: الكتب التاريخية في العهد القديم.

معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٨ .

۱۸ _ پاقوت الحموى : معجم البلدان .

١٩ .. موسكاتي . مبتيلو: الحضارات السامية القديمة ، لندن ١٩٥٧ .

ترجمة الدكتور / السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

٢٠ ـ ول ديوارانت : قصة الحضارة ، ج ٢ الشرق الادني ، ترجمة محمد بدران .

الادارة الثقافية _ جامعة الدول الغربية ، القاهرة ١٩٧١ .

٢١ ـ ثار . قسطنطين : موسوعة فلسطين الجغرافية .

منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ .

٢٢ - الاطلس العربي طبعة ١٠٦٥ .

٢٢ ـ زيف فلندي : اطلس اسرائيل الحديث ، القدس ١٩٦٨ .

الماجع الاجنبية

1 - Abrahams 1 :

The Legacy of Israel, LONDON, 1949.

2 - Adler , Elken Nathan :

Jewish Travellers , LONDON , 1930.

3 - Alt . A. : Essays on Old Testament History and Religion translated by R.A. wilson . New York 1967.

4 - Bably , D. :

Geographical Companion to the Bible, New York, 1963

5 - Gray . J. :

The canaanites, LONDON, 1964

6 - Kaufmann . Y.:

The Religion of Israel from Its Beginning to the Babylonion Exiles, New York 1966

7 - Lods . A. :

The Prophets and the Rise Judaism, LONDON, 1955 8 - Macalister . R.A :

The Philistines, Thier History and Civilization, LONDON 1914

9 - Olmstead . A.t :

History of Palestine and Syria , New York 1931

10 - Smith , W.R : The Religion of the semites . New York , 1972

11 - Wright, G.E and Freedman, D.N:

The Biblical Archaologist Reader, 1 Vol 1 , New York , 1961

O دوائر المعارف والمرسوعات الاحتمة O

12 - Encyclopedia Religion and Ethics:

New York . 1928.

13 - Ency. Britannica: LONDON, 1961.

14 - Ency. Judaica: Jerusalem 1978.

15 - A Hebrew and English Lexicon of the old Testament - William Gesenius, Oxford.

ن الهوامش ن

(١) معجم البلدان لياقوت ١ : ١١٢

(Y) ma (5 Illusta (V)

(٣) حسن ظاظا . اسرائيل ركيزة للاستعار بين المسلمين حر ٧٥ . ويذكر د . احمد سوسة في كتابه » العرب واليهود في التاريخ » حر ١٩٨٧ ان عبد يحيبا قد ارسل ست رسائل الى ملك مصر » امتحونب الرابع » احد ملوك الاسرة الثانية عشرة المسمى ايضا اختاتون (١٣٥٥ ـ ١٣٥٨ ق . م) . وجاء في مادة اورشليم بدائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٦١ ، ان الرسالة موجهة الى اختاتون فوعون مصر ولكنها لم نذكر اسم حاكم القدس الذي ارسل في طلب العون .

(٤) سفر يشوع ١٥: ٨: ١٦ ـ سفر القضاة ١: ١٩: ١٩: ١٠

ويذكر احمد سرسة : المرجع السابق ان يبوس الذي سمى اليبوسيون باسمه هو احد اولاد كنعان كها جاء في سفر التكوين ١٠ : ١٥ .

ويذكر حسن ظاظا: المرجع السابق ص ٧٩ ان اليبوسيين هما أحد القبائل الفلسطينية القديمة ولكن عارف باشا العارف في كتابه « تاريخ القدس » ص ١١ يقول انهم عشيرة من عشائر العرب الاوائل . نشأوا في قلب الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكتعانية فاستوطنوا ارض فلسطين ، ومن المرجع ان ذلك حدث حوالي عام ٢٠٠٠ ق . م .

Ency judaica: Vol. 9, Jerusalem (6)
A Hebrew and English Lexicon of O.T, P. 436

راجع

حيث يذكر أن يروشاليم وردت بالياء لحمس مرات على النحو التالي :

استير ۲ : ٦ ، ارميا ۲٦ : ١٨ ، الحبار الايام الاولى ٣ : ٥ ، ٣٢ : ٩ وأخبار الايام الثانى ٢ : ٩ . (٦) ايليا وهو الاسم الأول للاسمراطور الرومانى هدربيان والكابيتول هو اسم معيد جبيتر الكبير.

(٧) اشعیا ٤٨ : ٢ , تحمیا ١١ : ١ .
 (٨) ظاظا : المرجع السابق ص ٨٠ .

Ency , Britannica , val 7 , Jerusalem (9)

(١٠) يوحنان أهاروني : أسرائيل في عصر المقرا ص ٤١ .

D. Bably: Geographical companion to the Bible (\\) PP. 152 - 153

راجع الاطلس العربي طبعة ١٩٦٥ صفحات ٣٣ ، ٣٣ قسطنطن خمار : موسوعة فلسطن الجغرافية صفحات ١٧٣ ـ ١٨٣ .

(١٢) عارف باشا : المرجع السابق ص ١١

وقد عرف ملكيصادق بالتقوى وكان محبا للسلام حتى اطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاء اسم المدينة « سالم » و « شالم » . و يرى د . ظاظا : المرجع السابق ان قوم ملكيصادق كانوا يتعبدون في الكهوف و يقيمون الشعائر ولكنهم لم يسكوها وان ملكيصادق كان يقيم الصسلاة في كهف طبيعسى مكان تبسة الصحق . كيا ان اطلاق اسم ملك السلام عليه لا يتمشى مع معنى ملكيصادق باللغة العبرية حيث معنى هذا الاسم « ملك العدل » .

Y. Kaufmann: The Religion of Israel P. 302 (AY) Gray: The Canaanites PP. 135 — 135 (A4) Encyclopedia Religion and Ethics: $\xi \approx 1$ Israel P. 441

W. Robertson Smith: The Religion of the Semites PP. 99 - 100

G.E. Wright and D.N. Freedman: The Biblical (10) Archaeologist, Reader 1, vol. 1 P. 175

J. Gray: Op. cit P. 71

راجع (۱۲) ظائفا : المرجع السابق صفحات ۱۱۵ ــ ۱۱۷ . (۱۷) ابن الاثير : الكامل في التاريخ صفحات ۱۹۶ ـ ۱۹۰ ائيريولوچيم اللتغيب

فى المملكة العربية السعودية

للدكتور محمد شوقى الفنجري

تمهيد،

١ ـ يراد باصطلاح « أيديولوجية » مجموعة المبادىء أو الأصول التى ينطوى عليها تشريع أو مذهب معين . وكذلك الخطط أو الأساليب العملية التى يضعها ذلك التشريع أو المذهب لإحالة هذه المبادىء أو الأصول الى واقع يعيش المجتمع في إطاره . وعليه فإن اصطلاح الأيديولوجية Ideologieينطوى في الواقع بشأن العملية الواحدة ، على وجهين :

أ ـ وجه ثابت او ساكن Statiqueو الأسس والمبادىء التى ينطوى عليها المذهب ، وهى فى خطوطها العريضة ثابته لاتقبل التغيير او التبديل . ومن قبيل ذلك فى المجال الاقتصادى : تحديد هدف الانتباج ، ونسوع الملكية السائدة ، ومدى التخطيط الاقتصادى ، ومنهج تحقيق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، وكيفية توزيع الناتج أو الدخل القومى .. الخ .



وعلى الأساس المتقدم نستطيع أن غيز بين المذهب الاقتصادى الفردى والذى تدين به دول المعسكر الغربى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، وبين المذهب الاقتصادى الجهاعى والذى تدين به دول المعسكر الشرقىى وعلى راسها الاقتصاد السوفيتى ، وبين المذهب الاقتصادى الاسلامى والذى تدين به دول العالم الاسلامى

ことをうとそうとそうとそうとそうとそうとそうとんっとんっとんっと

وعلى رأسها المملكة العربية السعودية .

ب _ وجه متطور أو حركى Dynamiqueوهو الوسائل والاساليب التى يتذرع بها لتطبيق الأسس والمبادىء التى يقوم عليها مذهب معين . الأمر الذى يفتح الباب لتغاير كبير فى ذات المذهب ، فتتعدد وتختلف الأنظمة باختلاف ظروف الزمان والمكان وانحا دون الخروج عن الخطوط العريضة لذلك المذهب .

وعلى الأساس المتقدم نستطيع في مجال المذهب الاقتصادى ان غيز بالنسبة للمذهب الاقتصادى الفردى بين التطبيق أو النموذج الأمريكى ، وبين التطبيق أو النموذج الانجليزى أو الفرنسي أو الالماني .. الغ ، وان غيز بالنسبة للمذهب الاقتصادى الجهاعى بين التطبيق أو النموذج السوفيتى ، وبين التطبيق او النموذج الصينى أو اليوغوسلافي أو المجرى أو الروماني .. الغ ، وان غيز بالنسبة للمذهب الاقتصادى الاسلامى بين التطبيق او النموذج السعودى ، وبين التطبيق أو النموذج الكويتى أو المصرى أو المغربي .. الخ .

٢ ـ ونخلص مما تقدم ان الخلاف بين المذاهب السائدة ، هو خلاف جوهرى في الاساس والمبادىء . أما الخلاف بين النظم التطبيقية للمذهب الواحد ، هو خلاف تفصيلى في الوسائل والأساليب . وعليه يظل الحلاف بين النظم أى التطبيقات applications للمذاهب المختلفة ، هو خلاف جوهرى وان تلاقت في بعض الوسائل والأساليب .

وترتيبا على ذلك ، فان أخذ بعض الدول الرأسهالية كانجلترا أو فرنسا أو غيرها ببعض الأساليب الاشتراكية كتأميم بعض وسائل الانتاج أو وضع الخطط الاقتصادية أو التدخل في تحديد الأسعار أو الأجور .. الخ ، لايفيد عدولها عن المذهب الفردى (الرأسهالي) وذلك حتى تعدل عن أسس هذا المذهب ، كما أن أخذ بعض الدول الاشتراكية كيوغوسلافيا أو المجر أو غيرها ببعض الأساليب الرأسهالية كالساح بقدر من الحرية الاقتصادية أو اقرار بعض صور الملكية الخاصة .. الخ ، لايفيد عدولها عن المذهب الجاعى (الاشتراكي) وذلك حتى تعدل فعلا عن أسس هذا المذهب . كذلك الأمر بالنسبة لدول العالم الاسلامي فإن تضييفها

FULL SCRUCKUCKUCKUCKUCKUCKUCKUCKU

أو توسيعها من نطاق الملكية الخاصة أو العامة أومن الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى .. الخ ، لايفيد انتاءها الى الكتلة الغربية او الكتلة الشرقية وذلك حتى تعدل فعلا عن انتائها الاسلامى والنزامها بأحكام الشريعة الاسلامية .

وهذا في الواقع لايتعدى القول بأن لكل مذهب أو نظام مفهوما يتضمن حدا ادنى من المعانى المشتركة بين مختلف ضروبه ، ولكنه مفهوم يتسع لتطبيقات متغايرة وفقا لتغاير الزمان والمكان . وهذا ماعبر عنه فقهاء الاسلام بقولهم (تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة) ، وأنه (خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان) وعبر عنه شبيخ الاسلام ابن تيمية أدق تعبير بقوله (انه خلاف تنوع لاخلاف قضاء)().

٣ ـ ومتى وضح ماتقدم ، فان ايديولوجية التنمية بالمملكة العربية السعودية ، خاصة الاقتصادية موضوع اهتامنا ، هو الأيديولوجية أو المذهبية الاسلامية شانها فى ذلك شأن سائر دول العالم الاسلامي التى تدين بالمذهبية الاسلامية ، ملتزمة بأحكام الشرع الاسلامي فى تحقيق ذاتها ، خاصة فى مجال تنميتها الاقتصادية .

وعليه فان دراستنا الحالية ، تعرض باختصار وفى حدود القدر المسموح لنابه ، لأهم الأصول الاسلامية في مجال التنمية والتي تدين وتلتزم بها المملكة العربية السعودية .

أولا: الاسلام والمشكلة الاقتصادية والاجتاعية:

١ ـ اهتمام الإسلام بالجانبين المادي والروحي على السواء :

جاء الأسلام منذ اربعة عشر قرنا بمنهج كامل للحياة ، يهتم بالجانب المادى فى حياة البشر بقدر مايعنى بالجانب الروحى ، ذلك لأنبه لاقوام لجانب دون آخر وكلاها يتاثر بالآخر ويؤثر فيه .

فإذا كان حقا ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، فإنه ايضا بدون الخبز لايستطيع ان يحيا الانسان .

٢ ـ الاسلام يضع منذ البدء مشكلة الفقر والتخلف في المقدمة والصدارة:
 لذلك وضع الاسلام المشكلة الاقتصادية وهي مشكلة الفقر والتخلف ، وذلك منذ البدء

$\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcal{O}}(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcalO})(\mathcal{O})(\mathcal{L}_{\mathcalO})(\mathcal{L}_{\mathcalO})(\mathcal{L}_{\mathcalO})(\mathcal{L}_{\mathcalO})(\mathcal{O$

وقبل أن تتطور الأحداث وتفرض المشكلة نفسها ، حيث يجب أن توضع في الاساس وفي المقدمة . ومن قبيل ذلك انه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وأنه نعم العون على تقوى الله ، وان طلب المال الحلال فريضة وجهاد في سبيل الله . (1)

أكثر من ذلك لقد ساوى الاسلام بين الفقر والكفر ، ولم يستعذ الرسول رهي من من من من من الفقر فيقول كليه من شيء بقدر استعادته من الفقر فيقول عليه الصلاة والسلام (كاد الفقر ان يكون كفرا) ويقول (اللهم انى اعوذ بك من الفقر والكفر) (٣) وقال رجل (ايعدلان) قال (نعم) (١) ٣ ـــ ارتباط العبادة بتأمين الناس في حياتهم المعيشية

بل ان الاسلام حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله تعالى ، علله في القرآن بقوله تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) $^{(a)}$. وان موسى عليه السلام حين دعا الله بقوله (رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى) $^{(7)}$ ، قرنه بقوله (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) $^{(7)}$

اكثر من ذلك ، لقد اعتبر الاسلام مجرد ترك احد افراد المجتمع ضائعا او جائعا ، هو بمثابة تكذيب للدين نفسه اذ يقول الله تعالى (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) (٨) .

ثانيا: الصيغة الإسلامية للتنمية:

نستطيع ان نلخص الصيغة الاسلامية للتنمية بانها تنمية شاملة ، ومتوازنة ، وغايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في أرضه .

١ _ فأما انها تنمية شاملة :

قذلك لأنها لا تستهدف رقى الإنسان ماديا فحسب ، وانما روحيا بصفة أساسية . والروحانية في الاسلام ، ليست كها يتصور الكثيرون مسالة ميتافيزيقية أو غيبية ، وانما هى العمل الصالح ايمانا بالله واعتبارا ومراعاة له تعالى ، سواء كان ذلك الايمان أو تلك المراعاة والاعتبارات المتأصلة في العقل والنفس والمتمثلة في النشاط والسلوك ، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه او كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته .

)C4)C4)C4)C4)C4)C4)C4)C4)C4)C4)C4)

فالإسلام لا يعرف الفصل بين ماهو مادى وماهو روحى ، ولا يفرق بين ماهو دنيوى وماهو أخروى . فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الانسان ، هو فى نظر الإسلام عمل روحى أو أخروى ، طالما كان مشروعا وكان يتجه به إلى الله تعالى . (1¹⁾ فالله تعالى ، ماخلق الجن والانس الا ليعبدوه أى ليعملوا عملا صالحا ، والإيمان فى الاسلام ليس ايمانا مجردا ABSTRACT

وإن مبدأ الشمول في التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضى أن تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس وسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية .. المخ ، بحيث لا تقتصر التنمية على إشباع بعض الضروريات أو الحاجيات دون الأخرى .

ومن هنا لايقبل الاسلام تنمية رأسالية تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز ، كها لايقبل تنمية اشتراكية تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير .

٢ ـ وإما أنها تنمية متوازنة :

فذلك لأنها لا تستهدف الكفاية فحسب أى زيادة الانتاج بقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)(١١) واغا تستهدف اساسا العدل اى عدالة التوزيع بقوله تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوى)(١١) ، بحيث يعم الخير جميع افراد المجتمع الاسلامى ذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية ، هو ان يتوافر لكل مواطن حد الكفاية ... لذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية ، هو ان يتوافر لكل مواطن حد الكفاية المحده وشكره تعالى وعبادته ذلك الحمد والشكر الذى لا يعبر عنه في الاسلام بالقول والامتنان فحسب ، واغا اساسا بالعمل والاخلاص فيه بقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا)(١٢). وتلك العبادة التي لا تتمثل في الاسلام بالصلاة والتوجه الى الله فحسب ، واغا اساسا بخدمة الغير ومديد المعونة لكل محتاج بقوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)(١٤).

فالإسلام اذ يتطلب زيادة الإنتاج يستلزم في نفس الوقت عدالة التوزيع ، بحيث لايغنى

)C42C42C42C42C42C42C42C42C42C42C4

احدهها عن الآخر . فوفرة الانتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لايسلم به الاسلام ، كها ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هو توزيع الفقر والبؤس مما يرفضه الاسلام(١٥) .

ومن ثم لايقبل الاسلام تنمية رأس الية تستهدف تنمية ثروة المجتمع دون نظر الى توزيع هذه الثروة . وإذا كانت التنمية الاشتراكية تؤكد العلاقة بين اشكال الانتاج والتوزيع الا انها ترى ان نظام التوزيع يتبع دائم شكل الانتاج ، في حين يرفض الاسلام هذه التبعية بحيث ايا كانت اشكال الانتاج السائدة فإنه يضمن اولا حد الكفاية لكل فرد ، وذلك كحق الهي مقدس يعلو فوق كل الحقوق ثم بعد ذلك يكون لكل تبعا لعمله وجهده ، بحيث اذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو مالا يكون الا في ظروف استثنائية كمجاعة او حرب تأسى الجميع في حد الكفاف (١٦) .

وإن مبدأ التوازن في التنمية الإسلامية ، يقتضى ان تنوازن جههود التنمية ومن ثم فانه لا يقبل في الاسلام ان تنفرد بالتنمية المدن دون القرى ، أو ان تستاثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة ، أو ان تقدم الكياليات أو التحسينات على الضروريات أو الحاجيات ، أو ان تسبق الصناعات الثقيلة أو المستوردة الصناعات الاستهلاكية أو المحلية ، أو ان يركز على البناء والتشييد دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية .. الخ ، من الأخطاء العديدة التي وقعت فيها مختلف الدول العربية والاسلامية مقلدة دون وعى تجارب شرقية أو غربية ، غافلة أو جاهلة الصيغة الاسلامية بضرورة التوازن الانمائي . ولا شك ان التنمية غير المتوازنة التي نراها في اغلب دول العالم النامى ، والتي تركز على جزء من الاقتصاد القومي وتزيد من تدهور بقية الأجزاء ، هي تنمية مشوهة بل هي في حقيقتها تنمية للتخلف .

وأما أن غايتها الإنسان نفسه ليكون بحق خليفة الله في أرضه ، فذلك مايحدد بواعث التنمية الإسلامية ووسائلها .

ففى « التنمية الرأسيالية » الباعث هو تحقيق اكبر قدر من الربح ، مما يؤدى عادة الى الانحراف بالانتاج عن توفير احتياجات المجتمع الضرورية ووفرة انتاج السلع الكمالية التى يطلبها الأغنياء والمترفون ، وما يصاحب ذلك من سيادة المادة ومختلف المساوى، الاجتاعية

التي تعانى منها المجتمعات الغربية .

وفى « التنمية الاشتراكية » الباعث هو سد احتياجات الدولة وفق اطماع وسياسات القائمين على الحكم لا وفق احتباجات ورغبات المواطنين انفسهم مما يهدر كلية حرية الفرد ويجعل منه مجرد ترس او اداة لا غاية .

أما التنمية الإسلامية فباعثها ليس الربح شأن التنمية الرأسالية ولا أهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية ، والما هو توفير الكفاية لكل مواطن ليتحرر من اية عبودية أو حاكمية ، الا عبودية وحاكمية الله وحده ، فغاية التنمية الاسلامية هو الانسان نفسه لا تستعبده المادة شأن الرأسهالية ولا يستذله الغير شأن الاشتراكية والها هو محرر مكرم يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليكون بحق خليفة الله في ارضه .

ثالثا: الأسلوب الإسلامي لتحقيق التنمية:

يقوم الاسلوب الاسلامي لتحقيق التنمية على اساس تعاون الفرد والدولة معا ، لكل مجاله بحيث يكمل كلاها الآخر ، ولا يعني أحدها عن الآخر . ومن هنا كان اعتراف الاسلام بالملكية المزدوجة الحاصة والعامة ، كلاها على قدم المساواة يتحملان مسئولية التنمية . اكثر من ذلك فإن الاسلام في اعترافه للملكية سواء كانت خاصة او عامة ، وفي نظرته اليها وتنظيمه لها الها اقامه باعتبارها وسيلة إنمائية أي حافزا من حوافز التنمية .

١ ـ ففي الاقتصاد الرأسيالي ، التنمية هي في الأساس مسئولية الفرد أو القطاع الخاص .
 بخلاف الاقتصاد الاشتراكي ، فإن التنمية هي في الأساس مسئولية الدولة او القطاع العام .

أما في الاقتصاد الإسلامي فإنها في الاساس مسئولية الفرد والدولة معا اى القطاعين الخاص والعام ، لكل مجاله بحيث يكمل كلاها الآخر ، ولايغنى أحدها عن الآخر وبحيث لاتزداد أو تقل مسئولية اى منها الا بقدر ما تتطلبه طبيعة وظروف التنمية في كل مجتمع .

- ازدواجية الملكية في الإسلام :

ومن هنا كان من أهم الأصول الاقتصادية الاسلامية ، مبدأ ازدواج الملكية : الخاصة والعامة (۱۷) ، يساهان معا على قدم المساواة في عمليات التنمية . كلاهم كأصل وليس

2C 4 2

استثناء ، وكلاها ليس مطلقا بل هو مقيد بالصالح العام أى اعتبارات العمران والتنمية ، وكلاها يكمل الآخر فلكل مجاله بلا تعارض أو اصطدام حيث لا تقوم الدولة الا بأوجه النشاط الاقتصادى التى يعجز الأفراد عن القيام بها كمد السكك الحديدية وتعمير الصحارى وصناعة الأسلحة .. الخ .

لقد جاء الاسلام فأقر الملكية الخاصة ، بل وحماها الى حد قطع يد السارق معلنا ان (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (١١) ، وأنه (لا يجل مال امرىء مسلم الا بطيب نفسه) كذلك جاء الاسلام فأقر صور الملكية العامة التى كانت معروفة وقتئذ كملكية الدولة للأرض التى لامالك لها ، والمعادن في باطن الأرض والمرافق الاساسية كالمياه والكلأ والقوت الضرورى كالملح ومايقاس عليه ، بل لقد استحدث الإسلام صورا جديدة من الملكية العامة لم تكن معروفة من قبل سواء في صورة المساجد ونزع الملكية الخاصة من اجل توسيعها ، أو في صورة الوقف الخيرى ، أو في صورة الأرض الأرض المنافقة عامة ومايقاؤها في ايدى واضعى اليد من اصحابها الأصليين الا مقابل دفع الخزاج اى اجرة الأرض (١١١) . وإذا كان في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتوسع في الملكية العامة ، فذلك لان ظروف المجتمع وقتئذ الرسول عليه السلام واتساعها في عهد الخليفة الأول ابو بكر ومن بعده الخليفة عمر بن المحاب رضى الله عنها ، وما صاحب ذلك من زيادة الموارد واتساع النشاط الاقتصادى وظهور مشاكل اقتصادي جديدة ، وجدت تطبيقات عديدة لاسيا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بتوسع بقتضاها في اعهل مبدأ الملكية العامة . (٢٠)

المهم ان مسئولية التنمية فى الاسلام ، هى مسئولية الفرد والدولة معا ، وهنا يتبين لنا وجه هام يميز الاقتصاد الاسلامى عن الاقتصاد الرأسهالى والاقتصادى الاشتراكى . أ ... ففى الاقتصاد الرأسهالى .

الأصل هو الملكية الخاصة ، والاستثناء هو الملكية العامة اذا اقتضت الظروف تولى

الدولة بعض أوجه النشاط الاقتصادى . فالملكية الخاصة هنا مقدسة اذ هى فى نظره الباعث على النشاط الاقتصادى وجوهر الحياة ومن ثم فهى وحدها الاساس فى التنمية الاقتصادية .

ب ـ وبالعكس فى الاقتصاد الاشتراكى . الأصل هو الملكية العامة والاستثناء هو الملكية الخاصة بنا الخاصة هنا غير الخاصة لبعض وسائل الانتاج يعترف بها النظام بحكم الضرورة . فالملكية الخاصة هنا غير مصونة اذ هى فى نظره سبب كل المساوى، والمشكلات الاجتاعية ، ومن ثم يرى عدم الاعتداد بها فى مجال التنمية بحيث تكون الملكية العامة هى وحدها الاساس فى التنمية الاقتصادية .



ج - اما في الاقتصاد الاسلامي ، فهو كما سبق أن اوضحنا ، يعترف بنوعي الملكية الخاصة والعامة ، وكلاها كأصل وليس استثناء ، ولكل مجاله في التنمية الاقتصادية بحيث يكمل كل منها الآخر ، وكلاها ليس مطلقا بل هو مقيد باعتبارات المصلحة والتنمية . وعليه فقد تتوسع احدى الدول الاسلامية في اعهال الملكية العامة في مجال التنمية الاقتصادية ، فلا يحيلها ذلك كها توهم البعض الى دولة اشتراكية . وبالعكس قد تضيق احدى الدول الاسلامية من اعهال الملكية العامة في مجال التنمية الاقتصادية ، فلا يحيلها ذلك كها تصور البعض الى دولة رأسهالية . وذلك طالما كانت ظروف هذه الدولة أو تلك ، تقتضى هذا التوسع أو التضييق في الملكية الخاصة أو العامة بحسب متطلبات التنمية ، ودون انكار أو اهدار لإحدى الملكيةين (۲۷) و يظل بذلك الخلاف بينها ، هو كها سبق أن ألمحنا ، خلاف زمان ومكان لاحجة و برهان ، وهو مانستطيع أن نعبر عنه أخذا عن شيخ الاسلام خلاف زمان ومكان لاحجة و برهان ، وهو مانستطيع أن نعبر عنه أخذا عن شيخ الاسلام انه (خلاف تنوع لا خلاف تضاد) (۲۲) .

٣ ـ شرعية الملكية هو باعتبارها وسيلة إنمائية

وإننا نسجل بحق ان الاسلام في اعترافه للملكية سواء كانت خاصة او عامة ، وفي نظرته اليها وتنظيمه لها ، انما اقامه باعتبارها وسيلة انمائية اى حافزا من حوافز التنمية ، بحيث تنتفى شرعية الملكية سواء كانت خاصة او عامة اذا لم يحسن الفرد او الدولة استخدام هذا انفاقا او استثبارا في مصلحته ومصلحة الجهاعة . وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير سيدنا عمر ابن الحنطاب حين قال لبلال وقد اعطاه الرسول عليه السلام ارض العقيق بقوله (ان رسول الله عليه المسلام أوض العقيق بقوله (ان رسول الله عليه المسلام أوض العقيق عارته ورد على عارته ورد الباقي) ومن هنا ندرك :

أ ـ لماذا نهى الاسلام بشدة لا مثيل لها عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج والتداول بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) (٣٣) ويقول الرسول عليه السلام (من جمع دينارا أو تبرا أو فضة ولا ينفقه في سبيل الله ، فهو كنز يكوى به يوم القيامة) (٤٢) .

ب ـ ومن هنا ندرك ايضا لماذا ينهى الاسلام بشدة بالفة عن صرف المال بغير حق فى ترف او سفه ، حتى انه وصف المترفين بالمجرمين بقوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (٢٥) ، ووصف المبذرين بأنهم اخوان الشياطين بقوله تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (٢٦) ، وكيف انه أجاز الحجر على السفيه الذي يصرف ماله على غير مقتضى العقل .

ج ـ ومن هنا ندرك كذلك لماذا لا يسلم الفقهاء للحاكم بنزع الملكية الخاصة او التأميم ، الا بقدر ماتقتضيه المصلحة العامة واخصها العمران والتنمية الاقتصادية ، ويعبرون عن ذلك بان (الامام مخبر فيها تخيير مصلحة لا تخيير شهوة) .

د ـ ومن هنا ندرك اخيرا لماذا ربط الاسلام بين الايمان والانفاق في سبيل الله اى في سبيل
 المجتمع وتعميره . بل انه جعل ذلك الانفاق او التعمير هو علامة الايمان والتقوى ، وهو شرطه

こってすってすってすってすってすってすってすってすってすってすべ

الاساسى ، حتى انه مامن آية قرآنية او حديث نبوى يتكلم عن الايمان والتقوى الا ويقرنه بالانفاق في سبيل الله اى في سبيل المجتمع وتنميته . ولقد عبر القرآن عن الفائض الاقتصادى الذى هو اساس التنمية بتعبيرات العفو والفضل ، وهو كل مازاد عن الحاجة بغير ترف او سفه ، ودعا الى ضرورة انفاقه كله في سبيل الله اى في سبيل المجتمع وتنميته ، بل جعل ذلك كما اسلفنا علامة الاسلام وشرط الايمان .

رابعا : الضهانات الإسلامية لنجاح التنمية واستمرارها ١ ـ تعمر الكون وتنمية الإنسان هو غاية الاسلام :

اعتبر الإسلام تعمير الكون وتنمية الانسان ليكون بحق خليفة الله في ارضه بقوله تعالى (إنى جاعل في الارض خليفة) (٢٧) ، هو غاية خلقه ووجوده بقوله تعالى (هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها) (٢٨) اى كلفكم بعارتها . فلم يخلق الله الانسان في هذه الحياة عبثا أو لمجرد ان يأكل ويشرب ، وانما خلقه لرسالة يؤديها ، هى ان يكون خليفة الله في ارضه : يدرس وبعمل ، وينتج ويعمر ، عابدا الله شاكرا فضله ، ليقابله في نهاية المطاف بعمله وكدحه بقوله تعالى (يأأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) (٢٩) . بل لقد جعل الاسلام صدق الكدح أو بطلانه ، هو سبيل سعادة المره أو شقائه في الدنيا والآخرة ، جعل الاسلام صدق الكدح أو بطلانه ، هو سبيل سعادة المره أو شقائه في الدنيا والآخرة ، بقوله تعالى (وبن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) (٢٠٠) .

ومن هنا فقد سخر الله تعالى للانسان كل مافى السموات والارض بقوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض يحييها لكم مافى السموات وما فى الارض يحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده بقوله تعالى (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكرا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (۲۳) أى هيأ لكم السيطرة على الارض عن طريق تعميرها .

ومن هنا ايضا حرص الاسلام على توفير ضهانات او ركائز لتحقيق هذه التنمية واستمرارها . لعل ابرزها حسبها سبق الاشارة اليه ، ايجاد ملكية عامة تساند التنمية ، وترشد الاستهلاك ، وتوجيه الفائض الاقتصادى لأغراض التنمية ، وتطلب المشاركة الشعبية في

عمليات التنمية ، ومراعاة اولويات التنمية بتقديم الأهم فالمهم ، والأخذ بالأساليب العملية والتقنية الملائمة .. الخ .

٢ _ الارتفاع بالتنمية إلى مرتبة العبادة

ولعل أكبر ضان لنجاح جهود التنمية واستمرارها ، هو ارتفاع الاسلام بالتنمية الى مرتبة العبادة . إذ لم يكتف الاسلام بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (⁷⁶) ، بل اعتبر العمل فى ذاته عبادة وأن الفرد العامل قريب من الله ومثاب على عمله الصالح فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) (⁷⁷) ، وقول رسوله الكريم (العمل عبادة) وقوله عليه الصلاة والسلام (ما عبد الله بمثل عمل صالح) وقوله (من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة) (⁷⁷) ، وروى أن الرسول عليه السلام قبل يدا ورمت من كثرة العمل وقال (هذه يد يجبها الله ورسوله) .

أكثر من ذلك ، اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته أفضل ضروب العبادة . فقد ذكر للنبى عليه السلام رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به ، قالوا : أخوه ، فقال (أخوه أعبد منه) . وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى ، فقال له الرسول عليه الصلاه والسلام (لاتفعل قإن مقام أحدكم في سبيل الله _ أى في خدمة المجتمع وتنميته _ أفضل من صلاته في بيته ستين عاما) (٢٨٨) ، وبقوله عليه السلام (لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد في سبيل الله) . (٣٩)

ونخلص مما تقدم أن التنمية فى الاسلام هى فريضة وعبادة ، بل هى من أفضل ضروب العبادة . وأن المسلمين قادة وشعوبا مقربون إلى الله تعالى ، بقدر تعميرهم للدنيا وأخذهم بأسباب التنمية بكافة صورها .

うとすっとすっとすっとすっとすっとすっとすっとすっとすっとすっと

ولقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والتنمية بقوله (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعهال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة) (٤٠٠) .

٣ _ التنمية الشاملة والجهاد المقدس

والتنمية عامة والاقتصادية خاصة ، ليست عملية فنية يكتفى فيها بمجرد إعداد خطط التنمية ، ولا مجرد متابعة تنفيذها لدى القطاع الخاص أو العام ، بل لابد من تعبئة جميع المواطنين لها بحيث تكون مطلبا شعبيا ملحا يعى كل فرد مسئوليتة المحددة فيها ويدرك حقوقه المؤكدة من نجاحها . إن من أهم عوامل عدم نجاح التنمية في بعض البلاد النامية ، أن الأساليب المستخدمة لم تستطع أن تحرك الأمة كلها لمواجهة معركة التخلف .

وإذا كانت مشكلة التخلف في مختلف صوره ، هي من أولى المشكلات التي تواجه الشعوب العربية والاسلامية اليوم ، فانه لابد من تعيئة كل قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف من أجل التنمية . ونرى لذلك ضرورة ربط التنمية بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة في الفرد المسلم وتحقيقا للتنمية الشاملة بإحالتها إلى ممارسة دينية وواقع إياني . ذلك أن قوام المجتمع الاسلامي ، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تمالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (12) ، والأمر بالمعروف يتضمن في رأينا بصفة أساسية تحقيق التنمية الشاملة ، والنهي عن المنكر والكثير من المساوىء الاجتاعية والانحرافات الخلقية .

فلابد أن نعبىء النفوس ونعلنها حربا مقدسة ضد التخلف ومن أجل التنمية الشاملة ، لاسيا متى لاحظنا أن التحدى الذى نلقاه من قبل اسرائيل ليس تحديا حربيا فقط وإنما هو أساسا تحد حضارى . فاسرائيل تنشد السيادة والسيطرة على المنطقة العربية ، ومعركتنا مع إسرائيل ليست مقصورة على إزالة آثار العدوان وإنما هى تتصل بتخلفنا الحضارى وما تتطلبه من ضرورة التنمية العاجلة والتي يجب أن نجند لها كافة قوى وإمكانات الشعوب العربية .

2C42C42C42C42C42C42C42C42C42C42C

إن الخطر الحقيقى الذى نواجهه ليس قوة إسرائيل ومن وراء اسرائيل ، ولكنه تفرق العرب وتخلفهم رغم مالديهم من إمكانات بشرية ومادية غير محدودة . ولا شيء أقام اسرائيل وطمع فينا العدو سوى تفرقنا وتخلفنا ، وجهادنا المقدس اليوم هو جهاد ضد التفرق والتخلف ومن أجل التنمية الشاملة . وصدق الله العظيم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٤٢) ، وهو مالايتحقق أساسا إلا عن طريق التنمية الشاملة .

خامساً : ضرورة التنسيق في خطط التنمية على المستويين العربي والإسلامي

١) تواجه الدول العربية خاصة والاسلامية عامة ، عقبات ومشكلات عديدة عند تنمية مجتمعاتها تنمية فردية ، وذلك لافتقادها مستقلة لبعض مقومات التنمية . في حين تتوافر لها هذه المقومات وهي مجتمعة في وطن عربي أو إسلامي كبير ، فها ينقص إحداها من موارد طبيعية أو رأس مال أو قوى عاملة أو خبرات فنية .. الخ يتوافر لدى البعض الآخر .

لذلك يتطلب الأمر عند وضع خطط التنمية ، التنسيق بين إمكانات كل بلد عربى أو اسلامي بحيث يكمل كل منها الآخر ، وهو ما يحقق أكبر استفادة من إمكانات كل دولة عربية أو إسلامية دون فاقد أو ضائع ، وهو في المحصلة يدفع بعجلة التنمية في العالمين العربي والاسلامي ويؤدي في النهاية الى الوحدة العربية والتضامن الاسلامي والتعاون العالمي . فليس هناك أي تناقض بين الوحدة العربية ، وبين التضامن الاسلامي ، وبين التعاون العالمي ؛ بل كل منها هو خطوة أساسية لتحقيق الأخرى ، وذلك طالما كان هناك تنسيق دقيق للتعاون والتكامل لا للتصارع والتضارب . وحينئذ يسود العالم أمله المنشود في الحياة المثلى والذي لخصة القرآن الكريم في إصطلاحي (التعاون) و (العزة) بقوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » (٢٤) وقوله سبحانه « وقد العزة ولرسوله وللمؤمنين » (٤٤) .

لقد أسهمت المملكة العربية السعودية في التوعية بأن أغاط التنمية الغربية (الرأسهالية)
 وكذا أغاط التنمية الشرقية (الاشتراكية). الاتتناسب وظروف الدول العربية خاصة ، والدول

2C*2C*2C*2C*2C*2C*2C*2C*2C*2C*2C*2C

الاسلامية عامة ، وذلك لاختلاف ظروف هذه الدول من مختلف الجوانب عن ظروف تنمية دول العالمين الحر والاشتراكي . إن للمجتمعات العربية خاصة والاسلامية عامة ، ذاتيتها وعقائدها الاسلامية وروابطها النفسية ، بحيث لاتتجاوب الا مع المذهبية والأيديولوجية الاسلامية والتي تغنيها عن تلمس أسباب التنمية والتكامل لدى غيرها من المذاهب والأيديولوجيات التي لاتتلام معها .

ومن هنا كان قرار مؤقر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في المغرب في جادي الآخر ١٣٩٩/مايو سنة ١٩٧٩ بضرورة إقامة نظام إسلامي عالمي جديد ينمي علاقات الدول الاسلامية التجارية والصناعية فيا بينها ويقلل من الحواجز الجمركية ويقضى على عقبات تنمية هذا التعاون . ثم كان المؤقر العاشر لرؤساء الدول العربية الذي عقد في تونس في محرم سنة ١٤٧٠/ ديسمبر سنة ١٩٧٩ بضرورة الاسراع في خطى التنمية الشاملة وتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية .

ولقد انعقد فى ٢٥ نوفمبر ١٩٨٠ بعيان مؤتمر القمة العربى الحادى عشر ، والذى يعتبر بمثابة أول مؤتمر قصة عربى اقتصادى ، بهدف الخروج بالدراسات والتوصيات الاقتصادية الى نطاق العمل والتنفيذ ، وفى ظل الفكر السائد بأن التنمية الاقتصادية والتكامل الاقتصادى هو السبيل الفعال لتحرير فلسطين ، وأن السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة .

وفى ٢٥ يناير سنة ١٩٨١ أنعقد بمكة المكرمة والطائف مؤقر القمة الاسلامى الثالث ، والذى يعتبر بدوره بمثابة أول مؤقر قمة إسلامى إقتصادى ، وفى ظل الفكر السائد بأن السوق الاسلامية المشتركة هى الهدف النهائى للتعاون الاقتصادى بسين الدول الأعضاء فى منظمة المؤقر الاسلامى ، وهو هدف إسلامى جليل يحتاج إلى نفس طويل والاسراع فى إقامة مشروعات اقتصادية مشتركة متنوعة .

٣) وختاما إننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن دولة الاسلام هى دولة التنمية بمفهومها
 الشامل الذى يستهدف صلاح الفرد ماديا وروحيا ، وإن قيمة أى حكم في أية دولة

とうとようとようとようとようとようとようとようとようとん

إسلامية هو بقدر ما يحققه لمجتمعه من تنمية حقيقية بشقيها الكفاية والعدل وتهيئة الفرص للتقدم المادى والروحي لكل مواطن .

٥ الهوامش ٥

- انظر الفتاوى الكبرى للإمام تقى الدين ابن تيمية . طبع الرياض الجزء السادس صفحة ٥٨ والجزء الثالث عشر ص ٣٤ .
- (٢) انظر كتابنا (الاسلام والمشكلة الاقتصادية) ، طبعة سنة ١٩٧٨ ناشره مكتب الانجلو المصرية ص ٤٩ ومابعدها .
 - (٣) الحرجه الطبراني في الأوسط، والسيوطي في الجامع الصغير.
 - (٤) أخرجه ابو داود والنسائى وابن ماجه .
 - (٥) سورة قريش الآية ٣ و ٤ .
 - (٦) سوره طد ، الآية ٢٥ و ٢٦
 - (٧) سورة طه ، الآيه ٣٣ و ٣٤ .
 - (٨) سورة الماعون ، الآيات من ١ إلى ٣ .
- (٩) انظر كتابنا (ذائية السياسة الاقتصادية الاسلامية وأهمية الاقتصاد الاسلامي) طبعة سنة ١٩٧٨ ثناشره مكتبة الأنجلو المصرية ص ٤٥ ومايعدها.
 - (١٠) سورة التوبة ، الآية برقم ١٠٥ .
 - (١١) سورة المائدة الآية رقم ٨ -
- (١٢) يراد بحد الكفاية المسترى اللاتق للمعيشه بحسب ظروف الزمان والمكان ، يخلاف الكفاف فهو المستوى الأدنى للمعيشه والذي بدونه لايستطيع المره أن يعيش وينتج فهو غير قابل للنقصان .
 - (١٣) سورة سبأ ، الآية رقم ١٣ .
 - (١٤) سورة النساء ، الآية رقم ١١٤ .
 - (١٥) أنظر كتابنا (الاسلام والمشكلة الاقتصادية) مرجع سايق ، ص ٥٨ -
 - (١٦) أنظر نفس المرجع السابق ، ص ٧٥ ومايعدها .
- (١٧) اظر كتابنا (المدخل الى الاقتصاد الاسلامى) طبعة سنة ١٩٧٧، الناشره مكتبة التهضة العربية بالقاهرة ، ص ٩٢ ومابعدها .
 - (١٨) اخرجه الشيخان البخاري ومسلم .
 - (١٩) أنظر كتابنا (المدخل إلى الاقتصاد الاسلامي) ، مرجع سابق ، صفحة ٩٨ ومابعدها .

- (٢٠) أنظر نفس المرجع السابق ، صفحة ١٠٧ ومابعدها .
- (۲۱) أنظر بحثنا (المذهب الاقتصاص في الاسلام) ، والمقدم للمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الاسلامي المنعقد بمكة المكرمة في فيرابر سنة ۱۹۷7 / صفر سنة ۱۳۹۱ تقت اشراف جامعة الملك عبد العزيز ، ص ۳۰ من مطبوعات المؤتمر .
 - (۲۲) أنظر فتاوي ابن تيمية ، مرجع سابق ، جزء ٦ صفحة ٨٨ وجزء ١٣ ص ٣٤ .
 - (٢٣) سورة التوية ، الآية رقم ٣٤ و ٣٥ .
 - (٢٤) الجامع الصغير للسيوطي ،
 - (٢٥) سورة هود ، الآية رقم ١١٦ .
 - (٢٦) سمرة الاسرام ، الآية رقم ٧٧ .
 - (٢٧) سورة البقرة ، الآية رقم ٣٠ .
 - (۲۸) سررة هيد ، الأبة رقير ۲۱ .
 - (٢٩) سورة الانشقاق ، الآية رقم ٦.
 - (۱۱) سوره ادستاق ۱۱دیه رهم ۱
 - (٣٠) سورة الاسراء ، الآية رقم ٧٧ .
 - (٣١) سورة الجاثية ، الآية رقم ١٣ .
 - (٣٢) سورة الجمعة ، الآية رقم ١٠ .
 - (٣٣) سورة الأعراف ، الآية رقم ١٠ .
 - (٣٤) سورة التوبة ، الآية رقم ١٠٥ .
 - (۱۰) شورو اطویه ۱۱۱ یک رخم ۱۰۰
 - (۳۵) متفق عليه .
 - (٣٦) سورة الشورى ، الآية رقم ٢٦ ،
 - (٣٧) أخرجه الطيراني في الأوسط.
 - (٣٨) أخرجه الحاكم في المستدرك .
 - (٣٩) أخرجه الحاكم في المستدرك.
- (٤٠) أنظر الدكتور سليان محمد الطهاوى فى كتابه عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٩ ، لناشره دار الفكر العربي, الفاهرة .
 - ۱۱۱۱ : ساس دار المحر العربي المعرب
 - (٤١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٠ .
 - (٤٢) سورة الانقال ، الآية رقم ٦٠ .
 - (٤٣) سورة المائدة ، الآية رقم ٢ .
 - (٣٤) سورة المنافقون ، الآية رقم ٨ .





ترجمة احمد عبدالسلام البقال

مقدمة:

منذ مايزيد عن ألف سنة ، بعث الحليفة العباسي (المقتدر(۱)) باحمد ابن فضلان سفيرا له الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة من تلاثة الآف عالم ، وعامل ، ومهندس ، وطبيب وصيدلى ، لتحصين مملكة الصقلب (بلغاريا) المسلمة من هجوم الحزر اليهود ، وتلقين أهلها مبادى الدين الاسلامي ، وعلاج مرضاهم ، ومساعدتهم على الحروج من التخلف ، شأن البعثات والمساعدات الغربية الحديثة ، ولكن على نطاق واسع بكثير كها يوجى بذلك عدد أفراد بعثة (المقتدر) .

وفى طريقه الى (بلغاريا) اختطفه جماعة من (الفايكنج)، سكان اسكندنافيا بإيعاز من قهرمانتهم ليكون العضو الثالث عشر فى بعثة لإنقاذ مملكة (روثغان) من هجوم (الفندول) .

وقد كتب (ابن فضلان) رسالة عن هذه الرحلة المهولة ، الممتعة ، في شكل تقرير دبلوماسي رفعه الى (بلاط المقتدر) ، بعد نجاته من عدة اهوال ، وعودته من اصقاع اسكاندينافيا الباردة المتخلفة الى مدينة السلام ، (بغداد) عاصمة العالم المتحضر ، ومركز الاشعاع الفكرى والعلمي ، والادبي ، والفني ، أنذاك .

ونظرا لأهمية الموضوع بالنسبة لتاريخ اسكاندينافيا ، كلفت جامعة (اوسلو) النرويجية الدكتور (بير فراوس دولوس Per Fraus Dolus) بجمع رسالة ابن (فضلان) الضائعة في بطون الكتب العربية والاجنبية في عدد كبير من اللغات ، وقد قضى الدكتور (دولوس) سبع سنوات في جمعها ، من ١٩٥٧ الى ١٩٥٩ وهي نفس السنوات التي كان الدكتور (سامي الدهان) يقوم فيها بنفس العملية الشاقة في جمع المخطوط الضائع بإيعاز من استاذه (محمد كرد على) ، ولكن بدون امكانيات جامعة (اوسلو) التي أتيحت لـ (دولوس) فجاء عمل الدكتور (الدهان) على قدر جهده .

وجاء بعدهما الكاتب الروائي الامريكي (سايكل كريشمون Michael Critchon)

فأخرج التقرير الدبلوماسي الذي كان يملأ مائة صفحة من الحجم الكبير بخط ابن فضلان الدقيق ، من ركاكة ترجمته الحرفية ، وأعاد صياغته بأسلوب روائي عصرى مشوق مثير ، دون تحريف لحرفية الأحداث .

^ CONTROL (CONTROL CONTROL CON

وبمجرد صدوره بعنوان (أَكلَة الأموات Eaters of the Dead) سنة ١٩٧٦ اصبح أروج كتاب Best Seller روصفته (الديلي تلغراف) اللندنية بأنه « من أروع روايات السنة » .

ويقول (مايكل كريتشون) في مقدمته للكتاب : « يعد مخطوط ابن فضلان اقدم تسجيل معروف كتبه شاهد عيان عن حياة (الفايكنغ) السكاندنافيين ومجتمعهم . فهو وثيقة فريدة من نوعها ، تصف بدقة متناهبة احداثا وقعت منذ اكثر من الف عام . ولم يصلنا المخطوط كاملا عبر تلك الفترة الطويلة جدا فله هو ايضاً . قصة لاتقل غرابة عن النص نفسه » .

ويعنى هذا ان (احمد بن فضلان) سفير الخليفة (المقتدر) الى الصقالبة ، اصبح صدفة تاريخية محضة حسب أول مؤرخ للمجتمع السكندنافي الذي كان في ذلك العهد كها وصفه (ابن فضلان) بتجرد العالم ، ودقة ملاحظته وبعده عن المبالغة ، والتهويل، مجتمعا أميا ، جاهلا ، قذر المظهر والعادات ، وتُنعَى المعتقدات ، يعيش على الحرب والعنف .

يقابل هذا ماكانت تشع به عاصمة الخلافة العربية (بغداد) او (دار السلام) في تلك الفترة من القرن العاشر الميلاى من إشراق روحى ، وعلمى ، وادبى ، ورواج اقتصادى . فقد كانت كيا وصفها (كريتشن): « أزهى المدن حضارة على الأرض . وكان يعيش داخل أسوارها أكثر من مليون نسمة ، وكانت مركز النشاط التجارى ، والاشعاع الثقافي ، ومسرحا رائعا للجهال ، والاناقة والتألق . وكانت اسوارها تضم البساتين العطرة . والمأوى الظليلة الناعمة ، والثروات الطائلة التي تأتيها من اطراف الامبراطورية الشاسعة .

وكان عرب (بغداد) مسلمين متَمُسكين بدينهم ، ولكنهم كانوا متفتحين على شعوب تختلف عنهم في المظهر ، والعادات والمعتقدات . وفي الحقيقة كان العرب اقل الشعوب اقليمية في العالم في ذلك العصر . وقد جعل منهم ذلك ملاحظين ممسازين للثقافات الاجنبة ..

وقد اثار مخطوط ابن فضلان جدالاً حادا بين علماء الانثروبولوجيا في الجامعات الغربية .وخصوصا وصفّه الدقيق (للفيندول: سكان الكهوف البحرية بالفيوردات الذين كانوا يهاجمون مملكة الملك (رونغار) التي ذهب (ابن فضلان) مُرعًا مع جماعة من السكندينافيين للدفاع عنها . هذا الجدل اشتد سنة ١٩٧١م بين طائفتين من العلماء ، إحداهما يتزعمها الاستاذ (جيوفري رايتوود Geoffrey Wrightwood): من جامعة (اكسفورد) ، تقول بأن وصف (ابن فضلان) (للفيندول) ينطبق على انسان (النياندرثال) الذي ساد الاعتقاد بانه اختفى بدون اثر منذ ٣٠ أو ٤٠ ألف عام .

ويتزعم الطائفة الثانية الأستاذ (غودريتش E.D. Goodrich) وهو عالم بيولوجي من جامعة (فيلاديلفيا) معروف بالتشكك، ويتبنى وجهة نظر مخالفة، فيقول (سنة ١٩٧٢م): « إن دقة (ابن فضلان) في الوصف قد تغرينا بالتجاوز عن بعض المبالغات الواردة في مخطوطه ».

ويأخذ عليه الأهمية التبى أعطاها لشعر جلودهم ووحشينهم . ويرد عليه بان (الفيندول) قد يكونون طائفة بشرية تعيش في عزلة في تلك المناطق النائية . كها يأخذ عليه وصف اهل الشهال بالعهالقة . وكلا الردين مردود على (غودريتش) ، فالعهالقة بالعربية لاتعنى بالضرورة المخلوقات الاسطورية الفارعة ، بل كل من يزيد طولهم عن الطول المألوف بين الناس .

وقد كانت دقة ابن فضلان وموضوعيته التى يشهد بها (غوردينش) نفسه ؛ والتى برزت من خلال كل سطر من سطوره مثار اعجاب جميع من قرأ رسالته . فهو صادق فى ملاحظاته وتعليقاته لدرجة القسوة حتى حين يتعلق الأمر بوصف جُبنه وضعفه أمام الأهوال والأخطار التى كان يُرغم ارغاما على اقتحامها ! استمع إليه وهو يصف شعوره حين علم ان الجاعة التى يوافقها ذاهبة لمفاجأة (الفيندول) من جهة البحر حيث سينزلون الى

الكهوف من فوق « الفيوردات » الشاهقة ، مُتدلِّين بالحبال ، وهو يخاف الأماكن المرتفعة خوفًا مَرْضِياً شديداً :

« كنت منزعجا من نزول الجرف الشاهق معلقا بحبل . وكان الزِعاجي من الشدة بحيث كنت أفضل عمل أى شيء على وجه الأرض ، ولو كان ذلك أكل روث خُنزير ، أو أن أُفقاً عينى ، وحتى الموت نفسه كنت أفضله على النزول معلقا من ذلك الجرف » . وسأترك ، فيا يلى ، الكلمة لابن فضلان للحدثكم بنفسه ، من مسافة ألف سنة ، عن

إحدى مغامراته مع السكندينافيين سُكان الأصقاع الشيالية .

مملكة دوثغان فارُضُ فيندث "

رست سفينتنا فى وقت صلاة الظهر، واستغفرتُ الله لتخلُّفى عَن أدائِها. ولم اكن أجرؤ على الصلاة أمام الشهاليين الذين كانوا يعتقدون ان صلاتى كانت دعاء عليهم، وكانوا يهددونى بالقتل اذا صليت على مرأى منهم.

ولبس كل مقاتل بالمركب دروع المعركة التي كانت كالآتي : أولا : نعال وجوارب عالية من صوف خشن ، وفوقها غطاء من الفرو الثقبل الذي يصل الى الركبة . وفوق ذلك اغطية من الجلد الذي كان عندهم جميعاً سوى شخص واحد هو أنا . وبعد ذلك أخذ كل واحد منهم سيفه وأدخله في حزامه ، وكل رجُل رفع تُرسته المصنوع من الجلد الابيض ورمحه ، وكل رجل وضع خوذة من الحديد او الجلد على رأسه (١) وفي هذا كان الرجال جميعا متشابهين إلا (بوليويف) الذي كان يحمل سيفه في يده ، لأنه كان كبيراً جدا .

ونظر المقاتلون الى قصر (روثغار) العظيم ، واخذوا يظهرون اعجابهم بسقفه اللامع ومهارة الصنعة فيه ، واتفقوا على أنه لامثيل له فى العالم ، بسواريه السامقـة ونفوشــه الغنية ، ومع ذلك لم يكن فى كلامهم احترام له . ونزلنا من السفينة ، وقصدنا القصر على طريق مبلطة بالحجارة ، واحدث صليل السيوف وقعقعة السلاسل ضوضاء عالية . وبعد صعودنا مسافة قصيرة رأينا على جانب الطريق رأس ثور فوق عصا ، وكان حدث العهد بالذبح .

وتنهد جميع الشهاليين ، وعبست وجوههم لذلك المشهد ، رغم انه كان غير ذى معنى بالنسبة لى ، فقد كنت قد تعودت على عادتهم بقتل حيوان الأنفه قلق أو استفزاز ! ولكن رأس الثور هذا كان له مدلول خاص .

نظر (بوليويف) بعيدا عبر حقول اراض (رونغار) ، ورأى هناك منزلا فلاحيا منفردا من النوع الشائع في ارض (رونغار) كانت حيطانه من خشب وسقوفه بعجينة من الطين والتبن الذي يجب تعهده بعد تهاطل الامطار . اما السقوف فكانت من اعواد التسقيف والخشب كذلك . ولم يكن داخل المنازل إلا أرضيه من الطين ومدفأة ، وروث الحيوانات ، فالمزارعون ينامون مع حيواناتهم داخل البيوت طلبا للدفء الصادر عن أجسادها ، ويستعملون الروث وقودا للنار .

وامر (بوليويف) بأن نذهب الى ذلك المنزل الريفى ، فمشينا عبر الحقول الخصراء المبتلة . وتوقفنا لفحص الأرض مرة أو مرتين قبل متابعة السير ، ولكنهم لم يروا شيئا يهمهم . كها لم أر أنا شيئا .

وأوقف (بوليويف) جماعته ، مرة اخرى ، واشار الى التراب الأسود . ورأيت بعينى اثر قدم حافية ، بل عدة اقدام . كانت تلك آثار ملساء واقبح من أى شيء مصروف للخليقة .. كان على رأس كل أصبع أثر ظفر أو مخلب حادّ ، بحيث كان الحجم بشريا ، وفى نفس الوقت غير بشرى . وقد رأيت ذلك بعينى وما كدت أصدقه .

وحرك (بوليويف) ومقاتلوه رؤوسهم لما رأوا ، وسمعتهم يعيدون كلمة واحدة مرة بعد اخرى ، وهي كلمة « فيندول » أو « فيندلون » أو مايشابهها . ولم اعرف معنى الاسم . واحسست اننى لاينبغى ان أسأل (هيرغر) في هذه اللحظة لأنه كان قلقا كالباقى . وسرنا سيرا حثيثيا الى المنزل القروى ونحن نرى ، مرة بعد اخرى ، آثار الاقدام ذات

المخالب على الأرض. ومشى (بوليويف) ومحاربوه على مهل ، ولم يكن ذلك حذرا منهم ، فلم يستل احدهم سلاحه ، ولكنه كان نوعا من الخوف لم افهمه ، ولكننمى احسسته معهم .

PREPARATE PROPERTIES DE LA COMPRESA DEL COMPRESA DE LA COMPRESA DEL COMPRESA DE LA COMPRESA DEL COMPRESA DEL COMPRESA DE LA COMPRESA DEL COMPRESA DE LA COMPRESA DE LA COMPRESA DE LA COMPRESA DEL COMPRESA DE LA COMPRESA DE LA COMPRESA DEL COMPRESA DEL

وفى النهاية وصلنا الى المنزل ودخلناه ، وفيه رأيت بعينى هذا المنظر: شاب جميل متناسق الاعضاء فُصِلَت اعضاءُ جسده عن بعضها عضوا .

الصدر هنا ، وذراع هناك ، وساق هناك . وعلى الارض بِرَك خاثرة من الدم تلطخت به الجدران ، والسقوف ، وكل مكان بحيث ظهر المنزل مطلبا بالدم الاحمر . وكانت هناك امرأة محزقة بنفس الطريقة ، وكذلك طفل ذكر في سنته الثانية أو اصغر ، اقتلع رأسه من بدنه فاصبح جذعا داميا ..

رأیت کل هذا بعینی ، وکان أشد ماشاهدته فی حیاتی إرعابا ، فافرغت مافی جوفی ، و بقیت دائخا لمدة ساعة ، ثم تقیأت مرة أخرى .

ولن افهم أبداً سلوك الشهاليين ، فحتى وأنا أقى، ، كانوا هم هادئين باردى الأعصاب أمام هذا المشهد المرعب ، يراقبون كل مارأوا بطريقة هادئة ، يناقشون آثار المخالب على الاعضاء ، وطريقة التمزيق ، وقد أعطوا اهتماما كبيرا لغياب الرؤوس ، ولاحظوا كذلك ابشع مشهد على الاطلاق ، والذى مازلت اتذكره حتى الآن فترتعش فرائصي بشدة :

ذلك ان جسد طفل ذكر كان قد مضغته اسنان شيطانية في اجزائه الناعمة وراء الفخذ ، ومنطقة الكتف .. رأيت بعيني هذه الفظاعة !

وخرج مقاتلو (بوليويف) عابسى الوجوه يزمجرون من المنزل القروى . واستمروا فى اعارة انتباهم الى الوحل حول المنزل ، ملاحظين انه لم تكن آثار حوافر ، الأمر الذى كان له معنى خاص عندهم . ولم افهم لماذا ، ولم يكن يهمنى ، فقد كنت اشعر بالغثيان والضعف ..

وأثناء عبورنا للحقول اكتشف (ايكتغو) حصاة صغيرة ، اصغر من قبضة طفل ، كانت منعمة ومنقوشة بطريقة بدائية . واجتمع حوله جميع المحاربين لمعاينتها ، وأنا معهم . ورأيت انه جذع امرأة حامل ، لم يكن له رأس ، ولا ذراعان ولا ساقان ، كان جذعا فقط ببطن منتفخة ، وفوقها بهدان منتفخان متدليان (١١) وحسبت ذلك التمثال بدائيا للغاية وبشعا ، ولاشيء أكثر . ولكن الشهاليين ظهر عليهم فجأة التخوف والشحوب . وارتعشت أيديهم وهم يلمسونها . واخيرا رمى بها (بوليويف) الى الأرض وسحقها بمقبض سيفه حتى صارت شظايا صغيرة . وحينئذ اصيب عدد من المقاتلين بما اصبت به من غثيان ، واخذوا يغرغون أجوافهم على الارض . وكان فزع الجميع عظايا لدرجة اذهلتني .

ومن ثم ذهبوا الى قصر الملك (روثغار) ولم يتكلم احد اثناء سيرنا الذى اخذ قرابة الساعة . وكل واحد من الشهاليين كان يبدو منطويا على نفسه ، غارقا فى تفكير مُرَّ عميق ، ولكن لم يبد عليهم أى خوف بعد ذلك .

وفى الطريق وقف لنا حاجبٌ على جواد واقف امامنا ، ورأى الاسلحة التى كنــا نحملها ، وعدد رفاق (بوليويف) ، فصاح منذرا .

وقال لى (هيرغو) : « انه يريد ان يعرف أسهاءنا ، وبسرعة » .

وأجاب (بوليويف) الحاجب ، ومن صوته فهمت انه لم يكن له مزاج لتقبل مزاح البلاطات وقال لى (هعرغر) :

« بوليويف » يقول له اننا من رعايا الملك (هيغلاك) ، صاحب مملكة (ياتلام) ، ونحن ذاهبون في مهمة الى الملك (روثغار) ، ونريد الحديث اليه »

وأضاف (هيرغر) : « بوليويف يقول ان الملك (روثغار) ملك عظيم » ولكن لهجة (هيرغر) كانت تدل على عكس ذلك .

وطلب منا الحاجب التوجه الى القصر ، والبقاء خارجه حتى يخبر الملك بوصولنا وفعلنا ، رغم ان (بوليويف) وجماعته لم تعجبهم تلك المعاملة ، وارتفعت اصوات الاحتجاج والامتعاض ، وذلك لأن الشهاليين قوم كرماء ، وهدفه ليست طريقتهم فى الاستقبال ، فلا يجوز تركهم خارج المكان . ولكنهم انتظروا ونزعوا اسلحتهم ، وسيوفهم ، ورماحهم ، إلا انهم لم ينزعوا دروعهم ، وتركوا الأسلحة خارج باب القصر .

وكان القصر محاطا من جميع الجهات بعدد من المنازل بطريقة الشهاليين . وكانت هذه مستطيلة منعرجة الجوانب كالتي في (تريلبورغ) ، ولكنها مختلفة عنها في الترتيب ، فلم تكن هنا أي مربعات ، ولا تحصينات ، وخلافا لذلك فقد كانت الارض تنحدر من القصر المنازل المستطيلة حوله الى سهل اخضر تتخلله المنازل القروية هنا وهناك ، ومن ورائه التلال ، و مدارة الغابة .

وسألت (هيرغر) لمن تكون هذه المنازل المستطيلة ، فقال لي :

« بعضها للملك ، والأخرى للعائلة الملكية ، والنبلاء ، وبعضها للخدم والحسم بالقصر » .

وقال لى كذلك بان المكان صعب ، ولم افهم ماكان يقصد بذلك .

وأذن لنا في دخول قصر الملك (روثغار) الذى اقول حقا انه يجب ان يعد واحداً من عجائب العالم خصوصا وانه في بلاد الشيال البدائية . ويسمى هذا القصر بين قوم (روثغار) باسم (هيوراث) ، لأن أهل الشيال يطلقون اسياء الأفراد على أدوات معيشتهم مثل المبانى والمراكب ، وخصوصا الأسلحة . و (هوارث) أى قصر (روثغار) العظيم كان في ضخامة قصر الحليفة الكبير . وكان مُطعًا بالفضة ، وحتى ببعض الذهب الذى كان نادرا جدا بالشيال . وعلى كل الجوانب كانت النقوش والزخارف ذات البهاء المانع بههارته الفنية . وكان حقا شاهدا على قوة وجلال الملك (روثغار) .

وجلس الملك (روثغار) فى طرف القاعة الفسيحة جدا لدرجة اننا لم نكد نميزه وكان واقفا على كتفه اليمنى نفس الحاجب الذى اوقفنا فى الطريق ، وتكلم الحاجب فقال لى(همرغر) انه نقول :

« يا أبها الملك ، هذه جماعة من محاربي مملكة (ياتلام) . قد وصلوا حديثا من البحر . وزعيمهم اسمه بوليويف وهم يستأذنون في الحديث معكم في مهمتهم ، يا أبها الملك ، لاتمنعهم من الدخول ، فلهم سَمْتُ الاعيان ، ومظهر زعيمهم يدل على انه محارب جبار . فرحِّب بهم كأعيان ، يا أبها الملك (ووثفار) » .

وحينئذ طلب إلينا الاقتراب من الملك (روثغار) .

وَبَدَا الملك (روثغار) كرجل مشرف على الموت . فلم يكن شابا وكان شعره ابيض ، وجلده شاحبا ، ووجهه مثقلا بالخوف والحزن . ونظر البنا بارتياب وهو يقطب عينية ، فربما كان يشرف على العمى ، لا أدرى .

واخيراً أخذ يتكلم و (هيرغر) يترجم لي :

« اعرف هذا الرجل ، لاننى ارسلت اليه ليقوم بمهمة بطولية . انه (بوليويف) وقد عرفته كطفل حين سافرت الى مملكة (ياتلام) بالبحر . فهو ابن (هيغلاك) الذى استضافنى بكرم ، والآن بأتى ابنه إلى في وقت احتباجى وحزنى . »

ونادى (روثغار) بادخال المحاربين الى القاعة ، ووزعت بينهم الهدايا ، وبدأت الاحتفالات .

وألقى (بوليويف) خطابا مطولا لم يترجمه لى (هيرغر) لأن الكلام اثناء خطابه يعد خروجا عن اللياقة ، ولكن معنى ماقالمه هو هذا « ان (بوليويف) علم بمساكل (روثغار) ، وانه تأثر لذلك وان مملكة ابيه نفسها تحطمت لنفس المشاكل ، وانه جاء لانقاد مملكة (روثغار) من الشر الذي حاق بها » .

ولكنى لم اعرف حتى هذه اللحظة ماكان يسميه الشهاليون بالشرور، أو كيف كانوا يتصورونهارغم اننى رأيت افعال تلك الوحوش التي مزقت الناس إربا.

وتكلم الملك (روثغار) بنوع من العجلة . وفهمت من طريقة كلامه انه كان يريد ان يقول شيئا قبل أن يأتى محاربوه وأعيانه وهذا ماترجمه لى (هيرغر) من كلامه :

« يا (بوليويف) ، عرفت اباك حين كنت انا ايضا شابا ، وحديث العهد بعرشى ، وانا الآن شبخ عليل القلب ، وقد انتكس رأسى ، وبكت عيناى من خجل الاعتراف بضعفى ، وكما ترى عرشى كاد يكون مكانا بمحلا ، وأراضى تتحول الى أراض خالية مهملة، ولا استطيع ان اقول مافعل الغيلان بمملكتى وفى الليل ، غالبا مايُقْسِمُ رجالى ، تحت شجاعة السكر ، بالقضاء على الغيلان . ولكن عندما يزحف ضوء الفجر الكئيب

فوق ضباب الحقول نرى اجساما دامية فى كل مكان . وهذا هو حزن حياتى ، ولن اتكلم عنه بعد الآن . » .

وجيىء بمائدة ، ووضع امامنـا الطعـام فسألـت (هيرغــر) عها كان الملك يعنــى بالغيلان . فغضب وقال لى ألاً أسأله أبداً .

وفى ذلك المساء أقيمت حفلة عظيمة ، برئاسة الملك (روثغار) والملكة (وايليو) التى كانت تلبس لباسا مزركشا بالذهب ومرصعا بالجواهر ، وحضر اعيان المملكة وجنودها ونبلاؤها ، وكانوا جماعة تثير الشفقة . فقد كانوا عجزة سكيرين ، وكثير منهم مقعدون أو جرحى وفى عيونهم جميعا كانت نظرات الخوف الجوفاء ، وكان مرحهم مُزَّيفا ..

وكان (ويغليف) ابن الملك (روثغار) الذى سبق ان ذكرته ، حاضرا كذلك وهو الذى قتل ثلاثة من اخوته . وكان نحيفا ، وله لحية شقراء وعينان لاتستقران على شيء بل تتحركان هنا وهناك باستمرار ، ولاتتقابلان مع نظرة احد .

رآه (هيرغر) وقال : « انه تعلب » .

وكان يريد بذلك انه متقلب ، ومتلون ، ومتزلق ، ومزيف السريرة ، والشهاليون يعدون الثعلب حيواناً يستطيع ان يتقمص أى شكل يريد .

وفى وسط الاحتفالات ارسل(روثغار) حاجبه الى ابواب قاعة (هيوارث) فعاد هذا واخبر بان الضباب لن ينزل فى تلك الليلة ، وسُرَّ الجميع جدا لذلك ، واحتفلوا بخبر ان الليلة ستكون صافية ، ولقد سر الجميع سوى (ويغليف) .

وفى وقت معين وقف (ويغليف) ، وقال :

« اشرب نخب ضيوفنا ، وخصوصا (بوليويف) المحارب الشجاع الصادق الذي جاء لمساعدتنا في محنتنا ، رغم أن الأمر قد يكون اعظم من أن يتغلب عليه » .

« وهمس (هيرغر) ذلك في اذني ففكرت انه مدح وقدح في نفس واحد .

والتفتّتُ جميع العيون الى (بوليويف) لسهاع رده . ووقف (بوليويف) ونظر الى (و يغليف) ، وقال :

« أنا لا أخاف من أى شيء ، حتى الغول الذي يزحف بالليل ليقتل الناس في الومهم .» .

BARRA ARARA ARARA ARARA BARRA BARRA ARARA BARRA ARARA ARARA ARARA BARRA BARRA BARRA BARRA BARRA BARRA BARRA BA

وفهمت انه يعنى (القندول) ، ولكن (ويغليف) شحب لونه ، وقبض على الكرسى الذي كان يجلس عليه . وقال بصوت مرتعد :

« هل تتلكم عنى ؟ »

فأجاب (بوليويف) :

« لا ، ولكنى لا أخشاك ، كما لا أخشى غيلان الضباب »

وألح (ويغليف) ، رغم أن الملك اشار اليه ليبقى جالسا فى مكانه ، فقال لجميع النبلاء المتجمعين :

(بوليويف) هذا جاءنا من بلاد بعيدة ، ويبدو عليه الكبرياء والقرة العظيمة . إلاّ النبي قد عزمت على اختبار شجاعته ، لأن الكبرياء قد تغطى عين أى رجل » .

وحينئذ وقف محارب قوى كان يجلس خلف (بوليويف) ، على مائدة قريبة من الباب وبسرعة أمسك رمحا وهاجم (بوليويف) من الخلف . وقع هذا في أقل من طرفة عين . ورغم ذلك استدار (بوليويف) ، واستل رمحا طعن به المحارب وسط الصدر ، ورفعه به فوق رأسه ورماه على الحائط . وبقى المحارب على السفود . ورجلاه متدليتان على الأرض ، وهو يركل ، ورأس الرمح مغروزة في حائط القاعة ، حتى مات دون صوت .

فقامت فوضی کبیرة واستدار (بولیویف) (ویغلیف) ، وقال : « وهکذا سأفعل بأی تهدید ! »

وبعد ذلك ، وبسرعة كبيرة تكلم (هيرغر) وبصوت عال جدا وهمو يشمير إلى اشارات كثيرة فاحترت مما حدث ، وفي الحقيقة بِقَيْتُ عيناى معلقتين على المحارب الميت المعلق بالحائط ..

ن الحوامش ن

- (١) الخليفة المقتدر بالله ، هو ابو الفضل جعفر بن المعتضد ، تولى الخلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠هـ ـ
- (٣) الصور المعروفة للسكندينافيين تظهرهم بخوذات عليها قرون . وعند زيارة ابن فضلان كان قد مرّ على تركهم لها أكثر
 من ألف سنة ، أي من بداية عصر البرونز.
 - (٣) يتفق هذا الوصف مع عدد من النحوت التي عثر عليها في فرنسا والنمسا





بقلم : الأستاذ روكس بن زائد العُزيزي

سمى الأرادنة (الزهرة) ـ ام العرايس ـ لاعتقادهم ان الفتاة التى تراها عند ظهررها ، تتزوج بمن تحب ، وتسعد فى زواجها ، وهذا الاعتقاد د متلف عن تأليه القوم ـ ق قغا ـ لـ (الزهرة) وقبادتهم إياها ، فقد دعيت (العزى) ومما قاله (الاب شيخو اليسوعى) ما حرفه :..

« قد أجمع الأثريون على ان (اللات) هي (الزهـرة) ، ولنـا على ذلك شهـادة (هيرودتس) المؤرخ ، الذي قال في تاريخه :..

ان العرب يعبدون (الزهرة السهاوية) وهم يدعونها (أليتا) Alitta وقد ذكر اسمها في مكان آخر هكذا (الالات ،) Alita (هو اختصار (الالاهت) كها اختصر الاسم الكريم (الاله) فقالوا (الله) . ثم اختصروا (الالات) فقالوا (الله) وكانت الله عبودة في كثير من مدن الجزيرة ليس (الطائف) كها زعم كتبة العرب ، فان الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر (اللات) ولاسيا في بلاد الانباط ، وفي الاثريين وجروا كتابات عديدة ورد فيها ذكر (اللات) ولاسيا في بلاد الانباط ، وفي حتى في (تدمر) وتدعي هناك بألقاب تدل على مقامها كه (اللات العظمي) وأم الألفة ، وكانو يضمون إلى اسمها ، اسم المكان الذي تكرم فيه فيقولون «لات صلخد » مثلا !

وقال: « ودخل اسمها بين اهل المدر، وبين سكان (موران) المتكلمين باليونانية ، فنقلوا اسمها الى اليونانية (ايثنى) وهى عند اليونان الهة الحكمة ، لكن صورها ، واوصافها فى الكتابات القدية ، تثبت انها (الزهرة) وقد خالفة بعض الباحثين اذا ف (الزهرة) دعيت (العزى) ودعيت (اللات) ودعيت فى بلاد اليونان (اثنينا) ودعيت (عشتروت) عند الفينيقيين ، ثم دعيت عند اليونان (افرودي) ودعيت (فينوس) عند الروبان ، وهى الهة الجهال ـ عندهم ـ أما العرب ، فكانوا يطلقون عليها ـ اى

لخوض المناء في سورية اليوم ، (محافظة السويداء) وقرية ، فيها خلوة للدروز ، فيها انقاض قلمة صليبية ، المنجد في
 الاداب والعلوم مادة (ص ل ثم د) ..

(العزى) _ لقب الهة العشق ..

التجم ذو الذنب ـ يتشاءم الارادنة بهذا النجم ، او هذه الظاهرة غير المألوفة ، وقد ظهر هذا النجم ، سنة ٨٤٢ للميلاد وهى السنة التى مات فيها الخليفة العباسى الثامن (المعتصم بالار) وقد اشار الى ذلك الشاعر العربى النابه (ابو تمام) وألمح الى تخويف الناس بعضهم بعضا من ظهور هذا النجم ، قال :-

« وخوفوا الناس ، من دهياء مظلمة إذا بدا السكوكب « الغربسي » ، ذو الذنب !

يقول الفلكيون : « إن هذا النجم ظهر لاول مرة سنة ٢٤٠ قبل ميلاد السيد المسيح ـ عليه السلام _ ويقولون ، انه هو النجم الـذى اكتشف الفلكى الانكليزى (هلى) ١٦٨٢ الله وللهر ١٩٧٠ في ايلول ، الشهر الذى توفى فيه المرحوم جمال (عبدالناصر) والناس يربطون بين ظهوره ، والحوادث الجسام والعامة يتشاءمون بكل ظاهرة جوية غير مألوفة عندهم فالأرادنة ، _ ولاسيا البدو منهم _ يتشاءمون بكل ظاهرة جوية غير مألوفة عندهم فالأرادنة ، _ ولاسيا البدو منهم _ يقولون : « لن حوط القمر عوذ بالله ، يا اما أعرب تؤخذه با اما شيخا يموت ! »

. .

الشهب وسقوطها : يتشاءمون بذلك ، أقصى التشاؤم ، ويقولون : « هذا غضب من غضب الجبار ، أعوذ بالله من غضب الله ، لاعتقادهم أن اول ما أصاب (سدوم) و (عمورة) كان شهبا تساقطت ، ثم جاء دور النار ، والكبريت . فاذا لاحظوا شيئا من ذلك ، اخذوا يكررون بذعر شديد : « يارب عفوك !» وإذا خسف القمر ، قرعوا الطبول ، وكل آنية من نحاس وهم يرددون : « ياحوت اطلق قمرنا » لاعتقادهم ان حوتا قد ابتلع القمر ، وقالوا : حوالينا ولاعلينا يارب !»

[🕡] تۇخذ ، تنھې اموالها .

● كان العامة يعتقدون _ قبل انتشار الوعى _ أن البرق ابتسام الملائكة ، والرعد ، هو عراك الملائكة الابرار ، والملائكة الاشرار _ الشياطين _ يوم طردهم الله من السهاء قبل ان يزجهم البارى في الجحيم ، وان (قوس قرح) هو انعكاس لعائم اهل الجنة ، وسمعت من يقول عند سهاعه الرعد : « دستوريا ابا الحسن والحسين ! هذا صليل سيفك ، ووقع حوافر فرسك ، عليك السلام يا ابا الحسن والحسين طارد الكفر ، واهزم الكافرين ، حياك الله ، يا ابا الحسن والحسين ها الحسن والحسن » .

● يعتقد العامة _ عندنا _ ان كل عاصفة مدمرة ، وكل اعصار ساحق ، لابد ان يكون (سلمان بن داود) قد سمح به ، لذلك كنت تسمع : « دستور يا ا سلمان أبن داهود () ، ياصاحب الكرم والجود ، ياحاكم المردة والجن ، ردهم في مخابيهم ، إوسد عليهم زرابيهم ، دخيلك يا اسلميان أبن داهود !»

••

● حمامات زرقاء ماعين ، في كل سنة يزور الكثيرون من الارادنة هذه الحيامات ذات المياه الكبريتية الحارة ، ويسمها البدو خاصة (حمامات سليان بن داهود) ، اعتقادا منهم ان (سليان) اقام في هذه البقعة حماماته ، وجاء في اوابدهم ، ان سليان يلتقط - في كل ليلة - روث الحيوانات التي تزور الحيام ، ويضرمها عند العين ، التي يسمونها كل الشيخ) ويذبحون عندها ذبيحة تكريم ، وان شغل سليان الشاغل هو تسخين الماء وفي اوابدهم ، أن (سليان) - باعتباره مسلطا على الجن - سخرهم ان يضرموا النار ليل نهار لتسخن المياه ، ومازال الجن يعملون - حتى الآن - والى ان تقوم القيامة ، بأمر سليان ، وان اتفق أن تراخت همة الجن وخفت حرارة الماء ، صاح المستحمون : « يا آسليان اخضر وجوههم ، ويأخذ كل واحد منهم يذكر امراضه وما يؤلم لشيخ الحيام غير المرئى ، معتقدا أنه سيذكر ذلك لسليان بن داهود ، فيشفى امراضه وما يؤلم لشيخ الحيام غير المرئى ، معتقدا أنه سيذكر ذلك لسليان بن داهود ، فيشفى امراضه ، ويزيل آلامه !...

ويهتف المستحمون ، بين اللحظة واللحظة قائلين :- « حمامك بارد ياشيخ » ويرد عليهم فوج منهم بقولهم : « بارد وابرد ياشيخ ! » فتــزداد حرارة الماء على مايزعمسون ، او يتصورون !..

وقد اعتاد زوار الحمام ، ان يبدأوا زيارتهم بذبيحة عند النبع الاكبر ، الذي يسمونه (الشيخ) ويلقون دم الذبيحة في الماء قاتلين :« ياشيخ دونك فجة الدم (٢) أما بعض الأرادنة ، فإنهم يزورون حمامات (زرقاء ماعين) للتكريم ـ عدا الاستشفاء ـ اعتقادا منهم ان هذه الاماكن مخلوقات تشبه بني آدم ، تحتاج اي الامتاع والمؤانسة ، خوفا من غضبها ، الذي يدفعها الى الفتك بالناس عامة ، والبحارة والصيادين خاصة اويعتقد العامة من الأرادنة ، ان اصل جميع مجاري المياه من الساء ، فلما كفر الناس ، او

ويعتقد العامة من الأرادنة ، ان اصل جميع مجارى المياه من السياء ، فلها كفر الناس ، او حادوا عن حقيقة الايمان ، انقطعت الصلة بين السياء ومجارى المياه ، واصبح الغيث هو المصدر الرئيسى ، لامداد هذه المجارى ، والعامة ينظرون الى مجارى المياه الكبيرة ، نظرة تقديس . ويرون انها كلها في جميع انحاء الدنيا _ اصلا _ من الجنة ، فلها عصى آدم ربه ، حرم من صلتها بالجنة ، لكنهم ظلوا يقدسون المياه ومجاريها ، ولا يلمسون الماء الا بعد ان يقولوا : « دستور ، يارب)» وإذا شربوا شربوه على ثلاث دفعات (٣).

وهناك بعض العامة ، الذين يعتقدون أن نهر النيل ينبع من بلدة في العراق ، بين بغداد والكوفة ، ومنها أخذ اسمه ،.. ولقداسته ، استطاع ان يربط مابين العراق ومصر !... ومن اوابد الارادنة ، انهم يتشاءمون بـ (زحل) فيقولون : « إفلان وجهه (زحل) إوكمبه (¹³ (زحل) » اى انه جالب للنحس ، وسر هذا التشاؤم ، وسببه ، ان العرب ـ قديا ـ وغير العرب ، كانوا يعبدون الكواكب ، ومنها (زحل) الذي كانوا يسمونه « شيخ النجوم » وهو مثل العلو والبعد ، قال (المعرى) :..

(زحل) أشرف السكواكب دارا مسن لقساء السردى، على مبعاد!

فلما عمت الأديان السيائية العالم ، صاروا بتشاءمون به ، وليس في هذا غرابة ، فكل شيء يسقط من قائمة الاعتبار ، ينال من الاحتقار ، بقدار ماقتع به من تكريم ، واحترام . لقد عبد الناس البوم _ في عهد من العهود _ وكرموا الخنزير فلما الغيت عبادته صار مثلا في الشيع ، وكان المصريون _ على قول (هيرودتس) _ يضحون في اعياد لهم الخنزير ، على اعتبار انه حيوان مقدس ، فلما انصرفوا عن تكريمه صار مثلا في القذارة وحرم أكل لحمه ..

عبد الناس في جاهليتهم العمياء (القرد) وعندما تحولوا عن عبادته صار رمزا للاحتقار ، ومازالت آثار عبادة القرد ماثلة في بعض الاسهاء مثل (رباح) وكان في الاصل (رباع) وكان في الاصل (رباع) فخفف فصار (الرباع) وليس ذلك خاصا بالمعبودات الوثنية ، بل نرى ذلك في رجالات التاريخ ، فقد كان الناس اذا ارادوا أن يمدحوا رجلا ، قالوا (تبرمك الرجل) اي تشبه بالبرامكه . أما بعد ان نكبوا صار الناس ، اذا ارادوا ان يشتموا رجلا ، قالوا ـ في الاردن خاصة ، ولاسيا البدو ـ « سبعه ابها لوجه ، اللي لون (٥) وجه البرمكي ! » وقس على خاصة ، راحل) يوم بطلت عبادته !..

.

ومن اوابدهم الاستغاثة ، عند احتجاب الغيث يجتمع جمهور من الفتيات ، لايقـل عددهم عن خمس فتيات ، ولابد ان يكون العدد مفردا . يحملن عصا طويلة يجعلن قوامها كقوام المرأة او كهيكل انسان ويضعن على هذا الهيكل كساء نسويا اسود ، يمثل المرأة ، وتطوف هؤلاء الفتيات في الأحياء وهن يغنين هذه الاغنية :_

يا ام الغيث، يارايم، بلي ازريعنــا النايم! بلى زرع ابــو فلان (٦) هاللي ع الــكرم رائم!

یا ام الغیث یاربی بلی ازریعنا الغربی بلی زرع ابــو قلان هاللی ع الــکرم مربی(۱)

**

راحـــت ام الغيث تجيب الزلازل ــ ويقلن احيانا الزنازل ــ

اجت غير الــزرع طول السناسل(^)

مااجت غير السزرع طول الرماح ما اجت غير الزرع طول القعود(١) بلى جورة المقعد راحت ام الغيث تجيب الرياح راحت ام الغيث تجيب الرعود يا ام الغيث ، يامنجد إوخل سيلها يدعج (١٠)

والاصل في هذه الاستفائة ، ان تبدأ الفتيات الطواف ، من الشرق الى الغرب ؛ وبعد ان يصلن الى منتصف الطريق التى بدأن منها ، ويردن قطعها ، يتجهن شهالا ، ومن ثم يعدن من النقطة التى بدأن منها الى الشهال ، ويسرن الى الجنوب ، وهن يرددن الاغنية نفسها ، وعندما ينتهين الى الجنوب ، يخرج الرجل الذى نوهن باسمه ، ووضعن الشارة عند منزله ، ويولم وليمة من ميسوره ، وبعد ان يطعمن ، يعدن من حيث اتين !

والاصل في الاستغاثة ، ان يرافقها ذبائح ، وكانت الذبيحة التي تكرم بها هؤلاء المستغيثات تدعى (ذبيحة ام الغيث) او ذبيحة الفياثات (۱۱) واذا كانت المستغيثات مجموعات من الفرق ، بسبب كبر القرية ، او لان سكان القرية عشائر ، لكل عشيرة شيخها فعند ذلك ، توقد نار تنصب عندها شارات ام الغيث ، مها يكن عودها ، للتفريق بين نار ام الغيث ، ونار الحرابة ونار السام ، ونار الضيوف (۱۲) وكان العرب قديما يربطون

عند نار الضيوف كلبا ، ليدل نباحه من ضل من الضيفان ونار الاقرى (القرى) وهي النار التي تشتعل لطبخ طعام العرس ، لان كلمة القرى في البادية تخصص بالطعام الذي يدعى اليه الذين يشاركون في تكريم العريس ويقدمون له الهدايا ، المعروفة عند الارادنة به (النقوط) والجمع نقوطات ، وإنقوطات ولعلها من قبيل قلب الدال طاء للتفريق بين هذا العمل ، وغيره من الاعهال ونعتقد ان هذه الهدايا النقدية سميت بهذا الاسم ، لانها في الاصل ، كانت من النقود ، مساعدة للعريس على ماقدم من مهر او مساعدة على ماينفق في أيام العرس ، اما تقديم الذبائح والارز ، والسكر ، والقهوة لأهل العربس ، فذاك يسمى (الواجب) وعلينا ان نعلم ان النقوط ، والواجب ، كلاهها دين اجتاعي يجب الوفاء به في مناسبة مماثلة ، لانهم يقولون : « طعمة الرجال ، على الرجال قرضة ، او على المستحقين احسان ، او حسنة » ..

ومن أوابد الارادنة التى كانت تراعى بدقة ، انهم عند نزول الغيث لاول مرة فى السنة ، يتجمع الاطفال اناثا وذكورا ، الى حدّ سنّ العاشرة ، ويتعرضون للغيث ، وهم يرقصون ويغنون :ــ

حدیدی الله الله -	على لا	بیتنــا او رزقنــا منهــا		زيدى الله (۱۳)	او عطـــا خميـــــة	إشت <i>ىي</i> عمنا عمتنا
	يس خط هنا		يقسول		من	ومنهم
ـة (١٤)	أسا المغل	إيحــوش ا		المريسه		تحسرس
السحارة		اتقطــع		حارة		والمريسية
.و بل (۱۷)	امد	بيتنا		ويل(١٦٦)	شتــى الم	إشتسى ا
عیاتی	شغسل	مسولا		خالاتي		تنسجــة

او زىدى

اشتاك

ويظل الاطفال يرددون هذه الاغنية ، ويطوفون فى الاحياء الى ان يشترى لهم احد رجال الحي :_

أ _ تمرا

ب ـ حلاوة

جـ او بعض السكاكر.

ويوزع ما اشتراه عليهم بالتساوى ، وقد يتفق ان يهمل هؤلاء الاطفال ـ وهذا نادر جدا ـ عندها يقف الاطفال في أبرزطريق وهم يرددون :ــ

سبعه یاهها الحسی سبعك الهمهال (۱۹) والله ربعك! مالقینها من یجلی رزقهم ریته (۲۰) یولی

ومن اوابدهم (مية (۱۳) الرواح) يقولون :- « ان الله خلق بحيرة كانت في مكان البحر المبت ، ماؤها عذب مقطر، الغرض منها ، ان كل من بلغ الشيخوخة ، واراد ان يستعيد شبابه ، فها عليه الا ان يذهب الى هذه البحيرة ، ويشرب منها ، فيعود شابا ، لكن لما اخطأ آدم وحواء حول الله تلك البحيرة ، الى ماهى عليه الان ، لا يعيش فيها حى ولا يمكن شرب مانها ، ولما تكاثرت جرائم بنى ادم امطرها الله هى وماحولها ، نارا وكبريتا وابقى هذه البحيرة المنتنة ، تشهد على قدرة الله ، ورفع البحيرة الاولى التى فيها (مية الرواح) - الارواح - الى الساء الاولى ، ليمر عليها الانسان الصالح ، بعد موته ، ويشرب منها - او تسقيه الملائكة - فترد له الحياة ، وينظر الديونة : (۲۲)

فالنصارى منهم يؤمنون .. بان هذا الميت يبقى فى المطهر ، الى ان يرفعه الله الى السياء . اما المسلمون فيعتقدون ان الصالح اذا شرب من ماء تلك البحيرة السيائية ، عادت اليه الحياة ، لكنه يبقى واقفا على الاعراف ، محروما من رؤية الله الى ان يدان ، فيرفع الى السياء !!

وقد ذكر لى شيخ من (الشرارات) ١٩٢٨م وانا اريد ان ادونه حرفيا فقد سألته عها عند هذه القبيلة من اوابد، قال : قبل ما يعلمونا الاسلام الصحيح كانت لنا صلاة لكن الله لا يفضيها لابونا (ادب) بقلب الميم باء وهذا القلب كثير عند البدو فيقولون (جهنب) بدلا من جهنم ، الله لا يفضيها لابونا (ادب) وامنا (حوه)(٢٣) سألته لماذا ؟

قال : «هم اللى اطلبوا من ربنا الموت ، عقب ما عاش كل واحد منهم الف سنة إو ماقبلوا يشربون من ميه الرواح ، او لو انهم شربوا ، ما مات ابن آدم !...

••

● ومن أوابدهم - اعتقادهم ان لـ (عزرائيل) مساعدا ، يسمية بعضهم (سطنائيل) وهذا المساعد موكل بتخصيص نوع الميتة التي يوتها كل انسان ، منذ تكوينه جنينا ، وتعيين البقعة التي يوت فيها ، واسلوب دفنه ، ومن اقوالهم - الادعية - ياملاك الله القوى (عزرايين) قول لمساعدك (اسطنايل) الامين ، يهون علينا الميته ، من غير وجع ولا انين ، خليه ييسر النا دفئة حشيفة او تربة طاهرة كرية «الله واكبر، الله واكبر والكبر والله واكبر والكبر والكبر والكبر والكبر والكبر واكبر والكبر والكبر

.

● ومن أوابدهم ، انهم يعتقدون أن إلقاء الملح في الماء ، وتحريكه ، سبع مرات ، ونداء الغائب في المرات السبع ، يحضره في الحال ولو كان وراء سبعة ابحر . ويجب ان يحرك الماء باليد اليسرى ومع النداء يجب تكرار هذا الدعاء : « يامن خلقت الماء من اربع الارياح ، احضر الغائب (فلان ابن فلانه (۲۰۰) بسرعة السحاب والضباب !» .. ويعتقدون ان الماء الجارى ، لايتدنس ، ولا يحمل جراثيم اطلاقا وان الذي يقطع

سقطت ورقته _ يعتقد عامة الارادنة أن أسهاء البشر ، مكتوبة على أوراق شجرة ، محت العرش ، وإنه كلم سقطت ورقة مات صاحب
 الاسم المكتوب عليها . الذلك يقولون د « فلان سقطت ورقته » اى مات ! وإن الانسان لايموت ، إلا بعد ان تسقط الورقة المكتوب اسمه عليها ..

مجرى الماء ليلا راجلا ، من غير ان يقول : « يا ملايكة الله ، لاتأذونا ، ولاناذيكم » يتملكه الجن . ويعتقدون ان كل مجارى المياه مملوكة ، اما من الجن الخبثاء ، واما من الملائكة الاطهار ، ويكون هذا بالتناوب ، والذي يسوء حظه ، يقطع الماء ، في نوبه الجن الخبثاء !.. فإن الوبل مجال به ، من :-

أ ـ مرض عضال يصيبه ، او يصيب احبابه .

ب ـ الصرع .

جـ _ الفقر المدقع بسبب غارة على ابله ، او اغنامه

د ـ الموت المفاجىء

وهناك مياه مباركة مثل:

أ ـ عين المنية قرب (ماعين)(٢٦)

ب _ عين سارة قرب (الكرك)

ج ـ عيون موسى قرب (مادبا)

اما (عين سويمة) فيعتقدون ان الجن يرصدها ليل نهار . وان كل من يشرب من مائها يصاب باذى ..

ويعتقدون ان كل من افاض ماء ليلا فى ساحة داره ، من غير ان يقول (دستور) يتبخطه الجن ، وان كل من سقط على الارض عند غروب الشمس ولم يبادر الى طرح الماء والملح فى مكانه ، يصيبه عارض من جن او مرض ..

هذه بعض الاوابد الاردنية التي اخذت تخفف في الحواضر ، لكنها مازالت شائعة في بعض الاوساط ..

000

الدارة: هذه الاوايد التى ساقها العلامة العزيزى تدلنا على مدى تغلغل الجهل المطبق في البادية الاردنية كها تغلغل في غيرها الى ان اخذ في الانزياح بفضل التوعية الدينية والعلمية التي انتشرت الان .

أسس البحث

- ملاحظات شخصة ، وتحقيقات ميدانية ..
- قاموس العادات واللهجات والأوابد الاردنية ، ثلاثة أجزاء
 - معلمة للتراث الاردني خسة اجزاء .
 - خسة أعوام في شرقي الاردن ..
 - تاريخ هرودتس الترجمة العربية
 - فرسة ابي ماضي ـ دراسة علمية للشعر في البادية ..
 - أزاهر الصحراء ..
 - الأرض اولا
 - غر العدوان ـ مسلسل تلفز بوني
 - رجم الغريب ـ مسلسل تلفزيوني
 - المشالوحيا عند العرب
 - المنجد في الادب والعلوم ..
 - دیوان أبی تمام
 - تاريخ الامم الاسلامية

0000

تفسیر ماغمض)

١ _ داهود _ داود بقلب الهمزة هاء

٢ _ دونك فجة الدم _ تقدم لك سيلان الدم

٣ ـ سألتهم لماذا يشر بون الماء على ثلاث دفعات ؟ فأجابوا هذا يخلص من موت الفجأة .

٤ ـ اى ان سيره على الارض جالب للتعاسة .

٥ _ لون _ يشبه _ مثل .

٦ ـ هاللي ـ هذا الذي .

٧ _ مربي _ قد ربي .

٨ ـ السناسل ـ جع سنسلة عندهم وتعنى الجدار العالى المبنى بالطين .

٩ ـ القعود ـ صغير الابل ويلفظون القاف مكسورة .

١٠ ــ بعج ــ بسير بغزارة

١١ _ الغياثات _ جمع غياثة وهي احدى المستغيثات ..

١٢ ـ كان الارادنة يشعلون نارا يسمونها (النار الكبرى) بفتح الكاف هربا من الضم وهي النار التي ترى من بعيد في الحالات التي ذكرت ..اما نار الحرابة ، فقد كانوا يقفون حولها بغنون قائلين : نار الحرابة واشعلت ، يامن يطفى نارها ؟ فيرد بعض الواقفين نار الحرابة وأشعلت .

ـ حناً لها !. حناً لها !

۔ حنا ۔ نحن

١٣ - منها لألله - تولى الله عقوبتها ، نشكوها لله .

١٤ _ يحوش الها المغلة _ يبعث لها الله وجع البطن الحاد والكلمة عربية فصيحة يقال مغلت الدابة ، اكلت التراب مع البقل فاخذها وجع في بطنها ..

}*********************************;

١٥ ـ المريسة ، هي ذوب الاقط الجميد ، وهي عربية صحيحة يقال مرس التمر نقعة في
 الماء ومرثه بيده ..

١٦ _ والسحارة _ هي السحارة التي يقتلعها القصاب من الشاة من الرئة والحلقوم .

١٦ ـ الهوبل ـ بغزارة شديدة ولعل الهوبل في الاصل هي (هيل) بدليل أن الرعاة عندما ينزجون الماء من الآبار يغنون قائلين :..

« هوبل ما ، يا ابا الما _

هوبل ما يا ابا الما »

ياهبل اعطنا ماء ياسيد الماء وهو اثر من آثار عبادة الاصنام ..

 ١٧ ـ إمدوبل ـ مزدوج الاعمدة اى قائم على عمودين ، وهو البيت الشائع لدى الطبقة الوسطى .

۱۸ _ موه شغل عهاتي _ ماهو بعمل عهاتي ..

 ١٩ الهمل ربعك _ الانذال أهلك والكلمة صحيحة ، الهمل من الابل المتروك ليلا ونهارا يرعى بلا راع ..

۲۰ ـ ريته يولى ـ ليته يزول وقد قلبوا اللام في (ليته) راء وهي بادرة لغوية .

. ell - me - Y1

٢٢ ـ الدينونة ـ هي يوم الدين ، ويوم الحشر .

٢٣ ـ حوه ـ هي حواء بقلب الهمزة هاء ١ .

٧٤ ـ الله واكبر ـ يشبعون الضمة الى ان يتولد منها حرف عطف ..

٢٥ ـ فى الدعاء وفى غيره من الادعية ، اشارة الى طور الامومة الذى مرت به المجتمعات
 المدائمة ..

٢٦ ـ ماعين قرية مملوءه بالآثار الى الجنوب الغربي من (ماوما) .

000000



بقلم : الأستاذ الغزالي حرب

أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن محمد الجرجاني ، في بلدة «جرجانة» بين طبرستان

ولل وخراسان ، ثم دفن بها عام ۲۷۱هـ ۲۰۷۸م ، تارکا و راءه مؤلفات مایزال بعضها مخطوطا حتى اليوم ، وأشهر مؤلفاته المخطوطة : (العوامل المائة في النحو) (١) ، و (الجمل في النحو) وفيهما حاول إصلاح النحو بأسلوب جامع بين التفسير النظري ، والتطبيق العملي ، وأشهر مؤلفاته المطبوعة : « أسرار البلاغة » ، و «دلائل الاعجاز » . وقد اختلف الباحثون (٢) قديما وحديثا في الاجابة عن السؤال الآتي : أي هذين الكتابن ألفه عبد القاهر قبل الآخر؟.. فالدكتور محمد غنيمي هلال وآخرون ، يرون الأسبقية في التأليف «للأسرار» ، ومن أدلتهم على ذلك أنه في ص ٦ من «الدلائل» قال مانصه : « وضربوا المثل بالملح - كها عرفت - » مشيرا بذلك إلى ماسيق أن عرّ فنايه في « الأسرار» صراه.

والدكتور محمد خلف الله أحمد وآخرون ، يرون الأسبقية «للدلائل» ومن أدلتهم على ذلك _ كما قال الدكتور أحمد بدوى _ إن كلُّ ما جاء في «الاسرار» من حديث عن النظم ، ليس الا تلخيصا لاكتال النظرية ، والاستاذ امين الخولي لم يقل كلمة فاصلة في ذلك . والذي يعنيني هنا عرض ماتيسر من الآراء اللغوية لعبد القاهر الجرجاني ، الذي كما تلمذ في البلاغة لعلى بن عبد العزيز الحسن الجرجاني صاحب (الوساطة) ، تلمذ في النحو واللغة لأبي الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي ، وهو ابن أخت الامام المشهور أبي على الفارس ، الذي حاول إصلاح النحو في كتابه « مختصر عوامل الاعراب» ثم جاء تلميذه ابن جني فحاول اصلاح النحو في كتابه: « الخصائص » (٣)، ثم جاء عبد القاهر الجرجاني، فحاول هو الآخر إصلاح اللغة والنحو، ولن نكلف نفوسنا هنا عناء نسبة هذه المحاولة الاصلاحية الجرجانية ، إلى أية مدرسة من المدارس النحوية ، التي اعتبرها الزبيديُّ خمس مدارس ، واعتبرها أبو عبد الله العكبريّ ثلاث مدارس ، وحدثنا عنها بعض الباحثين (1) قديما وحديثا ، وحسبى - كما قلت آنفا - عرض ماتيسر لى من الآراء اللغوية والنحوية ، لعبد القاهر الجرجاني ، الذي نعرفه اليوم حديثا إماما من أثمة البلاغة ، وعرفه القدامي ... فها



عرفوه - بلقب (اللغوى) ولقب (التحوى) ويكفيه فخراً وشرفاً أنه أوّل نحوى جرؤ على نقد إمام البصريين (سيبويه) ، الذى بلغ من تقديسهم كتابه في النحو ، أنهم أطلقوا (٥) عليه دون سواه اسم (الكتاب) وأول نحوى التفت ، ولفت الأنظار في معرض حديثه عن معانى النحو وأحكامه إلى مابين الكليات ، والأساليب من علاقات ، قائلا في (الدلائل) : (هذا كلام وجيز ، يطلع به الناظر على أصول النحوجلة ، وكل مايكون به النظم دفعة ..) إلى آخر حديثه الجديد الرائد الذي كشف به عن الصلة بين العلوم العربية الأصيلة الثلاث : علم النحو ، وعلم المعانى ، وعلم البيان ... وقائلا أيضا في (الدلائل) ص ٤٦٦ : « إن الألفاظ لم توضع لنعرف بها معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيا بينها علم شريف وأصل عظيم » .

والمراد بالنحو عند عبد القاهر الجرجاني ، مايشمل مانعرفه نحن اليوم باسم النحو ...وبا نعرفه باسم الصرف ، وهذه تفرقة لم يعرفها المشتغلون بالنحو ، والصرف في ظلال التخصص الا على مر(١٦) الأيام ، وقبل أن أعرض ماتيسر من الآراء اللغوية والنحوية لعبد القاهر ، يروقنى أن يشاركنى القراء في الاستاع للدكتور محمد مندور ، اذ يقول مانصه _ رجمه الله _ « تأثرت(٢) بعبد القاهر الجرجاني في اهتامه البالغ بنقد أساليب التعبير اللغوى وتراكيبه ، وفي رأيى أنه اهتدى الى علمى التراكيب والأساليب بفهويهها الأوروبي الحديث » ، ثم تعالوا بنا الى ماتيسر من التراكيب ، والأساليب التي لم يحاول النحاة القدامي _ على اختلاف الى ماتيسر من التراكيب ، والأساليب التي لم يحاول النحاة القدامي _ على اختلاف مدارسهم ، واتجاهاتهم ، وآرائهم _ التاس علة ، او سبب لمجيثها على هذا النحو أو ذاك .. ثم مادرسهم ، واتجاهاتهم المحاولة الرائدة ، التي يعتبر ابن بجدتها ، بل يعتبر أبا عذرتها .. ثم المجمع ، والفاء للعطف مع التعقيب ، وثم للعطف مع التراخي ، واغا راح يطالب بإحسان النحير للأسلوب الملائم ، والموضوع المناسب ، من مواضيع التراكيب والأساليب (٨) .

ب ـ ولم يقف عند قولهم ماقالوه عن « وأو الحال » و « جملة الحال » وانما راح يذكر قراءه فى تفتُّح بيانى رائع بأن هذه الواو لها وظيفتها الأساسية التركيبية ، الماثلة فى ضم جملة الى جملة ، интемвория (в каженый принцик и испукция поворованной принцика и принцика принцика и принцика и принцика и при В принцика и принцика и

واضافة تركيب الى تركيب ، كما راح يمتعهم بما قاله فى الجملة الحالية مسبوقة بواو الحال ، أو غير مسبوقة بها ، وما أبرعه فى وقفته الأدبية التذوقية أمام الجملة الحالية التى ختم بها بشار ابن برد بيته المشهور:

اذا انكرتنسى بلدة أو نكرتها خرجست مع البازى على سواد وفي معرض الخلاف بين أبى بكر السراج ، والأخفش في تخريج هذا البيت ، واعرابه ، قال عبد القاهر ـ فيا قال ـ : ان الشاعر لم يأت هنا بواو الحال ، لأن ذلك هو الأكثر في مثل هذا التركيب ، وهو اللازم او الأكثر في تركيب آخر تكون فيه الجملة الحالية ـ لاجملة قدم فيها الحبر والمجرور على المبتدأ ـ والما تكون جملة فعلية فعلها مضارع مثبت غير منفى من طراز قوله تعالى : (١٠) « ونذرهم في طغيانهم يعمهون » . وقوله ـ سبحانه ـ : (١٠) « وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى » . فان كانت الجملة الحالية جملة فعلية ، فعلها ماض ، سبقتها الواء غالبا ، وسبقتها « قد » حتا كما في قولنا مثلا : أتانى وقد جهده السير . وقول الشاعر القديم :

يمسون قد كسروا الجفون الى الوغى . متبسمين وفيهم استبشار وقول الشاعر القديم الآخر متسائلا :

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل ؟(١١)

ج ـ ولم يقف عبد القاهر عند قولهم ماقالوه عن الفاء الواقعة في جواب الشرط، وإنما تجاوز ذلك الى قوله _ وقد توهيج حسه التركيبي البياني _ : ان هذه الفاء _ وان لم تكن عاطفة _ بمنزلة الفاء العاطفة في أداء وظيفتها التركيبية الماثلة في ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض (١٢). و _ و في معرض حديثه عن مجيء الحال بعد الحال، لم يقف _ رحمه الله _ جامدا عند ماقالوه، ولكنه راح بحسه البياني المرهف، يستلطف مجيء الحال الجملة بعد الحال المفردة، في قول ابن العباس بن الرومي الشاعر المشهور:

واللمه يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم



وهنا يقول عبد القاهر: « ولو أنك أسقطت سالما » _ وهي الحال المفردة _ من هذا الببت ، فقلت مثلا :

والله يبقيسك لنا برداك تبجيال تبجيال وتعظيم لم يكن مرتع هذه الجملة ـ وهى: برداك تبجيل وتعظيم ـ شبئا يرتاح البه المذوق التركيبي السليم القويم ، الذي عبر عنه عبد القاهر العظيم (١٣) بقوله: « واذا قد رأيت الجمل الواقعة حالا ، قد اختلفت بها الحال هذا الاختلاف الظاهر ، فلابد أن يكون ذلك الخاكان من اجل علل توجبه واسباب تقتضيه ، فمحال ان تكون هاهنا جملة لاتصلح الا مع الوا و، وأخرى لاتصلح فيها الوا و، وثالثة تصلح ان تجيء فيها الوا و، وان تدعها فلا تجيء بها الوا ، مب وعله » .

هـ ـ ولم يكتف عبد المقاهر بقول النحاة القدامى : ان « ان المشددة » تنصب المبتدأ ، وترفع الحنبر ، وتفيد معنى التوكيد ، فراح بوعيه التركيبي اليقظ ، يبين لنا أهمية « ان » المشددة هذه في ربطها ما يعدها بما قبلها ، ربط السبب بالمسبب والعلة بالمعلول ، قائلا من تعقيبه على بيت بشار بن برد :

بكرا صاحبى تبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

اننا لو قلنا مثلا: « ذاك النجاح في التبكير » بإسقاط ان المشددة لأحسسنا شيئا من الخلل في تركيب هذا البيت ، ومصدره اسقاط « ان » المشددة التي تقوم هنا بوظيفة فاء التعليل .. ثم قائلا بعد ذلك من تعقيبه على بيت آخر لشاعر آخر بقول :

ان دهـرا يلف شملي بسعدي لزمـان يهـم بالإحسان فلو أننا أسقطنا « ان » من هذا البيت ، وقلنا مثلا :

دهـر يلف شملي بسعدي لزمـان عـم بالإحسان لعدمنا منه الحسن والطلاوة ، والتمكن الذي أنت واجده الآن ، ووجدت مكانه ضعفا وفتورا . وفي موضع آخر من « الدلائل » يبين لنا عبد القاهر أهمية « ان » المشددة هذه في تحسين وتجميل موقع ضمير الشأن في الجملة المكونة من الشرط والجزاء ، ومن الأمثلة التي ذكرها هنا قوله _ سبحانه _(١٤) : « فانها لا تعمى الأبصار » . وقوله تعالى _ : (١٥) « انه من يتق ويصبر ، فإن الله لايضيع اجر المحسنين » وما أبعد البون في الحسن والجال ، بين ضمير الشأن المتصل « بأن » المشددة في هاتين الآيتين ، وضمير الشأن المنطوق به غير مصحوب بأن المشددة كقولنا مثلا : هي لا تعمى الابصار . وقولنا : هو من يتق ويصبر ، فإن الله لايضيع اجر المحسنين (١٦) .

و _ ولم يقنع الامام عبد القاهر بما قنع به سواه من قول النحاة : إن الجملة بعد النكرة صفة ، وبعد المعرفة حال ، وبغا راح في « الدلائل » يلتمس العلة لذلك قائلا ماخلاصته ان الجمل كلها نكرات ، بدليل انها تستقاد ، واتحا يستقاد المجهول دون المعلوم ، ومن هنا كانت موافقة للنكرة ، فجاز وصفها بها ، ولم يجز أن توصف بها المعرفة إذ لم تكن وفقا لها (١٧) .

د _ ولم يقف عند قولهم : ان كلمة « الذى » تجتلب لتكون وصلة الى وصل المعرفة بالجملة ، وكلمة « ذو » تجتلب ليتوصل بها الى الوصف بأسياء الاجناس ، وانما راح يعلل لذلك قائلا : ان الجملة التى بها كلمة « الذى ، أو كلمة « ذو » ينبغى ان تكون جملة قد سبق علم السامع بها (١٨٧) .

ز_ومن وحى دقة الملاحظة عند عبد القاهر الذى نبهنا الى ان كلمتى « مثل » و « غير » لهما مكان الصدارة في الأسلوب الذي يجيئان فيه حتما أنه عرض علينا الشواهد الآتية :

أ ـ مثلك يثنــى المزن عن صوبه ويستــرد الدمــع من غربه ب ـ غبرى بأكثر هذا الناس ينخدع

ج _ وغــيدى يأكل المعــروف سحتا وتشحــب عنــده بيض الأيادي



ثم عقب على هذا البيت الأخير لأبى قام (١٩) ، بأن كلا من هؤلاء الشعسراء الثلاثة ، الايريد التعريض بغيره ، وأن ابا قام لم يرد أن ينفى عن نفسه ، معرة الكفر بالنعمة والجحود للمعروف ، شأن اللؤماء الخيثاء .

- وأمام « نظرية العامل » لم يكتف عبد القاهر بالقياس والتأويل - كما اكتفى بعضهم - ولم يكتف بالتفسير النظرى لها كما صنع من قبله ابو على الفارسي (٢٠)، ثم ابو الفتح بن جني (٢١)، وانما راح هذا النحوى البلاغى الرائد، يجمع بين النظرية والتطبيق لها في كتابه « العوامل المائة في النحو» (٢٧)، وهو يعنى بالعوامل المائة ماعير لكل طالب معوفة الاعراب من معرفة مائة شيء : ستون منها تسمى « عاملا » وثلاثون منها تسمى « معمولا » ، وعشرة منها تسمى عملا واعرابا » . وعلى هذا المنوال سار في كتابه الآخر: « المغاخر في البعمل في النحو» (٢٣) ، وقد شرحه الشيخ خالد الأزهرى في كتاب له سهاه : « الفاخر في شرح جل (٤٤) عبد القاهر » ، ومن أهم ماافدناه من قراءتنا لهذه المؤلفات المخطوطة لعبد شرح جل وشرح بعضها الفوائد الآتية التي نرجو ان يرتاح اليها المعجبون بالآراء التقدمية الإصلاحية لعبد القاهرة في اللغة والنحو والبلاغة ، والمعجبون مثل بما دبجته يراعة العلامة المعاصر استاذنا الشيخ حمد الجاسر ، جزاه الله عن خدمة اللغة ، والأدب خير الجزاء :

الفائدة الأولى : أن الفارق الأساسى بين المعرب والمبنى ، أن حركة المعرب وسكونه ، لامصدر لها إلا العامل اللفظى او المعنوى على حين ان حركة المبنى ، او سكونه يكونان بغير عامل .

الفائدة الثانية: ان النحو الذى يعنيه عبد القاهر الجرجانى _ وهو الأديب الذواقة انما هو النحو الأصيل الذى يعنيه بقوله _ رحمه الله _ لمن يعادونه ، ماخلاصته : لن تستطيعوا أن تنكروا مها جهدتم مسيس حاجتنا فى كلامنا الى مراعاة النحو ، لأن كلامنا ليس مجرد الفاظ مرصوصة يشد بعضها بعضها ، وانما هو تراكيب ، واساليب تربطها علاقات وثيقة تعين قواعد النحو الأصيل على توثيقها وتوكيدها كما تعيننا _ وهنا بيت القصيد _ على فهم القرآن الكريم .

الفائدة الثالثة : أن هذا القرآن الكريم معجز بنظمه الذى يعنى به عبدالقاهر توخى مابين كلهاته واساليبه من علاقات ، وصلات ، تنير طريق المعانى والدلالات ، وليس معجزا بجرد ألفاظه ، أو بجرد معانيه ، وهو على اعجازه بنظمه جار على عرف العرب في

معجزا بمجرد ألفاظه ، أو بمجرد معانيه ، وهو على اعجازه بنظمه جار على عرف العرب في نظمهم كلامهم ، وليس خارجا « عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلام العرب ، ولامباينا لأساليب خطابهم » كها زعم الباقلاني (٢٦) .

الفائدة الرابعة: ان البنية الشكلية للأسلوب، لربطها أهميته القصوى في بيان المعنى المراد، ومن هنا وقف عبد القاهر امام قوله تعالى (٢٧٧): « أأنت فعلت هذا بآفتنا ياابراهيم ؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون » ، ليذكرنا بأن المستفهم عنه في الآية الأولى ، ليس هو تكسير الأصنام ، أو عدم تكسيرها وانما المستفهم عنه هو شخص مكسر الأصنام : اهو ابراهيم ام سواه ؟ ومن الشواهد التي وقف عندها هنا عبد القاهر ايضا على هذا المنوال ، قول الشاعر القديم (٢٨١) .

فها أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

الفائدة الخامسة: ان المبتدأ لم يسمه النحاة مبتدا لأنه مبتدأ به في الكلام ، والخبر لم يسموه خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ .. لا .. انما سمى المبتدأ ، لأنه مسند اليه ، ومثبت له المعنى ، وسمى الخبر خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى ، ومن الشواهد الأدبية التي استأنس بها عبد عبد القاهر هنا ، قول العرب: ليس الطيب الا المسك ، وقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟

وقول المتنبى : ألست ابن الألى سعدوا وسادوا .. ؟

وفى ضوء ماسبق يفطن عبد القاهر الى مالم يفطن اليه النحاة الذين لم يفرقوا بين جملة : « اخوك زيد » وجملة : « زيد أخوك »



على حين فرق بينهما عبد القاهر(٢٩) بناء على مامر بنا أنفا .

الفائدة السادسة : أن البون شاسع بين الحال المفردة والحال الجملة فى بيت المتنبى الذى قاله فى قلعة بناها سيف الدولة .

غضب الدهر والملوك عليها فبناها في وجنة الدهم خالا

ولو أن المتنبى أتى بالحال هنا جملة فقال مثلا: فبناها وهي خال فى وجنة الدهر « لوجدت الصورة غير ماترى » _ على حد تعبير عبد القاهر الذواقة الذى كها فرق بين الحال المفردة ، والحال الجملة _ فرق فى التعبير عن معنى شمول الشيب للرأس بين أسلوب التمييز القرآنى المعجز (٢٠٠): « واشتعل الرأس شيبا » وبين اسلوب بشرى آخر لا تمييز فيه كقولنا مثلا: اشتعل شيب الرأس ، لأن الأسلوب القرآنى _ وله المثل الأعلى _ « لايفيد لمعان الشيب فقط، وإنما يفيد مع لمعان الشيب في الرأس شموله للرأس »(٢١).

الفائدة السابعة: أهمية ملاحظة الأطوار التي مرت بها بعض الكلهات، وقد ذكر عبد القاهر (٢٢) على سبيل التمثيل - لا الحصر - كلمتين: العقيقة، والعقيرة.

اما العقيقة : فمعناها الأصلى : شعر كل مولود من الناس او البهائم منذ اللحظة الأولى للميلاد ، ثم تطور الى معنى الشاة التي تذبح عن الصبى ، اذا حلقت عقيقته اي شعره الذي ولد يه .

واما العقيرة : فمعناها الأصلى الرجل المعقورة ثم تطور الى معنى الصوت فى قولهم : رفع عقيرته .

الفائدة الثامنة : ان مبدأ اهمية ربط الكلام بمقام استعاله مبدأ قديم ، بل عريق في القدم قبل عبد القاهر الجرجاني بمثات القرون .

ANN THE PROPERTY OF THE PROPER

نادى به افلاطون (٢٣) في كتابه «فيدروس ١٧٧١) ، ٢٧٢ب » ، ثم نادى به تلميذه ارسطو في كتابه : « فن الشعر ١٥٥ ب » فلا عجب ان قال الدكتور ابراهيم سلامة ص ٢٦ من مقدمته لكتاب الخطابة لأرسطو: ان الفصل السابع من هذا الكتاب _ وهو فصل ملاءمة الأسلوب _ شبيه بما يسميه علماء البلاغة العرب «مطابقة الكلام لمقتضى الحال » .

ثم نادى به امام البصريين ، سيبويه فى كتابه غير انه لم يذكر مثالا واحدا له ، وذلك ما أخذه عليه عبد القاهر الجرجاني ، الذى نادى بهذا المبدأ ، وفى الوقت نفسه ذكر له _ فها ذكر _ الأمثلة الستة الآنية .

١ مثالا نذكر فيه المفعول به قبل الفاعل ، لأن المفعول به هو محط الاهتمام ، مثل قولنا :
 « قتل الخارجي زيد »

٢ ـ وبثالا نحذف فيه المفعول به اكتفاء باثبات الفعل لفاعله ، لأن ذلك هو محط الاهتهام ، كما في قوله تعالى في سورة « القصص » (٢٤٠) : « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان » وواضح ان المقام هنا لايقتضى بيان نوع المذود من ابل او غنم ، وانحا يقتضى انه كان هنالك سعى من الناس ، وذود من المرأتين وكفى ، وتلك هى المسألة .

٣ ـ ومثالا تحذف فيه المفعول به ، لأن فعله هو « الفعل المتناهى » ـ على حد تعبير عبد
 القاهر ـ أى الفعل الذى يتناهى عند الفاعل ولا يتجاوزه ، مثل قولهم : « قد مل فلان »

3 _ ومثالا تحذف فيه المفعول به حتى يذهب فهم القارىء ، أو السامع فى تصوره كل مذهب ، كها فى قولهم : فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، أى صار له الحل والعقد ، والأمر والنهى ، وكيا فى قوله _ تعالى _ : (٥٠٠) « وأنه هو اضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحها ، وأنه هو اغنى وأقنى » لأن الذى يقتضيه المقام هنا هو أنه _ سبحانه _ المصدر الوحيد للاضحاك والابكاء ، وللامانة والاحياء ، وللأغناء ، وذلك هو بيت القصيد .



٥ ـ ومثالا تحذف فيه المفعول به ، اكتفاء بتقديره فى النفس ، أو اعتادا على ذكر سابق ، أو لسان حال ـ كها فى بيت البحترى مادحا المعتز بالله العباسى ، ومعرضا باخيه المستعين المتهم بقتل والده جعفر المتوكل :

شجه حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واع

يريد البحترى انه لاشىء أهجى لحساد المعتز ، وأغيظ لأعدائه ، من علمهم أن للناس عيونا تبصر ، وآذانا تسمع ، فلن تبصر تلك العيون ، ولن تسمع هذه الآذان ، الاكل فضل وتقدير للمعتز دون سواه .

 - ومثالا تكرر فيه الكلمة نفسها - وللتكرار اثره وخطره الذى يقتضيه المقام - كما في تكرار « الله » وتكرار « الحق » في الآيتين الآتيتين : (٣٦) « قل هو الله أحد ، الله الصمد » . (٣٧) « وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل » .

وهذه العناية البالفة ، من الامام عبد القاهر الجرجاني ، بوجوب مراعاة المقامات ، والأحوال ، وجدت وماتزال تجد صداها حتى اليوم فى احدث ، وارقى المدارس اللغوية فى اوروبا وغيرها ، ولاسيا مدرسة « فيرث » كها حقق ذلك كثير من اعلام ادباتنا المعاصرين (۲۸) .



DOGOSTISSONO DE LO DE LA COSTA POR LA COSTA DE SERVICIO DE LA COSTA DEL COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DE LA COSTA DE LA COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DE LA COSTA DE LA COSTA DEL COSTA DEL COSTA DEL COSTA DEL COSTA DEL COSTA DEL COSTA

٥ هوامش ٥

- (١) ضمن مجموعة رقم ٣٣٩ و (هـ) رقم ١٥٧٠.
- (٢) انظر كتاب «. من الوجهة الناسية » لخلف الله: ١٠٦، ١٦٤، وكتاب «. عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغــة العربية » لاحد بدري .
 - . 100 . 1.9 : 1 = (4)
- (٤) انظر « طبقات النحويين واللغويين » للزبيدى ، و « شرح اللمع » مخطوط رقم ٥ م . دار الكتب المصرية ، و « المدارس
 النحوية » د . شوقي ضيف .
 - (٥) الأصوات اللغوية د . ابراهيم انيس ط٣ ص ٢ ، ٧ ومابعدها .
 - (٦) انظر« الاقصاح » لأبي على الفارسي مخطوط« نحو » رقم ١٠٠٦ دار الكتب ص ٦٤ .
 - (Y) انظر « المجلة » فبراير ١٩٦٥ .
 - (A) انظر منا « دلائل الاعجاز » ۱۹۳ .
 - (٩) سورة الأنعام الآية ١٩٠.
 - (١٠) سورة الليل الآية ١٧ ، ١٨ .
 - . ۱۱) دلائل الاعجاز: ۱۹۷ ، ۱۹۹ ، ۱۹۲ ، ۱۹۵ ، ۱۹۹ .
 - (۱۲) الدلائل : ۱٦٥ .
 - ٠ ١٦٤) الدلائل : ١٦٤ .
 - (١٤) سورة الحج الآية ٤٦ .
 - (١٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .
 - . ١٦٦) الدلائل : ٢٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٤٦ .
 - (۱۷) الدلائل : ١٥٤ .
 - (۱۸) الدلائل : ۲۵۱ .
 - (۱۹) الدلائل : ۲۰۱ ، ۱۰۷ .
 - (٢٠) في كتابه الموجز؛ مختصر عوامل الاعراب ..
 - (۲۱) في كتابه : الخصائص .
 - (۲۲) وهذا كتاب مخطوط ضمن مجموعة رقم ۳۳۹.
 - (٢٣) وهذا الكتاب ايضا مخطوط هــــ رقم ٦٥٧٠ .
 - (۲۲) مخطوط « نحو » رقم ۲۲۷ .
 - (۲۵) الدلائل : ۲۳ .
- (٢٦) اعجاز القرآن لابي بكر الباقلاني تحقيق البحاثة الفاضل السيد صقر ص ٧٥ و « الدلائل » : ٢٥ ، ٤٠٤ ،
 - (٢٧) سورة الأنبياء الآية ٦٢ .



- (AY) ILLYU : YA , FP , YP .
- . ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٧ . ٢٩١ .
 - (٣٠) سورة مريم الآية ٤ .
- (۳۱) البلائل : ۲۹ ، ۸۰ ، ۸۲ ، ۲۰۱ .
- (٣٢) أسرار البلاغة :. ٢٤٥
- (٣٣) مواقف ادبية ، د . محمد غنيمي هلال : ١٧ .
 - (٣٤) سورة القصص ، الآية ٣٣ .
 - (٣٥) سورة النجم ، الآية ٣٤ .
 (٣٦) سورة الإخلاص ، الآية ١ . ٢ .
 - (٣٧) سورة الإسراء ، الآية ١٠٥ .
- (۳۸) انظر مثلا : « علم اللغة العام » تى أول : ۳۳ ، ۳۳ ، وتى ثان : ۲۷ ، ۲۲۳ د . كيال بشر ، و « علم اللغة » د . محمود السعران : ۳۳۷ ، و « مناهج البحث فى اللغة » د . تمام حسان : ۲۶۵ .





تعقيب د ./ عبدالله الصالح العثيمين

ورز دراسات الخليج العربى فى جامعة البصرة جهود طببة فى نشر الوثائق والدراسات

المفيدة . ولعل حرصه الشديد على نشر ماله علاقة بتاريخ الخليج هو الذى دفعه الى نشر هذا الكتاب للدكتور عجيل . وقد كتب على غلافه الخارجى مايوحى بأنه صدر سنـــة ١٩٨٢م ، لكنه نص فى الصفحة الداخلية منه على انه صدر سنة ١٩٨١م .

ويتكون الكتاب من ١٧٤ صفحة ، منها ٢٩ صفحة تكلم فيها المؤلف عن سيرة سليان الدخليل وآثاره ومنهجه العلمى وجهاده السياسى . ومنها ١٢٥ صفحة اعاد فيها نشر مقالات سبق ان نشرها الدخيل في مجلة « لغة العرب » بين سنتى ١٩١١ و١٩١٤م . مع تعليقات قليلة .

ويبدر ان شعبة الدراسات اللغوية والأدبية في المركز قد تأثرت بما كتبه الدكتور عجيل عن الدخيل حتى قالت عنه :

انه يعتبر واحدا من الرواد العرب الذين أسهموا في مجالات متعددة توزعتها الصحافة والسياسة والتاريخ واللغة والأدب فكان متمكنا بكل ماطرحه وواثقا ثقة العالم الجاد (۱) واذا كان في هذه العبارة مافيها من مبالغة سوف تتضح من خلال المناقشة ففإن الشعبة كانت اكثر اعتدالا حين أملت في نهاية تقديمها للكتاب ان يكون نافعا ـ ولـو بعض الشيء ـ لأولئك المهتمين بدراسة التاريخ والأدب والصحافة العربية (۱)

والملاحظات على الكتاب بعضها يتعلق بدراسة المؤلف ، وبعضها يتعلق ببعض ماكتبه الدخيل ، وإذا كان تناول الدراسة مهماً في حد ذاته ؛ فان الهدف الرئيسي من تناول بعض ماكتبه الدخيل ابداء ما قد يساعد في تقديم ماذكره المؤلف عنه .

٥ ملاحظات على الدراسة

ذكر الدكتور عجيل ، عند كلامه عن مناصب الدخيل ، انه لم يتح له الاطلاع على ملف خدمته المحفوظ في وزارة الداخلية العراقية . وقال : « ولاشك ان فيه سجلا كاملا

لمناصبه ووظائفه الحكومية واسباب نزوله في التدرج الوظيفي بعد ذلك . "(٢) وكلامه يفيد ان ملف خدمة الدخيل محفوظ في وزارة الداخلية العراقية ، وإن فيه سجلا كاملا لما ذكره . فاذا كان الملف محفوظ في الوزارة وهو من الأهمية بالدرجة التي اشار اليها فهل يقتنع القارى من مؤلف عراقي بالذات بعبارة « لم يتح لنا الاطلاع » دون ابداء مايثبت محاولته الاطلاع وفشله في تلك المحاولة ؟ ومادام المؤلف لم يطلع على الملف فكيف يجزم بانه يشتمل على ماذكره ؟ أليس من الأفضل في مثل هذه المسألة أن يقال « وسن بانه يشتمل على ماذكره ؟ أليس من الأفضل في مثل هذه المسألة أن يقال « وسن المرجح » بدلا من « ولاشك » ؟ أن ملفات الموظفين _ وبخاصة في بلداننا _ قد لاتشتمل على كل ماله علاقة بالموظف فقد لايذكر فيها مثلا اسباب نزوله في المدرج الوظيفي ، وانما يكتفى بذكر نقله من وظيفة الى اخرى دون اشارة الى سبب ذلك النقل .

وحين تكلم الدكتور عجيل عن جريدة الرياض قال: انها « استمرت في الصدور اربع سنوات طويلة » ولا ادرى لماذا وصف السنوات بالطول مادام عددها معلوما « وإنه من المؤسف حقا الا يبقى من اعدادها التي قد تبلغ المائتين غير عدد واحد فقط، محفوظ في المكتبة الوطنية ببغداد » (ع) وعبارته تفيد الجزم بانه لم يبق من اعداد الجريدة الا عد واحد . وهذا امر محتمل لكن من المحتمل ايضا ان توجد اعداد منها في امكنة اخرى مثل مكتبات تركيا او مكتبة المتحف البريطاني ومع افتراض بحث المؤلف في جميع المكتبات وفشله في العثور على شيء منها فانه ينبغي الا يعبر بما يفيد الجزم بعدم الوجود ، واغا يعبر بما يفيد انه لم يعشر حتى الآن الا على عدد واحد منها .

ومن الواضح ان الدكتور عجيلا معجب جدا بالدخيل . ومن الواضح ايضا ، انه اراد ان يشرك القارئ هذا الأعجاب . ومن وسائله في ذلك تفخيم مكانة من كتب عن الدخيل اذا كان في كلامه عنه مايوحي بفضله، وترك ذلك التفخيم اذا لم يكن فيه مايوحي بفضل . فحمد الجاسر « علامة نجد ومؤرخها الاستاذ حمد الجاسر » حين قال : ان الدخيل « اول نجدي مارس الصحافة » (٥) لكنه وصف قبل ذلك بالأستاذ حمد الجاسر »

حين لم يكن في كلامه مايدل على اسبقية $^{(7)}$ ورفائيل بطى « الصحفى الكبير الاستاذ رفائيل بطى » حين قال عن جريدة الرياض : انها « جريدة ذات لون خاص في الصحف العراقية بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الجيل $^{(7)}$ لكنه وصف قبل ذلك بالاستاذ رفائيل بطى حين لم يكن كلامه عن الدخيل يوحى بعظمة . $^{(\Lambda)}$

ولقد عمد الدكتور عجيل ، الى تغيير كلام من تحدثوا عن الدخيل اما بذكر جوانب المدح فى كلامهم عنه غير مقرونة بجوانب الذم من ذلك الكلام ، واما بتغيير منطوق الكلام ليدل على عظمة من قبل فيه . ومن ذلك :

١ ـ ذكر ان الاستاذ رفائيل بطى اشاد بجريدة الرياض وقال: « انها خدمت القضية العربية وساعدت على نشر الوعى القومى » وأنها كانت مصدرا بكل ماينشر او يذاع فى العالم أنذاك من اخبار الجزيرة العربية وحوادثها « وان مروياتها تشيع فى عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد فى العراق والشام ومصر. وقد تشغل بعض مروياتها ، عن جزيرة العرب ، اسلاك البرق ودواوين الدولة العنهائية اياما بل اشهرا. (١٦)

فهاذا قال الاستاذ رفائيل بطى عن الرياض ؟ قال : « انها خدمت القضية العربية بما احدثت من كثرة الضجيج والكتابة عن قلب الجزيرة العربية وينبوع العروبة ؛ فقد الذاعت الأحاديث عن العرب المعاصرين وقبائلهم ومنازهم ومنازعاتهم وغزواتهم وحروبهم وسلمهم بنطاق واسع اثر على العقول ولغتها الى هذه الرقعة من العالم العربي »

وليس عليكم بعد ذلك ان تدققوا او تلحقوا في تمحيص صحة ماترويه صحيفة الرياض من اخبار الامارات العربية وسلطات الخليج وزعامات البوادى . فالمبالغة بادية عليها ، ولكن هذا لايهم الكاتب او الناشر ، انما المهم ان اكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر . وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون اسلاك البرق ودواوين الدولة العنمانية اياما بل اشهرا ، بينا يكون الحادث من اساسه من مبتدعات خيال مدير الرياض او محررها .(١٠)

ولعل القارئ يرى الفرق بين مانقله الدكتور عجيل من كلام الاستاذ رفائيل بطى

وبين كلام ذلك الاستاذ .

٢ ـ ذكر الدكتور عجيل ان الشيخ حمد الجاسر قال عن الدخيل: « اديب نجد ، اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة ، وله فيها اثار لايسع الباحث في تاريخ نجد إهالها » (١١١) والواقع ان الجاسر لم يقل عن الدخيل: « اديب نجد » واغا قال: « اديب

نجدى »(۱۲) والفرق واضح بين مدلولي التعبيرين .

س. وذكر الدكتور عجيل ان الجاسر قال عن (القول السديد في اخبار الرشيد) انه اقدم ماكتب عن تاريخ هذه الامارة في العصر الحاضر ، وانه يشتمل على فوائد تاريخية لا توجد في غيره »(١٣)

وعنوان الكتاب : « القول السديد في اخبار امارة أل رشيد » ولعل كلمة « امارة » سقطت سهوا في الطباعة وماذكره الشيخ الجاسر هو :

« والمؤلف وان ظهر في كتابة كثير من الضعف الا انه بحكم صلته بتلك الامارة يصح القول بأن ماكتبه من اقدم ماكتب عن تاريخ تلك الامارة في العصر الحاضر، ومع كونه لايخلو من تحيز الا ان فيه فوائد تاريخية لاتوجد في غيره » .(١٤)

ومن الواضح ان الدكتور حذف من الكلام اشاره الجاسر الى مايوجد فى الكتاب من ضعف كثير وعدم خلوه من التحيز، كها انه ادعى ان الجاسر قال عن الكتاب: انه اقدم ماكتب عن تاريخ الامارة مع ان الجاسر قال فى الحقيقة: من اقدم والفرق واضح بين مدلولى التعبيرين .

وذكر الدكتور عجيل ان الجاسر نشر الكتاب المذكور.(١٥٠) والواقع انــه لم ينشر الكتاب كله . يقول الجاسر :

« ويمكن تقسيم الكتاب الى قسمين: القسم الأول يتعلق بتاريخ نشوه الامارة قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجرى عندما . نشأت امارة آل فضل ، وعنها تفرعت امارة آل على ، التى خلفتها امارة آل رشيد .

وهذا القسم معلومات المؤلف فيه على درجة من التفاهة والضعف بحيث لايصح

التعويل عليها. وهذا مادفعنا الى الاكتفاء من الكتاب بالقسم الثانى المتضمن لذكر امارة آل رشيد .» (١٦)

كها ان الجاسر اضاف الى مانشره من الكتاب تنمة من كتاب فؤاد حمزة « قلب جزيرة العرب » لأن ماكتبه الدخيل يقف عند الحديث عن امارة سعود بن عبدالعزيـز بـن (١٧)

وذكر الدكتور عجيل ان الكرملي قال عن كتاب « العقد المتلالئ في حساب اللالئ »:

وهو كتاب جليل لايستغنى عنه من يريد التعاطى بتجارة اللائى ، لاسيا في الخليج ، وفيه من اصطلاحات اهل الفن في هذا العصر ، وما يحرص عليه التاجر واللغوى والغريب الوطن لفهم رطانة الغواصين ، وذكر فيه عدد السفن وبلادهم وعدد غواصيها والرسوم المستوفاة عن كل سفينة ، ومقدار عمق الماء في محل الغوص ، ومايصيب الغواصين من أفات وأمراض . (١٩٨)

وقد وضع الدكتور الكلام السابق بين قوسين . وهذا يفهم منه انه نص كلام الكرملي ، والواقع ان الكلام يشتمل على ماهو من كلام الكرملي نصاً وماهو من تلخيص الدكتور(١٠١ وذكر الدكتور عجيل ان الكرملي قال عن كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد :

« ومع ذلك فانك تجد اناسا لايعرفون اتم المعرفة مايتعلق بأصل صاحب هذا المذهب» يعنى المذهب الوهابي (٢٠)

والواقع ان عبارة الكرملى : ومع ذلك فانك لاتجد اناسا يعرفون اتم المعرفة .. الغ (٢١) وإخال أن القارئ يدرك الفرق بين مدلول « تجد اناسا لايعرفون » ومدلول (لاتجد اناسا يعرفون) . وعلى اية حال ، فالمهم الا يغير الكلام مادام قد اورد نصا .

وذكر الدكتور عجيل ان الدخيل طالب بدراسة العربية والقيام على نشرها وخدمتها وتنقيتها من شوائب الكلمة الدخيلة والأعجمية ، ودلل على ذلك بان الدخيل قال : « اما اللغة العربية فقد كادت تفسد بالتام في هذه العصور الأخيرة لكثرة ما اصاب ابناءها من النوائب لولا ان القرآن الذي هو اساس الدين ، ولغته لغة الدين حفظها من النوائب لولا ان القرآن الذي هو اساس الدين ، ولغته لغة الدين حفظها ، وصححوا الدمار والبوار ، ثم قيض الله لها باجثين ، اصحاب نظر وفكر ، بينوا محاسنها ، وصححوا مافسد من ألفاظها ، وميزوا مافيها من حسن وسيئ فاخذت تعود الى نضارة عزها وغضارة مجدها . واصبحت اليوم واسطة الوحدة العربية ، والرابطة القومية بين بلاد (٢٢)

فهل كلام الدخيل الذى استشهد به الدكتور مطالبة أو إخبار بما تم يوحى باقتناع كاتبه الى ماتوصل اليه ؟

ومن الواضح ان اعجاب الدكتور عجيل بالدخيل جعله يصف كتاباته وصفا غير مطابق للواقع في بعض الاحيان ؛ فقد ذكر مثلا ان معظم كتاباته جاءت بكرا لم يسبقه احد الى الكتابة فيها ، وتوفرت فيها الجدة والطرافة . وعد من ذلك ماكتبه الدخيل عن نجد وامارة آل رشيد . (٣٣)

ومن المعلوم ان كتابات كثيرة كانت قد نشرت عن نجد وامارة آل رشيد بلغات مختلفة قبل كتابة الدخيل عنها : بل ان تاريخ ابن غنام ، وهو مصدر مهم عن نجد ودعوة ابن عبدالوهاب وتاريخ آل سعود ، كان قد طبع سنة ١٩٠٧

وذكر الدكتور عجيل ان الدخيل كان «حريصا كل الحرص على ترقيم متون بحوثه واستخدام حواشى الصفحات فيا تستخدم به عادة من الاشارة الى المصادر وضبط وتفسير مايحتاج الى ذلك من المتن .» وقال في الهامش : « انظر على سبيل المثال حواشى بحوثه عن اخلاق اهل نجد والأعراب غير المنسوبة وحواشى تحفة الألباء »(٢٥)

وبما أن «تحفة الألباء » ليست مما اعيد نشره في الكتاب المتكلم عنه هنا فلعله من المستحسن ان ننظر الى مقالى الدخيل عن « اخلاق اهل نجد » و « بعض الأعراب غير المنسوبة » لنرى مدى صحة كلام الدكتور. مقال الدخيل عن اخلاق اهل نجد لاتوجد فيه الا فيه حاشية واحدة من عمله . اما مقاله عن بعض الأعراب غير المنسوبة فلا توجد فيه الا حاشية واحدة من عمله مكونة من سطر ونصف السطر. وهي ضبط لكلمة « شذاد » دون

ان يعزو ذلك الى مصدر^(٢٦)

وبقية مقالات الدخيل التى أعاد الدكتور عجيل نشرها فى كتابه يوجد فى بعضها هوامش. وقد تكون بعض هذه الهوامش كثيرة العدد . لكن اكثر هذه الهوامش غير معزوة الى مصادر ، وهى مجرد ضبط لكلهات وردت فى متون نلك المقالات .

○ ملاحظات على بعض ماكتبه الدخيل:

قال الاستاذ الدخيل: ان اهل نجد قبل الاسلام كانوا « كأغلب سكان بلاد العرب اخلاطا من امم شتى: من عرب وفرس وأراميين وعبران واشوريين وكلدان وبابليين » (۲۷) وكلامه هذا غير معزو الى مصدر. اما مدى صحته فامر متروك لمن له ادنى معرفة بتاريخ المنطقة في تلك الفترة .

وقال الاستاذ الدخيل: ولما ظهرت الوهابية بان سكان نجد« كل البينونة عن سائر سكان الجزيرة حتى اضحوا أمة مستقلة بنفسها ولها اوصاف خاصة بها كالشجاعة والسباطة والتدين المفرط الضارب الى التعصب والإباء وعدم تحمل (٢٨) الضيم وتوقد الذكاء وحب التجارة الواقفة على اصول الشرع.

صحيح ان الوهابية اثرت في النجديين ، وبخاصة من الناحية الدينية ، لكن هل جعلتهم يختلفون عن سكان الجزيرة العربية الآخرين حتى في الذكاء وحب النجارة ؟ وقال الاستاذ الدخيل : انه كان في نجد ثلاث امارات : امارة ابن سعود وقاعدتها الرياض ، وامارة ابن رشيد وقاعدتها عائل ، وامارة القصيم وهي بلدتا عنيزة وبريدة . ثم قال : ان كلتا البلدتين دخلتا في قبضة ابن سعود . (٢٩)

والواقع ان منطقة القصيم ، ببلدانها المتعددة ، كانت تحت حكم آل سعود . ثم دخلت تحت حكم آل رشيد منذ سنة ١٨٩١م وظلت تحت حكم هؤلاء حتى استولى عليها ابن سعود سنة ١٩٠٤م . وقد سبب آل مهنا ، امراء بريدة ، بعض المشكلات لابن سعود ،

لكنه تمكن من حلها وابعاد مسببها عن الامارة بسرعة . اما عنيزة وبقية بلدان القصيم فقد ظل امراؤها مخلصين له (۲۰)

وقال الاستاذ الدخيل: اما اليوم - وذلك سنة ١٩٩١م - فلم يبق من تلك العلوم (٢٦) شيء في الرياض. وانتقل اغلبه الى بلاد القصيم وحائل السالفتي الذكر. ولا يوجد من يتعاطى العلوم فيها الا اناس قلائل. ووجودهم كعدمهم (٢٣)

والصحيح ان الرياض كانت مركز التعليم المتداول في نجد منذ ان اصبحت قاعدة حكم أل سعود في القرن الثالث عشر الهجرى . وظل فيها علماء اجلاء ان لم يفوقوا غيرهم من علماء نجد عددا ومعرفة افانهم لم يقلوا عنهم ، وكان العلماء من آل الشيخ ، ومقر اكثرهم في الرياض ، دائيا في طليعة علماء نجد .

وقال الاستاذ الدخيل: واما العلوم والآداب في الحائل « ويقال لهذه الامارة ايضا الجبل » و « جبل شمر » « وهو جبل طبئ في السابق » فهى على غير مارأيته في الامارة الأولى . (٣٣) _ يقصد امارة ابن سعود .

وحائل بدون الف ولام . والمنطقة في السابق كانت تسمى جبلي طبيء لاجبل طبيء . ثم قال الاستاذ الدخيل :

« وامارتها ـ اى امارة حائل ـ اشمر منذ ان وجدوا الى يومنا هذا . وقد استولى عليها آل سعود حين قويت شوكتهم وعظمت صولتهم وماكادت شمسهم تميل الى الغروب الا وعادت تلك الديار الى اهلها الاقدمين . وكان اول اهلها ورؤسائهم آل على . ثم انتقلت الى طلال فبندر محمد الرشيد فعبد العزيز ثم الى ابنه متعب ثم الى خال متعب سلطان ثم الى سعود اخ سلطان ثم الى سعود بن عبدالعزيز اخ متعب «٢٤)

والواقع ان آل على كانوا رؤساء حائل . وفي مستهل القرن الثالث عشر الهجرى دخلوا تحت حكم آل سعود وحين قضى على الدولة السعودية الأولى تفككت وحدة البلدان النجدية ، ومنها حائل . ثم نجح تركى بن عبدالله آل سعود في اقامة الدولة من جديد .ودخلت حائل تحت حكمه ، شأنها في ذلك شأن بقية بلدان نجد . ولما استولى ابنه فيصل على الحكم عزل أل على عن امارة حائل وعين فيها عبدالله بن على بن رشيد ، مؤسس امارة أل رشيد . وحين توفى عبدالله خلفه فى الامارة ابنه طلال .. وحين انتحر طلال تولى الامارة اخوه متعب بن عبدالله . لكن علاقته بابناء اخيه طلال ساءت فقتلوه ، وتولى الامارة بندر بن طلال . ثم قتل محمد بن عبدالله ابناء اخيه طلال وتولى الامارة المخود)

وقال الاستاذ الدخيل: ان اهل القصيم دخلوا بتجارتهم بلدانا منها لندن ومدن امريكية ، وذكر انك اذا دخلت بلادهم « ترى فيهم هذا يكلمك بالتركية وذلك يطارحك الكلام بالفارسية وتسمع واحدا يذاكرك بالهندية ويقبل اليك أخر يفتحك بالايطالية ويقترب منك صديق كتب يخاطبك بالفرنسوية الى غير هذه اللغات من اردوية وتامولية وانجليزية »(٢٦)

ولم تقف المبالغة الواضحة بالاستاذ الدخيل عند هذا الحد ، بل قال :

« وبيوت اكثرهم - اى اكثر اهل القصيم - ليست الا مدارس ونوادى علم » .(٢٧) والواقع ان اهل القصيم - رغم النهضة التعليمية الحديثة - لم يصلوا حتى الآن الى المستوى الذى ادعى الاستاذ الدخيل انهم وصلوا اليه منذ اكثر من سبعين عاما .

وقال الاستاذ الدخيل :

« وقع بين سعود الفيصل وقائع جمة توفى فى أثنائها سعود : فقام احضاده محمد وعبدالعزيز وسعد وخرجوا على عمهم عبدالله الفيصل واذاقوه الأمرين فاستنجد بالامير محمد الرشيد فسار بجيش لهام وزحف به عليهم واخرجهم من الرياض . وبعد ان مات البعض القى القبض على الباقين وعلى اولادهم وسجنهم فى حائل مقر امارته الى ان توفى سنة ١٣٦٥ فخلفه الأمير ابن اخيه وهو عبدالعزيز بن متعب الرشيد . وفى ايامه وقعت تلك الفتن فاطلق سراح الباقين مع اولادهم . ومن ذلك العهد لقبوا بالعرائف لأن قضيتهم والفصل فيها يشبهان قضية العرافة التى مر بنا ذكرها . ولما اطلق سراحهم استقبلهم عبدالعزيز باشا السعود بالسرور والاكوام » .(٨٥)

ومن الملاحظ ان الدخيل قال : « أحفاده » _ يعنى احفاد سعود بن فيصل ، بينا قال خرجوا على « عمهم عبدالله » ومعروف ان من ذكرهم الدخيل كانوا ابناء سعود لا أحفاده . ومن الملاحظ » ايضا انه ذكر هنا ان وفاة محمد بن رشيد كانت سنة ١٣١٥هـ _ وهذا هو الصحيح لكنه ذكر في موضع اخر ان وفاته كانت سنة ١٣١٥هـ (٢٩)

وقد يفهم من كلام الدخيل ان سعود بن فيصل قد توفى في احدى الوقائع التى دارت بينه وبين خصومه . والحقيقة انه توفى وفاة طبيعية سنة ١٩٩١هـ . وقد تولى أخوه عبدالرحمن الحكم بعده حوالى سنتين ثم تنازل عن الحكم لاخيه عبدالله بن فيصل وظل عبدالله حاكيا ـ وان كان نفوذه فى نجد يضعف تدريجيا ـ حتى سنة ١٩٠٥هـ . وفى هذه السنة استولى ابناء اخيه سعود على الرياض وقبضوا عليه فسار اليهم محمد بن رشيد واجبرهم على مغادرة الرياض . وقد اخذ محمد بن رشيد عبدالله ابن فيصل معه الى حائل ، وعين سالم بن سبهان اميرا على الرياض . وقد احتال ابن سبهان بأبناء سعود بن فيصل فى الخرج فقتل ثلاثة منهم . اما الرابع ، وهو عبدالعزيز ، فقد سلم من القتل لكنه عبدالرحمن بن فيصل « الملك عبدالعزيز » وبين ماجد بن حمود آل رشيد عند اسوار عبدالرحمن بن فيصل « الملك عبدالعزيز » وبين ماجد بن حمود آل رشيد عند اسوار عنيزة . وكان النصر فيها حليف عبدالعزيز ، وكان بعض احفاد سعود بن فيصل مع ماجد فاسروا ؛ ولكن عبدالعزيز اطلق سراحهم على اساس انهم عرائف له . فاصبحوا يسمون العائف . (مه)

وقال الاستاذ الدخيل:

ان نجدا ثلاثة اقسام : « الأول العروض او العارض او الرياض او الدرعية ، وهي امارة ابن السعود » (۱۱)

والعارض _ كها هو معلوم _ منطقة تضم بلدانا عديدة منها الرياض والدرعية ومنفوحة والعيينة . اما الدرعية فهى بلدة كانت مقر حكم آل سعود ايام الدولة السعودية الأولى ، لكن لما انتهت تلك الدولة خرب ابراهيم باشا هذه البلدة . وحين نجح تركى بن عبدالله

آل سعود في اعادة حكم اسرته، اتخذ من الرياض عاصمة له ، وظلت قاعدة آل سعود حتى الآن .

وقال الاستاذ الدخيل هنا _كها قال من قبل _ ان القصيم امارة مستقلة . وقد سبقت الملاحظة على ذلك .

وقال الاستاذ الدخيل: ان الامير سعودا هو الذي رفع ذكر امارة أل سعود، وانه « ابن الأمير محمد بن الأمير مقرن بن الأمير مرخان بن الأمير ابراهيم ، الذي كان في عهد العباسيين اميرا فائها بنفسه صاحب الأمر والنهي في جزيرة العرب . وهو ابن الأمير موسى الذي كان مستبدا بنجد وبما والاها في آخر ايام الدولة العباسية . وهو ابن الأمير ربيعة وقد كانت تخضع له الاحساء والقطيف وقطر ، وهو ابن الأمير مانع الذي وضع اساس الدرعية وبناها وجدد بناء الاحساء والقطيف وقطر وعهان ، واول من بنى القلاع المنبعة والحصون المكينة والاسوار الشامخة وكان مستقلا بالامارة سنة ۸۵۰ »(۱۳)

وفى تعليق له حول هذا الموضوع بعنوان « رجوع الى الحق » ذكر ان امارة مانع كانت سنة ٨٥٠هـ ، وامارة ربيعة سنة ٣٢٧هـ ، وامارة موسى سنة ٣٤٥هـ . (٢٢)

وليته لم يرجع عها قاله سابقاً ؛ لأنه برجوعه زاد الطين بلـه . وضـاعف الخطـأ . فها حقيقة اولئك الأفراد ؟

في سنة ٨٥٠هـ قدم مانع المريدي ـ جد آل سعود ـ من منطقة قرب بلدة القطيف الى قريب له يسمى ابن درع كان يسكن منطقة الرياض الحالية . وقد منح ابن درع مانعا المكان الذي اصبح يسمى فيا بعد الدرعية . وحين توفى مانع اصبح ابنه ربيعة صاحب ذلك المكان . وقد ثار موسى بن ربيعة على ابيه وتولى امارة البلدة ثم خلفه ابنه ابراهيم . وبعد وفاة ابراهيم تولى الامارة افراد من ذريته حتى تولاها سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان سنة ١٩٣٧هـ . وظل اميرا للدرعية حتى سنة ١٩٣٧هـ . وظل اميرا للدرعية حتى سنة ١٩٣٧هـ . وظل اميرا كن سعود بن محمد بن مقرن ولا من قبله على شيء يختلف عن غيرهم من امراء نجد من حيث القوة بل كان هناك من الأمراء النجديين من كانوا

اقوى منهم بكثير . ذلك ان نفوذ سعود بن محمد وآبائه واجداده لم يتعد حدود بلدة الدرعية الصغيرة حينذاك . ولم تبدأ قوة آل سعود حقيقة ، الا في عهد محمد بن سعود ، وذلك نتيجة لتحالفه مع المصلح محمد بن عبدالوهاب .

وقال الاستاذ الدخيل: ان محمد بن سعود توفى سنة ١٩٧٠هـ ($^{(a)}$) والصحيح انه توفى سنة ١٩٧٩هـ ($^{(a)}$) وقال: ان عبدالله بن سعود توفى فى القسطنطينية سنة ١٣٣٣هـ ($^{(2)}$) وقد توحى عبارته بان وفاة عبدالله كانت طبيعية والواقع انه أعدم فى العاصمة العثبانية سنة ١٣٣٤هـ ($^{(A)}$) وقال: ان نجدا مازالت عاصية لمشارى بن سعود حتى توفى سنة ١٣٣٥هـ ($^{(A)}$) والواقع أن محمد بن معمر ، المتعاون مع قادة محمد على حاكم مصر قبض على مشارى وارسله الى القائد التركى فى عنيزة حيث توفى مسجونا فى ملك البلدة ($^{(A)}$) وقال: ان ابن عمه اى ابن عم مشارى بن سعود تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود خلفه فى الحكم ($^{(A)}$) وواضح ان تركى بن عبدالله لم يكن ابن عم مشارى ، وإغا كان ابن عم ابيه سعود .

وقال الاستاذ الدخيل _ وهو يتكلم عن القضاء على مشارى بن عبدالرحمن سنة ١٣٤٩ _ ١٢٥٠هـ _ : «ثم هجرت الدرعية واتخذت الرياض مقرا للأمارة فاصبحت هي العاصمة »(٥٠)

والواقع ان الدرعية خربت سنة ١٢٣٤هـ ، وإن الرياض اتخذت عاصمة من قبل تركى بن عبدالله منذ سنة ١٢٤٠هـ .

وقال الدخيل: ان عبدالله بن ثنيان توفى مسموما أو قتيلا سنة ١٢٥٩هـ، وان مجىء فيصل بن تركى من مصر الى نجد صادف وفاة عبدالله بن ثنيان فتولى الامارة بعده (هه)

والواقع ان عبدالله بن ثنيان لم يمت قبل عودة فيصل من مصر الى نجد ، بل قاوم فيصلا حتى حوصر فى الرياض . ثم استسلم لفيصل ، وتوفى بعد ايام من استسلامه له (١٥٥)

وقال الدخيل: ان آل سعود خلعوا عبدالله بن فيصل عن الحكم سنة ١٣٨١ه. ، مع انه ذكر قبل ذلك مباشرة ان فيصل بن تركى توفى سنة ١٣٨٢هـ (٥٥) ومعلوم ان عبدالله لم يتول الحكم الا بعد وفاة ابيه .

وقال الدخيل: ان البلاد تجزأت بين آل سعود وأصبح كل صقع منها لأمير، فأمير الخرج ثنيان بن عبدالله بن عبدالله بن عبدالله بن ثنيان ، وامير الاحساء وماحولها عبدالله بن عبدالله ابن ثنيان ، وامير العارض وما والاه سعود بن جلوى بن تركى ، وامير الفرع فهد بن صنيتان ، وامير الرياض وملحقاتها عبد الرحمن بن فيصل ، وامراء نجد « القصيم وما يضم اليها من الملحقات » الأمير محمد بن سعود والأمير عبدالله بن سعود والأمير عبدالله بن سعود آل فيصل سعد بن سعود والامير عبدالعزيز بن سعود آل فيصل والامير ناصر بن فيصل (١٥)

ولعل من الواضح ما في هذا الكلام من خلط جغرافي ؛ فمعروف ان بجدا تضم مناطق متعددة منها المناطق التي ذكرها وهي القصيم والعارض والخرج والفرع . ومعروف أيضا ، ان العارض منطقة تضم بلدانا عدة منها الرياض . فكيف يذكر انه كان للخرج امير وللعارض امير وللفرع امير وللرياض امير . ثم يذكر ان امراء نجد غير هؤلاء ! اليست الامكنة التي ذكرها من نجد ؟ ثم ماهي الرياض وملحقاتها اذا لم تكن العارض ؟

اما من الناحية التاريخية فان عبدالله بن فيصل تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ١٨٢٨هـ. وفي السنة التي تلت ثار ضده اخوه سعود . وبعد خمس سنوات استولى سعود على الرياض . وكان ان استنجد عبدالله بوالى بغداد ضد اخيه فكان ذلك فرصة للوالى استولى بها على منطقة الاحساء سنة ١٢٨٨هـ (٥٠) وحين توفي سعود سنة ١٢٨٨هـ تولى الحكم اخوه عبدالرحمن ، ثم تنازل عنه لأخيه عبدالله . وظل عبدالله حاكيا حتى سنة ١٣٥٥هـ حين قبض عليه ابناء اخيه سعود ، كيا سبق ان ذكر .

وقال الاستاذ الدخيل: ان الحرب استعرت بين عبدالله بن فيصل واخويه سعود وعبدالرحمن وان عبدالله استعان في الآخر بمحمد الرشيد فكان ذلك فرصة لمحمد للتغلب على كليها.

وكلامه يوحى بان الاستعانة بابن رشيد كانت وسعود لايزال حيا . لكنه تابع كلامه قائلا :

« ثم اتفق معهما على ان يكونا فى بلاد امارتهها وله عليهها اليد العليا وشرط عليهها شروطا أخرى رضيا بها. فكان اولاد سعود فى الخرج وعبدالرحمن فى الرياض . اما عبدالله فانه زهد بالملك واستقر فى حائل »(٥٠)

وكلامه هنا يوحى بان الاستعانة المذكورة لم تكن زمن سعود اذ لم يرد ذكر له . ومعروف ان الحادثة كانت بعد وفاة سعود باربعة عشر عاما . وقال الاستاذ الدخيل :

« فى بحرسنة ١٩٩٥هـ « ١٨٧٨ م » وقع بين ابن الرشيد وبين امراء القصيم فتور فاتفى آل سعود مع عبدالرجمن ووعدوه بالمساعدة ان فعل بما يطلبونه منه . فقدم عبدالرجمن لينكب المعتمدين هناك فأحس الاصير ابن الرشيد بالاصر فأسرع الى مصالحة امراء القصيم ثم بعد ان تم له هذا الأمر غزا الرياض والخزج وإجتاحها . وقتل بعض اولاد السعود والبعض الآخر أخذوا اسرى وأبقوا فى حائل فى تجلة واحترام . وهم الذين يعرفون اليوم باسم العرائف واما عبدالرجمن فانه فر من بين يدى الأمير ونزل الأحساء ثم بغداد ومنها رحل الى الاستانة ثم زايلها فرجع الى ديار العرب فاحتل الكويت »(١٥)

وقوله « فاتفق آل سعود مع عبدالرجمن » واضح انه خطأ ، وانه يريد فاتفق اهل القصيم مع عبدالرجمن .

والواقع ان فتور العلاقات بين محمد بن رشيد وبين اهل القصيم كان حوالى سنة ١٩٥٨هـ . وفي تلك السنة قبض عبدالرحمن بن فيصل على سالم بن سبهان في الرياض . فحسن ابن رشيد علاقاته مع اهل القصيم مؤقتا ليتفرغ لقتال عبدالرحمن

ابن فيصل . وفي سنة ١٣٠٨هـ نجح في فك اسر ابن سبهان ، ثم عاد الى حائل . وفي نفس السنة دارت معركة المليداء بينه وبين اهمل القصيم ، فانتصر عليهم وخضعت بلادهم له وكان عبدالرجمن بن فيصل قد جهز جيشا لمساعدة اهل القصيم ، لكنه علم بانتهاء المعركة بينهم وبين ابن رشيد فلم يواصل جيشه السير الى القصيم وقد ثبطت هزيمة اهل القصيم همة عبدالرجمن بن فيصل فترك الرياض لكنه لم يذهب الى بغداد والأستانة ، وإنما اقام عند قبيلة آل مرة ينتقل معها من مكان الي مكان آخر حتى وجد ملجا في قطر عند ابن ثانى . ثم سمح له اخيرا ان يستقر في الكه بت (١٠)

وقال الاستاذ الدخيل: ان عبدالعزيز بن متعب آل رشيد بعد توليه الامارة فكر في غزو الكويت .. وبينا كان يتأهب لذلك قتل الشيخ مبارك بن الصباح أخويه محمدا وجراحا . وهم بغزو نجد فثارت الحرب بين ابن الرشيد وبين ابن الصباح ولم تخمد نارها الا بعد مدة مديدة كان الفوز فيها للأمير ابن السعود « هكذا » . فاغتنم عبدالعزيز هذه الفرصة ودخل الرياض سنة ١٣٦٩هـ .(١٦)

ومعروف ان عبدالعزيز بن متعب لم يتول الحكم الا بعد وفاة عمه محمد سنة ١٣١٥هـ (١٦) ومعروف ايضا ، ان قتل مبارك بن صباح لاخويه كان سنة ١٣١٩هـ (١٣) وهكذا يتضح ان قتل مبارك لاخويه كان قبل تولى عبدالعزيز بن متعب الامارة .

وفى سنة ١٣١٨هـ قام مبارك بن صباح بغزو نجد وتقابل مع عبدالعزيز بن رشيد فى معركة الصريف المشهورة . وكان النصر فى تلك المعركة حليف ابن رشيد (١٤٠)

وبعد هذا أترك للقارئ الكريم تقويم ماذكره الدكتور عجيل عن الاستاذ الدخيل ووصفه اياه بانه كان «عادلا جدا في تحليله وتعليله ولم يكن متعصبا ولا متحيزا » وأن كتاباته كانت موضوعاتها «أصيلة بكرا . كان الدخيل اول من بحث فيها لم يسبقه احد من الباحثين » وانه كان «حريصا كل الحرص على ترقيم متون

بحوثه واستخدام حواشي الصفحات فيا تستخدم به عادة من الاشارة الى المصادر » وانه « قد ابعد بحوثه عن ان تكون مجرد جمع للمعلومات وسرد لها ، واضفى عليها طابع البحث العلمى الدقيق » وانه « قد اخذ بأسباب المنهج العلمى كاملة واستوفى جوانبه استيفاء ، من دقة في اختيار الموضوعات وخطة متكاملة في بحثها ومعالجتها وحرص على ذكر المصادر والاشارة اليها واستكيال لما يقتضيه البحث من الترقيم والحواشي والتعليقات ، وتحقيق الشخصية الباحشة المتميزة من خلال المناقشة والاستدراك والتحليل والتعليل والتعليل .

والله الموفق



ن الهوامش ن

١ ـ ص ٩ من الكتاب وسيكتفي ، مستقبلا ، بذكر الصفحة دون الاشارة الى الكتاب

```
19 .00 - 8
                                                                          ہ ـ ص ۱۸
                                                                 ٦ ـ ص ١٤ و ص ١٧
                                                                          ۷ ـ ص ۱۸
                                                                     ۸ ـ ص ۱۵ و ۱۷
                                                                          19.00-9
١٠ _ رفائيل بطي ، الصحافة في العراق ، معهد الدراسات العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٢٨ ، ص ٢٩
                                                                         ١١ _ ص ٢٠
                       ١٢ ـ حد الجاسر ، « مؤرخو تجد من أهلها » العرب ١٩٧١م ، ج ١ ص ٨٩٣
                                                                    11. 10.00- 18
                ١٤ ـ حمد الجاسر القول السديد في اخبار امارة ال رشيد دار اليامة ١٩٦٦م ، ص ١٤٦
                                                                         ۱۵ ـ ص ۲۰
                                               ١٦ ـ حد الجاسر القول السديد ... ، ص ١٤٣
                                                            ١٧ _ نفس المرجع ، ص ١٤٦
                                                                         ١٨ _ ص ٢١
                                                   ١٩ ـ لغة العرب ١٩١٢م ج ٧ ص ٢٦٤
                                                                         YY .- - Y.
                                                   ٢١ ـ لغة العرب ١٩١١ ج ١٢ ص ٤٨٨
                                                                         ٢٢ _ ص . ٢٩
                                                                         ۲۳ _ ص ۲۳
                                                   ٢٤ ـ طبع تلك السنة في يوميي في المتد.
                                                  ٢٥ ـ ص ٣٥ وهامش ١ من هذه الصفحة
                                                    ٢٦ ـ ص ٥١ ص ٥٥ ص ٥٧ ص ٥٦
                                                                         ۲۷ _ ص ٥٤
                                                                    ٢٨ _ ص ١٥ _ ٢٨
                                                                         27 _ ص 23
```

۲ ـ ص ۹ ۳ ـ ص ۱۷

```
    ٣٠ - ابراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد دار اليامة ١٩٦٦م ص ١٩٥ - ١٩٦ خبر الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز بيروت ١٩٧٧م ، ص ١٤٤٨
    ٣١ - هذه العلوم كما ذكر الدخيل - هي علم التوحيد والكلام والأصول والتفسير والفقه واللغة وجميع العلوم الدينية وقبل من النحو والصرف وسائر علوم الآلة . انظر ص ٤٧
    ٣٧ - ص ٤٨
    ٣٧ - ص ٨٨
    ٣٥ - عشار بن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد ، طبعة وزارة المعارف السعودية الثانية ١٩٦١هـ ج ١ ص ٩٩ ص ١٠٠ ورج ٢ ص ٤١ ص ١٩٤ من ١٠٠ طبع ذيلا لعنوان المجد .. ص ٥٦ ص ١٤٢ من ١٩٠ من ١٠٠ طبع ذيلا لعنوان المجد .. ص ٥٦ ص ٢١٥ من ٢١٠ من ١٠٠ ص ٢١ ص ٢٩ من ٢٠٠ طبع ذيلا لعنوان المجد .. ص ١٥ ص ٢١ ص ١٥ ص ٢١٠ ص ١٩٠ من ٢٠٠ طبع ذيلا لعنوان المجد .. ص ٥٦ ص ٢١ من ٢١ ص ٢١ من ٢١ من ٢١٠ من ٢١ من ٢١ من ٢١ من ٢١ من ٢١ من ٢١٠ من ٢١ من ٢١٠ من ٢١ من ٢١ من ٢١٠
```

٣٦ ـ ص ٥٠

۳۷ ـ ص ۵۱

۳۸ ـ ص ۱۰۳ ص ۱۰۶ ۳۹ ـ ص ۱۱۲

٤٠ _ ابن عيسى عقد الدور ص ٨٠ ص ٨٤ ص ٩٨ ص ٩٨ الزركلي المصدر السابق ج ١ ص ١٤٦

٤١ ـ ص ١٠٧

۲۶ ـ ص ۱۰۸

٤٣ _ الصفحة نفسها هامش

٤٤ ـ ابن عيسى تارخ بعض الحوادث ص ٣٦ ص ٤١

ه٤ ـ ص ١٠٩

٤٦ ـ ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٦٣

٤٧ ـ ص ١١٠

14 ـ مثیر العجلانی عهد عبدالله بن سعود بیروت ۱۳۹۲هـ ص ۱٤۲

٤٩ .. ص ١١٠

٥٠ ـ ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٧ ص ٢٩٨

۱۱ .. ص ۱۱۰

۲۵ ـ ص ۱۱۱

۵۳ ـ ص ۱۱۲

85 _ ابن بشر المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٠ ص ١٣٤

٥٥ _ ص ١١٢

۵۱ ـ ص ۱۱۲ ص ۱۱۳

٥٧ ـ اين عيسي عقد الدرر ص ٤٩ ص ٥١ ص ٥٢ ص ٧٠ ص

۵۰ ـ ص ۱۱۰ ۹۹ ـ س ۱۱۲ ۲۰ ـ ابن عيمي عقد الدر ص ۱۰۰ الزركلي المصدر السابق ج ۱ ص ۲۶ ص ۲۷ ۲۱ ـ ص ۱۱۲ ص ۱۱۷ ۲۲ ـ ابن عيمي عقد الدر ص ۱۰۲

۲۲ ـ ابن عيس عقد الدرر ص ۱۰۲ ۲۳ ـ تفس الصدر الصفحة نفسها

٦٤ ـ نفس المصدر ص ١٠٢ ص ١٠٣

٦٥ - ص ٢٦ ص ٣٣ ص ٣٥ ص ٣٠

. . . .

من بحوب الاعداد القادمه

- · وراسة للتبنيج الإسلامي المدهب في فيتقلبه د سنة الدم سنة العريز سلال
 - العقة المثاق للشيخ حداله بن نسام الدائمية السريعيات
- 🔾 الجار ميد. المديمة القديم أني التوكية حالياء 💎 عدد د يا محمود الحطيب
 - مدانه النصير الأمريكي في وادي النبل د حديد حديدي برهيو
 - ن رحله العبدري إلى الحجاز محمد محمد المهامي
 - O الاطار التابوس والساسي لمحلس البعاون الجليجي عرض كساب
 - د طه ميان نفر
- O البحر الأخمر وسعيه المرحاسة . . محمد حمد الرماني ، د احمد عنا البادر المهمدات
 -) الرزاعة في الهمة في العصر العباسي . د. عنا له محمد المنت
 - O فريد ، الفاو ، صوره للحصارة الغرسة قبل الاسلام : غرص كتاب ،
 - و الحمد حسن مرال
- ن على صفاف الغربية المدالة السارات ا
- حکم بنی امید خالد بن برید بن معاویه . علی عبد ابته اید ح



إعداد الأسفاذ الراهيم يوسف أحمد الشتلة



١ - ١ « حملات الرومان على الجزيرة العربية »

بدأت أطاع الرومان في الجزيرة العربية في نهاية القرن الأول قبل الميلاد أى في بداية العصر الامبراطورى ، وقت أن سيطرت روما على معظم دول وممالك الشرق ، بداية العصر الامبراطورى ، وقت أن سيطرت روما على معظم دول وممالك الشرق ، حتى أصبح اللبحر الأبيض المتوسط بحية رومانية وكان يطلق عليه بحر الرومان وكانت الامبراطورية الرومانية تضم أغنى مناطق أروبا الغربية والشهالية الغربية بين الغربية وجميع بلاد أوروبا الجنوبية ، وأنها كانت تضم جميع مناطق آسيا الغربية بين البحر الأسود ووادى الفرات شرقا والبحر الأبيض المتوسط وخليج السويس غربا ، كها كانت تضم في أفريقيا مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، وان أدركنا أن هذه المناطق غنية جدا بمحاصيلها الزراعية وثرواتها المعدنية ، وأن بعض تلك المناطق تحتل موقعا تجاريا محتازا ، فان تذكرنا كل ذلك قدرنا بصورة دقيقة أهمية الاقتصادي الروماني ومدى ما نعمت به الامبراطورية الرومانية من رخاء وازدهار اقتصادي لاسها في فترات السلم .

لقد حرصت السلطات المركزية الرومانية نشدانا منها لتأمين وصول جميع ما فرضته على الولايات من أجل استتباب الأمن وتوطيده على طرق المواصلات البرية والبحرية ، وتنفيذا لهذه الخطة المرسومة أقام الرومان حاميات من قوات الأمن في مراكز شتى على طول طرق المواصلات البرية .

كما ضاعفوا عدد تلك المراكز وعدد جنودها فى المناطق الجبلية الوعرة المسالك وفى المناطق الكثيرة الحراج ، أما خفر السواحل ومحاربة القرصنة فى البحار فقد كُلفت بها سفن الأسطول الروماني حرصا على سلامة المواصلات البحرية (١).

وبعد ان استولى الرومان على مصر ، وأصبحت تابعة لحكم الامبراطورية الرومانية شملتها تلك الخطة المرسومة من قبل السلطات المركزية الروسانية لاستتباب الأسن



وتوطيده ؛ فقد أمر الامبراطور الرومانى أوغسطس باصلاح ماكان قد فسد بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة التي حدثت في أيام البطالة (٣٣١ ـ ٣٣١ ـ ٣١ق.م) فأصلحت الطرق وطهرت القنوات ،وعنى بالتجارة البحرية وعياه البحر الأحمر التي غصت بلصوص البحر ، وأوعز إلى حاكم مصر ايليوس جالوس بغزو جزيرة العرب ؛ للاستيلاء عليها وعلى ثروتها العظيمة التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأقاويه . وللقضاء على لصوص البحر الذين كانوا يحتمون بسواحل الحجاز واليمن وللهيمنة على البحر ؛ وذلك لضيان مصالح الامبراطورية الرومانية في ذلك الجزء من العالم ، وجعل البحر الأحمر رومانيا (٢٠) . وأن يضعوا أيديهم على مصادر الثروة العربية (٢٠) .

وقد اهتمت الامبراطورية الرومانية كذلك بهذا الجزء من العالم لتأمين الخط التجارى الى الصومال والجزيرة العربية والهند بسبب استهلاكهم المتنزايد للطيوب والتوابل أو لاحتياطهم الاستراتيجي أمام التحدى الفارسي (٤).

ويذكر سترابو وبليى أن العرب تكاثروا في أيامهم « العصر الامبراطورى » على العدوة الغربية من البحر الأحمر ، حتى شغلوا مابينه وبين النيل في أعلى الصعيد ، وأصبح نصف سكان مصر منهم ، وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل ، وكان العرب في أيام أغسطس في بداية القرن الأول الميلادى قد دخلوا الحبشة وقلكوها ، وأوغلوا في بلاد النوبة ، واتفق في أثناء ذلك ارسال حملة رومانية لفتح بلاد العرب بقيادة ايليوس جالوس .

ومنذ أن دخلت مصر فى حوزة الرومان وهم يرسلون حملاتهم لرد هجهات العرب والعرب يهزمونهم (٥٠).

وخلاصة القول:إن دوافع الرومان لِغزو الجزيرة العربية مما سبق ذكره تتلخص في النقاط الآتية :

 ١ ـ تأمين طرق المواصلات البرية والبحرية في الشرق وبخاصة الى الصومال والجزيرة العربية والهند .



- ٢ ـ جعل البحر الأحمر بحرا رومانيا .
- ٣ _ تأمين استراتيجيتهم أمام التحدى الفارسي .
- ٤ _ رد هجهات العرب وتدفقهم على مصر وبلاد النوبة والحبشة .
 - ٥ _ وضع أيديهم على مصادر الثروة العربية .

حملة ايليوس جالوس عام ٢٤ ق .م:

إن الأمل المنشود لدى العديد من علماء التاريخ والآثار هو العثور على بقايا مراكز الجيش الروماني ومخلفاتهم ، لتكون أهم الوثائق التاريخية التي يمكن بها إلقاء الضوء على فترة من أهم فترات التاريخ القديم ، وأن الهدف من هذه الدراسة البحث والتنقيب عن المخلفات الحربية ومعدات القتال التي اشتهرت بها جيوش روما من رماح وسهام وسيوف وأقواس وملابس عسكرية وخوذات بالاضافة إلى بقايا معسكراتهم التي أقاموا بها خلال فترات تجوالهم وإقامتهم .

وكذلك يمكن العثور على بقايا رسائل الجنود إلى ذويهم فى روما على أوراق البردى يمكن أن تحتفظ بها رمال المملكة العربية السعودية وكذلك النقود الرومانية التى أنوا بها وبعض رسائل القادة الى الامبراطور الرومانى وبقايا كتابات سترابو الذى رافق الحملة .

كل هذه الأدلة الأثرية تحتفظ بها رمال الجزيرة العربية في انتظار معـاول البحـث والتنقيب.

ولاننكر فضل الرومان في ترك اللوحات الحجرية المنقوشة التي يقيمونها في أماكن معسكراتهم ، لتكون من أهم مصادر التاريخ .

ذكر فورستر فى كتابه «الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية» أن هذه الحملة خطط لها الامبراطور الرومانى أوغسطس فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد^(١).

وذلك بعد وعد تلقاه من صديقه ملك الأنباط عيادة بالتعاون معه (٧).



وقد نفذ ذلك القائد الروماني ايليوس جالوس الذي كان واليا على مصر وقتذاك . وقد صحبه في هذه الحملة الكاتب الروماني سترابو الذي سجلها في كتابه (الجغرافيا) (٨) . وقد صحبه في هذه الحملة الكاتب الروماني ستينة حربية وذلك قبل التأكد من أن العدو لايملك أسطولا حربيا، واكمل ١٣٠ سفينة حربية ، وقد خسر الرومان عدة سفن في البحر الأحمر نتيجة جهل المرشدين (١) .

ذكر فورستر أن الحملة أبحرت من ميناء كليوباتريس على خليج السويس على ظهر أسطول حربى .

وبعد رحلة استغرقت خمسة عشر يوما وصلت الحملة الى الساحل الغربي للبحر الأحمر للجزيرة العربية .

وكان جالوس على رأس جيش يتكون من حوالى ألف مقاتل رومانى ، وألف مقاتل من الانباط، وخمسائة من اليهود (١٠٠) . أرسلهم الحاكم الرومانى هيرود (١١) .

وذكر فورستر أنهم نزلوا فى ميناء لوكا كوما (١٢). وتقع لوكاكوما على ساحل البحر الأحمر على حدود مملكة الأنباط التى كان يحكمها الملك عباده الذى كان حليفا للرومان وقتذاك. وقد أجبر لقضاء بقية فصل الصيف الشديد الحرارة وفصل الشتاء فى المناء (١٣).

ثم دخلت قوات الرومان الى قلب الجزيرة العربية فى بداية فصل الربيع عام ٢٤ ق ،م جهة الشرق عبر الصحراء والمناطق الخصبة ، وكان مرشدهم فى هذا السير هو الوزير النبطى سيلايوس بعد اتصال جاليوس بملك الأنباط عباده (١٤) الذى لم يمد ايليوس جالوس بأية معونات ومساعدات سوى الحبوب والبلح والزيد (١٥) .

وذكر سترابو أنهم وصلوا مارسيابا عاصمة الريمانيين ، وهم مجاورون لمملكة الأنباط ، وكان جالوس قد وصل الى مرحلة كبيرة من الفشل لحاجة قواته الى الامدادات بالاضافة الى ما أصابهم من أمراض .



ومن الملاحظ أن معظم الأماكن التى ذكرها سترابو فى كتاباته عن الجزيرة العربية لا يمكن تحديدها بدقة ومعرفة أماكنها الحالية ، والنتائج فى هذا الموضوع لدى علماء التاريخ والآثار والدراسات الشرقية القديمة كلها تقوم على الاجتهادات؛ لحين مواصلة إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية المسح الأثرى الشامل للساحل العربى للبحر الأحمر والطرق الرئيسية داخل المملكة، وإجراء التنقيبات والحفائر العلمية التى سوف تعطينا نتائج علمية تفطى جوانب عديدة. فى تلك النقاط.

وقد حاول السير لورانس كيروان فى الندوة العالمية الثانية لتاريخ الجزيرة العربية بكلية الآداب جامعة الرياض عام ١٣٩٩ هـ. القاء الضوء على ميناء لوكاكوما من خلال بحثه بعنوان « أين يبحث عن ميناء لوكا كوما ».

فذكر أن لوكا كوما ميناء يقع على ساحل شبة الجزيرة الغربى، وهى الميناء التي رست عندها سفن ايليوس جالوس وهى في طريقها الى جنوب غرب بلاد العرب قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، وكانت تقع عند نهاية الطرف الشهالي للطريق التجاري .

وكانت المدينة تتاجر مع البتراء ، ومع ميناء ميوس هرموس المصرى عبر البحر الأحمر كما ورد ذكر اسم لوكا كوما في نقش عدول بأثيربيا « وهو نقش يوناني على كرسي عرش كان قد نسخه كوزماس أنديكو بليوسيتس في عدول بأثيوبيا عام ٥١٨ه (١١).

ولقد اتفق أكثر العلماء على أن **لوكا كوما ه**ى موضع ميناء الحوراء،كها تعرف آخرون عليها فى موضع ميناء ينبع ، ومهها كان الأمر فان المصادر اليونانية واللاتينية تقودنا الى الاستنتاج التالى :

وهو وجوب البحث عن ميناء لوكا كوما فى منطقة أكثر بعدا الى الشهال وبخاصة وأن الاعتبارات الجغرافية تدعم ذلك ، وهذا البحث الذى قدمه السير لورانس كيروان يقترح تحديدا مكانيا جديدا بالنسبة للوكا كوما، وكذلك بالنسبة للميناء النبطى اجرا الذى ذكره سترابو.



ويبدوأن ساحل البحر الأحمر كان يتمتع بعدد كبير من المرافئ البحرية الهامة ؛ حيث كانت حركة التجارة في القرن الاول قبل الميلاد قد وصلت الى ذروتها ، بعد أن أصبح للأنباط قوة كبيرة سيطرت على شال الجزيرة العربية ، وشيدت الحصون العسكرية مأهمها حصن عبودا في صحراء النقب . (١٧)

وكذلك لتأمين طرق التجارة التي تحكموا فيها لوقت طويل .

وأستطيع القول بأن مرافئ دولة الأنباط العديدة مازالت بقاياها على الساحل الغربي للبحر الأحمر .

ذكر سترابو أن الحملة استغرقت ستة أشهر داخل الجزيرة العربية، وشهران عند العودة وسلك الطريق من لوكا كوما عبر الصحراء مارا بالمدينة المنورة حتى القصيم حتى وصل الى قلب بلاد نجد وعاد في اتجاه الجنوب حتى مدينة نجران عن طريق من أشهر الطرق التى تربط بين نجد والجنوب.

واصل سترابو وصفه لسير الحملة وذكر أن سيلايوس أرشدهم للسير في طرق دائرية . وأحيانا سلكوا طرقاً وعرة عبر الأقاليم الصحراوية .

وكان هدف سيلايوس من السير بالحملة على هذه الطرق ، ليس لإرشاد جالوس داخل الجزيرة : لكن للاتصال برؤساء المدن الواقعة بها لكسب ولائها الى مملكتة وليكون سيدا عليها (۱۸).

ولم تكن مصادر المياه وفيرة في هذه الطرق ؛ الأمر الذي جعل الرومان يعتمدون على مالديهم من مياه في «القرب» المحمولة على ظهور الجهال .

وعبر هذه الطرق الوعرة، وبعد سير شاق وصل الرومان الى منطقة حيث الأراضى الخصبة المزروعة بالقمح والذرة والنخيل . وهى أخصب أراضى نجد وهى منطقة القصيم . بعد ذلك وخلال سير على مدى خمسين يوما وصل الرومان الى مدينة « نجران » وهى مدينة تقع فى مكان آمن ومنطقة خصبة وسقط ملكها (١١٦) .



وذكر فورستر بالاضافة الى ماذكره سترابو أيضا ماكتبه بلينى فى كتاب التاريخ الطبيعى : أن جالوس دمر عدداً من المدن التى لم يذكرها كتاب من قبل وهى ، نجران ، أمنيستوس ، نيسيا ، ماجنوسا ، ناماكوس ، لابيشيا ، ماريابا وكذلك كاربيتيا (٢٠)

وقد وصلت قوات جالوس حتى مدينة ماريابا وذكر سترابو أن اليزار وس دافع عن ماريابا ضد قوات جالوس ، وذكر المينيين وأن أراضيهم خصبة وأشجارهم وثرواتهم عديدة وتحدث عن حاكم نجران الذى هرب ، ولكن ملك المعينيين لم يهرب ، وعندما وصل جالوس الى مأرب واجهه اليزاروس وتصدى له .

ذكر د . جواد على في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام عن بعض أسباء المدن التى ذكرها بلينى بالجزيرة العربية ان نجرا هى نجران الحالية اما اسكا أونسكا فمدينة « نشق» وتعرف اليوم بـ «البيضاء» أما ماجوسا فيرى جلاسر أنها قريبة من مجزر وهو موضع يقع جنوب «البيضاء » أو مجزع أو مجزأة . اما جروهان فيرى أنها قرية مجزرة معروفة حتى هذا اليوم وهى في موضع ذى مياه ، وقد كان مأهولا ومازال ؛ لذلك رأى أنه ذلك المكان الذي قصده بليني .

أما كاميناكوم فهو قريب من كمنه أو كمنهو الواردة فى المسند ، « وكمنا » فى الزمن الحاضر ويقع شرق البيضاء وشيال شرقى كاربيتا .

أما كاربينا . فيرى جلاسر ، أن هذه التسمية قريبة من « خربة » العربية وأن بلينى الذى أوردها إنما أراد إحدى المدن التي كانت خربة في ذلك العهد ، ويذهب فيلبى الى هذا الرأى أيضا ويرى اعتمال كون كارببتيا موضع « خربة سعود » .

ويرى شبرنجر أن لابشيا هى «لقبق» أما «جلاسر » فيرى أنها «لوق» وهى موضع خربة فى « شحاط » عند جبل قدم على مسيرة ساعتين من شال شرق معين أوقاع « لبة » غرب البيضاء.



أما نستم هى نستم أو « وادى وسط » الواقع بين الحنب والجوف أو وادى وسط أونشآن أو نشن المدينة المعينية القديمة .

وماريابا أوماريفا إنما هي ماريبا لدى سترابون أى مأرب فى رأى بعض الباحثين . أما جلاسر فيرى أن الرومان لم يتمكنوا من الوصول الى مأرب ، وأن مارسيابا أو ماريفا أو ماريابا لايقصد بها مأرب عاصمة سبأ ، كها ذكر سترابون أنها عاصمة شعب يعرف باسم الريانيين .

كها يحكمه ملك يسمى اليزاروس وفى ذلك دليل على أنها مأرب أخرى ، لا مأرب السيئمن .

ويواصل د . جواد على تعليقه على ذلك فيقول : وكها ذكرت من قبل أن هذه الاجتهادات في حاجة الى الأدلة الأثرية التي تسعى اليها إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة للحصول عليها خلال عمليات المسح الأثرى والحفائر.

أكمل فورستر في وصفه للحملة عند عودتها أنهم سلكوا طرقا أخرى أقصر ؛ وفرت عليهم بعض الزمن ، مروا بنجران ومنها إلى الآبار السبعة «العيون السبعة» وهي الحصبه: وهو موضع يقع على مسافة ١٥٠ ميلا الى الغرب من نجران ومنه الى موضع خالا ، وهو خولان في بلد خولان ومنه الى مالوثا وهو مدينة تقع على نهر وادى (ضنكان) وهو واد في أسافل السراة يصب في البحر وهو من مخاليف اليمن .

ويرى البعض أن جالوس أبحر إلى مصر مع من بقى حيا من الرومان (٢١) .

رأى آخر ذكره د . جواد على فى نفس المرجع أن جالوس تراجع على طريق أثلولا « اترله » إلى نجران سالكا وادى مذاب ثم « وادى دماج » .

أما الآبار السبعة التي ذكرها سترابون،فتقع في رأى جلاسر في عسير ، وأما موضع خالا ، فهو (كهالة) أو (حواله) ومنه الى مالوثا الواقعة على نهر ، لعله (وادى بيشه) الى موضع قفر أوصلهم الى نهامة عسير فالحجاز فمدينة اجرا حيث أبحر منها الى مصر .

ويذكر د . جواد على أن ما ذكره عن تشخيص هذه المواضع التي ذكرها سترابون



وبليني إنما هي مجرد آراء . لعدم وجود كتابات أو أدلة ترشدنا الى تعيين تلك المسميات على وجه مقنع صحيح (٢٧) .

ويذكر د . جواد على في نفس المرجع أن مدينة أثلولا هي مدينة «يشل» على رأى بعض الباحثين الذين يرون أن الرومان حرفوا الاسم العربي حتى صيروه على الشكل المذكور ليستقيم بذلك مع لسانهم (۱۲۳) .

وقد قدم الأستاذ الدكتورج. و. باورسك بحثا بعنوان: (نقش براقش الجديد المكتوب بلغتين). في الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ وآثار الجزيرة العربية بكلية الآداب _ جامعة الرياض عام ٩٩هـ وأوضح فيه:

أنه قد تم نشر نص على بضع قطع حجرية عثر عليه فى براقش فى شيال شرق صنعاء داخل الجوف فى اليمن مكتوب باللغتين اليونانية واللاتينية ، عثر عليه أحد رجال قبائل بنى أشرف ، والنص يتصل بجندى من الغرب يدعى «بوبليوس كورنيليوس» .

وحاول الدكتور باورسك تفسير ذلك النص على أسس تاريخية : فبلدة براقش هى « يثل المعينية » وأغلب الظن «أثلولا الرومانية» أى التى ذكرت فى كتابات الرومان عن حملة ايليوس جالوس وهى تحتل موقعا ممتازا اذا ما عسكرت به إحدى الحاميات إذ يسهل عليها السيطرة على الاقاليم .

وقد أقامت قوات ايليوس جالوس معسكرا هناك قبل أن تعود من حصارها الفاشل فى الجنوب ، ووجود ذلك المعسكر يعطينا تفسيرا لهذا الظهور الممتاز على شاهد قبر خاص بجندى رومانى .

وقد فشلت حملة ايليوس جالوس بسبب عدم دراسة طبيعة الجزيرة العربية دراسة وافية لأرضها ومناخها ، بالاضافة الى خيانة الوزير النبطى سيلايوس ؛ حيث أنه كان من المستحيل الاعتقاد بأن الأنباط يرحبون بنفوذ الرومان في بلادهم . وليس من مصلحتهم نجاح الحملة ؛ حيث ستكون نهاية لسيطرتهم على طرق التجارة .



وبلاشك قد أثرت هذه الحملة على نفوس العرب الذين لم يعرفوا الغزو لبلادهم من قبل .

ولعل الخبرات التي نالها الرومان بعد فشل ايليوس مجالوس قد وضعت نهاية للفكرة التي كانت تراود أباطرة روما في غزو الجزيرة العربية (٢٤) .

حملة الامبراطور تراجان ١٠٦م :

كان المقصود من هذه الحملة هو القضاء على دولة الأنباط والسيطرة على بلاد العرب وتشمل شهال المملكة العربية السعودية ؛ حيث لم يستطع تراجان المغامرة بجبوشه داخل الجزيرة العربية خشية الفشل الذريع الذي اصاب الميوس جالوس .

وكان الأنباط قد كونوا مملكة شاسعة قوية واستطاعوا السيطرة على طرق النجارة عبر شهال ووسط الجزيرة العربية .

وعندما بدأ الضعف يظهر على الدولة السلوقية في بلاد الشام اغتنم هذه الفرصة الأنباط، وأغاروا على أطراف الدولة السلوقية، وفي عهد الحارث الثالث النبطي ٨٧ - ٢٣ ق. م بلغت الدولة النبطية أقصى اتساعها ، فقد احتل هذا الملك دمشق حوالى عام ٨٥ ق.م ولقب باسم محب اليونان وفي نفس العام تمكن الحارث من ضم كثير من البلاد السورية إلى أملاكه.

وفى عهده زحف القائد الرومانى بومبى عام ٦٤ ق.م على سورية وخضعت له المدن السورية الواحدة تلو الأخرى ، وقضى على حكم السلوقيين نهائيا ، ووصل دمشق فاصطدم بالأنباط فغلبهم ، ثم سار الى البتراء وفتحها وجعلها ولابة رومانية ، وعندما شعر الأنباط بقوة بومبى وبخطر القوات الرومانية تعهدوا بأن يقدموا للدولة الرومانية جندا يساعدونها فى حروبها، وبدفع جزية سنوية الى الرومان مقابل بقاء مملكتهم حرة مستقلة تحت النفوذ الرومانى، وعرفت مملكة الانباط بعد ذلك باسم فلسطين أو مملكة فلسطين المسالمة .



ولكن خضوعهم للرومان وقبولهم لهذه الشروط لم يكن سوى واسطة للخلاص من أذاهم ، فانهم لم يكونوا مخلصين في ولائهم للمحتل ، وكانوا يغتنمون كل فرصة للانقضاض على السلطة الرومانية ، وكانت المواقع تتحدد غالبا بين الطرفين ، بالرغم من أن النصر كان بجانب الرومان في أغلب الأحيان ، ولما رأى الرومان استحالة الإبقاء على الصداقة بينهم وبين الأنباط قرروا القضاء عليهم مهما كلفهم ذلك من جهد ، فحمل عليهم حاكم الشام الروماني (كورنيليوس) حملة عنيفة واستولى على العاصمة (البتراء) وقضى على استقلال الأنباط ولكنهم ثاروا من جديد في سبيل الاستقلال فحمل عليهم الامبراطور الروماني تراجان في العام التالى ١٠٦٦م حملة بددت شملهم وقضت على دولتهم نهائها (٢٠٥) .

وقد كون تراجان مايسمى بالمقاطعة العربية وأحدث تغييرات مهمة فى الادارة وفى طرق المواصلات وأصول الجباية : فأنشأ طريقا مهمة من «أيلة» على رأس خلبج العقبة مارة بالبتراء فبصرى الى دمشق .

وصارت بصرى محطة مهمة جدا للقوافل القادمة من اليمن والحجاز، وقوى الاسطول الروماني وأمده بسفن أحدث، وذلك لمقاومة لصوص البحر وللسير بحرية في البحر الأحمر ولاحتكار التجارة البحرية (٢٦).

وهكذا سعى الامبراطور تراجان الى السيطرة على موانئ الجزيرة العربية على البحر الأحمر، وذلك لضان التحكم في تجارتها البحرية وللحصول على البخور الذي كان يعتبر رأس بضائع العالم الثمينة المطلوبة في ذلك العهد، وكان سعره يساوى سعر الذهب، ولم يكن يشتريه لغلائه هذا الارجال الدين؛ لاستعاله في الشعائر الدينية التي تستنزف القسم الاكبر منه، والملوك، والأثرياء وذلك لحرقه في المناسبات الدينية وفي اجتاعاتهم،

حملة سبتيموس سافير وس ٢٠١م :

إن أخر مايقال عن تدخل الرومان في شئون جزيرة العرب هو ان القيصر سيبتموس



ساقيروس أرسل حملة عسكرية في عام ٢٠٠١م توغلت في (العربية السعيدة) غير ان معارفنا عنها قليلة ، فلا نعلم الى أين وصلت وكيف انتهت ، ولعلها كانت قد تقدمت من المقاطعة الجديدة التي أوجدها الامبراطور الروماني تراجان على حطام مملكة الانباط.

وكان الذى قاد الحملة العسكرية على العربية السعيدة ابين القيصر سبتيمرس ساقيروس وقد اشتهر فيها ، غير ان معارفنا عنها لاتزال قليلة ، وقد وردت أخبار هذه الحملة في موارد لم تشر الى اسم القيصر الذى أمر بارسال هذه الحملة إلى العربية السعيدة ، إذ اكتفت بذكر لفظة قيصر (۲۷) ، ويظهر منها أن جيوش القيصر أنزلت خسائر فادحة، أولا بالعرب الساكنين في البادية، وقد دعتهم تلك الموارد بسكان الخيام ، ويراد بهم الاعراب . تم سارت تلك الجيوش حتى بلغت العربية السعيدة ولا نعلم الى أى مدى وصل اليه القيصر أو ابنه في هذه الغزوات (۲۸) .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الحاكم الروماني كراكلا الذى خلف والده سبيتموس ساقير وس في الحكم هو الذى قاد الجيش الروماني الذى زحف على العرب الساكنين في أعالى (العربية السعيدة).

ويرون أن الرومان لم يتوغلوا بعيدا فى جزيرة العرب وربما كان أقصى مابلغوه ديار ثمود (٢٩) .

الصراع النهائي بين الرومان والعرب:

بعد تقسيم الامبراطورية الرومانية تقسيا نهائيا بعين ابناء الامبراطور الرومانى ثيودوسيوس فى القرن الرابع الميلادى انتشرت فى الولايات الرومانية جماعات من البرابرة قضت على امبراطورية روما قضاء مبرما ، وكان ضعف القسطنطينية يختفى وراء اتساع عمتلكاتها ، فلم تنتهك حدودها أو على الأقل لم تمس ، وقد اتسعت مملكة الامبراطور



جستنيان فى القرن السادس الميلادى بضم افريقيا وايطاليا، وهذا عمل باهر ، ولكن قلّك هذه الفتوحات الجديدة كان مؤقتا غير دائم ، إذ انتزعت جيوش العرب حوالى نصف الامبراطورية الشرقية ، وفتح الخلفاء الراشدون الشام ومصر وغزت قواتهم الولايات الروبانية (٣٠) .

خالد بن الوليد وهزيمة الرومان في اليرموك :

اجتمع للرومان باليرموك مائتان وأربعون ألفا من المحاربين ، وكان للمسلمين أربعون ألفا في جيوشهم جميعا .

كان لكل من هذه الجيوش استقلاله وانفصاله عن سواه، حتى كان لكل جيش أذانه وصلاته ، فكان أول أعال خالد أن اعترض على ذلك في اجتاع لأمرائها، واتفقوا على توحيدها ، ثم أجرى عملية تنظيم سريع لجيشه فقسمه الى ثبانية وثلاثين قسها، جعل ثبانية عشر منها في القلب يقودها أبو عبيدة بن الجراح ، وعشرة في الميمنة يقودها عمرو بن العاص ، وعشرة في الميسرة يقودها يزيد بن أبى سفيان ، كما جعل للجيش مقدمة عليه قبات بن أعشم .

وأمر قائد الرومان جيشه ببدء القتال فهجموا هجوما عنيفا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقفهم وبلغوا فسطاط خالد بفرسانهم ، بينا كانت مشاتهم مازالت في الخلف تحاول أن تلحق بالفرسان المتقدمة . ووجد خالد فرصته لتحويل نصر الرومان الى هزية ، فأدخل قواته بين فرسان الرومان ومشاتهم ، وأفسح لتلك الفرسان طريقا خلال صفوف المسلمين ، فأخرجهم من خلفهم بينا شد على المشاة الرومان الذين صاروا بدون فرسان فردهم ، واستمر يزيحهم حتى ألقى بهم من شاهق في خور اليرموك العميق .

وفر قائد الرومان ، وقتل من الرومان مائة الف على الاقل ، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف . ووصلت أخبار الهزيمة الى الحاكم الروماني هرقل وهو في حمص فخرج منها وهو يقول : سلام عليك ياسوريا ، سلاما لا لقاء بعده (٢١) .



عمرو بن العاص وهزيمة الرومان في مصر:

بينها كان عمر فى الشام ، بعد دخوله مدينة ببت المقدس ؛ تشاور عمر مع عمرو بن العاص بشأن تحرير مصر من الحكم البيزنطى وحماية الشام والجزيرة العربية من هجوم بيزنطى ، ثم أرسله على رأس قوة مؤلفة من اربعة آلاف رجل الى مصر وأمده فيا بعد بثهانية الاف آخرين ، وكتب الله لعمرو النصر ، فتغلب على التوالى على التحصينات الروانية : (حصن الفرما _ حصن بلبيس _ حصن أم دنين _ حصن بابليون) .

ثم حاصر عمرو الاسكندرية عاصمة مصر عدة أشهر وتم له التغلب على قواتها البرية والبحرية ، ووقع صلحا مع المقوقس حاكم مصر الرومانى فى المدينة، وفيه وافق عمرو على انسحاب الرومان من المدينة ومغادرتهم أرض مصر مقابل تعهد الحاكم الرومانى ألا يحاول البيزنطيون استرداد مصر ثانية ، وبذلك اصبحت جزيرة العرب محمية من الشهال ؛ إذ انضم اليها عرب الهلال الخصيب ، وانسحب الرومان البيزنطيون من الشام ومصر ، وأصبح البحر الأحمر بحرا عربيا (٢٣) .

وخلاصة القول: إن جيوش الاسلام التي خرجت من الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي استطاعت ان تضع نهاية للنفوذ الروماني وأن تنقذ الشام ومصر من هذا الخطر الذي كان جاثها عليها وأن تحطم أحلامهم الى الأبد .. تلك الاحلام التي طالما روادت أباطرة الرومان في غزو الجزيرة العربية .

00000



🛥 الهوامش 🖿

(١)نور ألدين حاطوم ومجموعة : موجز تاريخ الحضارة ص : ٥٩٩ ـ ٦٠٠

(٢) د . جواد على المراجع السابق ص : ٤٣

(٣) انور الرفاعي : تاريخ العرب والاسلام ص : طا

(٤) د . لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق .

۲۳۱ ، ۲۳۰ نالرجع السابق ص: ۲۳۰ ، ۲۳۰ ، ۲۳۰ کا جورجی زیدان : المرجع السابق ص: ۲۳۰ ، ۲۳۰ ، ۲۳۰ کا Ch. Forster. Historical Geography Of Arabia, P. 277

The Cambridge Ancient History, 5, P. 141/2% (V)

Ch. Forster, Op. Cit. P. 279 (A)

The Cambridge, Op. Cit. P. ¼ (4) Ch. Forster, Op. Cit, P. 280 (1)

The Cambridge, Op. Cit, P. 250 (\\)

Ch. Forster, Op. Cit. P. 280 (\Y)

The cambridge, Op. Cit. P. 250 (\T)

Ch. Forster, Op. Cit, P. 281 (\£)

The Cambridge, Op. Cit, P. 251 (10)

الريمانيون : ريمان قبيلة عربية ورد اسمها فى عدد من كتابات المسند ، وقيل من أقيال هذه القبيلة كان هو المدافع عن مأرب وظن الرومان أنهير أهل مأرب .

د . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٦٥

(١٩) السير لورنس كيروان : بحث (خليفة من الجزيرة العربية لبعض نقوش كوزماس في عدولية بأثيوبي ، الندرة
 العالمية الأولى لدراسات تاريخ وأثار الجزيرة العربية عام ٩٧ هـ . كلية الأداب _ جامعة الرياض .

New Atlas Of The Bible, P. 143 (\V)

Ch. Forster, Op Cit., P. 312 (\A)

F.,R. Stiehl, Op. Cit., 2 P P. 1/4 % (11)

The Cambridge, Op. Cit., P. 252 (YE)

Ch Forster, Op. Cit., 309 (Y-)

(۲۱) د . جواد على المرجع السابق ص : ۵۷

(۲۲) د . جواد على المرجع السابق ص : ۵۷

(۲۳) د . جواد على المرجع السابق ص : ۷۷

(٢٥) أنور الرفاعي : تاريخ العرب والاسلام ص : ١١٨

(۲۹) د . چواد على : المرجع السابق ص : ٥٥

(٢٧) لفظة قيصر : هي أحد ألقاب أباطرة الرومان نسبة الى يوليوس قيصر .

(۲۸) د جواد علی : السابق ص : ۳۷

(۲۹) د . جواد على : المرجع السابق ص : ٦٧

(٣٠) أجيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانيه وسقوطها ج٣ ص : ٩٩

(٣١) اع . كيال : الطريق الى المدائن ص : ٣٥ ـ ٣٦
 (٣٢) أنور الرفاعي : المرجع السابق ص : ٩٤

١١٦ ــ الدارة

المجمئع العِلمي اللغوي

صيح جديدمن صروح العلم والمعرفة وتتويج للحركة الأدبية والفكريّ فى بلادنا



هذه الأرض بكنوز فكرية وثقافية وتراثية ، عمل عدد من الباحثين والدارسين على إحيائها لتكون نورا ساطعا ونبراسا لطلاب المعرفة ، وإذا كانت اللغة

هَى وعاء الفَّكر فقد رفع الله هذه اللغة العربية فاكتسبت قوتها بنزول القرآن الكريم بها ..

فهذه البلاد كانت منبت الشعر والأدب واللغة والبيان والفصاحة وغير ذلك من أمجاد القول والكلمة والإبداع إلى جانب ما خصها الله من مزايا ، فهى مهبط الوحى وبها الكعبة المشرفة ومنها انطلقت الرسالة المحمدية . ولقد حمل أبناء هذه البلاد منذ ظهور الإسلام مشاعل الحضارة الإسلامية فملنوا العالم علما ومعرفة ومدنية وحضارة ..

وإن تأسيس مجمع علمى لغوى لهو بادرة طيبة ويدل دلالة واضحة على الاهتام بأهم ما يجب أن نعتز به ؛ ألا وهى اللغة العربية ذات الجهال والثراء اللغوى الغزيريفهذا المجمع صرح من صروح العلم والمعرفة سوف يسهم في إثراء لغتنا ويحفظها من كل دخيل وغريب وعربه مل مقاومة الغزو اللغوى ووسائل الهدم المغرضة .. وتخليص اللغة من تسلط الغزو الثقافي المتواصل .. فهذه اللغة التي أعزها الله بالإسلام قادرة على استيعاب جميع ألفاظ المدنية الحديثة ومصطلحات وعلوم التقنية العصرية .. إلى جانب ما تمتاز به من محيزات خاصسة لا ترجد في كثير من اللغات الأخرى . ومن هذا المنطلق فأن تأسيس المجمع اللغوى في هذه البلاد سوف يحقق أمورا كثيرة ويخدم اللغة العربية والباحثين والدارسين والمهتمين باللغة وآدايا وعلومها ..

كما بعمل على العودة إلى أصالة الكلمة والمحافظة على دلالانها والابتعاد بها عن نيار التغريب وموجة العامية وربط ماضى لغتنا المجيد بحاضرها وتحقيق الأهداف المثلى فى مضيار العالم ومجال الأدب والفكر .. وننشيط البحث والتأليف فى آداب اللغة وتاريخها والآثار العلمية لعلماء اللغه واستنهاض الهمم وبث الروح الغلمية ..

إن الهدف من إنشاء المجامع اللغوية العلمية هو المحافظة على سلامة اللغة ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات العصر ، ودراسة علاقات الشعوب الإسلامية ، ونشر الثقافة العربية ، وحفظ المخطوطات واحيائها ،وتشجيع الترجمة والتأليف ..

ويدور انتاج المجامع العلمية بوجه عام حول القضايا التالية :

(١) تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف , وما يتصل باللغة وأوضاعها العامة , والترجمة والتعريب وكتابة الأعلام الأجنبية , وطريقة وضع المعاجم والمصطلحات , وتيسير النحو والصرف

والكتابة والإملاء .

- (٢) توفير المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية .
- (٣) تهذيب المعجمات اللغوية . ووضع معجم شامل يعرض لتطور اللغة في عصورها المختلفة .

- (٤) تشجيع الانتاج الأدبي ، باعلان المسابقات الأدبية .
 - (٥) إحياء التراث القديم .
 - (٦) إنشاء مجلة تصدر باسمه .
- (٧) إصدار (كتاب سنوى) يضم مجموعة من البحوث والمحاضرات ، وما يدور حولها من جدل ومناقشات .

وعلى العموم فمجامع اللغة العربية تقوم على الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وتشجيع الانتاج الأدبى ، ووضع المصطلحات العلمية ، وتيسير اللغة ، ووضع بعض المعجمات اللغوية مثل « المعجم الوسيط» ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم ألفاظ الحضارة .

والذى أود أن أومى اليه أن ترتبط المجامع بالناطقين بالضاد في مختلف البلاد العربية بحيث يكون هناك تفاعل وامتزاج لتحقيق الأهداف التي ننشدها ، إذ الغرض من انشاء المجامع كها هو معروف ؛ أن يجعل اللغة وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في المصر الحاضر مواجهة لهذا التقدم العلمي والنشاط الحضاري الذي تشهده اليوم ..

والذى أود أن أشير إليه ألا تبقى نشاطات المجامع اللغوية حبيسة بين أضابيره وسجلاته بل نريد بعد إقراره للمصطلحات العلمية واللغوية فى الطب وعلوم الأحياء والكيمياء والتاريخ والاقتصاد والآداب وأسهاء المخترعات الحديثة أن ينشر تلك الألفاظ والمصطلحات بمختلف وسائل النشر والإعلام ..

اننا نريد من المجمع أن ينشر ما اتفق عليه أعضاؤه وما اصطلح عليه العلماء والمختصون من تعريب لألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية ويوضح كل مصطلح بشرح موجز...

إن الكثير من عبارات الدعابة بين الأدباء صارت تطلق على بعض نشاط المجامع ، وما قول : « شاطر ومشطور وبينهما كامخ » وغير ذلك إلا واحدة من نكات الأدباء التي لا تخلو من متعة وطرافة ، أو بالأصح من النقد الموجه إلى المجامع اللغوية ومن المعروف أن مجامع اللغة قد عقدت عشرات الدورات ، وتضم محاضرها آلاف المصطلحات مما يعتبر ثروة لغوية هائلة ..

ولذا فاننا نطلب من أمناء هذه المجامع أن يعجلوا في نشر تلك المصطلحات والتغلب على

الصعاب التى تصادف نشرها ليتم تداول تلك الألفاظ والمسميات في حينها مع ملاحظة أن تكون متمشية مع روح السهولة والتيسير والبعد عن أسلوب التقعر والتكلف الذى لا طائل تحته ولا حاجة إليه ، وبذلك تثبت المجامع اللغوية قدرتها وتفاعلها وتضيف دليلا على مدى مسايرتها للمجتمع وروح العصر ومقتضيات الحياة والتطور بدون تفريط أو غلو.

كذلك أود أن أشير إلى أهمية وضع معجم تاريخى للغة العربية ؛ بحيث يستمل على تاريخ بعض الكلبات والمصطلحات وتغيير مدلولاتها . إننا نريد لمجامع اللغة العربية الحياة والانتعاش بدلا من الجمود والعقم .. فتعمل على احياء تراث الحضارة الإسلامية وما تفيض به من كتب ومخطوطات وعلوم ومعارف وتشجيع حركة النشر والتأليف، وكل ما يزيد في ثروتنا اللغوية والثقافية ، وتخليص اللغة العربية من شوائب العجمة والابتذال ؛ فاللغة تفتقر اليوم إلى سرعة وضع المصطلحات اللغوية . الحديثة ولغة القرآن الكريم قادرة على التعبير عن المعانى الحديثة .

إن الكثير من دور النشر والصحافة أصبحت تتساهل في بعض القواعد النحوية وكثرت الألفاظ الدخينة من قبل دور الترجمة عند نقل الآداب الأجنبية مع أن أسلافنا رحمهم الله من علماء النحو لم يدخروا وسعا ، وبذلوا جهدا عظها في توضيح قواعد اللغة وما هو شاذ وغريب ونادر بخطق واضح ودقيق وبقى دور بجامع اللغة في تبسيط تلك القواعد للناشئين للحفاظ على صحة النطق والكتابة والتراكيب .. ولا أريد أن أسترسل في ذلك ؛ فإن بجامع اللغة تضم بين جنباتها رجالا أفذاذا يتازون بملكات ومواهب العلماء وببصرون مشكلات اللغة وصعوباتها .. وأكرر ما قلته آنفا إن المكلهات والمصطلحات حينا تكون حبيسة في الأضابير ، فانها نظل جامدة ولن تدب فيها الحياة إلا بنشرها وشيوعها واستعالها وتأدية المعني المقصود منها ..

وبعد ... فإن رسالة المجمع اللغوى أن يحفظ على اللغة شبابها وازدهارها ووفاءها بحاجات العصر ومستحدثاته . ان الكثير من العلهاء والأدباء يتطلعبون إلى مجامع اللغة لتمدهم بالمصطلحات والألفاظ التي تم تعريبها لدحض تهمة أعداء اللغة الذين يرمونها بالعجز عن متابعة النطور العلمي الحديث .. ومجمل القول كم نحن سعداء بهذا المجمع الذي سيؤدي إلى المحافظة على اللغة وتطورها ..

وأسأل الله تعالى أن يسدد خطى الجميع في خدمة لغتنا العربية الجليلة .



كثيراً السمع تترجم في الشعور الإنساني الى الانتصار الساحق أو الغلبة الحربية في المحكم طاحنة ، أو خذلان الباطل بلون من القوة والسيطرة . ولا يكلف الانسان نفسه التفتش عن المعنى الجديد للبطولة في غير مجال الضرب والقهر والفوز العضلي ..

وإذا كان الناس قد اتفقوا على معنى الغلبة والانتصار العضلى رمزاً للبطولة فهذا أمر ظاهرى يشترك في فهمه طائفة من البشر ، ولكن البطولة النفسية هى التى ينفرد بفهمها خاصتهم ، وتلك التى شاعت في معارك الإنسان ونفسه ضد نظم الحياة وقسونها ، وفيها انتصر الإنسان وخلد بانتصاره أسساً قويمة تشهد له بقوة التحكم والسيطرة عبر العصور والأماكن ..

فجاء دور الشعراء يمجدون تلك البطولة الجديدة ويخلدون ذكرها حتى تلقفتها أفندة الناس ودعوا مافيها من شهائل تحتذى وخبرة تحتاج الى وقفات دراسية مما وضعت دعائم للتربية والسلوك منذ القدم.

إن البطولة العضلية بيّنة معروفه للجميع، ويمكن للإنسان أن يدرك أسبابها ليصل الى نتائجها دون عناء أو إهال للفكر، فمن وهبه الله قوة عضلية أو بسطة في الجسم يستطيع أن يحققها في يسر واطمئنان. أما تلك البطولة النفسية الحفية فيا أشق أن يبحث عنها الإنسان ويسبر غور أخيه ليعرف مكوناتها ودوافعها ووسائل ظهورها، وإلى ماتحقق من نتائج. والكشف النفسي للبطولة أمر ليس بالهين ؛ بل يحتاج إلى مقاييس عديدة واختبارات تعارف عليها علماء النفس لكشف مكنون الإنسان ومفهومه الداخلي. ولم يكن ذلك بالأمر اليسير أن نتعرف على مكونات البطولة النفسية لإنسان العصر الجاهلي وهو الذي لم يصلنا عنه غير إنتاجه النظمي، ولانستطيع التحدث اليه لنخضعه للمقاييس النفسية، أو نجرى عليه تجارب العلماء حتى ندرك دوافعه التى تشكل سلوكه، ونقرأ في وجهه علامات الانفعال أو الرضا لنشرح إنتاجه النظمي وفق العلاقة والارتباط بين داخله ووسلكه، وإن هي الا محاولة لإخضاعه على البعد الزمني والمكاني وتصوره باجتهاد ووسلكه، وإن هي الا محاولة لإخضاعه على البعد الزمني والمكاني وتصوره باجتهاد

شخصى لعله يصيب .

فمها لاشك فيه أن الإنسان يعيش في حياته متبعا للعديد من مألوف الخصال التي توارثتها الأجيال وتناقلتها عبر السنين ، وتختلف هذه الخصال من بيئة لأخرى ، فها ألفه رجل البادية استهجنه أخوه الساحلي ، وما ارتاح اليه الحضرى نفر منه القروى ، ولكن مضمون هذه الخصال يؤلف فيا بين هذه الأنماط من البشر ، ويتفق الجميع على مفهومها ويَدَعون شاذها وينفرون منه ..

وإذا رجعنا إلى عملية الاستحسان والميل لبعض الخصال وترك البعض الآخر وجدنا أنها ترجع في المقام الأول الى مجموعة من العناصر والأسس التربوية ، وهي التي تحدد سلوك الإنسان وتنظمه وتسيطر عليه سيطرة كاملة ، المجتمع فيها هو صاحب الكلمة والإنسان الفرد هو المنفذ . وقد أدركت المجتمعات الأولى ـ لاسيا في محيط الجزيرة العربية وفي العصر الجاهلي ـ العديد من الأسس التربوية وخططت لشيوعها في المجتمع وتغلغها في كيانه والحرص على تقويمه بها والنهوض به من خلال تطبيقها .

ولم يكن العربي الجاهلي قد انخرط في سلك التعليم أو التحق بالمدارس أو التقى بعلماء العصر ، ولكنه ألف التربية من كيان المجتمع وتهذب بأسسها وفيق الأنماط العديدة الموضوعة له ..

ولقد أدرك التربويون وعلماء النفس أن مجموعة الخصال التي يؤكدون على وجوودها وغوها الضرورى في المجتمع هي نفس الخصال المتوارثة منذ العصر الجاهلي حتى الآن وإن دخل عليها بعض التعديل للتناسب ومتطلبات العصر، وهي التي أدركها العربي آنذاك نتيجة تفاعله مع مجتمعه واستحسان بعضها واستهجان البعض الآخر،

ولو عرضنا هذه الخصال والشبائل الإنسانية على المقاييس الحديثة لنظم التربية وما استكشفه الإنسان من معايير مقننة تفيد البشرية وتعمل على نهضتها ـ لو فعلنا ذلك ـ لوجدنا أنها تخضع الى حد كبير لما أجهد الإنسان نفسه في البحث عنه ومعرفة كنهه ، وما أطلق عليه من مسميات حديثة ربا لم تكن مألوفة للسابقين من قبل ، ولكنهم أدركوا

الأمور بجوهرها ، وسموها بمسميات اتفقوا فيها بينهم على وظائفها وماتهيد به المجتمع من خصوصيات ، فهى تشكل فى نهاية المطاف قياً بطولية محمودة وتحض على التحلى بها ، أو تظهر قيا مذمومة وتدعو لهجرها بكل السبل المحكنة ، وبتلك البطولة يفرق بين السمين والفث من الأخلاق والشهائل التي إنتهجها الإنسان منذ العصر الجاهلي .

ولاغرابة أن يدرك الفرد الجاهل مع ذاته أو مجموعة الأفراد الذين يعاشرهم تلك الأسس ويهتف بها في شعره مؤمنا أن رسالة الشعر في هذا المجال تعليمية تهذيبية ، مدركا أن العقل الإنساني يفهم مضمون الشعر بشغف ويتلهف لكل ماتسمعه أذنه بوعي وإرادة ، فكانت وسيلتهم خلال تلك الفترة هي الترديد والوعظ والإرشاد والإشادة بحميد الصفات والحث عليها في شكل الحكمة المؤدية لغرض ، الداعية الى الالتزام أو الهجرحسب مقتضي ظروف مايقال .

وربما يعجب الإنسان متسائلاً لماذا ذخر الشعر الجاهلى بهذه الشهائل رغم بعد المسافة الزمنية بين عصره وعصر تقنين العلوم ووضع حدود المألوف والمستهجن من السلوك الإنسانى ؟ ويكون الجواب : إن هؤلاء الذين عاشوا فى خضم الجاهلية وعركوا وعورها وارتادوا سهولها كان أمامهم فرصة سانحة لقراءة كتاب الحياة والتعلم منه ، فهده الآفاق البعيدة أ، وتلك الحدود الاجتاعية المتعارف عليها ، وذلك الإعجاز الإلهى لليل والنهار واختلاف ألوانها مع اختلاف تعامل الناس وتفكريهم بما عرف فيا بعد بالفروق الفردية أمر كان مألوفاً بالنسبة لهم ، وحدود كانت مشروحة شرحاً ذاتيا أمام نواظرهم ، فالعجب أن يتهم الإنسان بدراسة خصال قوم لم يدرسوا ، ويبحث فى أفكارهم عن خصال وشهائل استنباطية أفادت البشرية عبر الأجيال المتعاقبة ..

فكان لابد من دراسة هذا الرصيد الثمين من الشعر الجاهل والتنقيب فبه عها رك هؤلاء من أسس تصلح نبراساً عبر الأجيال والعصور وتدل على البطولة النفسية . ولاغرابه فى ذلك ، فمتى صح تفكير العقل البشرى واهتدى الى نور البقين بصحة إعهال ذاه أنتج درراً خليقة بالدراسة والبحث . ومها كان الأمر في هداية الناس في العصر الجاهلي بأسس إنسانية قبل الإسلام ونوره والإرشاد القرآني وآياته ، فإن الباحث في مضمون الشعر الجاهلي وبخاصة في ميدان المحكمة يستطيع أن يضع يده في راحة تامة وجلاء بين على الأبيات التي اهتدى بها الناس كأغاط سلوكية متى وعتها عقولهم وعقلتها أفئدتهم ، وبما يؤكد نفعها أنه لما جاء القرآن الكريم أكدت آياته صدق ما اهتدى اليه الجاهليون من خصال وشهائل إنسانية حميدة اتخذها الناس دستوراً لهم متى جنحوا الى الخبر واتبعوا سبيله ، فمنهم قوم هيأ الله تعالى نفوسهم للتقوى وبذر فيها بذور الخير فوهبوا أنفسهم لهداية الآخرين، وإشعال منارات الحياة أمام نواظرهم حتى ترجم الشعراء نظرات هؤلاء القوم وملاحظاتهم الى بطولات منظومة يمكن اتخاذها نبراساً لتغذية معارف الإنسانية ودفعها الى الرقى في سلم الحضارة المتطورة عبر السنين والأماكن .

وليس المقصود بهذه البطولات ماكان منها عسكرياً هجومياً أو دفاعيا ؛ ولكنها بطولات نفسية ينسج الشاعر عدتها وينظم عقدها حتى غدت تسر الناظرين وتأخذ بالألباب وتكون خليقة بالدراسة ؛ فدائها ماتكون البطولة في الشعر مما اطمأنت اليه نفس الشاعر عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وتتمثل البطولات عادة في سلوك الإنسان سلوكاً طيباً مقبولا مع نفسه ثم من يجاور في المحيط البشرى ، فعموم الناس دون رابطة الدم أو النسب ، ثم لمن يكون في مضمون كلمة الإنسانية .

إن غاية مايرجوه الباحث من عنصر النفسية هو رسم الصورة الخلقية التى بألفها الجميع ويقدمون عليها ، فالبطولة هى مكونات الرجولة الحقة للخلق الكريم من صبر وكرم ونجدة وعقة نفس وعدم تلون وحفظ الجار والدفاع عنه وصلة الرحم والسمو فوق مايصيب الإنسان ، والالتزام بالحمية ، وكلها من الدوافع الاجتاعية التى تحض الفرد على السوك ليشعر بالأمن مع الجهاعة لتحقيق البطولة المرغوبة . ويعنى الأمن التحرر من الخوف ، ويكون الإنسان في حالة أمن متى كان مطمئناً في حياته ويعمل على اكتساب رضاء الناس وحبهم واهتامهم ومساندتهم العاطفية (١٠) . ومتى تحقق الشعور بالأمن بدأت العوامل

الإنسانية الداخلية في التحرك والتفاعل لتوائم حاجات المجتمع وسلوك الأفراد ، ومن هنا كان نسج الشعراء نظأ يهدى البشرية وبعبرون عها يحسونه تجاه بناء مجتمع صالح حتى يكونوا موضع قبول وتقدير واحترام من الآخرين ، وأن يكونوا بمنأى من استهجان المجتمع أو نبذه وهى حاجة يرضاها الشعور بأن لهم قيمة اجتاعية وأن وجودهم وجهدهم لازمان للآخرين ؛ ومن هنا كان اندفاعهم للتعبير عن الذات والإفصاح عن الشخصية وتوكيدها بأن يحققوا مالديهم من إمكانات ، وأن يبدوا مالديهم من آراء أو أن يقوموا بأعمال نافعة وذات قيمة للآخرين (1).

ومن هنا تتحقق البطولة النفسية التى تحقق الصداقة بين الشاعر وغيره ممن يعملون بنظمه ويتبعونه فى آرائه ، فعاطفة الصداقة تنشأ وتتكون تدريجياً نحو شخص يفتح صدره لك ويقاسمك متاعبك ، ويعينك فى الشدة وعند العثار، ويحتمل أخطاءك ويدافع عنك فى غيبتك ، ويستمع الى شكواك ويشعرك بأنك غير وحيد ويحول بينك وبين السخط على الناس ، يشاركك فى مسراتك فيضاعفها ، وفى أحزانك فيخففها ، ويعطيك من تجاربه مايفيدك مما يزيدك شعوراً بالأمن واحترام النفس (٣) . وذلك ماحرص شعراء العصر الجاهل أن يضعوا لبناته الأولى لكل المجتمع الإنساني .

لقد ألف النقاد وتبعهم أجيال من المثقفين أن تكون ألوان الشعر في العصر الجاهلي هي الغزل والنسيب والمدح والفخر والحياسة والهجاء والرثاء وذلك الجانب العريض من الوصف ، ولم يتطلع أحد منهم الى ماخفى منها مما كان يجول بخاطر الشعراء حين أجهدوا أنفسهم نظأ وغوصاً وراء الألفاظ المعبرة عن الخواطر الجارفة ، فأهملت دراسة الجانب الإنساني النفسي في الشعر الجاهلي ، ولم يخصص أحد من الباحثين وقته وجهده لدراسته مما جعله من مكنون القول ومكنوز التراث الذي ينبغي التنقيب عنه في المحيط الأدبى من أقصاه الى أدناه . مع أننا لو أعطينا لأنفسنا حتى الكشف عنه لحزنا فضل السبق وكانت لنا الآراء التي تشد الكثيرين للتأمل والدراسة المتأنية والبرهنة على صدق دعوانا ، ولحققنا قول الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص(٤):

الخمير يبقمي وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ولضر بنا الصفح عن قول الشاعر الصعلوك تأبط شراً (٥) الذى رأى البطولة متمثلة في نفسه أحيانا حين وصف ذاته بأنه :

قليل غرار النسوم أكبس همه دم الثار أو يلقسى كميا مسفعاً

عفة النفس :-

وفى تناولنا للبطولة النفسية والشهائل الإنسانية فى محيط الشعر الجاهلى نجد أن أول مايطالعنا ويلفت الأنظار تلك الأمور المتعلقة بالنفس وعفتها .

لقد كان من أصعب الأمور على النفس الإنسانية في العصر الجاهلي أن يهجر الإنسان مألوف قومه ، وينبرى لقضية فردية يدافع عنها حتى إذا آمن له قومه علت كلمته بينهم وأصبحت تتسم بسمة الإنسانية ووعتها أفئدتهم ، ورددتها ألسنتهم وهم لها فرحون حتى أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ماجدوى هذا الجديد الذى ساقه الينا هذا الشاعر ؟ فإذا اطمأنت أنفسهم اليه رددوه وجاهدوا القوم دونه .

إن الشاعر الجاهلي الذي ألف قومه يهرعون الى أول نداء له وكأنهم :

لايسألون أخاهم حين ينديهم في النائبات على ماقال برهانا

أخذاً لثأر أو رداً لمظلمة ، أو إغارة لمغنم يأخذونه ، رأى أن من واجبه الإنساني الأمثل أن يدعوهم للعفة وهجر ماعند الآخرين والترفع عن ذلك فينصب نفسه داعية للخير والتحكم في النفس الأمارة بالسوء ويحول وجهتها الشريرة الى خير دائم ، ويهتف يهم أن اتركو مغاغكم الزائلة ، وروضي أنفسكم على حب الحير وألفة العفة والتسامى فوق الدنايا محققاً قول الحق تبارك وتعالى « قد أفلح من زكاها » () . فيالها من بطولة نفسية حين يستطيع تغيير مسار حياتهم ويأخذ بأيدي لم لم فيه نفعهم وصلاح أحوالهم . فهذا عبيد

ابن الأبرص (٧) يباهى قومه بعفة النفس ويدعو اليهما كدليل على كرم الخلـق وحميد الخصال:

لعمرك إننى لأعف نفسى وأستر بالتكرم من خصاصي

ويأتى الشاعر الشنفرى ذلك المتصعلك والذى نحل جسمه من قلة الطعام حتى غدا هيكلاً مخيفاً،ولكنه بعفة نفسه يقهر الجوع حتى يميته قبل أن يقضى هو عليه،أو يسأل الناس ماعندهم ليسد حاجته،ويفضل أن يستف تراب الأرض ولا يتفضل أحد عليه بكسرة خبز، فهو عفيف النفس يترفع عها يشنيها من معايرة الناس له بفقره الظاهرى، ويهتف بقناعة النفس وعفتها مفتخراً: (٨)

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه اللذكر صفحاً فأذهل وأستف ترب الأرض كيلا لايرى على من الطول امرؤ متطول

فعفة نفسه جعلته يفرض إرادته ساعة يصارع هذا الجوع ويتحداه حتى لو دفعه ذلك أن يأكل التراب^(٩) .

ويأتى الشاعر أبو خراش الهذلى فيهتف بعفة نفس أنه يصارع الجوع حتى يمله ويتركه ولايدنس نفسه بسؤال بخيل طعاماً ، فهو شجاع متحكم فى غرائزه ويؤثر عياله على نفسه ولايقبل الذل والضيم ويفضل عليه الموت , فأى ارادة عفيفة تلك التي جعلته يقول :(١٠)

وإنى لأثـوى الجـوع حتـى يملنى فيذهـب لم يدنس ثيابـى ولاجرمى وأغتبـق الماء القـراح فأنتهى الى الـزاد أمس للمزلـج ذاطعم(۱۱) أرد شجـاع البطـن قد تعلمينه فأوثـر غـيرى من عيالك بالطعم مخافـة أن أحيا برغـم وذلة وللمسوت خـير من حياة على رغم ويدور الشاعر ذو الاصبع العدواني (۱۲) في لوحة من حميد الخصال بتبين فيها أنه عفيف النفس عفيف اللسان وبخاصة على الأقربين ، فيعف نفسه عن فحش القول وفاجره ، وليس ذلك عن ضعف واستكانة ، وإنما هو الشجاع المقدام متى ناداه واجب الحق دفاعاً ، ولكنه البطل الجسور الذي يكبح جماح نفسه وينتصر عليها حتى لايلام بإثم ليس من خلائقه ؛ فالعفة تدعوه الى تقدير العواقب وتبين له النتائج وهو مؤمن بأن :

كل امرسئ راجع يوماً لشيمته وإن تخالـق أخلاقاً الى حين فها لسانـــى على الأدنـــى بمنطلق بالفاحشــات ولافتـــكى بمأمون عف يؤوس إذا ماخفــت من بلدٍ هوناً فلســت بوقـــّاف على الهون(٢٠)

وعفة النفس تورث الانسان الحلم والرفق ولين الجانب ، وحتى لو طلب الانسان نوال الآخرين فلا ينبغى له أن يتساقط أمامهم ذلة ومهانة ، فيكفى أن ينال نوالهم بترفع وإباء ، فلا عفة مع الضعة أو ذل النفس ، وفي هذا الموقف يصور لنا الشاعر عدى بن زيد (١٤٠) في شكل الوعظ والإرشاد كيف يكون الإنسان بطلاً حتى في سؤاله العطاء :

إذا أنت طالبت الرجال نوالهم فعف ولاتأت بجهد فتنكد ستدرك من ذى الفحش حقاك كله بحلمك في رفسق ولما تشدد

وفى محيط عفة النفس وإيثار الجوع على السؤال أوطلب الآخرين يبرز عنتره العيسى(١٥) فى بيت مضمون البطولة النفسية إذ استطاع أن ينال من الجوع خير مأكل وأحسنه .

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

وهذا المعنى المغرق في تصوير عفة النفس هو الذي دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الإعجاب بعنترة حتى أنه نقل صورة البطولة التي رسمها عنترة الى شخص الرسول ﷺ ، فلقد سمع عمر من ينشد ذلك البيت من قول عنتره . فقال : ذاك رسول الله ﷺ ١١٦)

ومن عفة النفس كذلك أن يرضى الإنسان بما قسم الله له ، وهذه قضية يصعب الفصل فيها خصوصاً في العصر الجاهلي فحياة السطو والإغارة والنهب والسلب كانت السائدة بينهم وملكت على الناس افتدتهم ، والغنى عندهم من كثر ماله وقطعانه وبسط سلطانه على الآخرين ، ولكن الشاعر قيس بن الخطيم (١٧) يضع لنا قاعدة عريضة في غنى النفس عندما يعف الإنسان عها بيد الآخرين ويقنع بنصيبه في حياته ، فإن كان كذلك فهو السعيد المطمئن ، وإن نطلع الى ماعند الآخرين فويل لنفسه مما كسبت يداه من الطمع فها عند غيره ولذلك يرى بثاقب رأيه أن :

غنيى النفس ما استغنسي غنى وفقر النفس ماعمرت شقاء

وما أحسن البطولة النفسية عند عنترة العبسى حين جهر أنه ماكان يدخل المعارك طمعاً فى الغنائم رغم أنه لم يكن من الأثرياء بل كان يقنع بما يجده فى حياته وما يجعله فى رفعة نفسية ، فيصرخ بذلك لعبلته (١٨) :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلم يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ولايقف الشنفرى عند إعلان عفة نفسه حين يتناول الطعام بصحبة الآخرين ، وهو أحوجهم الى ملء بطنه وسد حاجته ولكنها العفة النفسية التى توصله إلى أن التفضل على الآخرين غايته ، وكأنما يضع لنا قاعدة تربوية أخلاقية ينبغى على كل إنسان إدراكها ليقضى على الشره والطمع لما ملكه الغير ، فإذا فعمل الإنسان ذلك -ولو كان فقيراً كالشنفرى .. فهو الغنى المتفضل : (١١)

وان مدت الأيدى الى السزاد لم أكن وماذاك الإ بسطة عن تفضل وأعدم أحيانا وأغنسى وإنما

بأعجلهم إذ أجشم القموم أعجل عليهم وكان الأفضل المتفضل ينال الغنى ذو البعدة المتبذل

ويؤكد الشاعر الأعشى من معانى عفة النفس أن يبتعد الإنسان عن الحسد : فالحسود مريضة نفسه طامعة فيا رهبه الغير، ودائها يضعف فى كل المواقف ، والحسد يمحق النعمة من الآخرين؛ فالأحرى بالإنسان أن يبعد مطامعه عن الناس ويقضى على تفكيره السيئ فى المتلاك ماليس له ، وما أحسن أن تكون العلاقة بين الناس أساسها عفة النفس :(٢٠٠)

ولاتحسدن مولاك إن كان ذا غنى ولاتجفه إن كنت في المال غانيا

وهذا أبو ذؤيب الهذلى يعطى لنا تصوراً كاملاً عن مقاومة شره النفس وإعادتها لعفتها التى فطرها الله عليها ، وأن على الإنسان أن يكون قائداً لها موجها إياها الى الكال والعفة ويردها الى الطريق المستقيم متى أرادت الانحراف عنه ، فنفس الإنسان هيئة طائعة متى أخلص المرء في معاملتها وتسير كيف يوجهها ، ولهذا فإن الشاعر يرى أن الإصلاح وقت الاعوجاح، وأن النفس العفيفة تقنع بما يقدم لها من أوجه الحير والإصلاح وتلك هي البطولة في القبول(٢١١):

فالنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُردُّ الى قليل تقنع

ويقف داعية السلام في العصر الجاهلي الشاعر زهير بن أبي سلمي مشيراً الى موقف الإنسان الذي لايكرم نفسه ولايعفها عها يشينها من ذل ومسألة ، أو يخضعها لهوى الآخرين وتسييرهم إياها ، فيرسم للإنسان طريقة إعزاز نفسه بقوة الدفاع عنها والسيطرة عليها ، وكل ذلك رسم لبطولة الشهائل الإنسانية ، وحق لزهير أن يتولى ذلك،فهو الذي

استطاع ان يخلد دعاة السلام في العصر الجاهلي بنظمه ويهبهم أوسمة شعرية خيراً من هباتهم لايقاف نزف الدم في حرب داحس والغبراء ، فيا أجدره حين يقوم واعظاً ويخطط للعفة النفسية بقوله :

ومن لايزل يسترحم الناس نفسه ولا يعفها يوماً من الذل يندم

ومن عفة النفس أن يتحكم الإنسان في نفسه حين تحدثه بالسوء ، فلقد فشت الفاحشة في العصر الجاهلي وترنم بعض الشعراء وتطاولوا في مجال الفضيحة والسطو على نساء الغير والنوال منهن واعتبروا ذلك من محاسن الرجال وقوة سطوهم ، في حين نجد بعض الشعراء من أمثال عنترة العبسي يهتف بملء فيه عن عفة نفسه وحميد خلقه في أنه حتى ولو غنم بأثثي فلا يقربها اغتصاباً ، أو يراودها عن نفسها خيانة ، وإنما يقدم على الزواج منها بعد أن يهرها وتلك بطولة نفسية تتجلى في العبد المنبوذ ولكنه العفيف المشهود له بذلك حيث يقول : (٢٧)

ما استمت أنشى نفسها في موطن حتى أوفى مهرها مولاها

ومن صور عفة النفس ان يشعر الانسان بمكانته في المجتمع في نفسه ومع الآخرين ، وان يحدد موقفه من الجميع ويتبادل معهم نظرات الإكبار والاحترام فإن مالوا الى خذلانه أو المعقف عنه فسرعان مايفلت من شباك حقدهم وغيظ أنفسهم فعن لايكرم نفسه لايكرمه الناس ، ويرسم لنا الأعشى (٢٣) كيف يتعامل الإنسان مع الآخرين من الذين يريدون إذلاله فعليه أن يترفع عليهم ويعف بنفسه عن دناياهم حتى وإن كانوا من أقاربه وذوى رحمه فعن هان على نفسه هان على الناس واستصغروه ، وتربية المرء على العزة وعفة النفس خبر له من ان يكون ذنبا يتبع صاحبه أينا حل ، ويعتذر اليه كلما أخطأ فيستضعفه كلما تهاون في إنسانيته وتمادي في إمعته ، وما الرجل الحق إلا الذي يقف بشخصيته وقد

ازدانت عفة وكهالا ولينظر دائها الى قول الشاعر:

وإن بشر يومساً أحسال بوجهه عليك فحسل عنسه وإن كان دانيا

ونختم لوحات عفة النفس واكرامها بما خلده الشنفرى حيث حرص على رفع الرأس والبعد عن ذلة النفس وعفتها عن مجال الإهانة وهجر محيط من يريدون شقوتها ، حتى سارت أبياته من مضمون الحكمة الخلاقة عبر العصور، وينظر لمن تحلى بها أنه من أصحاب البطولة النفسية والشيائل الانسانية (٢٤)

لعمــرك ما فى الأرض ضيق على امرى سرى راغباً أو راهباً وهــو يعقل وفى الأرض مناى للــكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

ويضيق المجال عن ذكر كل لوحات عفة النفس في الشعر الجاهلي وكلها تفيض بعنصر البطولة النفسية ، وكلها من رائق الشيائل في إباء الذل والتسامي فوق مايصيب وكأن الإقدام في ميدان الحروب وإحجام النفس في بجال الفضيلة والعفة يسيران في خطين متوازين ، فمها كان الاندفاع والكر والفر كان التعقل والتريث لإكرام النفس بعفتها ورفعة مكانتها ..

ولقد اشترك شعراء الجاهلية من فرسان ودعاة سلام وصعاليك وأثرياء القوم فى الدعوة الى عفة النفس وتجميلها بموفور الصفات التى تجعلها فى مكانها اللائق فالإنسان انسان فى عفته ولو اختلف مشربه .

رعاية الجار :ـ

إنه لمن دواعي العجب أن نجد في الشعر الجاهلي أنماطا من الشعراء يحترمون الجار

ويقدرون حقه فى الوقت الذى كانت هناك جماعات منهم تتلصص فى غير حياء على عورات النساء وتشهر بهن فى غير استحياء بمقطعات أو ضمن المعلقات ، ومدعين بذلك قصب السبق فى ميدان الفاحشة وماكانت النسوة اللائى شهرن بهن الا من جاراتهم .

فكان لابد أن تظهر البطولة النفسية وأن تكون حماية الجار والحرص على الدفاع عنه ، والإسراع لنجدته وحفظ حرمته موضوع البطولة بأوضح صورها ، ولقد حض القرآن الكريم في أيات عديدة على اكرام الجار والحفاظ عليه ، ومنها قوله تعالى « واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايجب من كان عتالا فخورا »(٢٥) . كها أوصانا الرسول الكريم على بالجار في قوله « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . فمن كان في الجاهلية حافظا لجاره حاميا له فهو البطل بلا منازع وهو الذى استحق أن يجمع من الشهائل الإنسانية مايخلد ذكره ، وهذا ما ألفه الأخيار من شعراء العصر الجاهل ودأبوا على الحث عليه والتمسك به، فأحبطوا أنفسهم الأمارة بالسوء وقهروها في ميدان الفضيلة والبعد عما يشينها خاصة فيا يتعلق بحقوق الجار والحفاظ عليه بكل معانى الحفاظ وبدأوا بأنفسهم فيا يتعلق بسلوكهم تجاه جبرانهم ، ومن ثم أشادوا بحياية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهداً أن ينصروه ، مما جعلهم يعظمون الاخلاق فلا ينقضونها مها قاسوا بسببها من حروب (٢٦) .

فعهد الجار والصديق واحد ، وكلاها له الحق الإنساني كما بينه الشاعر زهير بن أبي سلمي، وعلى المجتمع أن يعترف بذلك ويباشر تنفيذه حتى يعيش الناس جميعا في اطمئنان وأمان من الغدر والسطو ، وتبرز عاطفة الإخاء وحق الدفاع عن الجار فيا اتفق عليه مها كانت النتائج :

وجار البيت والرجل المنادى أمام الحيى عقدهها سواء

ويعلن الشاعر عوف بن عطية(٢٧) كيف يمنع الظلم والغدر عن جاره حتى يمنحه

الأمان والاطمئنان في حياته ويعلن ميثاق شرف بأن الجار ممتنع من الغدر والسطو والفزع حيث أجير ، وهذا أمر تطيب به النفوس :

وأمنــع جارى من المجحفا ت والجـــار ممتنــع حيث صارا

وعن الوفاء بعهد الجار يقول طرفة بن العبيد مفتخراً بأنه أوفى النياس عهيدا الجاره (٢٨) :

ومسن کان ذا جارٍ يرجسي وفاؤه فجساري أوفي ذمسة وهها أبّر

وكثيرا مايقرن الشعراء الجار بحق الضيوف ، ولعل السبب في ذلك أن الضيف يعيش دائم فترة ضيافته في أمان ورغد العيش ، فكون الجار ملازماً له في مسلك الجيران أمر يدل على سعة الصدر وغلبة جانب الخير والمؤازرة ويسرحال، ولأن الضيف ناقل أخبار مضيفه فالجار دائما يتحدث بالحسنى عن جيرانه متى كانوا له مدافعين ولحرمته حافظين ، فها أحسن تلك الشهائل أن تكون مادة شعرية يتغنى بها الناس وتتناقلها الاجيال ، وكثيرا ما كانت في شكل وصايا وغالباً ماتكون الوصية من والد لابنه، ولابد أن تكون الوصية لخيرى الدنيا والآخرة ولرفعة مكانة الأبناء وتخليد ذكر آبائهم ، وهذا ما أبرزه الأعشى في لوحنه الفنة حيث قال :(٢٩)

أوصيكم بشالاث إنسى تلف حقاً عَلَى فأعسطيه وأعترف يوساً من الدهر يثنيه فينصرف إذا تلوى بكف المعصم العرف

إن الأعـر أبانها كان قال لنا الضيف أوصيكم بالضيف إن له والجـار أوصيكم بالجـار إن له وقاتلـوا القـوم إن القتـل مكرمة

وبنفس الصورة ينطلق الشاعر الجاهلي عمرو بن الأهثم (٢٠٠ موصياً ابنه بحفظ جاره وضيفه في الوقت الذي لايحفظ فيه جار ولايقرى فيه ضيف لشدة الزمان وتخلي الناس

الأدنياء عن رعاية جيرانهم، ويرون ماينزل بهم من إهانات ولايدفعونها، فهنا تظهر النخوة العربية الأصيلة والحلق الحميد وبهتف الشاعر بابنه الا يفعل مثلما يفعل الآخرون، وإنما عليه أن يشد من أزر جاره ويصد عنه عوادى الأيام، ويظهر له سهاحة الخلق وطيب الخاطر فإنه أنذاك أحوج مايكون الى من يواسيه ويحفظ جواره

لقد أوصيت ربعى بن عمرو إذا حزبت عشيرتك الأمور بأن لانفسدن ماقد سعينا وجفظ السورة العليا كبير وجارى لانهيننه، وضيفى إذا أمسى وراء البيت كور أصبه بالكرامة واحتفظه عليك فان منطقة يسير

أما الشاعر سلامة بن جندل (٢٦) فيجعل سعادة الجار والضيف أمراً مألوفاً لديهم ، فهم دائها يحرصون أن تكون للجار مكانة مرموقة يشهدها كل الناس ، فجعل سعادة الجار والضيف لاتعادلها سعادة لهم إذ يهبونها خير مالديهم عن طواعية نفس وطيب خاطر ، فهم يغامرون على نياق سعينة غالية الثمن لتوزع لحومها على السائلين احتفاءً بالجار والضيف ، ويظهرون من ألوان الطعام مايدل على كرمهم ويعطى الصورة الكاملة للبطولة النفسية في حماية الجار وإكرامه وإكرام الآخرين حباً فيه وترحيبا به .

إنا إذا غربت شمس أو ارتفعت وفي مباركها بزل المصاعيب قد يسعد الجار والضيف القريب بنا والسائلون ونغلى ميسر النيب

وكانت هذه أسعد لحظات حياة العربى فى العصر الجاهلى أن يظهر الكرم والعطاء خاصة فى حضرة الجيران والضيوف وملاعب الشباب وحكمة الشيوخ وهى من الشائل الإنسانية المعدودة عندهم.

ويهتف الشاعر مالك بن حريم (٣٢)أنه حتى لو كان أدركه الكبر واشتعل الرأس شيباً إلا أنه آل على نفسه أن يظل وفياً لخصال أربع ، ومنها حماية الجار والا يقذعه بفاحش القول حتى ولو تفاحش الناس جميعا على جيرانهم ، فهو الحافظ للعهد الساهر على راحة جاره وضيفه ، المعلن عن كرمه وعطائه لكل الناس ، فها أجمل هذه الشهائل متمى اجتمعت للمرء وهذبت نفسه وهيأته لمجبة الناس وكسب ودهم :

فإن يك شاب الـرأس منــى فإننى أبيت على نفسى مناقب أربعا ألا أبيت بغرة إذا ماسوام الحسى حولى تضوعا فواحدة ألا أصمت كلينا اذأ نزل الأضباف حصا لنودعا و ثانية اذا كان جار القرم فيهم مقذعا تقــذع وثالثية جارتي 31 أُخَجُّــل على لحمها حين الشتاء لنشبعا(٢٢) ورابعية قدرنا YI

وكثيرا مافخر الشعراء بإكرام جيرانهم ، ومن ذلك ماقاله الشاعر المثقب العبدى (^{۲۴)} من أنه يرعى حق جاره ويسهر على راحته وان الخلق الكريم لن يضيع ذكره بين الناس . ورعاية الجار واجب حتمى عليه :

أكرم الجار وأرعبى حقه إن عرفان الفتسى الحق كرم

ويسوق صاحب موسوعة الشعر العربى قصة عن الشاعر دريد بن الصمة (⁷⁷⁾ تحت عنوان « مال الجار » لابد من ذكرها في هذا المقام : كان بين بنى الحارث بن كعب ، وقوم دريد ، إغارات وثارات . وقد قتل بنو الحارث خالد بن الصمة في احد ايامهم فهددهم دريد . ورد عليه عبدالله بن عبدالمدان الحارثى ، من سادة نجران ، وكان أن أنس بن مدركة الخنعمى ، حليف الحوارث أغار على جشم فأسر وسبى واستاق أموالا لأحد جيران دريد . وخلف ذلك بنجران وعجز دريد عن طلب ذلك بالقوة ، فلجأ الى السؤال . فمدح يزيد بن عبدالمدان سيد نجران ، ثم قدم عليه ، فرد السبايا وفك الأسرى . وزاده أموالا وفي ذلك قال الشاعر مادحاً وسائلا لحق الجار:

بنسى السديان ردوا مال جارى وردوا السبسى إن شئتم بَنَ فأنتم أهمل عائدة، وفضل متسى ما متعموا شيناً، فليست وحربكم بنسى السديان حرب بنسى السديان بسل بنسى السديان بسل بنسى السديان بسل فأولونسى بنسى السديان خرأ

وأسرى فى كبوهــم الثقال وإن شئتــم مفــاداة بمال وأيدٍ فى مواهبــكم طوال حبائــل أخــنه غــير السؤال يغص المرء منهــا بالزلال وجــاركم يعــد من العيال هم أهــل التــكرم والفعال أقــر لكم به أخــرى الليالي

فهذه براعة من الشاعر أن يعنب عليهم مادحاً كيف يكون جارهم في منعة ولايستطيع هو أن يخلص جيرانه ويحميهم.

لقد قال صاحب البطولة النفسية الأول محمد بن عبدالله على «ليس منا من بات شبعان وجاره إن علم به جوعان » فنجد هذه البطولة قد ألفها العربى الأبى في جاهليته وأشاد بها الشعراء وربطوا بينها وبين حق الجار المشروع من حماية ورعاية عهد ، فهذا الشاعر الأعشى (٣٦) يشيد بقوم ممدوحه عامر بن الطفيل بأنهم :

المطعمون اللحم إذا ماشتوا والجاعلون القوت على الياسر(٢٧) والشافعون الجوع عن جارهم حتى يرى كالغصس الناضر

والشاعر نفسه لايرى هذه البطولة في قوم هجاهم بأنهم يلئون بطونهم ويتركون جيرانهم جوعى لايجدون مايطعمون ، وفي ذلك عيب وإهانه لانغتفر متى ثبتت حقيقتها أمام القوم، فلا يفعل ذلك إلا من حقرت نفسه وضعفت عزيمته ، والأولى بالأبى الشجاع أن يمد العون من الطعام لجيرانه حتى تتألف القلوب وتصفو النفوس وتلك من شيم الكرام (٢٨) :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجارانكم غرثى يبتن خائصا يراقبسن من جوع خلال مخافة نجسوم السهاء الطالعات الشواخصا

ونلك خصلة من أحط الخصال ؛ ألا يصيب الرجل جاره مما ساقه الله اليه من رزق ، ويرعى حقه متى قل مورده ، أو نزلت به النوازل أو أصابته حاجة .

ونجد الشاعر عروة بن الورد (٢٠٠ يحرم على نفسه لونا من الطعام إذا علم أن بيت جاره قد خلى من ذلك الطعام ، وفى ذلك مشاركة وجدانية ، وهـى من الخصال الاسلامية الحقة؛فقد أمرنا الرسول الكريم على الانشان جاره برائحة قدره . وماذلك إلا نيشعر الجار بعدم استطاعته ان يكون له نفس لون الطعام الذي يعد بالقدر ، ويشعر الإنسان بعجزه عن مجاراة جاره ، فها بالنا لو وجدنا تلك الخصلة عند هذا الشاعر الجاهلي حين يقول :

فإن حميتنا أبداً حرام وليس لجار منزلنا حميت (٤٠)

ونرى هذه الصورة الإنسانية في شعر حاتم الطائي (⁽¹⁾ من أنه يرعى شئون جيرانه حال غياب رب الأسرة عنهم ، ويقدم لهم من الوان الطعام ماتشتهيه الأنفس متى نضجت قدوره وهفت عليهم رائتحها ، ويحرص أن يصلهم هذا الطعام في خفاء مادام رب الأسرة غائبا فلا يجرح شعورهم ولايسىء الى سمعتهم ولايتجسس عليهم بل يتحسس اخبارهم ليقضى حوائجهم وراء حجاب ، وتلك شيمة العفيف الأبى النفس وبطولة نفسية الشيريف :

فلا وأبيك مايظل ابن جارتي يطبوف حوالى قدرنا مايطورها وماتشتكينس جارتسي غير أنها إذا غاب عنها بعلها لا أزورها سيبلغها خيرى ويرجع بعلها اليها ولم يقصر على ستورها

omodidan saren mareka dumaku kukuman 1900 se saren bahan kan bekan mareka kan mereka mereka mereka mereka di k

ومن البعد عن مواطن الريبة وحفظ حقوق الجار:ألا يزور الرجل بيت جاره أو يحاول رؤية زوجه مادام رب البيت غائبا ، ولكن يحرص أن يقدم لها ولأولادها مطلبهم ويسهر على راحة الجميع عن بعد ، وهذا ما افتخر به عنترة العبسى (⁽⁴⁾ من أنه يزور جارته حال وجود بعلها واصلا لرحمه ، فإن خرج بعلها غازياً لايقترب من دارها حفاظاً على عرضها وعرضه وصونا لها ، وتلك بطولة نفسية، وخصلة الشرفاء الذين يحملون حميد الصفات :

إنــى امــرؤ سمــح الخليقــة ماجدٌ لا أتبــع النفس اللجــوج هواها أغثى فتــاة الحــى عنــد حليلها فإذا غزا فى الجيش لا أغشاها وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتــى يوارى جارتــى مأواها

أما عبيد بن الأبرص (٤٣) فيشيد في شجاعه وعزم وإقدام كيف يحمى قومه كل من تجب عليه الحفاظ عليهم ، ويدخل في ذلك كل من استجار بهم أو جاورهم ، كما تجب عليهم رعاية شئون أراملهم وأيتامهم حتى لايشعر هؤلاء الضعفاء بقسوة الحياة وتتخطفهم ذئاب البشر ، وتلك من الحقائق الثابتة . التي تحتاج الى أصحاب الخلق القويم ليكونوا وسنداً :

نحمى حقيقتنا ونمنع جارنا ونلف بين أرامل الأيتام

وفى مجال حماية الجار والسهر على راحته ومنع الجوع أن يطرق بابه وحفظ أولاده ورعاية بيته فى غيبته يدخل بعض الشعراء عدم إفشاء سر الجار ، والابتعاد عن الفضول لمعرفة ماخفى منه ، فعفة النفس لازمة للانسان كفرد صالح ، وأكثر لزوماً حين يتطلع أو يعرف من أسرار جاره شيئاً فالأولى به ان يكون ملتزماً بالميثاق الأخلاقى ، وفى مثل هذه المواقف تظهر البطولة النفسية الحقيقية فيمن يحفظ السر ولايجاهر بالفضيحة فلكل بيت حرمة وأسرار.

فيردد الشاعر قيس بن الخطيم (٤٤) أنه لا يخون جاره بالنظر الى حليلته ولا يضع نفسه موضع الريبة ، ويمنع أن يتعرض لذم الناس لحسن مسلكه مع جيرانه دائها فهو يرتاح لذلك راحة نفسية لا تضارعها سعادة ، فهو طاهر الذيل متناسل من أطهار:

وهل يحذر الجار الغريب فجيعتى وخونسى وبعض المقرفسين خنون ومسا لمعست عينسى لغسرة جارة ولا ودعست بالذم حسين تبين أبسى اللذم آبساء متنسى جدودهم ويجدى لمجدد الصالحين معين

ويصرح حاتم الطائى فى نفس محيط عدم التطلع لأسرار الجار والحفاظ عليه بخلق الكريم وخصال الإنسان ، فها حاول التطلع لجاره ومعرفة سر بيته ليفضخه ؛ لانه يعلم يقيناً أن الكريم من اكتملت شهائله المعنوية والحسية ، فها احسن قه (٤٦) :

إذا ماريت أختـل عرس جاري ليخفينـي الظـلام فلا خفيت أأفضـح جارتـي وأخـون جاري معـاذ الله أفعـل ماحييت

ويكمل الصورة البديعة من اخلاقه في نفس المعنى بقوله :

فأقمست لا أمشى الى سر جارةٍ مدى الدهــر مادام الحام يغرد

ولابد من عرض لوحة فنية أخلاقية ثانية للشاعر حاتم الطائى تفيض طمأنينة وأمانا للإنسان الذى يجاور حامًا ، فهو دائها يغض بصره عن جاراته وكأن فى سمعه وقرأ من حديثهم وذلك من شهائل كرام الناس خلقاً ، فكها تعود أن يستر حاجات الناس جميعا بكرمه وعطاياه وتقديم العون لهم عفيفا كريما ساتراً لجارته بصراً وسمعاً ؛ وتلك بطولة نفسية لاتتوفر لكثرة الناس : (14)

وماضر جاراً يا ابنية القدوم فاعلمي يجاورنسي ألا يكون له ستر بعينسي عن جارات قومسي غفلة وفي السمع منسي عن حديثهم وقر

ويبرز الشاعر عمر بن كلثوم صورة عن همايته للجار من لون جديد في انهم كانوا يدافعون عن ديار الجيران قبل الدفاع عن جيرانهم ، ويدرون أى أخطار تحيق بالجيران قبل أنفسهم ، وفي ذلك برهان طيب عن الإيثار الخلقى الذي يشكل البطولة النفسية للانسان ، فهم يدفعون الشر عن جيرانهم ، ويدفعون عنهم الديات متى كانت هناك غرامات حرب حفاظا عليهم وإبقاءً على حسن جوارهم ، فها أحسن هذا العمل وأنبل صفات قوم الشاعر: (12)

ونحسن إذا عباد الحسى خرت على الأحفساض ننسع من يلينا ندافع عنهم الأعداء قدماً ونحمسل عنهم ماحملونا

ويكمل الصورة في انهم لاينتظرون الدخول في الحرب دفاعاً عن الجار، ولكن بمجرد أن تلوح لهم سيوف الأعداء قد سلت من أغهادها يكون أول عمل يقومون به هو إحاطة الجيران بكل حماية ويكونوا جبهة دفاعاً لما يتوقع من هجوم الأعداء واغارتهم ، ويبدمون بتركيز القوة الدفاعية حول بيوت الجيران :(٥٠)

ونحن المانعون لما يلينا إذا ما البيض زايلت الجفونا

ويربط عروة بن الورد (٥١) الشاعر الصعلوك بين نفسه وجاره , في أنه إذا أصاب غنى كان لابد أن يقاسم فيه جاره ، وهو ذلك الرجل الذي تعود حياة خطف الرزق من غيره و يكفيه ما يتبلغ به من صعلكته ، ولكنه يضع موثقاً على نفسه أنه متى صار غنيا فلن يكون أنانيا في غناه ؛ وإنما هي سهاحة خلقه وإيثاره من هدو فيه من حاجة ماسه لما يصب وتلك خصال حمدة :

فإذا غنيت فإن جاري نيله من نائلي ومسرى معهود

ويعرض الأعشى في ابيات صورة فريدة في الحفاظ على الجار متى تكون الحرب ، ويكون من نتائجها أسر وسبايا من الطرفين ، فيقف معاتبا الأعداء ومدافعاً عن قومه بادئا بأنه لايصح أن تستباح حرمات جيرانه في الوقت الذي يحافظ فيه اعداؤهم على حرمات جيرانهم ، ولم يتعرض الشاعر لأهله وذويه وأولاده واتما قدَّم عليهم جميعا حق الجار وحمايته ، ورفض كل مايثير حفيظته قبل الكلام عن رحمه . فها أبدع هذا الإيثار من خلق كريم ، وما أجل ان يرى الإنسان البطولة النفسية في كلام الشاعر: (٥٠)

أجارتكم بسل علينا محرَّم وجارتنا حل لكم وحليلها فإن كان هذا حكمكم في قبيلة فإن رضيت هذا فَقَلَ قليلها

ونختم تلك الصورة البطولية بما قاله حاتم الطائى فى ان يختار الانسان جاره كريم الخلق حتى يتمثل به فى كل تصرفاته ، ويقارنه فى كل شبائله ويحاكيه فى سهاحة خلقه: (٥٥٠) فجاور كريماً واقتدح من زناده وأسند إليه ان تطاول سُلهاً

صلة الرحم :

إن صلة الرحم علاقة فطرية بين الإنسان وذويه ، واحيانا تكون في توافق تام أو تنافر فيا بين الأفراد بعضهم وبعض متى دب بينهم الشقاق وسعت اليهم الخصوبة بسموبها ولعب الشيطان بالأفئدة وتخيل الإنسان انه يستطيع الحياة فرداً ، وإذا كانت الانفصالية بين افراد الأسرة الواحدة قد سادت بين القبائل في العصر الجاهلي الا من الدعوة الى إغارة أو سطو: فإننا نجد في شعر ذلك العصر مايدل على أن بعضهم جنح الى شمل الأسرة وأخذت دعواهم نطوف في انحاء الجزيرة العربية وتجمع ماتفرق منهم ، وأكد القرآن الكريم ذلك في العديد من الآيات مبيناً أن الخير والسعادة في الدارين في صلة الرحم الكريم ذلك في العديد من الآيات مبيناً أن الخير والسعادة في الدارين في صلة الرحم

ووصل ما انقطع والتسامح بين أفراد الأسرة الواحدة والبعد عن دعوة الشاعر الجاهلي الذي كان يدعو للإغارة حتى على الأشقاء :

وكنا إذا أغرنا على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا وأحيانا على بكر أخينا إذا مالم نجد إلا أخانا

بيها نجد الدعوة الصالحة في الآيات الكرية « وإذ أخذنا ميشاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين ... (100) « ويسألونك ماذا ينفقون قل ما ما أنفقتهم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابس السبيل وماتفعلوا من خير فإن الله به عليم "(70) « يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين .. (00) « قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم "(00) « وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لها إف ولاتنهرها وقل لهما قولا كرياً . واخفض لهما جناح الذل

فإذا كانت هذه هي نقاط اصلاح الفرد وتحسين العلاقة بينه وبين ذويه وصلة رحمه على أسس اسلامية مجيدة فإن الأمر لم يخل أن نجد أمارات صلة الرحم والحض عليها عند بعض شعراء الجاهلية ، ولهذا يمكن أن نعتبر ذلك ضرباً من البطولة النفسية التي تخطت قواعد المجتمع وأسست نهجاً إنسانيا خصصت له من الشيائل مايجعله مقبولا في سلوك البشر ، فدعوا الى الكف عن العناد والقتل والتدمير والتبصر في العواقب وحفظ القوم ودفع غائلة الأعادى عنهم وتوطيد أواصر المحبة والأخوة بين الجميع ، فالشاعر في العصر المجاهلي أو في غيره من العصور إنسان فيه نزعه الخير ونزعة الشر ، وإن تغلبت الثانية في الجاهلي أو في غيره من العصور إنسان فيه نزعه الخير ونزعة الشر ، وإن تغلبت الثانية في الجاهلية فقد استيقظت الأولى وحققت مكاسب إنسانية يمكن الإشادة بها . فهذا زهير بن

ابى سلمى(٥٩) يعلن فى إشارة صريحة كي يكون محاطأ بأهله مقرباً لعشيرته حافظاً لرحمه فى بيته المشهور:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قوممه يستغنن عنم ويذمم

فالإحسان الى الأهل والعشيرة أول درجات صلة الرحم ، وبه تطمئن القلوب الى سيادة الخير ، وتصفو النفوس من الحسد ، وتزداد المودة ، بينا إذا قطع الإنسان القادر صلته لرحمه وتباعد عنهم ومنع عنهم فضل مالديه من مال أو حسن قول أو بشاشة لقاء فهو المكروه المذموم المبعد من عداد الأسرة ، بل والمحتقر من الجميع ؛ لانه استغنى عن أردية الانسانية فعاش عارباً .

وإن هذه اللفتة الكريمة من زهير تؤكدها الآية الكريمة « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي »(٦٠) .. « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوى القربي واليتامي والمساكين ..»(٦١) .

ومن صلة الرحم أن يكون الإنسان لين الجانب لأهله ، وهذا من الأمور الصعبة الوجود في العصر الجاهلي : فهم قوم كأن قلوبهم قدت من الحجارة في غالبيتهم ، وتصلب فكرهم فلاينقاد الإنسان للنصح بسهولة فكانت فيهم الغلظة والفظاظة ، ومن طوع نفسه للين عُدَّ من القلة النادرة ، وذلك مما دفع الشعراء أن ينادوا بلين الجانب موصولا بصلة الرحم ، وفي ذلك يقول الأعشى (٢٦) يحض الناس على صلة الرحم ولين الجانب ونصرة العشيرة متى نزل بها مكروه ، فليس الشر دائها طاغياً على الناس ولكن ربما تلوح أمارات الخبر في أفق الطبيبن الطانعين فيعملوا بعمله :

ولاتزهدن في وصل أهل قرابة ولاتك سبعاً في العشيرة عاديا ولاتخذلن القوم إن ناب مغم فإنك لاتعدم الى المجد داعيا

وبنفس طريقة عرض الصورة السابقة يتقدم الشاعر عبيد بن الأبرص(٦٣) في أبيات

من الحكمة يزينها بالدعوة الى صلة الرحم فإنهم ذخر للإنسان وأولى به أن يمد لهم يد الصفح والعون قبل أن يمدها للأباعد ، فالمرء قليل بنفسه كثير بأهله :

ولاتزهدن في وصل أهمل قرابة لذخر وفي وصل الأباعد فازهد

ويعلن الشاعر نفسه (٦٤) في صراحة تامة تقديره لوالده وانه يبذل قصارى جهده كى يصون أباه ويحفظ عرضه ، وإن الانسان متى كان باراً بوالديه أو بأحدها فهو الحميد الصفات الكريم الخصال ، وكذلك صيانة العرض من أسس صلة الرحم حتى يعيش الجميع مرفوعى الرأس أعزاء النفوس ، ويعرض كذلك أنه معطاء لأهله فهاله ليس له ، وإنا يبذله إنفاقاً لحاجات قومه وحفاظاً لهم من الفاقة ، فها أحسن أن يدرك الشاعر الجاهلي بفطرته تلك الحصال ، ويستطيع الانتصار على نفسه الأمارة بالسوء ليحقق البطولة المنشودة ويرقى في مدارك الأشراف وإن تعديل سلوك البشر في عصر لم تكن فيه المفاهيم النفسية والاجتاعية قد دونت أمر صعب ولكنها فطرة الخير التي فطر الله بعض الناس عليها في العصر الجاهلي لتكتمل بها شهائلهم حيث يقول :

وأكرم والسدى وأصدون عرضى وأكره أن أعد من اللثام

وبمثل كرم الشاعر حاتم الطائى للضيوف وضرب المثل به في محيط الجزيرة العربية كانت دعوته الخيرة الى صلة الرحم ، فإكرام الأهل والعشيرة بأن يكون الإنسان متحملاً عنهم عبه صعوبة حياتهم ومتجاوزاً عن هفواتهم وحلالا لمشكلاتهم وكافأ لأذى الغير عنهم أمر ليس بالهين ، وإنما هى تعليات الكرم الخلقى التي تخفى على الكثيرين يبرزها الشاعر الكريم معدلا من سلوك البشر ، حاناً لهم على سلامة حياتهم بفضل مايقدمون لأهليهم من موائد المعروف التي تحفل بألوان الخصال الحميدة ، وهو بذلك يضرب المثل في الحلم وسعة الصدر ، ويحفظ قومه من مفاجآت الزمن ، فها أحسن أن يبقى ود الناس متصلاً ونفوسهم مطمئنة : (١٥)

تحلم عن الأدنين واستبق ودهم فلن تستمطيع الحلم حتى تحليا متى ترق أضغان العشيرة بالأنا وكف الأذى يحسم لك الداء محسيا

أما الشاعر الحادرة (١٦) فإنه يصل رحمه بطريقة دفاعية أخلاقية أخرى ، فيحافظ عليهم ويرعى حقوقهم ويقف دون مس كرامتهم ويقيهم السوء بالمال الحلال الذى لاتشوبه شائبة : فإنه مال ينفق لغرض شريف وما أشرف من صلة الرحم ؟ فلابد أن يكون مالاً حلالاً تطمئن النفوس الى مصدره حتى يؤتى ثهاره ، فإذا لم ينفع المال ودعوته السلمية أول الأمر ورأى أن الضرورة قد فرضت عليه القتال حفاظاً على أهله وتخليداً لحسبه فلا مناص من ذلك ، فهم السراع الى دخول المعامع ، والمنادى بعضهم بعضا حقنا لدماء العشيرة والتصدى لعاديات المغيرين . وتلك صفة إنسانية محببة لأن العاقل من أدرك أن الحرب دمار للمنتصر والمهزوم بنسب مختلفة ، والأولى أن يدفع الإنسان الحرب بسلاح المال فإن قصر هذا السلاح أو فنى فلا مناص من عدة الدماء حتى لايقف بالإنسان عاجزاً أمام ذويه ، فالإقدام النفسى لفض الاشتباك سلميا خير وأبقى والإكانت الواقعة :

ونقى بآمسن مالنا أحسابنا ونجر في الهيجا الرماح وندعى

فهذه صورة مشرفة لصلة الرحم والحفاظ عليه والعاقل من جعل هدفه لا إثم ولا عدوان بل دفاع ورد طغيان .

وإذا كان شعراء العصر الجاهلي قد تعرض الخيرِّ منهم للدعوة لصلة الرحم , فإن الشاعر طرفه بن العبد يعرض لنا مسألة انسانية تستحق التبصر والتأنى في مضمونها ، وتلك هي قضية ظلم الأهل والأقارب ، فالمتعارف عليه إنسانيا أن يكون الإنسان دافعاً الظلم عن ذويه حصنا لهم ضد الآخرين ، أما أن يكون هو الظالم الغادر فهذا أمر يشق على النفس تصديقه وعلى العقل تصوره ، والشاعر حين يعرض لنا هذه الصورة إنما يحقق بها الأهل حتى يكون الرحم موصولا ، بها دفع الظلم ويدعو الى ذلك وبخاصة في مجال الأهل حتى يكون الرحم موصولا ،

онновыниковыником аменикамынаковына некачения черения и метерения компонентация и метерения компонентация и м Статем и метерения и метер

والبطل الحقيقى من يتحكم فى نفسه وقت الاندفاع للظلم ويحولها الى جانب الخير فتكون معطاء حانية .

ومرارة الظلم تشتد وتزداد عندما تكون في محيط الأهل ووقعها أسوأ على النفس من السيف الباتر، والأولى ان يداوى الانسان إيلامه بوده ودفع عاديات الأعداء عنهم: (١٧)

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند إذا أنت لم تنفع بودك أهله ولم تنك بالبؤسي عدوك فابعد

بطولات نفسية متفرقة :

أ ـ الحزم وقوة العزيمة :

من الأمور التي حث عليها شعراء الحكمة في العصر الجاهلي ان يلتزم الانسان بالخزم في القول فلا ينبغي أن يتحدث بقولة في غير موضعها ، فحين يرغب في قول الحق فليقصد اليه مباشرة وأداته « نعم » ، وحين يريد نفي حديث لا يروقه فليقصد اليه وأداته « لا » ، وهذا مايعنيه المثقب العبدي (٦٨) في أبياته التي تدل على البطولة النفسية متى تحكم الإنسان في فكره وحدد رأيه حتى لا يتردد فيكون مثار سخرية الآخرين ، فالأولى بالإنسان أن يكون حديثه محدداً موجهاً للصواب فلا خذلان ولاندم ، فإن ذلك أحفظ لهيبة الرجل وأجل :

لاتقولن إذا مالم ترد أن تتم الوعد في شيء: نعم حسن قول لا بعد نعم إن لا بعد نعم إن لا بعد نعم إن لا بعد نعم إن لا بعد نعم فإذا ماقلت لا فاصبر لها بنجاح الوعد إن الخلف ذم واعلم أن الدم نقص للفتى ومتى لايتــق الــذم يذم

ودار الشاعر زهير بن أبى سلمى فى مجال الحزم فى القول واثر البطولة النفسية فيه من أن الإنسان إذا لم يلنزم بالصراحة فى قوله ويبتعد عن فاحشه ومجالسة أصحابه أو الركون اليهم فلا يلومن الا نفسه فمثله كمثل صاحب جليس السوء ، اما أن يحرق بنار الكير أو تفسده مخلفات الفحم ، ويربأ بالحر ان يضع نفسه هذا الموضع ، وخليق به أن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها وللسانه قبل النطق هدفه حتى تكون كلم ته برداً وسلاماً على من يسمعه وأن يحتق قول الحق تبارك وتعالى « وقولوا للناس حسنا »(١٦٥)

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليا أو اصابك جاهل

ومن الحزم في القول الا يكذب الإنسان على نفسه ، فيوقعها في حبال الغش ، فإن الرجل الذي يعوِّد ذاته على صدق القول ويبعد بها عن مهاوى الرياء ، وينأى بها عن تمنى اقتناء ماعند الغير ، ويقنع بما وهبه الله فهو البطل الحازم لأمر نفسه ، ففي سجل البطولة النفسية الا يفسق المرء ولا يجسد ولا يطمع فها عند الناس وهذا ما اشار الميه الشاعر أفنون (٧٠) ؛

فلا خمير في يكذب المرء نفسه وتقواله للشيء ياليت ذا ليا

ومن الصفات الحميدة التى تدل على البطولة النفسية وتعتبر من شهائل الإنسان قوة التحمل وبث العزيمة القوية في النفوس ، والارادة الحازمة ، فرحم الله امراً عرف قدر نفسه ، فلا يحملها فوق طاقتها ، ويقف عند حدودها معلنا مقدرته ، وذلك من أمارات الرجولة التى عناها الشاعر المخضرم عمرو بن معد يكرب وكان قد نظم هذه الأبيات ضمن قصيدة في جاهليته قبل ان يسلم حيث كانت في موقف تزويجه (٢١) :

إذا لم تستسطيع شيئاً فدعه وجاوزه الى ماتستطيع وصلم بالزماع فكل أمرٍ سيالك أو سموت له ولوع وقد ساق البحترى (٧٢) ماقاله أحد الشعراء الجاهليين حاثاً على الإقدام في الأمور،

والمضاء في العزيمة بصدق وقوة وبسالة ، والابتعاد عن التباطؤ والكسل فها مثبطان للهمم مهلكان للنشاط ، كما ينبغي على الإنسان الا يكون متشائها، وألا يركن الى الخرافات

والشعوذة ، فقدر الانسان بيد الله وحده :

إذا ما أردت الأمر فامض لوجهه وخمل الهوينى جانباً متنائياً ولا يمنعنك الطبير مما أردته فقد خطفى الألواح ماكنت لاقيا

وكذلك يعبر الشاعر الصعلوك تأبط شراً (٢٧) أنه يجب على الإنسان أن يحزم أمره ، ومهم نزل به من خطب فليقابل ذلك بالصبر والتجلد ولايحيد عن جادة الطريق ، أو يركن الى الفشل وأن يتحابل في كل الأمور حتى يقضى حاجته عن اطمئنان نفس واقتناع ، فهو حيننذ البطل المتحكم في نزوات نفسه المهيمن عليها بقوة وعزم وصدق إرادة :

إذا المرء لم يحتسل وقسد جسد جده أضاع وقساسي أمسره وهسو مدبر ولكن أخبو العنرم السذي ليس نازلاً به الخطسب إلا وهسو للقصد مبصر

والحلم من عفة النفس وإكرامها ، وقد أدرك تلك الحقيقة العديد من شعراء العصر الجاهلي ؛ فهذا النابغة (٧٤) يحض الإنسان ان يكون حلياً متسامحاً فإن ذلك من عزم الأمور ، وألا يركن الى الخيلاء فإنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا ؛ فلابد من الاعتدال عفاقا للنفس وترفعاً عن مواطن الخذلان ، فها جدوى التكبر والخيلاء لانسان تفني نفسه :

ولاتذهب بحلمك طاميات من الخيلاء ليس لهن باب فانك سوف تحلم أو تناهى إذا ماشبت أو شاب الغراب

وعن إكرام النفس يتحدث الشاعر حاتم الطائى (٧٥) مبرزا ضرورة إكرام النفس فمن هانت عليه نفسه سهل هوانها على الناس ، وماكان الانسان ليضعف أمام قوة نفسه ويخذلها :

عليك فلن تلقيي لها الدهر مكرما

ونفسيك أكرمها فإنبك تهن

وبنفس الطريقة يحدثنا الشاعر مالك بن حريم (٧١) عن اكرام النفس وابعادها عن الفحش والشمح ، ويزجرها عن أمور كثيرة تشينها حتى لايكون هدفاً للوم الناس ، وهذا تأكيد لمن يتبصر في الأمور ويحزم فعله وهي سمة محببة :

وأكرم نفسى عن أمدور كثيرة حفاظاً وأنهى شحها أن نطلعا

وإكرام النفس أمر واجب على كل أبي عفيف ، كسما يقسول الشاعر زهير بن أبي سلمي (٧٧) على أن يتبصر في معرفة حقيقة الناس ويفرق بين الصديق والعدو، ويكون سنده في كل مخططات حياته اكرام نفسه في كل احوال إقامته أو ظعنه :

ومسن يغتسرب يحسسب عدوأ صديقه ومسن لايكرم نفسسه لايكرم

ومن أجل سيات البطولة النفسية أن يحكم الإنسان أمره ، يفكر في عواقب الأمور قبل الإقدام عليها . ويحفظ نفسه عن مظانَ الشر ، وما أحسن ان يتحكم المرء في دوافعه وبخاصة وقت الغضب وأن يركن الى الحلم وإظهار حزمه لأموره فلا يندفع في أمر يجلب له الشرور والتهلكة ، وهذا مارسمه الشاعر عبد قيس بن خفاف (٧٨) :

وإذا تشاجس في فؤادك مرة أمسران فاعمد للأعف الأجمل وإذا هممت بأمسر شر فاتئد وإذا هممت بأمسر خمير فافعل

ب _ هجر التلون والنفاق:

من أحط الخصال الإنسانية أن يتلون المرء أمام الآخرين في المواقف المتعددة وقد أدرك هذا شعراء العصر الجاهلي ، فرأوا أن من اكتال عناصر البطولة الانسانية في البشر أن يكون الرجل على صورة واحدة ، يراه بها الصديق وغيره ، فمن ملك أمر نفسه وسيطر

عليها لايهاب الناس ولاينافقهم أو يتلون أمامهم ليعطفوا عليه أو يكون موضع إحسانهم وتقديرهم ، فكهال المرء في ثبات خلقه ، وبطولته النفسية في أن يكون لمرآته وجه واحد الأن الزيف سرعان ما بنكشف وتعود الصفات الأصيلة الى أصحابها ، ويظهر وجهه الآخر ليعبر للقوم عن زيف الحقائق ، فالخير كل الخير أن يوطن الإنسان نفسه على موقف الصدق حين تسول له أن يتلون أو يتصرف تصرفاً مغايراً لما أثر عنه من سبات أصيلة . فهذا ذو الاصبع العدواني (٧٦) يهتف قائلا:

كل امرى واجع يوماً لشيمته وإن تخالق أخلاقاً إلى حين

ومن صور التلون التى أدركها شعراء العصر الجاهلي أن ينعت المرء أخاه بما يكره في غيبته ، وحين يلقاه يتخلص من هذا النعت ويأتى بالصفات الحميدة ، فكره الشاعر المثقب العبدى (^^ أن يكون بين المجتمع البشرى مثل هذا الرجل ودعا الى التخلق بحميد الصفات الانسانية ، فالتلون من صفات الحيوانات الدنيئة وما أنبل أن يقىى الإنسان نفسه .

أما الشاعر أوس بن حجر (١٨) فيبرز لنا صورة الإخاء الصحيحة البعيدة عن التلون والنفاق معلنا ان الإخاء الصدق أمر ضرورى في بناء صرح كيان المجتمع الإنساني ، ولاتكتمل شيائل الناس إلا إذا عمهم صدق الأخوة وظهر كل إنسان على حقيقته أمام الآخوين :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يذمك إن وَلَى ويرضيك مقبلا ولكن أخوك الناء مادمت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

ومن خير أبيات عنترة العبسى تحذيره للبشر جميعا من خداع الرؤية والتلون ، وأن يكون المرء خبيراً بمن يعاشر ، ملها بكل أطراف حياته حتى لايقع في شراك الغدر والمباغتة ، وتلك بطولة نفسية تدل على الفراسة وبعد النظر ، فشأن من يركن الى الناس ولايدرك حقيقة أمرهم ويطمئن دائما اليهم دون تجربة ، كشأن من يأنس الى الحية الرقطاء ويتلمسها بيده وقد بهرت العيون بلونها ونعومة ملمسها ، فإذا أظهرت حقيقتها فهى الفتك والفناء الكامن تحت أنيابها يسرى فى دم الإنسان فيقضى عليه كما يقضى المتلون على سلامة المجتمع فاحذروه (٨٢٠)

إن الأفاعـى وإن لانـت ملامسها عنـد التقلـب في أنيابهـا العطب

ج. الوفاء بالوعد :

من أنبل الشيائل الإنسانية أن يكون الانسان وفياً بوعده ، باراً بما أخذ على عاتقه ولو كلفه ذلك مشقة وعناءً . فقد حضت آيات الكتاب المبين على الوفاء بالعهد في مواقف عديدة منها قوله تعالى « بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين »(٨٠) « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا »(٨٠) فهم أولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . فمن عجيب الأمور أن نجد بين شعراء الجاهلية من يخطط لسلامة المجتمع الإنساني بالوفاء بالعهود ، وينتى في أبناء ذلك العصر تلك الفضيلة لأنها انتصار الإنسان على نفسه بعد صراع مرير يتجاذب طرفيه عاملان ها الخير في الانجاز والشر في الخلف والغدر ، فمن استطاع أن يغلب الجانب الأول فهو البطل الحرى بالإكبار .

وكان العرب فى جاهليتهم لايقدرون شيئا كيا يقدرون الوفاء ، فإذا وعد أحدهم وعداً أو فى به ، وأوفت معه قبيلته (٨٥) حتى ولو كلفه ذلك أعز مايملك من متاع الدنيا .

وقد تسابق الشعراء في هذا الميدان ، فجاء الأعشى (^{٨٦)} يحض على الوفاء بالعهد وأداء الأمانة حتى ولو كلفه ذلك حياته ، فيكفى أن يُخلد ذكره بين الناس ليقال وعد فأوفى ، فهتف بنصائحه الغالية قائلا :

ولاتعدن الناس مالست منجزاً ولاتشتمن جاراً لطيفاً مصافيا وإن امرو أسدى اليك أمانة فأوف بها إن مت سميت وافيا ويؤكد هذا المعنى في مناسبة ثانية عن نفسه بقوله : :

وإنسى إذا ماقلت قولا فعلته ولست بمخلف لقولي مبدل

أماعامر بن الطفيل (^(A) فيعطى لنا صورة الإنسان قوى الإرادة البطل الحقيقى الذي إذا أصدر وعيداً نحو غيره ربحا يتناساه ، ولايقدم عليه لأن فيه الضرر والهلاك له أو للموعود ، أما إذا وعد فلابد من ان يكون حريصاً على الوفاء بوعده لما فيه من خير وعلو مكانة بن الناس جمعا فيقول :

وإنسى إن أوعدتسه أو وعدته لأخلف إيعسادي وأنجسز موعدي

ويأتى دور زهير بن أبى سلمى داعية السلام ليحض الناس على الوفاء بالعهد ويبصرهم بأن مكنون صدور القوم من خلق دفينة لابد ظاهرة للعيان فى يوم من الأيام وان طال عليها الزمن او خفيت عن الناس أحيانا ، فكمال المرء أن يكون واضحا ، ظاهره كباطنه ، وبطولته أن يفى بما وعد دون حاجة الى كذب أو اختلاق الأعذار ، وأجدر بأن يكون سر المرء ودبعة عند من طابت سريرته وجملت خصاله وحمدت بين الناس أفعاله ، فقال مرشداً للناس : (٨٩) :

ومهما تكن عنسد امسرى من خليقة وإن خالها تخفسى على النساس تعلم ومن يوف لايذمم ومسن يفض قلبه الى مطمئسن البسر لايتجمجم

د ـ الحرص وبعد النظر :ــ

لم يكن بغريب أن نجد بين شعر الجاهلية مايدعو الإنسان الى الحرص فى أمور حياته وبعد النظر فيا ينفذه أو يقدم عليه ، فالبطل فى عُرف الناس هو من يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، ويحسب حساب الزمن فى كل ظروف حياة الإنسان أهو معه أم عليه ، ويدرك بثاقب بصره كيف يتصرف فى الأمور وفتى ناموس الحياة ، ولايأتى من نفسه بدعة وإنما يكون ذا تجارب وحنكة وخبرة ربما استقاها من غيره من ذوى العقول المفكرة والخبرات المقدية ..

وفي هذا المجال ينبري عبيد بن الأبرص (١٠) ليعطى لنا نمطاً من السلوك البشري

السليم الذى ينبغى أن يتجمل به الإنسان ليصير بطلاً ذا شيائل محمودة ، وتلك خصلة الطاعة وسياع نصح الغير ممن صقلتهم الحياة بتجاربها العديدة والخير كل الحير ألا يشذ الإنسان عن الجياعة في مجتمع تباعدت أطرافه وحاقت به الاخطار من كل جانب ، فها أحوجه الى الحرص والتآزر والتناصح :

إذا كنت لم تعباً برأى ولم تطع لنصح ولاتصفى الى قول مرشد فلا تتقىى ذم العشميرة كلها وتدفع عنها باللسان وباليد

ومن بُعد بصيرة الإنسان أن يجرب الناس قبل أن يحكم عليهم ، فالبطولة النفسية في اتخاذ قرار بحكم على الآخرين ليس بالأمر الهين ، وإنما يحتاج الى تجريب وإخضاع لأسس مسلكية في حياة الفرد والجاعة ، وتبيان مدى التلاؤم والتلاحم بين جميع الأطراف ، والخروج بأحسن النتائج وأنفعها للفرد ..

وهذا مايشير اليه الشاعر عبيد بن الأبرص بنصحه للناس: (٩١)

ولاتظهرن حب امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمه أو احمد ولاتتبعن رأى من لم تقصه ولكن برأى المرء ذى اللب فاقتد

والحرص وبعد النظر يتمثلان في قول تأبط شراً (١٦٣) حين قال إن التأكد في اتخاذ القرار لايوصل الإنسان الى الندم والتحسر ، طالما كان بعيد النظر مقدراً للعواقب ، ويضع الشيء في موضعه السليم ، فهو الأمثل خلقاً والأجدر بالاحترام ، ولا غرابة أن يصدر ذلك النصح من شاعر - وإن كان من صعاليك الجاهلية - أسس البطولة النفسية في شعره مألوفة ، وخصاله أمام جميع الناس معروفة ، فالعاقل من يقدر العواقب ويدرك منتهاها :

ولا أقـــول إذا ماخلـــة صرمت ياويح نفسى من شوق وإشفاق

ومن بطولة بعد النظر والحرص ألا يأتمن الإنسان خاننا ، سواء أكانت تلك الأمانة ماديه أم معنوية كالأسرار والود ، ومن العجيب أن يظهر هذا السلوك في مجتمع جاهلي غلبت فيه علامات الخطف والنهب والسلب وأكل الأمانات واستطعام حقوق الناس . _ فإن الخثون لايصدقك وصحبته مهلكة لك وله ، والنسج على منواله كنسج العنكبوت بل هو أوهن ، وحياته شر مستطير ، وصاحبه مغرور كفور ، فيا أجمل التحذير منه على لسان عبيد بن الأبرص (٦٣) حتى يكمل لوحات الشيائل الإنسانية في الشعر الجاهلي :

إذا أنت حمّلت الخنون أمانة فإنك قد أسندنها شر مسند وجدت خنون القوم كالعرّ يُتقى وماخلت غم الجمار الا بعهدى

وبعد: فيضيق المجال عن ذكر كل مافى الخيال من صور البطولة النفسية والشهائل الإنسانية وتحليها فى الشعر الجاهلى ويكفى هذا القدر أن يكون دليلاعلى صفاء نفوس بعض الشعراء وإحقاقاً لحقهم فى الحياة الشريفة فى تلك الفترة الجاهلية.



• المصادر •

- ١ _ القرآن الكريم
- ٢ ـ الأصمعيات تحقيق الاستاذين احمد شاكر وعبدالسلام هارون ط٣ دار المعارف مصر
 ١٩٦٧ م .
- ٣ ـ أصول علم النفس د . احمد عزت راجح ط٩ المكتب المصرى الحديث بالاسكندرية ١٩٧٣ م .
 - ٤ _ جواهر الأدب احمد الهاشمي دار الفكر القاهرة د .ت
 - ٥ ـ ديوان الحياسة لأبي تمام طبعة بولاق القاهرة ١٢٩٦هـ
 - ٦ _ حماسة البحترى المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٢٩
 - ۷ ـ ديوان الأعشى فوزى عطوى بيروت ١٩٦٨
 - ۸ ـ دیوان أوس بن حجر تحقیق د . محمد یوسف نجم بیروت ۱۳۸۰هـ
 - ٩ _ ديوان حاتم الطائي كرم البستاني دار صادر بعروت ١٩٦٣
 - ١٠ _ ديوان زهير بن أبي سلمي تحقيق الاستاذ مصطفى السقا القاهرة ١٩٢٩
 - ١١ ديوان الشنفري تحقيق عبدالعزيز الممنى القاهرة ١٩٤٧
 - ۱۲ ـ ديوان طرفة بن العبد شرح الهمشرى القاهرة ١٩٠٠
 - ۱۳ ـ ديوان عامر بن الطفيل دار صادر بيروت ١٩٦٣
 - ١٤ ـ ديوان عبيد بن الأبرص كرم البستاني دار صادر بيروت ١٩٦٤
 - ١٥ ـ ديوان عروة بن الورد دار صادر بيروت ١٩٥٣
 - ١٦ ـ ديوان عنترة العبسي تحقيق محمد سعيد مولوي ١٩٧٠
 - ١٧ ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د . ناصر الأسدى دار العروبة القاهرة ١٩٦٣
 - ۱۸ ـ دیوان النابغة دار صادر سروت ۱۹۹۰
 - ١٩ ـ ديوان الهذليين دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨

٢٠ _ العصر الجاهلي د . شوقي ضيف دار المعارف القاهرة ١٩٦١

٢١ ـ لامية العرب دار مكتب الحياة بيروت ١٩٧٤

٢٢ _ مختار الشعر الجاهلي تحقيق الاستاذ مصطفى السقاط ٤ القاهرة ١٩٧١

٢٣ ـ المفضليات تحقيق الاستاذين احمد شاكر وعبدالسلام هارون ط٥ دار المعارف
 القاهرة ١٩٦٤

٧٤ ـ موسوعة الشعر العربي العصر الجاهلي بيروت ١٩٧٤



- (١) أصول علم النفس ـ د . احمد عزت راجع ص٩٣٠
 - (٢) المصدر السابق ٩٦
 - (٣) المصدر السابق ٩٩
 - (٤) مختار الشعر الجاهلي ٢/٣٧
 - (٥) حماسة أبي تمام ٢/٤٩٢
 - (٦) سورة الشمس أية رقم ٩
 - (۷) دیوان عبید ۸٦
 - (٨) لامية العرب ٥٧
 - (٩) لامية العرب ٤٣
 - (۱۰) ديوان الهذليين ۲/۱۲۷
 - (١١) المزلج: البخيل
 - (۱۲) المفضّليات ١٦٠
 - (۱۳) يؤوس : نقور
- (١٤) موسوعة الشعر العربي .. العصر الجاهل .. ٢/٤٤٦
 - (۱۵) ديوان عنترة ٢٤٩
 - (۱۹) ديوان عثترة ۸۷
 - (۱۷) مختار الشعر الجاهلي ۲/۲۹۰
 - (۱۸) ديوان عنترة ۲۰۹
 - (۱۹) لامية العرب ۸۳

- (۲۰) مختار الشعر الجاهلي ۲/۳۰۲
 - (۲۱) المفضليات ٤٢٢
 - (۲۲) دیوان عنترة ۱۸۵
- (٢٣) مختار الشعر الجاهل ٢/٣٠١
 - (٢٤) لامية العرب ٨١
 - (٢٥) سورة النساء أية رقم ٣٦
- (٣٦) العصر الجاهلي ٦٩ الدكتور شوقي ضيف
 - (۲۷) المفضليات ٤١٣
 - (۲۷) دیوان طرفة ۱۳۵
 - (۲۹) مختار الشعر الجاهلي ۲/۲۸٦
 - (۳۰) المفضليات ۲۱۰
- (٣١) موسوعة الشعر العربي _ العصر الجاهلي _ ٤٨١
 - (٣٢) الأصمعيات ٦٣
 - (٣٣) أجمل : أستر
- (٣٤) موسوعة الشعر العربي _ العصر ، الجاهل _ ٢/١٨٨
 - (٣٥) موسوعة الشعر العربي .. العصر الجاهلي ٥٨٩
 - (٣٦) مختار الشعر الجاهلي ٢/١٧٢
 - (۲۷) الشافعون : الدافعون
 - (٣٨) مختار الشعر الجاهل ٢/١٧٥
 - (٣٩) موسوعة الشعر العربي .. العصر الجاهل .. ١٧٨
 - (٤٠) الحميته : لون من الطعام يرب باللبن والسمن
 - (٤١) موسوعة الشعر العربي .. العصر الجاهلي .. ٥٠٩
 - (۲۲) ديوان عنترة ۲۰۸
 - (٤٣) ديوان عبيد بن الأبرص ١٣٢
 - (٤٤) مختار الشعر الجاهلي ٢/٥٧٧
 - (٤٥) المقرفون: المتهمون
 - (٤٦) ديوان حاتم ٣١
 - (21) ديوان حاتم ٢٦ (٤٧) ديوان حاتم ٣٥
 - (٤٨) موسوعة الشعر العربي _ العصر الجاهل _ ٤٩٣
 - (٤٩) مختار الشعر الجاهلي ٢/٣٦٦
 - (٥٠) مختار الشعر الجاهلي ٢/٣٧٣
 - (٥١) ديوان عروة بن الورد ٣١
 - (۵۲) مختار الشعر الجاهلي ۲/۱۹۵ (۵۳) موسوعة الشعر العربي ... العصر الجاهلي ۵۰۲
 - (٥٤) موسوعه الشعر العربي ... اا (٥٤) سورة البقرة أية رقم ٨٣
 - (٥٥) سورة البقرة اية رقم ٢١٥
 - (٥٦): سورة النساء أية رقم ١٣٥

```
( ٥٧ ) سورة الأتعام آية رقم ١٥١
                   ( ٨٨ ) سورة الأسراء آية رقم ٢٣
( ٥٩ ) شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمر ١٢ طـ١٣٠٦هـ
                  ( ٦٠ ) سورة الشوري أية رقم ٢٣
                   ( ٦١ ) سورة البقرة أية رقم ١٧٧
                  ( ٦٢ ) مختار الشعر الجاهل ٢/٣٠٢
                  ( ٦٣ ) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٧
                  ( ٦٤ ) ديوان عبيد بن الأبرص ٨٦
 ( ٦٥ ) موسوعة الشعر العربي .. العصر الجاهلي .. ٥٠١
                             ( ٦٦ ) المفضليات ٥٤
                    ( ٦٧ ) مختار الشعر الجاهلي ٣٢٠
                   ( ٦٨ ) ديان ألمثق العبدي ٢٢٧
                    ( ٦٩ ) سورة البقرة آية رقم ٨٣
```

(۷۰) القضليات ۲٦١

٧١١) الأصبعيات ١٧٥

(۷۲) حاسة البحتري ۲۵۸

(۷۳) موسوعة الشعر العربي .. العصر الجاهلي .. ٥٠٨

(٧٤) مختار الشعر الجاهل ١٩٢

(٧٥) موسوعة الشعر العربي _ العصر الجاهلي ٥٠١

(٧٦) الأصمعيات ٦٣

(۷۷) مختار الشعر الجاهل ۲۳۶

(۷۸) الأصمعيات ۲۳۰

(۷۹) المفضليات ۲۲۳

(۸۰) حام الایب ۱۳۲٤

(۸۱) دیوان أوس بن حجر ۱۹۳ تحقیق محمد یوسف نجم

(۸۲) المفضليات ۲۵۱

(٨٣) سورة أل عمران أية رقم ٧٦

(٨٤) سورة البقرة أية رقم ١٧٧

(٨٥) العصر الجاهل ٦٩

(٨٦) مختار الشعر الجاهل ٢/٣٠٢

(۸۷) مختار الشعر الجاهل ۲/۳۱۶

(۸۸) دیوان عامر بن الطفیل ۸۸

(٨٩) مختار الشعر الجاهل ٢٣٤

(٩٠) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٦ (٩١) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٧

(۹۲) المفضليات ۲۸

(۹۳) ديوان عبيد بن الابرص ٦٧

شَطُّ الْمَزارُ وَهَزَّنسي الْوَجْدُ والقلْب مِنْي بُلْبُلُ يَشْدُو وَالشَّـوْقُ بِالوِجْـدانِ مُنْصَهِرٌ وَصَبَابَتِي ماحَدَّها حَدُّ في العِشــق سرُ ليْسَ يُتِرِكُهُ إلاَّ ذَووه، ومَــن بهِ اعْتَدُوا وَاللَّهِ فَصْلٌ دائسم أَبَدا وَمِعَ المَحِيةِ يَقْرُبُ البُعْدُ وصدرى المحيط الى الخليج غدا يَرُويهِ عَنِّها السَّهْلُ والنَّجُدُ وَمــعَ الصفــاءِ تَروقُ مَلْحَمةُ والأشد مِنْهِا استبان الحق وَمُسع السولاءِ تدوم مَرْخَمَة في ظِل ِ شَهْم ِ تَاجُهُ الْمَجدُ وَأَدَى الْجَهَالَ مَعَ الْجَسَلالِ لَهُ رَمْسَزَانِ رُوحُ كِلَيهِمَ فَرْدُ! إنَّ العروبــةَ مِل، مهجته وَلِسَانَهُ الشُّكْرَانُ والحمد وَطَبِيعَةُ الانسان تَطْبِعُهُ إِذْ لِيْسَ مِنْ رُجْحانها بُدُ: المغسوارُ تَحْرُسُهُ عَسِينُ الإلسه فَيَصْدُقُ الوَعْدُ مِنْ نُحْبَدةِ الابطال طِينتُهُ: إنَّ الأُسْسودَ شيعارُها ﴿ الفهد ﴾! فَيَعُمُّهُا من سعيه السُّعد يسغسى السعيد لخسير أمته والكَوْتُورُ الفيساضُ منه رَوَى عَقْسَلًا سَليهاً شَاقَسِهِ الوردُ إنَّ انتقادَ الـذات سيرته وَالنهـج منـه الوَعْـي والجِدُّ واذا غَفَـتُ عَـيْنٌ، فانَّ لَهُ قَلْبِاً نَبِيلاً دأبه السُّهْدُ وَ (القُدْسُ) نَادَانَــا فَوَاجِينَا صيدْقُ الجهادِ ليُحسُنَ الرَّدُّ

فَيُالا الْحَسَادُ ﴾ تصول دولتنا وَيَعَسن في ميدانها الجُنْدُ وَالعَهُدُ اللَّهِ عَلَيْدُ وَالعَهُدُ ا

سرً بِهِ يَتَاكَدُ الْقَصَدُ :

بأمانية يزكو بها الخلد
في المُؤمنيين المسيكُ والنَّدُ
رَبُّ بِهِ يَتَحَصَّنُ العَبْدُ
رَاقَ السِّنَا ، وتكامَلِ العِقْدُ
فَصَعَ الْحَقِيقَةِ ينتفيي الضَدُ

وَ (الْفَهُ اللهِ) مِنْ (عَبْدِالعزيدز) لَهُ مِنْ الْجُدودِ قَامَ هُنَا لَهُ عَدْدُ فَاحَ مَنَا ثَلِهِ قَدْدُ فَاحَ مِنْ الْمُسَى شَمَا ثَلِهِ وَالصَّنْدُ (عَبْدُ اللّه) يَحْفَظُهُ مِنْ أَلْفُسُ الدُّرُ اللّبَتِيمِ لَقَدْ وَالشَّمْسُ لا تَخْفَى أَشِعْتُهَا وَالشَّمْسُ لا تَخْفَى أَشِعْتُهَا وَالفَجْرُرُ مِنْ أَبْهَى مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِعِه مَطَالِع مَلَا اللّهِ مَلْكُونَ مَنْ أَبْهَى مَطَالِع مَلَا لَهِ مَلْكُونَ مَنْ أَنْهَا مَلْكُونَ مَنْ أَنْهَا مَلْكُونَ مَنْ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتِعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتِعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتِعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتِعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُسْتَعِيمُ الْمُعْمُ الْمُعِمِيمُ الْمُعْمِيمُ الْمُعْمُ الْمُسْتَعِيمُ ا

في (طيبَةِ) ألسامُه ورد فَسَعَ القَرِيحَةِ يَنْجَحِج الجَهْدُ فَالشَّعْسِ فيك مَذَاقه شهدا لَوْدُ فَالشَّعْسِ فيك مَذَاقه شهدا الوُدُ مِنْ أصْلِهَا ، يَرْهُو بِها الجد؛ صحراءنا وتحطم القَيْد مَنْ مِنْ أَصْلِهَا ، يَرْهُو بِها الجد؛ لَمْ يُعْنِهِ حَسَدٌ وَلاَ حِقْدُا وَلَا عَلْمُ فَالنصر الولد فَالنصر الولد مَنْ ويفاخسِ الوقدُ المَنْ مَنْ ولا عَمْ ولا عَمْ الوَقْدُ المَنْطُ المَرَارُ وَهَرْنِي الوَقْدُ المَنْطُ المَرَارُ وَهَرْنِي الوَقْدُ الوَقْدُ المَنْطُ المَرَارُ وَهَرْنِي الوَقْدُ المَنْطُ المَرَارُ وَهَرْنِي الوَقْدُ المَنْطُ المَرَارُ وَهَرْنِي الوَقْدُ المَنْطُ المَرَارُ وَهَرْنِي الوَقْدُ المَنْدُ المَنْ الوَقْدُ المَنْ المَنْدُ المَنْدُونُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المُنْدُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُونُ المَنْدُونُ المَنْدُ المَنْدُ المَنْدُونُ المُنْدُونُ المَنْدُونُ المَنْدُونُ المُنْدُونُ المَنْدُونُ المَنْدُونُ المُنْدُونُ المُنْدُونُ المُنْسُونُ المُنْدُونُ المُن

ياحارس (البيت الحرام) ومَنْ وَمَنْ دُمْ عُمْدَةً الإسلام مُنْتَصِراً وَمَنْ وَلَتَبْسَقَ لِلآدابِ حَاميَها وَمِن (الرباط) تَخِيسَةً ترقى ومن (الرباط) تَخِيسَةً ترقى يُسِيرةً مُنْ الشهائيل المُفْحَنةُ عَبقَتْ يَخْصُراءً وَدُ لَنَا يَضِيره مُؤْرَبَهُ وَالوَالِيدُ وَلَيْكُم ، يصِيون حَوْرَتَهُ وَالوَالِيدُ وَالوَالِيدُ الرَّحِيمُ بِهِ وَالوَالِيدُ وَالمَشْرِدُ الرَّحِيمُ بِهِ وَالْفَضِيلُ فَهْمِنْ الله يشملنا والفَضِيلُ فَهْمِنْ الله يشملنا والفَضِيلُ فَهْمِنْ الله يشملنا الله يشملنا والفَلْبُ مُنْفِهُ «عَاشَ فَهْمَاتُ عَلَيْهُ » كُلًا

عرض كتاب . . .

في الخليج العربي



عرض وتعليق د . عبدالله حسن الأشعل

الظواهر الصحية الهامة انتشار مراكز البحوث في منطقة الخليج العربي التي تعنى بدراسات الخليج ودول الجزيرة العربيه دراسة وثائقية نحليلبلة من كافه عطاعات الحياة فيها : اقتصادية ، واجتاعية ، وسياسية ، وادبية ، وتقافيه _ . وغيرها ، ومن هذه المطواهر ايضا انجاه هذه المراكز الى نسيق جهودها سعيا الى محقيق هدفها المشنرك في خدمه فضايا الخليج والجزيرة العربية ، كها يقوم علاقات بين هذه المراكز ونظائرها في اخرج

والدراسة الني بين ايدينا تقتضى ان ننوه بالقائمين على نشرها ، وهي دارة الملك عبدالعزيز ، التي تتقدم على مراكز البحوث السابق ذكرها ؛ حيث لا تقتصر اعباؤها على الحليج والجزيرة ؛ واغا تتعداها الى معالجة القضايا المتصلة بالعالمين العربي والاسلامي . ولذلك تقوم الدارة بجهود كبيرة منوعة لحدمة هذه الاهداف ومن بينها طبع الكتابات المتعلقة بموضوع اهتامها ، وتيسير تداولها بين اوسع طائفة من القراء . ولاشك أن هدفي من تقديم هذه الدراسة النقدية للقارئ يتحدد في محاولة المساهمة في استكال ماقد يكون نقصا في الأعمال المتعلقة بالخليج والجزيرة .

وينقسم الكتاب _ الذى نعرض له _ الى سبعة فصول ، تبدأ بقدمة للتعريف بالفترة الزمنية للدراسة ، واستعراض عاجل لمحتوياتها ، وتنتهى بخاقة تلخص فى عجالة بعض الأفكار العامة التى عنيت بها هذه الدراسة ، وقد اتبع المؤلف الخاقة بملحقين الأول هو نص معاهدة ١٨٩١م بين مسقط وبريطانيا ، والثانى هو المعاهدة التجارية المتعلقة برحلات المراكب البحرية بين البلدين .

وتناول في الفصل الأول وعنوانه (حراسة مياه الخليج العربي) محاولات الفرس للقيام بحراسة مياه الخليج ، وادخال نظام المراقبة عن طريق الابحار الدائم قبل أن تفكر الحكومة البريطانية في الهند في البحث عن قاعدة بحرية في الخليج ، الامر الذي بدأت الولى خطواته العملية بعد الحملة البريطانية الأولى على الخليج عام ١٨١٩م

وخصص الفصل الثاني لمكافحة تجارة الرقيق ، كهدف في الاستراتيجية البريطانية . مسجلا ماهو معروف من ان بريطانيا قد اتخذت من حجة مكافحة الرقيق ذريعة لاجتباز الخليج ، وقطع الخليج العربى عن زنجبار ، وابعاد المؤثرات الاجنبية عنه ولم بكن للدوافع الانسانية أثر في نشكيل هذه السياسة ، وأفرد لتجارة السلاح في الاستراتيجية الامنية للهند الفصل الثالث من الكتاب ، حيث تعقب الظروف « الحرب الافغايه ١٨٧٩ ـ للهند الفصل الثالث من الكتاب ، حيث تعقب الظروف « الحرب الافغايه ١٨٧٩ ـ فكان حظر تجاره السلاح الى افريفيا ، والخليج احد معررات مؤتم برلبن ١٨٨٥م ، لان غكان حظر تجاره السلاح كانت تقوى من مفاومة البلاد المحتلة ، وتشجع المورات فيها ، مثلا حدث تجاره السلاح كانت تقوى من مفاومة البلاد المحتلة ، وتشجع المورات فيها ، مثلا حدث للثورات العبلية في سال غربى الهند ضد بريطانيا عام ١٨٩٧م . وهكذا وجدت بريطانيا من مصلحتها ان تحمل سلطان مسقط على اصدار اعلانات منابعة لحظر تجارة الأسلحة ، ثم توسع السلطان فخول السفن البريطانية والفارسية حق نفتيش السفن التي تحمل اعلام فارس ومسقط وبريطانيا ومن مسقط اتجه العمل الى حظر تجارة السلاح في كل من البحرين والكويت ، رغم ان الكويت كانت خاضعة للسيادة النركية . وهكذا امكن المحكومة البريطانية ان تقيم الامن فوق مباة الخليج العربي .

وعالج في الفصل الرابع كيف ان العلاقات السياسية قد استخدمت في خدمة الأمن في الخليج : من ذلك سعى حكومة لندن _ دون علم حكومة الهند _ لإصدار تعهد فرنسي بريطاني في ١٠ مارس ١٨٦٢م ، باحترام سيادة سلطاني مسفط وزنجبار ، كها وجهب العلاقات بين حكومة الهند والسعوديين من ١٨٥٨ الى ١٨٧١م وجهة تخدم امن حكومة الهند في الخليج ، اذ حاولت حكومة الهند ابعاد السعوديين عن التعامل مع مسقط ، أو الدخل في شئون الخليج ، وحاولت دون جدوى عقد محالفات بين البحرين ومسقط ضدهم ، وكانت تتعين الفرص للصدام معهم الا ان سياستها الثابتة كانت تقضى بعدم نعفيهم وكذلك حاولت حكومة الهند تحصين مسقط وغيرها من دعوة الوهابيين ، وابعاد السعوديين والفرس من الشاطئ خلال الفترة نفسها ، كما حرص البريطانيون ايضا على ابعاد القوتين عن من الشاطئ خلال الفترة نفسها ، كما حرص البريطانيون ايضا على ابعاد القوتين عن البحرين التي افاض في شرح تاريخها خلال الفترة موضع الدراسة ، دون ضرورة البحرين التي افاض في شرح تاريخها خلال الفترة موضع الدراسة ، دون ضرورة للسياق ، وأشار الكاتب الى الاثر الذى أوجده استحداث الملاحة ووسائل الاتصال البرفية

فى تمكن الحكومة البريطانية فى لندن من شئون الخليج بشكل مباشر وانتقال الاشراف على المخليج الى لندن بدلا من حكومة الهند ؛ لأن الخليج فى رأى البعض قد بدأ أكتر قربا الى اوروبا منه الى الهند فضلا عن انتقال الاهتام من جنوب الخليج الى شهالم ؛ حيث مشروعات الملاحة النهرية التجارية والخطوط الحديدية وامتداد اسلاك البرق الى اوروبا .

ونظرا لأهمية ادخال البخار والبرق ، خصص الكاتب الفصل الخامس لدراسة اثرها في السياسة البريطانية تجاه الخليج ، حيث اضافت هذه التطورات في قيمة الخليج الاستراتيجية الامنية للهند شربانا الاستراتيجية الامنية للهند شربانا للمعلومات . ويصل الكاتب الى نتيجة يخالف فيها بعض كتاب الغرب والناقلين عنهم من الكاتبين بالعربية على حد تعبيره - مؤداها أن الازدهار التجارى الذى احدثه دخول المخار والبرق ، لم يكن سوى نهب منظم لثروات المنطقة حيث ادت هذه التطورات في وسائل الاتصال الى نهب الفقراء الذين هزت هذه التطورات كل اقتصادهم التقليدى القائم على الملاحة الشراعية وتجار المخزن وصلت السفن البريطانية محل السفن الوطنية .

وفى الفصل السادس يستعرض الكاتب المد الاقليمى وسياسة الاتفاقـات المانعة الريطانية في المنطقة لمواجهة المد الترك ؛ من ذلك هجر قاعدة عدم التدخل في البر، البريطانية في المنطقة لمواجهة المد التركى ؛ من ذلك هجر قاعدة عدم التدخل في البر، وتدخلها في مسألة خور العديد لصالح شيخ ابوظبى « وذلك بغية وضع حد صريح للمد العثماني ولتأديب القبائل في المنطقة » وهذا التدخل كان بداية تغيير عام في موقف بريطانيا من تركيا الذي كان يقضى بالحفاظ على اسرة عثبانية لخدمة المصالح البريطانية . وعالج الكاتب السياسة البريطانية تجاه قطر التي وقعت تحت سلطة العثبانيين ؛ فهي تارة تعترف يهذا النفوذ التركى فيها حتى عام ١٨٨٨م في اطار السياسة البريطانية للتجزئة ، وهي تارة الحرى تنظر اليها كدولة عازلة غير مرتبطة بأي من البحرين أو تركيا .

وأخبرا ساول الفصل السابع المد الدولى وسياسة الانفاقات المانعة ١٨٧١م حيى ١٨٩٨ لابعاد الحليج عن الفوى الاجنبية وهي فرنسا وروسيا .

وبخلص من فراءة هذا الكتاب إلى أن هناك خمسه ملامح لسياسه الأمن البريطانية في الخليج وهي .

- ـ الابحار الدائم في صورة دوريات مسمرة قبل العبور على محطات بابته .
- ـ محديد النطاق الأسي لمنطقه الهند . يحنث لانتعدى حدود الخليج الى مأوراهه .
 - ـ قصل الخليج عن الساحل الافريقي
 - محاربه امحاهات الصم والنوحيد والتركيز على النستيب والتحزئه .
- ما المحكم في مناه الحليج محجة مكافحه محارة الرفيق ، والعمل على التحكم في محاره السلام .
- عزل الحليج عن العالم الحارجي وإبعاد أنه قوه حارجية من الانصال بدوله مناسره.
 وبعد هذا العرض لما على الكتاب أربع ملاحظات

الملاحظة الأولى ، أن الكانب وقع في لبس خطير عندما خلط بين امن الجليج بمفهوته الوظني ، وامن الوجود الاستعارى البريطاني في فتره معينه : فقد أشار صراحة في مقدمته «صفحة ٩ » إلى أن دراسة نتصب على امن الجليج العربي ، وترك الكانب بحب الطباع قوى بأن العلاقة بعن فضية أمن الجليج الحالة وبين دراسته أنما هي علاقة متصلة ، وأن دراسته بهدف إلى تأصيل هذه العلاقة واستعراض هذه القضية في احدى مراحلها التي حددها الكانب ، حتى أن « الداره » وهي تقدم الدراسة قد عكست هذا الانطاع الدي أرادة الكانب إذ أشارت «صفحة ٧ » إلى أن « قضية الأمن في الخليج ليست بنت اليوم ، وأغا ظهرت منذ ثلابة قرون نفرسا .. ومرت بجراحل متعددة ، وهذا كتاب بين احدي مراحل الصراع .. »

فالكانب إذاً قد خلط بين امن اهل الحليج وبين وسائل بأمين الوجبود والمصالح

البريطانية في معركة الصراع الدولي للسيطرة على الخليج ، وتهديد أمن سكانه .

وعندما اشار الكاتب في مقدمته الى ان تواتر موضوع امن الخليج حاليا بمعنى معين ارادت الصحف الاجنبية والعربية تثبيته في اذهان اهل الخليج والعرب ؛ راودنى امل كبير في انه مقدم و ولاشك و على تصحيح معنى الامن الذي نعمدت الاوساط الاجنبية غرسه في اذهان اهل المنطقة فهو ولاشك مفهوم مغرض ويتعين تصحيحه وظل هذا الأمل يراودنى من فصل لأخر حتى فرغت من الكتاب وفي نفسى هذا الأمل العزيز الذي غرس في نفسى العزم على القيام بهذه المهمة في ذراسة مقبلة باذن الله .

والملاحظة النانية: انه جميل من الكاتب ان يتعقب اجراءات الحكومة البربطانية لتأمين وجودها ، ولو انه استخدم نفس المعلومات التى تضمنتها دراسانه السابفة حول بريطانيا وامارات الساحل وحكومة الهند والادارة البريطانية في الخليج وحول علاقة ساحل عهان ببريطانيا وقد وجدنا ان هذه الدراسات جميعا تستخدم نفس المعلومات المكررة ولا جديد فيها ، ولو انه استخدم المعلومات لتأصيل نقطة حبوبة بسباق معين لكان افضل وانفع وأجدى من التكرار غير الضر ورى في خمسة كتب متعاقبة ولذلك صدرت أربعة منها خلال عامين اثنين هها ١٤٠٧ ـ ١٤٠٣ .

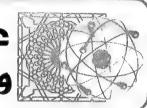
ولم نجد معنى لإصرار الكانب على اضافة عبارة « دراسة ونانقية » لهذه الكتب الخمسة، فتاريخ مرحلة معينة لابد ان يستمد من الوثائق ، أسراه أول من يستخرج هذه المعلومات من هذه الوثائق البكر؟ ام انه يقصد بها شيئا آخر؟ ام لعله يخلط بين الدراسة الموثقة ـ وهذا طبيعى ـ وبين الدراسة الوثائق والنصوص على الدراسة أى تدخل الكاتب . ؟

أما الملاحظة الثالثة فتنصب على لبس آخر أوقعنا فيه الكاتب الفاضل؛ ذلك ان الاشارة المستمرة الى « الهند » دون تعريف بمعناها في تلك الفترة بجعل القارئ يعتقد انها المند الحالية ، وتلك كانت سياستها وممارستها بل انه امعن في دفع القارئ الى هذا اللبس

باستخدام عبارات مثل « الأمن الهندى » (الفصل الرابع) والعلاقات الهندوسعودية والاستراتيجية الأمنية للهند (الفصل الثالث) ، وخصوصا استخدامه في عنوان (الفصل الثاني) عبارة الاستراتيجية الهندو بريطانية بما يعنى ان الهند وبريطانيا كانتا دولتين مختلفتين . وخطورة دفع القارئ الى هذا الاعتقاد الخاطئ انه من الظلم ان يحمل الهند وهي واقعة تحت الاستعار البريطاني ومقر قيادة المنطقة لغزواته ومنطلق فتوحاته ، تتحمل اوزار التاريخ الاستعارى البريطاني فيحدث ذلك تشوها وخللا هائلا في النظر الى تاريخ الهند ، وربما امتد هذا التشويه في نظرة القارئ الى الهند الحالية التي كافحت للتخلص من الاستعار البريطاني ، وكان انحسار هذا الاستعار عن شبه القارة الهندية مدعاة لنقل مقر قيادته الى الخليج « البحرين »

وأخيرا ، فان الملاحظة الرابعة تتعلق بأمور جوهرية شكلية ومنهجية في البحث العلمى الصحيح لا اود الافاضة فيها ، فلعل الكاتب الفاضل على علم كامل بها نرجو ان يكون الحيد عنها فد جاء غفلا ؛ ولكنى اجد ضرورة الاشارة الى ان من افدح مااغفله الكاتب انه اورد في صلب الكتاب نصوص اتفاقيات بلغتها التي صيغت فيها مما اربك القارئ ، وخالف اصول الكتابة العلمية .

ولكن هذه الملاحظات الموضوعية لايجب ان تثبط من همة الكاتب وإخلاصه لقضايا الخليج ، بل يجب ان تدفعه الى نوثيق اجزاء أخرى من تاريخ الخليج وعلاقاته الدولية وبذلك يخدم التاريخ القومي العربي جَدمَة كبيرة .



عبوه

إعـــداد الأستاذ مصطفى أمين جــاهبن

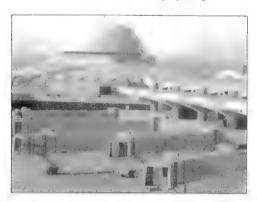


● في يوم الأربعاء « ١٣ صفر ١٤٠٤ - ١٦ نوفمبر ١٩٨٣م »، تفضل خادم الحرمين المتريفين « فهد بن عبدالعزيز » حفظه الله بالدياض ، بافتتاح مطار الملك خالد الدولى بالرياض ، والذي تبلغ مساحته ٢٢٥ كيلومتراً مربعاً ، ويضم هذا المطار خمس صالات سفر ، منها صالتان دوليتان ، وصالتان داخليتان ، والصالة المناسة هي الصالة الملكية ، وغير ذلك من المرافق والحدمات الأخرى .



ولقد أنشئ هذا المطار تكرياً لذكرى المغفور له الملك خالد بمن عبدالعزيز الذى حكم المملكة العربية السعودية في الفترة من ١٣٩٥ إلى ٢٠ شعبان ١٤٠٨هـ من ١٩٧٥ عنونيو ١٩٨٧ ». وقد بدأ تشغيل المطار لشركات

الطيران العالمية فى اليسوم الأول من شهر ربيع الأول ٤٠٤هـ (o ديسمبر ١٩٨٣م) وكانت أول طائرة تهبط أرض المطار قادمة من جدة ، وأول طائرة دولية كانت قادسة من صنعاء .



- ن ٢٥ شوال ١٣٦٤ه «٤ أكتوبسر ١٩٤٥م»، أول رحلة قام بها الملك عبدالعزيز
 « طبب الله ثراه » من عفيف إلى الحوية. ·
- أول مطار أنشئ في المملكة هو مطار
 « جدة » ، كان فيه مدرجان مرصوفان طول
 أحدها ، ٢٠٠٠ قدم ، والآخر ٦٣٥٠ قدما ،
 وبلغت نفقات إنشائه ٤٠٤٥٠ دولاراً .
- في عام « ١٩٣٤ه » « ١٩٤٥م » تم تسليم أول طائرة تجارية للركاب ، وكانت من نوع دي . سي ـ ٣ داكوتا ، ثم طلب شراء طائرتين أخريين من نفس النوع ثم أضيفت إليها بعد ذلك عشر طائسرات من طراز كونفير ١٣٤٠ عام ١٩٥٢م .
- ف عام ۱۹۹۳م، اشترت « السعودية »
 طائرتين من طراز بوينج ۷۲۰ ب.

O inglish pages O

في عام ١٩٦٥م، انضمت « السعودية »
 إلى الاتحاد العربي للنقل الجوي.

في عام ١٩٦٧م ، انضمت « السعودية »
 إلى منظمة « إياتا » فأصبحت خطوطاً عالمة .

■ فى عام ١٩٦٧م ، كانت أول الرحالات الخارجية للسعودية ، وكانت إلى طرابلس عن طريق بيروت ، وفى نفس العام أسس أول خط جوى إلى جنيف ، ثم فراكفورت ولندن ...

ڧ ني ١٣٩٦/٤/١٢ ، صدر مرسوم ملكى
 رقم م/١٧ بشأن إلغاء رسوم المفادرة من
 مطارات وموانئ المملكة العربية السعودية .

في يوم الثلاثاء «١٢ المحرم ١٤٠٤ - ٨٤ أكتوبر ١٩٨٣م » ونيابة عن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ،افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض أكبر مشروع للطاقة الشمسية في



العالم ، حيث تحولت أشعة الشمس إلى تيار كفربائى . والمشروع يبعد عن مدينة الرياض بحوالي ٥٠ كيلومترا في الشيال الغربي ؛ حيث ترقد ثلاث قرى صغيرة هي العيينسة ، الجبيلة ، والهجرة .

وتقدر كمية الشعاع الواصلة إلى المتر المربع عند الشروق بـ ٢٥٠ وات . وفى الظهيرة تصل إلى ٢٠٠٠ وإت ، وعند المغيب يتوقف الجهاز عن العمل ويستخدم نظام التخزين الذى يعتمده المشروع .

. . .

● في يوم الخميس « ٤ ربيع الأول ١٤٠٤ مـ - ٨ ديسمبر ١٩٨٣م » أعلنت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية ، عن اختيار صاحب الجلالة الملك «فهد بن عبدالعزيز » فائزاً وحيداً بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ؛ وذلك لما عرف به جلالته من عزيمة ثابتة وجهد صادق وعمل دائب في خدمة الإسلام والمسلمين .



الله ما الراك العربيم المحرة في السسساديخ

دولة الإمارات العربية المتحدة - التي تعرف سابقاً قبل عام تعرف سابقاً قبل عام الإمارات المتصافحة - لم تحفظ بعد - وحتى يومنا هذا - بما تستحقه من دراسة مستقلة خاصة ، إذ أن تاريخها الحديث قد عولج دائماً بصورة عابرة ، وفي نطاق تاريخ الخليج أو إقليم عُهان .

وقد أخذت هذه الإمارات في الظهور ككيان سياسي مستقل منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، ولعبت هذه الإمارات دوراً تاريخياً في تطور السياسة البريطانية في الخليج اثناء القرن التاسع عشر الميلادي ، وازداد ثقل والدولية أوائل القرن العشرين ، وفيا بين الحربين العالميتين . وما إن بدأ عصر البترول في الخليج حتى قفزت هذه الإمارات لتحتل في الخليج حتى قفزت هذه الإمارات لتحتل في سنوات قلائل مكانة مرموقة في عالم السياسة والمال ، وقامت بدور بارز في الأحداث العربية .

والإمارات السبع هي : « أبوظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجان ، وأم القيوين ، ورأس الخيمة ، والفجيرة » التي أعلنت اتحادها في ٢ ديسمبر ١٩٧١م ، ويعني هذا الإعلان معنيين كبرين :

الأول : الاستقلال التام ونهاية فترة الحياية

البريطانية وتولى بريطانيا شئون الإسارات الخارجية .

● الثاني: قيام الاتحاد بين الامارات.

وقد عرفت هذه الإمارات منذ نشأتها بين أهل الخليج باسم « إمارات الساحل » ، أو « إمارات ساحل عُهان » ولكن بعد أن تدخل البريطانيون في أمور الساحل بعد الحملة البريطانية عام ١٨١٩م، وتبوقيع اتضاقية مع الإمارات اتفاقية - ١٨٥٣م - عرفت إمارات الساحل لدى الرسميين البريطانيين والخرائط الدولية باسم الإمارات المتصالحة وفي عام ١٨٩٢م ، عقدت حكومة الهند البريطانية مع الإمارات « الاتفاقية المانعة » التي مارست بها بريطانيا العلاقات الخارجية لهذه الإمارات وذلك نظير حمايتها . وهنا أصيبح لإمارات الساحل وضع خاص في الكيان الدولي ، فهي إمارات مستقلة في شئونها الداخلية وليست بمحميات بالمعنى المتعارف عليه ، ولكن شئونها الخسارجية والدفاع عنها هما مستسولية البريطانيين.

وقد مارست بريطانيا بعد هزيمة حملتها عام ١٩٩٥ م ، ضد قبائل « بنى بوعلى » في صور سياسة تقليدية سارت عليها حكومة الهند ، وهي سياسة عدم التدخل في شنون الجزيسة المدوية الداخلية والاكتفاء بمارسة النفوذ في البحر والسواحل ، وقد مارست بريطانيا هذه

السياسة التقليدية في الشئسون السداخلية للإمارات، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية، تدخلت وزارة الخارجية البريطانية وهي المعنية وقتذاك بشئون المنطقة بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧م من بعض الجوانب الداخلية، بيها تفاضت عن بعض العلاقات الخارجية بين شيوخ الإمارات والدول العربية عندما اقتربت

من سنوات الانسحاب من الخليج في عام ١٩٦٨م، ونتيجة لذلك سارت الدولة منذ تشأتها في خطوات ثابتة نحو توثيق عرى التوحيد والترابط، وقد أثبتت هذه الدولة قدرتها على النمو والتقدم في جميع المجالات المختلفة.

🥏 اخبار 🌲 اخبار 🐑

الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهمتة بدراسات الخليج والجزيرة العربية بدولمة البحرين

■ شارك سعادة الشيخ عبداللك بن عبدالله أن الشيخ الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز . أن الشيخ الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز السماء ، في اجتاعات الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المربى والجنزيرة العربية التربي عقدت في دولة البحرين بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٨٨م.

وتناولت اجهاعات الدورة الموضوعات المطروحة في جدول الأعهال ، وأهمها بحث سبل جلب الوثائق التي تهم المنطقة من مصادرها في الخارج ، والتنسيق بين المراكز في هذا العمل ، وتوطيد العلاقات وتبادل الآراء حول القضايا والمسائل التداريخية والاطلاع

على ما يستجد من دراسات في بعض المراكز والهيشات العلمية خارج المنطقسة ، وكذا تدعيسم الصلات بين المراكز بتبادل المطبوعات والوثائق وغير ذلك من مصادر ومراجع تفيد الباحثين والدارسين .

■ في المدة من ١: ١ من شهر صفر ٤٠٤٨ الموافق من ٥: ١٠ نوفمبر ١٩٨٣م، اجتمعت اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بوزارة المارف مع خبراء ومستولى مراكز التوثيق في البلاد العربية بعدينة الرياض، والذي نظمته إدارة التوثيق والإعلام بالمنظمة المربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد مثل الذارة في هذه الندرة الاستاذ حمد العمرو المشرف على مركز الوثائق والمخطوطات بالدارة .

هذا وقد شملت الندوة عدة دراسيات وبحوث وتقارير هامة انتهبت بعشرين توصية في مجالات مختلفة لأعهال التوثيق والمعلومات للأقطار العربية.



سمو الامبر طلال بن عبدالعزيم في زيارة للدارة

قام صاحب السمو الملكى الأسير طلال بن
عبدالعزيز بزيارة الدارة ، وكان في استقبال سموه ،
سمادة الشبخ عبدالملك بن عبدالله أل الشيخ
الأمين العام للدارة ، وكبار المسئولين فيها .

شملت زبارة سموه قاعمة الملك عبدالعزيسز التذكارية ، والمكتبة ، ومركز الوتائق والمغطوطات ، والبحوث ، وقسم ترميم الوثائق والمخطوطات ، والتجليد ..



محضر أعهال وقرارات وتوصيات الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية

بدعوة كريمة من سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشئون الإسلامية ورئيس مركز الوثائق التباريخية في البحرين ، انعقدت الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجريرة العربية في البحرين في

الفشرة ما بـين ٢٣ ــ ٢٥ صفـــر ١٤٠٤هــ الموافق ٢٨ ــ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م .

وقد اكتمل وصول الوفود يوم ٢١ صفر ١٤٠٤هـ الموافق ٢٧ نوفمبسر ١٩٨٣م إلى فندق شيراتون في البحرين ، وقد شارك في هذه الدورة :

الأمانة العامة للمراكز:

الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار ـ
 الأمين العام للمراكز .

٢ ـ الدكتور عبدالحسين مبارك .

مركز الوثائق والدراسات ـ أبوظبى :
 ١ ـ الدكتور محمد مرسى عبدالله ـ مدير المركز .

• مركز الوثائق التاريخية ـ البحرين :

 ١ - سعادة الشيخ عبدالله بن خالد
 آل خليفة وزير العدل والشئون الاسلامية ورئيس المركز.

۲ ـ الدكتور على عبدالرحمن ابا حسين ـ مدير المركز .

دارة الملك عبدالعزيز _ الرياض :
 ١ _ الاستاذ عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ أمين عام الدارة .

٢ - الاستاذ عبدالرحسن عبدالعسزيز السراء.

• قسم الوثائق والأبحاث ــ الدوحة :

١ - الاستاذ أحمد عبدالمحسن العنائى ـ
 رئيس القسم .

٢ ـ الاستاذ أحمد جاسم مفتاح .

بحلة دراسات الخليج والجريرة العربية ـ
 جامعة الكويت:

١ ـ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم رئيس
 تحرير المجلة .

• مركز الدراسات والبحوث اليمني _ صنعاء :

الاستاذ أحمد حسين المروني .
 الاستاذ محمد أحمد الرعدي .

مركز الوثائق والدراسات الانسانية _ جامعة
 قطر:

١ _ الاستاذ محمد قافود

٢ ـ الاستاذ يوسف النعمة

مركز التربية العربى لدول الخليج _
 ال باض:

١ ـ الدكتور توفيق اليوزبكي .

وقد افتتحت الدورة السابعة في الساعة الثامنة من صباح يوم الأثنين ٢٣ صفر الموافق ٢٨ نوفمبر حيث ألقى سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة كلمة افتتاح الدورة . كيا ألقى الدكتور مصطفي عبدالقادر النجار كلمة حول الأمانية ونشاطها خلال العام وفي الساعة العاشرة صباحا صحب الوفود سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة لزيارة سمو أمير البلاد الشيخ عيسى بن سلهان آل خليفة ورئيس الوزراء سمو الشيخ خليفة بهن سلهان أل خليفة . وقد شكر الأمين العام الدكتور مصطفى النجار أمير البلاد لكرم الضيافة ، وأثنى على تشجيع سموه لنشاط وأهداف المراكز والهيئات بصفة عامة ، ومركز الوثائق التاريخية في البحرين بصفة خاصة .

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر صاحبت

الوفود المشاركة فى الدورة السابعية سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة فى افتتاح معرض كتاب البحرين المقام بقاعة السفراء فى فندق الدبلومات.

وقد أعد ركن في هذا المعرض للكتب
ومنشورات المراكز والهيئات العلمية المهتمة
بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية .
وفي الساعة السابعة مساء أقام سعادة
الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة حفل عشاء
في فندق شيراتون للوفود المشاركة في الدورة
السابعة .

وفى صباح الثلاثاء ٢٤ صفر الموافق ٢٩ نوفمبر عقدت الجلسة النسانية للمراكز والهيئات وتم في بداية الجلسة اختيار سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة رئيسا للدورة السابعة . كها تقست الموافقسة على اختيار الدكتمور على عبدالرجمن أباحسين مقرراً للدورة . وتشكلت لجنبة لصياغة أعهال الدورة وتوصياتها وقراراتها على النحسو التالى :

الاستاذ أحمد عبدالمحسن العناني _ عضواً . الاستاذ عبدالرحمسن عبدالعسزيز السراء _ عضواً .

الاستاذ محمد أحمد الرعدي _ عضواً .

وبعد ذلك أشار الأمين العمام الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار إلى ضرورة أن يسلم كل مركز وهيئة بحثمه الخماص إلى. الدكتمور على عبدالرحمن أباحسين وذلك

لنشره فى الكتاب السنوى لأبحاث الحلقــة السابعة .

وعلى الأثر طلب سعادة الشبيخ عبدالله بن خالد الخليفة من رؤساء الوفسود قراءة تقاريرهم حول أحوال مراكزهم أو هيئاتهم خلال العام وبيان منجزاتهم ومنشوراتهم من الكتب والدوريات وقد تحدث على التعاقب:

الدكتسور محمد مرسى عبىدالله .. مدير مركز الوثائق والدراسات _ ابوظبى

الاستاذ عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ ـ دارة الملك عبدالعزيز

الدكتور عبدالحسين مبارك ـ مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة

الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم _ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

الاستاذ احمد عبدالمحسن العنانى ـ قسم الوثائق والأبحاث ـ الدوحة الدكتـور محمـد قافـود ـ مركز الوثائــني

والدراسات الانسانية _ جامعة قطر الاستاذ احمد حسين البرونسي _ مركز

الدراسات والبحوث اليمنية ـ صنعاء الدكتور توفيق اليوزبكى ـ مركز التمربية العربى لدول الخليج ـ الرياض

وفى الساعة السادسة مساء يوم الثلاثاء ٢٤ صفر الموافق ٢٩ نوفمبر عقدت الوفود جلستها الثالثة ، وبعد تحديد موضوعات البحث التي تهم الأمانة العامة والوفود

المشاركة فى الدورة السابعة ، جرت مناقشة تفصيلية لهذه الموضوعات .

وفي صباح الاربعاء ٢٥ صفر الموافق ٣٠

نوفصر أقبرت الوفسود المساركة في البدورة السابعة هذه القرارات والتوصيات .. اولا: تشكر الامانة العامة ورؤساء الوفود وأعضاؤها المساركون في الدورة السابعية للمركز والحيثات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية صاحب السمو أمبر البلاد الشيخ عيس بن سلمان الخليفة وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان الخليفة وصاحب السمو ولى العهد الشيخ حمد بن عيسى الخليفة لما لقوا من رعاية وترحاب لهم وللدورة السابعة في دولة البحرين ، وقد تقرر إرسال برقيات من الأمانة العامية للمراكز والهيئات العلمية لدول الخليج والجريرة العربية . وتثنى الامانة العامة والوفعود المشاركة على حسن الاستقبال والتنظيم لهذه الدورة وإقامة معرض كتب ومنشبورات المراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية وكذلك تنظيم الندوة العلمية (البحرين عبر التاريخ) التي ستعقد في البحرين في الفترة مابين ٢-٩ ديسمبر ١٩٨٣ تلك الندوة التي ستسهم في إثراء الابحاث العلمية حول البحرين ومنطقة الخليج والجزيرة العربية ..

كها تقدم الامانة العامـة والوفـود خالص الشكر والثناء للدكتور على عبدالرحمن ابــا

حسين مدير مركز الوثائق التماريخية على الجهد الذى بذله فى إنجاح الدورة السابعة للمراكز والهيئات ومعرض الكتاب المصاحب لها، وندوة البحرين عبر التاريخ ..

ثانيا : تشكر الامانة العامة والوفود المساركة سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة لاستضافته وفد الوسائل التاريخية للدورة السابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية .

ثالثا: تبدى المراكز والهيئات تقديرها الكبير للجهد البارز والدأب المستمر الذي يقوم به الأمين العام الدكتور مصطفى النجار في تحقيق رسالة الأمانة وتقدم له عاطر شكرها على الجهد الذي بذله مع مركز الوثائق التاريخية في البحرين لنجاح هذه الدورة السابعة للمراكز والهيئات ..

رابعا: وافق المجتمعون على قبول مركز الوثائق والدراسات الانسانية فى جامعة قطر عضوا عاملا فى الامانة العامـة كها تمـت الموافقة على قبول مركز التربية العربى لدول الخليج فى الرياض والمركز الوطنى للوثائق فى بغداد عضوا مراقبا ..

خامسا: تشكر الامانسة العامسة والمراكز والهيئات دعوة الدكتور عبدالعزيز المقالم رئيس مركز الدراسات والبحوث بالجمهورية العربية اليمنية استضافة الدورة الثامنة في صنعاء .. وقد تقرر قبول الدعوة كها تقرر انعقادها في شهر ابريل ١٩٨٥ .

سادسا: يوصى المجتمعون أن توثق المراكز والهيئات تعاونها العلمى مع اجهرة مجلس التعاون لدول الخليج العربية حينا يطلب منها ذلك

سابعا: يوصى المجتمعون بالاستجابة لدعوة وزارة الاعلام والارشاد في السودان لإقامة اسبوع خليجي في الخرطوم يبدأ يوم ٥ قبراير علي المراكز والهيشات ان تحصل على الموافقات الرسمية للمشاركة في هذا الاسبوع وترسل الكتب والمنشسورات العلمية لمعرض الكتاب الخليجي على وجه السرعة الى السيد احمد شيلاب مدير عام الثقافة والارشاد في وزارة الاعلام والارشاد بالخرطوم".

ثامنا : يوصى المجتمعون بالاستجابة لدعوة المعهد العربي الأسبائي في مدريد لإقامة أسبوع خليجي هناك في شهر اغسطس ١٩٨٤م

كها يشكر المجتمعون سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة . كريم تلبيته ان يكون هذا الاسبوع تحت رعايته .

تاسعا : يطلب المجتمعون أن يحدد ويرسل مركز الدراسات والبحوث اليمنية في صنعاء بيانا بأسهاء الكتب وفهارسها والمخطوطات التي يرغب في طباعتها الى المراكز والهيئات الاعضاء في الامانة العامة . ويوصى المجتمعون ان يترك لكل مركز وهيئة اختيار

الكتاب الذى يرغب في طباعته على نفقته . ويترك للامانة العامة ومركز الدراسات والبحوث اليمنية والمراكز والهيئات تنظيم امور النشر في اسلوبه ..

عاشرا: يوصى المجتمعون بضرورة متابعة المراكز والهيئات قضية حفيظ الوثاني الادارية للدولة ورعايتها لدى المستولين في كل دولية من دول الخليج؛ حيث أن هذه الوثائق لم تلق بعد الرعاية اللازمة لها من حفظ وتنظيم في اغلب دول الخليج والجزيرة العربية ..

حادي عشر: يوصى المجتمع ون بضرورة

تبادل فهارس الوثائق بين المراكز والهيشات وكذلك يؤكدون على ضرورة تعميق التعاون فيا بينهم وخاصة في تبادل الكتب والمنشورات العلمية. ويطلبون من الامانة العامة التنسيق بين المراكز في مجال الإبحاث ، كها يوصى المجتمعون بالاهتام بكتب الرحلات في العصر الحديث في الخليج المراكز لتكتمل هذه المجموعة في المركز ... والجزيرة العربية وتبادل صور منها بين ثاني عشر: يوصى المجتمعون أن تعقد المرائة العامة اجتاعاتها في ابو ظبى في وقت تحدده الامانة العمة وذلك المراغة النظام الداخل للامانة ليواكب نحو الإمانة وتطور نشاطها ويصرض النص الجديد على المراكز والهيئات في اجتماع صنعاء المحدود على المراكز والهيئات في اجتماع صنعاء الجديد على المراكز والهيئات في اجتماع صنعاء

في ابريل ١٩٨٥م .



الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي
 ١٩٤٣ - ١٩٤٣م

- تأليف الدكتور عاصم الدسوقي .

ـ من مطبوعــات دارة الملك عبدالعــزيز « ٣٦ » .

الطبعية الأولى « ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م » « ١٧٢ صفحة » .



• البلاط الأدبي للمعز بن ياديس « دراسة تاريخية أدبية تُقَدِية »

- للدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة

د من مطبوعات عنادة شدون المكتبات. جامعة اللك سعود.

" الطبعة الأولى « ١٤٠٣ م ١٩٨٣ م »

ف تأملات في قرآننا الإسلامين تأملات في قرآننا الإسلامين الدين الد

الطبعة الأولى « ٤٠٤١ه ـ ٢٨٢٢م» « ٢٣٧٧م»



🕳 شعراء ينبع وجُهينة

﴿ مَلِسُلَةَ تَرَاثُ الْجُرُيرَةِ الْعَرِيْيَةِ ﴿ مَنْ مُرَالِكُمُ الْحُرِيِّيةِ ﴿ مُرْكِمُ الْحُلِيبُ تأليقُ: ﴿ ١٨٠ صفحة ﴾ ١٨٠ صفحة »



عمدن الخطاب

♦ أعلاء الصحابة « ۲ »
 عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب أمبر المؤمنين محمد على مغرسي ۲۲۲ صفحة

أبيات المعنى في شعر المنبى
« دُولَيْنَةُ أُونِيَةً تَقْدَيْةً مِقَارَتَةً »
د تأليف الذكور عدة عبدالعزيز قلقيلة :
د من تطبرهات الجيفة العربية السعردية للثقافة والقين
انطعاء الأولى . ١٩٨٧م .

× ١٦٤ صفحة × ١



This road passes through Ram — Allah, Qalqiliah, Tolkodm, Nablus, Samaria then Jalilee .

Jerusalem in history:

Of the ancient east, Jerusalem stands as the most well a known city in history owing to its famous sacred and historical monuments which are of supreme significance to the three great monotherstic religions: Judaism, Christianity and Islam

For Muslims, Jerusalem has its main religious monuments which points out the legal Arab right throughout the different stages of history. The most famous is "Beit Al -Maqdes" the Sacred House. The Mosque of Omar and the Dome of the Rock which is considered as one of the most wonderful "edifices" in the world.

It is indeed a land of great spiritual interset which is considered, for Muslims, a religion statuted land, analogo to Mecca and Medina.

Now having displayed the historical background of Jerusalem, in particular and of Palestine in general, isn't it a false claim of the Israeli propaganda to assume the so—Called "Historical Right" in Palestine?

It is only history that can give the right judgement to such a false and illusive claim.

Jerusalem Geography:

Jerusalem, as a city, is distinguished for its strategic situation. it is situated on latitude 31 North, longitude 35 East, about fifty Kilometres of the Mediteranean Coast. The City stands on a plateau, surrounded by hills, eight hundred metres above sea level. The City is Surrounded by some famous mountain Peaks, Jabal Masharef (Mount Scopus) to The North, Zeitun (The Mount of Olives) to The West.

Jerusalem Routes:

Historians differ in the way of Building cities. They have some basic Considerations for the choice of a city's site which they think very necessary for the possibility of people's habitation.

There must exist the source of water without which life may become impossible. A city's location must also be safe and fortified against any strange forces. This is what we call "Strategy" which facilitates the process of trading and building up relations with neighbouring countries.

Hence, it seems quite necessary here to sketch an illustration of the nature of Jerusalem routes whith link the city with the other main cities in Palestine.

to become a finda:

This is a rough road that passes through mountains till it reaches the coastal plain, it measures about 67 K.m.

Lagrasakon - Hila:

This road goes by Ram-Allah and Nablus.

the city was inhabited by the Arab race as long as ten thousand years ago.

Both ancient and modern names given to jerusalem evidently inidicate the Arab origin and character of the city.

The Various historical names of the city and the scientific Views of their intrepretation:

Jerusalem was first mentioned in Egyptian texts of the nineteenth and eighteenth centuries B.C. and was probably called "Rushalimum".

In the Tel EL-Amarna tablets, which were sent by Abd-Hiba to the pharaoh of Egypt in the Fourteenth Century B.C. we find it named by "Ur-Salem".

Historically Speaking, these tablets were sent as requests for help against the attacks of the "Habiru".

Then, it was called the "city of David". This was after David the Prophet captured it, but this name did not endure for long and the name "Ur-Shalem" came to replace it.

For the Canaanites the City was Known as "Ur-Salem" that means the City of Peace.

When Hadrian, the Roman Emperor conquered it, at the beginning of the second century AD., the city was given the name of "Aelia Capitolina". Hadrian gave his orders not to allow any jews to enter the City. "He broke through the Walls and burnt the Temple". Jerusalem had remained thus known as Aelia till it surrendered to the Muslim Arab Armies under the second Caliph Omar IBn AL-Khattab in 637.

At that prticular period, the city appeared with several Arabic names: "AL-Quds, means the "Sacred", "Beit EL-Maqdes" means "the House of Peace".

Such evidences as these do in some measure reflect an apparant reality that all the historical names of Jerusalem are of Arabic origin whether ancient or modern.

is a research intended to throw more Light on the history of Jerusalememphasizing the fact that this holy city is an Arab Islamic one. As a matter of fact, Jerusalem is a unique cultural phenomenon because of its religious significance to Muslims who revere it as one of the three holiest cities next to Mecca &nd Medina.

It is the city of "Al-Aqsa Mosque" which had been the "First prayer Direction" for Muslims, "Quibla". For the firt time in the history of the human race, God has selected it as a holy place for "Monotheism". Many prophets have had their messages at Jerusalem.

God the Almighty has actually elevated it when He transported the Prophet Muhammad (Peace and Prayer be upon him) by Night to the Remote House of Worship (AL-Aqsa Mosque). This Night Journey, which in Islam is Called "Israa", has been mentioned in the Holy Quran as an indication of the glory and Sacredness of the "Aqsa Mosque" "Which" has been blessed by God" as desceribed in the Quranic verse: "Limitless in His Glory is He Who transported His servant (Muhammad) by Night from the inviolable House of Worship at (Mecca) to the Remote House of Worship (at Jerusalem), the environs of which We had blessd".

It is a well-established fact that the Islamic religion has made pilgrimage as one of the Five basic supports upon which Islam is built.

In the Middle ages, Jews had lived under Muslim's protection, witnessing the Muslins' festival of their pilgrimage. They had seen Muslims sacrificing their souls for the sake of Jerusalem when the Crusaders invaded it. This has created in themeslves a great sense of devotedness towards Jerusalem. That jerusalem was inhabited by various tribal names who were the dominat inhabitants of the Whole of Palestine throughout historic and prehistoric periods, is an undoubted fact that most books of history ascertain. For Some historians,

" lerosalem is an Agab Islamic City"

by:

Dr. Sayed Farag Rashid

Abridged and translated by: Abdul Salam Abdul Monem



Cover Picture: King Khaled International Airport In Riyadh

The writers' views do not necessarily reflect those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.



- Saudi Arabia: 15 Rivals.
- Arab Countries: The equivalent of 15 Rivals.
- Non-Arab Countries: US \$6.

Articles can not he returned to awthors whether published or not. 🚓

PRICE PER ISSUE

Saudi Arabia

U. A. R.

Oatar

Egypt

Morocco Tunisia

Non-Arab Countries

2 Rivals

4 Dirhams

4 Rivals

25 Piastres

4 Dirhams 350 Milliemes

LUS. S

Saudi Arabia: Al-Greisy Distributing Est., P.O. Box 1405, Rivadh, Tel.: 4022564.

Abu-Dhaby: P.O. Box 3778, Abu-Dhaby,

Tel.: 323011. Dhubai: Dar-Al-Hikma Library,

P.O. Box 2007, Tel.: 228552.

Ontar: Dar- Al-Thakafa.

P.O. Box 323, Tel.: 413180.

Bahrain: Al-Hilal Distributing Est., Manama.

P. O. Box 224, Tel.: 262026.

Egypt: Al-Ahram Distributing Est., Al-Gataa Street, Cairo, Tel.: 755500.

Tunisia: The Tunisian Distributing Company,

5, Nahg Kortaj.

Morocco: At Sharifia Distributing Company.

P.O. Box 683, Casablanca, 05.



Month Mile And Harris and A

EDITORIAL DIRECTOR

ABDULLAH HAMAD AL-HOKAIL

EDITORIAL BOARD

DR. MANSOUR IBRAHIM AL-HAZMI ABDULLAH ABDUL-AZIZ BIN EDRIS DR. ABDUL-RAHMAN AL-TAYYEB AL-ANSARI DR. ABDULLAH AL-SALEH AL-UTHAYMIN

TECHNICAL SURERVISOR
MUSTAFA AMIN JAHIN

All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief. Tel.: 4417020

Editorial Director: Tel.: 4413944

General Supervisor

THE ASSESSMENT OF MEMORIAL SIGNAL

General Director :

ABDUL-MAEIK BIN ABDULLAH AL-SHAIKH

Members of the Board

His Excellency Mr. Abdul Aziz Al-Refaev

H.E.Mr. Abdullah Bin Khamis.

- H.E. Dr. Abdul Rahman Bin Saleh Al-Shebaily.

Deputy Minister for Higher Education '

- H.B. Dr. Saleh Al-Adri

Deputy Rector of King Sand University for Higher Studies & Scientific Research."

H.E.Dr. Abdullah Al-Masri

Assistant Deputy Minister for Cultural Affairs,

H.Is. Mr. Abdul Rahman Fahd Al-Rashid.

Assistant Deputy Minister For Domestic Information. Ministry of Information.

- H.E.Mr. Muhammad Hussem Zeidan.

- H.E. Mr. Abdul, Matik Bin, Abdullah Al-Al-Shaildi.

Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre's

Annual Subscriptions are to be directed to the Secretary General of Addarah Tel: 4414681 Editorial Board: Tel: 4412316- 4412317- 4412318- 4412319



IN THE NAME OF ALLAH. THE MERCIFUL. THE BENEFICENT

Quarterly magazine issued by King Abdul Aziz Research Centre

Rabi Thani 1404 A.H. / Jan. 1984 A.D. Ninth Year No. 3

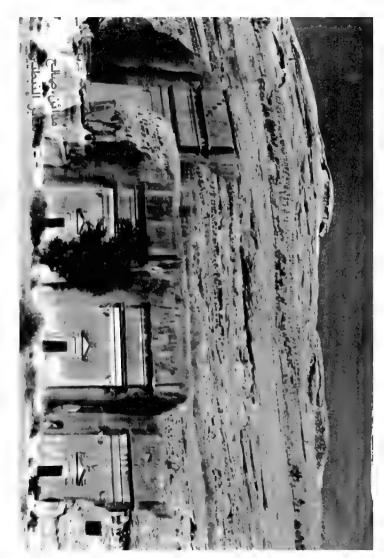
- Established by & Royal Decree No. M. 45 dated no. 10 miles of the control of th - INTERDMENTED BY B KOYSI DECTRO NO. 191 93 GOLEGI 5/8/1392 A.H. 88 81 suttonomous body with Independent, jurgue Mennay.

- Run by a Board of Directors vessed with full authority Unicaves:
To Forther saulies pertaining to the history of the nun uy a nunu u nurcuno resect.
to have its objectives makerialized. To Further studies pertaining to the history of the fixed to the fixed NUMBOURH, ME SEOSTHERNY, HERTELINE, MECHANISM ARTHUR COUNTRY ME SEOSTHERNY, HERTELINE, MECHANISM AND THE SEOSTHERNY, HERTELINE, MICHAEL SE VICENIA SE VICE Arab and Islamic world in general.

To issue a outural magazine carrying its name. enouse necessity in personal in general. AMARKAM.

In accordance with the Royal approprial No. 5112608 - In accordance with the Centre has become the home dated 2015/1396 A.H. the Centre has become the home ower carpy you serve con very loss become use u. of the National Saudi Archives and Manuscripts. ADDARAH.

Printed by DAR EL BILAD - Jeddah





No. 3 - Year 9 - Rabi Thani 1404 A.H., Jan. 1984 A.D.





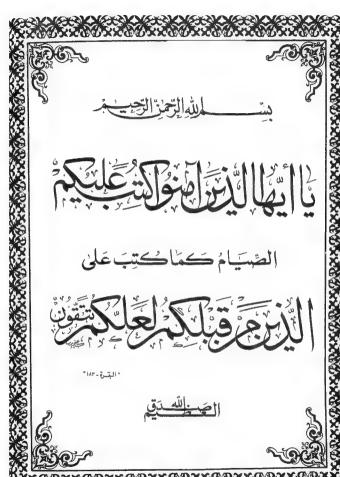
العدد الرابع ما السنة التاسعة مرجب ١٤١٤م ما الريل ١١٤٤م



چلة العبرری إلی الحجاز .

> علىضفاف العربية.

البحالأحمر وشعبه لمرجانية







مجكة فصلية تصدرعن دارة الملك عبدالعزييز

رجب ١٤٠٤ه ٥ ابريل ١٩٨٤م

السنة ٥

العبدد رائرانج



(١٤٥٥ - الرئياض ١١٤٦١ - المملكة العربتية السعودية

المسترف لعسام،

معالى الشيخ حسن بن عبد الله أل الشيخ

والله المعام الماني وورشس فيس والرواد والمبت عبد لعريز

. .

شديير لعيام:

عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ

. .

عصاءمطس:د رة دارة الملاعبد لتزيز:

راير وين عصيد وتعاميك الرافتيا عر

ورور عمداللم ب خمدس

بناها کش عبد لرصوا به صوالح الشبیان ...

ومیل در میا درین صفود در دریا تا محمد با و حمدت عمیای

بروائش كسيسة النف المصيدي وبراء المراد ويسمون والاور

معادة رائدة عني الموجعال المنظيف الوائشين الأسراء الأولوم مدادا وها المالا

سدرة رشر محمد حسين زيدوان

دوارة و المحسسوسر 221(۲۱۱ - 221(۲۱۲ **۵** £112741 **2**



رشيس لتحريب

محمدحسين زيدان

..

مديد لتحاجر

عدالله حمد الحقيل

.

مستسار للحاسر

د، منصور سراهيتم لحسارتني

عبدالندس عندالغربير إدربيص

د، عبد لرهمن الطيب الأنصاري

د.محمدالسبب السدب

..

عمر مر

بصطفي مير چاهيون

مسدنيو للخسوبو

وسل العتالات با

* أراء الكتّاب لا تعبر - بالضرورة عن رأي المجلة *

الاشتراكات *
 ۱۷ ريالا للاشتراك السنوى داخل
 الملكة العربية السعودية
 وق البلاد العربية ما يعادل القيمة
 - و ولارات خارج البلاد العربية

ترتيب الموضوعات داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب ♦ ● ● ♦ لا ترد البحوث الى اصحابها سواء نشرت أو لم تنشر ...

السعودية ۲ ريال – الإمارات العربية ٤ دراهم -قطر٤ ريالات ـ مصر ٢٥ قرشا – المغرب٤ دراهم ــ تونس ٣٥٠ مليما خارج البلاد العربية دولار للعدد

: السعودية : مؤسسة الجريسي للتوزيع المحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع صُ أَبِ أَهُ رُكِا الرباضِ ساتِ ١٤٠٢٩٦٤ عَ " جن رب ۲۲۲ المنامة ت ۲۲۲۰۲۳ # عصر : مؤسسة الاهرام للتوزيع ص . ب ۲۷۷۸ أبو ظبي ... بت ۲۲۲۰۱۱ · شارع الجلاء ... القامرة ت ٥٠٥٥٠٠ الشركة التونسية للتوزيع ا الحكمة المحكمة ال ر بي منهج قرطاج المغرب: الشركة الشريفية للتوريع ص ، ب ۲۲۳ ک ۱۲۲۸۶ 🛸 ص . ب ۱۸۲ الدار البيضاء ٥٠



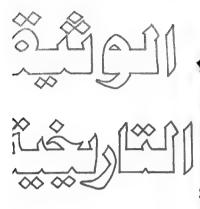
• صورة العنسلاف •

الجامع الاموى بدمشق

في هذا العسدد:

٦	• الافتتاحــــية رئيس التحرير
٩	 ○ دراسة للنسيج الإسلامي المذهب (صطبة
44	 • تحقة المشتاق للشبيخ عبداته بن بسام
٧٣	● بداية التنمير الأمريكي في وادى النيل
90	● رحلة « العبدرى » إلى الحجاز
١٢ -	 على ضغاف العربيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
177	 الإطار القانوني والسياس لمجلس الثعاون الخليجي و عرض كتاب و د . طه عثمان الفرا
149	 قرية القاو « صورة للحضارة العربية قبل الاسلام » « عرض كتاب » د . احمد حسن غزال
107	 حكيم بني امية « خقدبن يزيدبن معاوية »
177	 كلمة « قرآن » عربية إصلا واشتقاقا ومعنى
	 كلمة « قرآن » عربية إصلا واشتقاقا ومعنى
	● بنو مرین اصلهم وموطنهم
19:	o عام مصوم ، واقت بوق مُمِثْمَاتُ الله والمسابق الله عليه الله عليه المخرج الهين.
4 - 1	● البحر الاحمر وشعبه المرجانية د . محمد احمد الرويشي ، د . أحمد عبدالقادر المهندس
5	O البحر الاحمر وشعبه المرجانية « ملخص باللغة الانجليزية »
	د . محمد احمد الرويثي ، د . احمد عبدالقادر المهندس





und in Dhernetzung mit Anoterkungen folgen und schieße dassen die Überertzung von Abs Lief: Batteppinung, bezagieht daren – uns Kooten und Raum zu erepturen – wen dem Abstande des arzbischen Textes Abstand genommen wurde, da diener ja bricht nu beschaffen int.

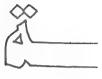
ه زساله واسل چا سعود الوهالي اهل دونس

التعدد

ستعیده ولستففره ولعوا یکله من شرور انکستا ومن سیشات استنا من یُهُرد الله فلا مضل له ومن یُمُرِنُ فلا های له ولشیعه ان ؛ أله إلا] الله وهذه لا شريات له وكشيف فن احبط عبدت يرسوك من خع الله ورسولة فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد خوى ولا يخرّ الا بَان يَجْرٌ الله شَيّاً وَمِثْلَى الله فق "صيد أما يُعِد فقد قال الله تعلق قل هله سبيل أُدو ال الله على بصيرة الا ومن البِّيمتي وسيحان الله وما الما من الشركين وقال تعالى وما أثاكم الرسول فطبقوه وما فيهاهم طع التياوا وقال قايوو اكبلت لكم الإنكم والببث طيكم لعبتى ووضهت نكم الاسلام دينا فاشير سيحانه الد اكسال الدين والشِه على لسان وسوله مُنْلَفَمْ وامرفا بنزوع ما أَنزل اليشا من ربَّنا ربّرك البدع والتفرّق والتُنظاف وقال تمالي البيموا ما أُقرِل اليكم من رفِكم ولا تشبعوا من قوله اوليا نئيلا انا لَذَكَّرون وكال كمالي وأن هذا صرائي مستقهما فالبعود ولا تُبعوا السبل فتُفرَق بكم فن سببته الكو وشاكو بد لعلكم لتُكون والرسول تتناسم قد لنعبر أن أثنته تلفذ ما لفلت الامم قبلها شيرا س من كان قبلكم حتى لو فشنها جسم خبُّ لدخاتموه قاتوا يا رمديل ناء البيهود والتصاري كال فين ولخبر في المديث الأخر الله متلفتيق رَ ثَلاثًا وسبعين قرقة كلَّها في النار الَّا واحدة قائبًا من هي يا رسول

وأخذت أجتر لأكتب افتتاحية هذا العدد ، وماكدت أعثر على فكرة حتى وافتنى هذه الرسالة الكريمة من صاحب الفضيلة والمعالى رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز ، ووزير التعليم العالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ ، وقد قرأتها ، أو بالأحرى استقرأتها فرجحت نشرها ، لا لأضيف بذلك علماً جديداً عن دعوة السلف التى درج خصومها يبتعدون عن تسميتها « الدعوة السلفية » ؛ لأنهم يتحاشون إعلان الحرب على الدعوة السلفية ، فتخير وا أن يقولوا « الوهابية » تسمية أرادوها لتكون حربهم على الشخص ؛ يتقولون الأقاويل ، كها أنهم فعلوا الأقاعيل .

وإنصافاً للحق أنشر رسالة الشيخ وخطاب الدكتور الشويعر والرسالة الموجهـة إلى من تخيرهم إمام الدعوة وسلطان الدعوة من أولى العلم فى تونس ، كها أن إمام الدعوة وسلطان الدعوة لم يقتصر على تونس ؛ بل كان السلطان سليان ملك المغرب قد بلغته الدعوة فأصبح من





بقلم : رُئِيسُ لتحرير

عدد ما جئتم بد من حوادث الدور قتى اطبيها الشراف بد إلمال)

بالزيت الى الموتى وموقيهم النصر على الادداد وقضاد الملجات والقواع

رُد بات التي لا يقدر طبيها الا ربّ الارض والسموات وكفاك التكوّب

ريب بتداور بالوبارة والع القربات والاستعقة بيهم في كشف السولار

يتهلين مولاء شفعارنا عند الله على التُبَيِّينِ الله بما لا يعلم في

هت الشفاءة كتيها لاء كيا بال نعالي على لله الشفاعة ج نده الَّا بِاللِّم وَقَالَتُ يَقُولُوا مِن ١٥ الذِي يَشَكِّع عَلَيْهِ الَّا بِاللَّهِ ندائي پيمڪڏ لا تنفق ڪشخانگ الّا من ائن له ڪيسبن ورشي له خولا وهو سِعالِه لا يرضى الَّا الثوهيد كبا قال تعالى ولا بشخعون الَّا فن ارتضى

ناشفامة بدق ولا تبلغب الا من الله كبا كال تعالى وأنّ للسا

لا يشفع الَّا بلان الله ولا يشفع ابتداء بل ياتي فهفرٌ للَّه سلجدا ا

الأ تدبرا مع الله لمدا وقال تمال ولا تدع من فون الله ما لا ينفعاف

ولا يشرُّك عَلَى فصلت عانَّك إذا من الطلين عَالاً كُن وسول الله صَّلْقَمَ

أنعضه يبحضد يمآبه إيجاها غيكول لرفع رفسات وسل كُعلَّ واشفع تُعُلِّع

أَم اللهُ لَمْ حَمًّا يُُصَحَّلُهُم الِمُنْةُ فَكِيفَ بِفَيْرِهُ مِن القَبْنِاءُ وِالْوَلِياءُ وَهَمًّا

المالام من السعابة والتابعين والأثبة الاربعة وفيوهم ممن سلك سبيلهم والرج على مشهلجيهم وما حدث من سوال الاقبياء والاولياء من

الذي ذكر تا لا يُعَلَقُ فيه الحد من المسلبين عِل الد الجيح طيد الساف 5

. الشفعاء وصلعب للقام للتعبود وآنم فمن نوفه أحت لواثاه

برات ولا في الارش سيحالد تعالى ميًّا يتشركون ولتبير أن من جع**ل** بيتم ويين الله وسائط يرسم الشفاعة نقد علي واشرك بم ولذا

الل المر الله من الراء الميانات التي لا تصافي الا لله

أنصارها . وقد سجل ذلك الاستاذ الكبير علاَل الفاسي يرحمه الله في محاضرة ألقاها في مكة المكرمة.

ثم إن الدعوة قد وصلت إلى مصر ، فإذا العلاّمة المؤرخ الجبرتي ـ وفي عهد محمد على الذي كان حرباً على آل سعود وعلى أئمة الدعوة ـ يكتب في تاريخه هذا اللقب يطلقه على الإمام عبدالله حين سهاه الشهيد . فلولا أن الجبرتي عرف هذه الدعوة وعرف أن الإمام عبدالله كان مجاهداً في سبيل الإسلام الخالص من الشوائب الطرقية وما إليها ، لولا أن الجبرتي كان يعرف ذلك لما أطلق هذا اللقب يصف به الإمام عبدالله بأنه الشهيد .

عَلَمْ وَالِّي قَمَالُ وَيَعْبِدُونِ مِن ثَوْنَ اللَّهُ مَا لَا يَشْرُهُمْ وَلَا يَنْفُمِهُمْ 10

الشفاطة بعد مرتهم وتعظيم تبورهم ببند الكباب طيها وإسراجها وقصلاة نتعما وأقالها اديادا ار جعل السعلة وانتكور ليها فكل الك من حواث المير قتى نشبر براوعها سَلْقُمْ وحادر الله منها كما و بمديث هند صلعم الد عال لا تغرم السامة حتى ياسق حق من الثني بالشركين وحتى تعبد الوام من انتنى الوللن وهو معلمم حد فنيهن أن يحبشس اللبر ويبلى عليد كيا كُبت في صحيح مسلم من طريق [الرجال] وثبت فيم ليما الله بعث على بن في طالب رقم ولمود الَّا يدع تبرا مُشِرطًا [٥٠٠] الَّا سواد ولا تبثلًا الَّا طبعه ولذا ت مل محميلة الرسول صلعم وهذا هم اللي أوجب اللمثلاة بيشنا ويدن الناس حتى آل الاسر إلى ان فاتنونا وكُلُرونا واساعلُوا دما. تثنى تدرغا الله طيهم وفلآرقا بيهم وهو الذى قدنو الله هدبرة باشجة ركبيان دبوله بالسيف والسنان كبا فال تعالى الذ ارسلنا رسلنا بالبينات والولنا معهم الكثاب والبيزان ليكل النا بالقشط والزلنا للعبيد فينه بأس شديد الى إظام الصلاة وابتاء الزكوة وم شيهر ومضلن وحاج يبت الله للواع وقامر بالتعروف وان فها على تمالي الذين لن مكَّلُهم في الأوض الأموا المعالة ، بلمروا يكامروف وتبهوا من للنكر وللد طلبات الامور فيهذا الذي لمتكده بدرين الدم دم فين حيل خاك فيهو الموقا فلسلم لد ما لنا وطيد • ملينا ولمتقد ابشأ أن الله مصد تعلم لا تجتبع على خالة وقد لا و توال خلائدة من اشتم على اللَّق حضورة لا يشرُّهم من خطيهم وا مُقَلِّمُهِم حَثْنَ يَانِي لَمْ اللهُ وهم مَنَّى ذَلِكَ وَالسِلامِ.

ورغم كل العراقيل والمعوقات التي تسلّطت على هذه الدعـوة بقـوة السلطـان وشراسـة الطرقيين ، فإن دعوة السلف قد انتشرت ، حتى أن الأكابر من علماء المغرب لم يكونوا بعيدين عنها .

والحكيم الكبير جمال الدين الأفغانى وتلميذه الإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا وجمال الدين القاسمى ، من علياء دمشق ، والسلفيون من أهل الحديث فى الهند ، كلهم كانوا أنصارا لهذه الدعوة ، حتى أن جمال الدين الأفغانى لم يسلم من الملحدين ومن الطرقيين ، ومن عسف السلاطين ، وإذا هو اليوم يتعرض للذين يكنون الحرب على الدعوة السلفية : لأنهم يخافون سلطان القوة التى يناصرها الآن ، فأخذوا وباسم السنة التى يعلنون يخرجون جمال الدين من الإسلام لأنه « ماسونى » ! مع أن حربه للاستعيار وللطرق ، وما جاء فى « العروة الوثقى » تشت أن الرجل كان نصح السلفين .

من هنا . فإننا نحمد الله تعالى على أن هذا البلد قد توحّد كيانا وعقيدة . كها أن الأمصار المسلمة بدأت تتقارب ، كأنما كلهم قد التقوا بأئمة الدعوة السلفية .

إن ساطع الحصرى ، وعبدالرحمن الرافعى ، ومحمد توفيق ، كلهم أكبروا ما صنع ال سعود : فقد اعتبروا أن قيام السلطان السعودى ودعوة السلف نهضة إسلامية وقومية ، فأشادوا بها كقوميين ، وتلك الإشادة رديف لا نرفضه . فإن هذا البلد كها قلت أكثر من مرة ، أعني المملكة العربية السعودية ، عربي على الذروة مسلم على السنام . فلنن كانت القوميات تعتز بأسهاء الأقاليم أو بتسميات أخرى : فإن إقليمية هذا البلد ووطنيته هي الإسلام عربيا ، والعروبة مسلمة ، فلا ازدواجية ، وإنما هو التزاوج ، لا ينفك العربي في هذا البلد عن إسلامه ، ولا يتخذ الثناء على الاسلام من بعض الشعوبيين موضعا لمذمة العرب . يكفيهم أن القرأن بلسان عربي مبين ، وأن خاتم الرسل سيدنا محمد عربي ، وأن الهداية والفتح ما كان إلا بعز الاسلام وكلمة التوحيد ، وعز الاسلام ما كان الأ بسيف ومجاهد كلهم من أبناء هذا البلد : جزيرة العرب .

إن الدعوة السلفية ـ إذا ما دققنا النظر فى هذه الرسالة ـ تدل على قوة السعى لنشر الدعوة . وعلى قوة العارضة والنية الصادقة . كل ذلك أبى الأ أن يبلَغ ، رغم بعُد الشُغَّة وشظف العيش وقلة السلاح ، ورغم تكالب الأعداء . لكنه الإيمان ينتصر دائها بالحرب عليه .

يومن عطاء الحق أن أنشر ذلك كاملا . والله من وراء القصد .

• محمد حسان زيدان •

دراسة للنسيج الاسلاي الندهب

في صَقلت

للدكتور عبد المنعم عبد العزيز رسلان

العرب قبل الإسلام بمحبتهم للثياب الفاخرة والإكثار منها ، اعتقادا منهم بأنها تضفى على لابسها من الوجاهة ما يكبره في أعين الناس ، كها عرفوا كذلك بتقديم الهدايا لكل عزيز عليهم ، ولعل من أهم هذه الهدايا كسوة الكعبة . ولما ظهر الاسلام زاد اهتامهم بالمنسوجات لاسها بعد أن أحيا الرسول على أنهم المعلم والأعياد ، على الفقراء والمحتاجين .

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية ، دانت للمسلمين بلاد كانت لها شهرتها في صناعة المنسوجات كمصسر والشام وإيران ، ووجدت هذه البلاد في الإدارة الإسلامية دفعة قوية لازدهار هذه الصناعة ؛ إذ عمل الولاة على تنميتها وتشجيعها نما جعل النساجين يتسابقون في إجادة صناعتهم وابتداع أنواع جديدة من المنسوجات . كما اهتم الولاة بمصانع النسيج أي «دور الطراز» فأخضعوها للرقابة الحكومية ، ووضعوا لها اللوائح والنظم لإحكام الإشراف والرقابة عليها حتى لا يهبط مستوى الصناعة من جهة ، وحتى لا يعرض في السوق أو يصدر إلى الخارج إلا ماكان مطابقا لما حددته الدولة من مواصفات ، وإجازة المحتسب ، وتختم بخاتم الدهلة .

كها نعددت أنواع النسيج الإسلامي ، فكان منها الصوفى والكتاني والحريري والقطني الذي اشتهرت بأنواعه بلدان عديدة من الوطن الإسلامي الكبير .

ولقد تبوأت صناعة المنسوجات في العصر الفاطمي مكانة رفيعة ، وظهرت أنواع جديدة أيضا مثل العتابي (نسبة إلى حي العتبية ببغداد) والسقلاطون (رومي الأصل) ، والبوقلمون (وهو ثوب ذهبي يتلون باختلاف أوقات النهار) . كها زادت مراكز الإنتاج . واشتهرت صقلية بتصدير الكتان الرقيق والثياب المقلمة الغالية الثمن ، وباختصار كانت هناك نهضة شاملة في صناعة المنسوجات تناولت المواد الخام ، ونسجها ، والزخارف بأنواعها ، مطرزة ومنسوجة ومذهبة ومطبوعة ومرسومة .

وشاءت الظروف حين دراستى لبعض المسوجات الفاطمية بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة أن أجد قطعة متميزة من نسيع القطن ، مقيدة برقم سجل 1.04 ، نسبها المتحف إلى العصر الفاطمي في القرن السادس الهجرى = (1100 + 1000) عشر الميلادى = 1000 ، وقد أرجعها الدكتور زكى محمد حسن أيضا ، في كتابه «كنوز الفاطميين » إلى العصر الفاطمي ونسبها إلى النصف الأول من القرن السادس الهجرى ، بناء على دراسة طراز الكتابة الذي يزخرف هذه القطعة = 1000 المناسى بنس بريتون Nancy Pence Britton فقد اعتبرتها من صناعة مصسر في النصف الأول من القرن السادس الهجرى = 1000

والحقيقة أن هذه القطعة تتفق إلى حد كبير مع الميزات العامة للنسيج الفاطمى وبخاصة من حيث الزخارف المنوعة التى تزينها سواء أكانت كتابية أو حيوانية أو بنانية (٥). إلا أننا إذا ما تفحصنا هذه الزخارف بشيء من الدقة ، نحس بتميز واضح ، يجعلنا نفكر فى ضرورة البحث عن البلد الذى يرجح أنه أنتج مثل هذا المستوى الرفيع من المنسوجات ، لاسيا ونحن نعلم أن الدولة الفاطمية ترامت أطرافها(٢) ، وكانت تضم بلدانا اختلفت مواد النسيج فيها ، فبعضها اشتهر بالقعان (٧) . ومن الطبيعى فبعضها اشتهر بالقعان (٧) . ومن الطبيعى

أن يختلف مستوى الانتاج الفنى فى بلد عنه فى بلد آخر ، تبعا لظروفه المحلية .

ووصولا إلى غايتنا ، من حيث ترجيح إسناد هذه القطعة من النسيج إلى بلد من بلدان الدولة الفائسية ، سنحاول إجراء دراسة تفصيلية لها ، مادة وزخرفة وسنبدأ بالوصف الفنى . وصف القطعة : لوحة رقم (١) .

١ _ المادة : قطن ١٠٠٪(٨) .

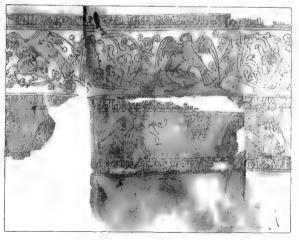
۲ _ مساحتها : ۲٤٫۸ سم × ٤٢٫٥ سم .

٣ _ عدد الخيوط في السنتيمتر المربع : ٤١ خيطا (سدى) ،

٣ عدد الخيوط في السنتيمتر المربع : ٣٤ خيطا (لحمة)^(١) .

٤ _ زخارفها :

عبارة عن شريطين من الزخارف فى وسطها سطر من الكتابة الكوفية ، وفى أعلاها سطر ثان ، وفى أسفلها سطر ثالث . وهذه الزخارف كلها مطبوعة وليست منسوجة فى القهاش . وتفصيلا لهذا نتتبع عناصر الزخرفة على هذه القطعة من أسفل إلى أعلى .



لوحة رقم (١) قطعة من نسيج القطن المذهب المطبوع ـ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ..

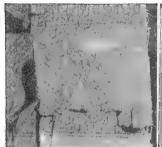
(أ) شريط من الكتابة الكوفية بعرض ١٢ مم على أرضية محوهة بالذهب. وحروف الكتابة محدودة بخطوط رفيعة سوداء وهي تتضمن كلهات دعـائية مكررة نحـو « بـركه » و « سعاده » و « سلامه » و « رياسه » . وهي جميعها من نوع الكوفى المورق (١٠٠) .

(ب) شريط بعرض ٣٦ سم مذهب ، طبعت فوقه وحدات متباعدة لمناظر القنص ، يفصل بين كل مشهد والآخر زخرفة نباتية محورة والمشاهد عبارة عن عقاب Eagle (١١) ينقض على أرنب برى ، وأسد (١٦) يهاجم حمارا وحشيا Equus Zebra (١٢) تبدو عليه مظاهر الذلة والاستكانة ، وقد حرص الفنان على إبرازنوع الحيار ، بأن ميزه بالخطوط ثم تتكرر هذه المشاهد . وقد حددت جميع هذه الرسوم بخطوط رفيعة سوداء . ويتبين من فحص تلوين العناصر المرسومة ، أن الطباعة قد تمت بطباعة اللون المذهب أولا ، ثم تبعه اللون الأسود ثم اللون الأرزق . ونجد هذه الألوان المنوعة واضحة في رسم الأرنب والأسد (١٤) .

(ج) شريط بعرض ١٢ سم يتضمن كتابات كوفية على غرار الكتابات في الشريط السفلي وهي نتضمن كليات دعائية منها «بركه» و «نعمه» و «كرامه» و «غبطه» و «غبطه» و « رياسه». وقد كتبت هذه الكليات جميعها على أرضية محوهة بالذهب، وحددت الحروف بخطوط سوداء رفيعة.

(د) شريط بعرض ٥٢ سم، يعتبر المساحة الرئيسية في التصميم، وهو يتضمن مشاهد للقنص وعناصر نباتية بالتبادل، موزعة بواسطة فرع نباتى متاوج تخرج منه فروع وأوراق وتتخلله عقد. والزخارف بنوعيها في هذا الشريط تشغل الفراغ، وتعبر عن وحدة لينة في التخطيط ومترابطة في نفس الوقت. ومشاهد القنص والعناصر النباتية كلها جاءت مطبوعة على أرضية بيضاء، في الوقت الذي موهت العناصر الزخرفية بالذهب وحددت بخطوط سوداء دقيقة. أما مشاهد القنص فقوامها عقاب (١٥٠) نشر جناحيه وانقض على بلشون Grey Heron دقيقة. أما مشاهد القنص فقوامها عقاب (١٥٠) نشر جناحيه وانقض على بلشون طابعه أوروبي (١٦٠)، أدار رأسه نحو العقاب في جزع بعد أن تمكن منه وأحاط بمخلبه على عنقه. ومشهد آخر لعقاب ينقض على غزال ويضرب بمنقاره في عنقه ليشل حركته، والغزال فزع يحاول الفكاك منه متحفزا للجرى (١٧٠) ثم تتكرر المشاهد على هذا النحو. أما العناصر فزع يحاول الفكاك منه متحفزا للجرى (١٧٠) عن مشاهد القنص :فهي عبارة عن عنصر نباتي محور المنابية أخرى .

(ه) شريط عرضه ۱۲ سم يتضمن كتابات كوفية تضم كليات دعائية على غرار ما فى
 الأشرطة الكتابية السابقة نحو « بركه » و « نعمه » و « سلامه » و « غبطه » ، كتبت على





لوحة زقم (٣) △ تفاصيل من لوحة رقم (١)

لوحة رقم (۲) △ قطعة من نسيج القطن المذهب المصنوع بطريقة الوصايل IKAT من اليمن _ القرن ٤ ه / ١٠م _ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

. . .

أرضية مموهة بالذهب ، وحددت الحروف فيها بخطوط رقيقة سوداء على غرار ما سبق (لوحة رقم ١) .

الأسلوب الفنى المتبع في هذه القطعة من حيث الصناعة والتذهيب والرسم :

(١) بفحص هذه القطعة اتضح أنها من نوع النسيج البسيط الذي يطلق عليه اسم النسيج السادة ١١/١٥٠١ وهو نوع يمتاز بسهولة تقبله للتذهيب حيث يستوى وجهه ، ثما يساعد على ثبات الذهب عليه .

(٢) تمت طباعة الأشرطة الزخرفية في اتجاه السدى، وهذا يعنى أنها كانت طويلة، واستوجب هذا تكرار الموضوعات الزخرفية عن طريق القوالب^(١١). التى حددت عناصر الزخرفة فقط باللون الأسود، فاذا تبين عدم وضوح أجزاء من الخطوط السوداء المحددة للزخرفة يمكن الاعادة عليها بالقلم لتوضيحها^(٢٠).

(٣) تبين بفحص هذه القطعة ميكروسكوبيا أنها موهت بالذهب على الطريقة التي كانت تستعمل في العصور الوسطى من حيث وضع المادة اللاصقة ، ثم التنظيف ، وهو أسلوب

وحدناه مستعملا في صقلية الاسلامية (٢١) .

(٤) زخرفت بعض أجزاء العناصر الزخرفية الحيوانية باللون الأزرق الزهري المكون من أكاسيد المعادن التي تم لصقها على النسيج بواسطة لصاق وضع على سطح القياش (٢٢).

التحليل الفني لعناصر الزخرفة القطنية

أولا الزخرفة الكتابية :

عَثِلت هذه الزخرفة في ثلاثة أشرطة من الخط الكوفي المورق ، اثنان منها متعاكسان (٢٢) (الأوسط والأسفل) أما الشريط الثالث (العلوى) فقد اتفسق في الاتجاه مع الشريط الأوسط. وتضم الأشرطة الثلاثة ألفاظا دعائية نحو «بركه» و «سلامه » و « نعمه » و « كرامه » و « سعاده » و « غيطه » . وكلها مكتوبة بواسطة الطبع بالقالب على أرضية مذهبة . والأشرطة الثلاثة محدود كل منها (من أعلى ومن أسفل) بخطين رقيقين باللون الأسود باستثناء الشريط العلوى الذي جاء بأسفله خطان بدلا من خط واحد . كما نلاحظ أن الخطاط (الرسام) قد جعل أسفل بعض الحروف (و ، ر ، ك ، ن ، م ، س ، ط ، س ..) على شكل أقواس نصف دائرية يحصرها خطان رقيقان (لوحة رقم ١) .

كما نلاحظ أن الحروف الأولى المستقيمة في الكلمات مثل (ب ، ن ، س) قد ارتفعت أعمدتها وصارت تقرب من طول حرف الألف أو اللام ، كيا هو الحال في كلمة « بركه » في الأشرطة الثلاثة وكلمة « نعمه » في الشريط الأوسط ، وكلمة « سلامه » في الشريط العلوي والشريط السفلي . أما حرف الواو فقد صحبته زخرفة تنثني بشكل قوس وتنتهي بزخرفة على شكل ورقة نباتية غير متفتحة كثيرا (شكل ١) .

لوحة رقم (٤) رقم (١)

لفاصيل من لوحة

أما أرضية الكتابة فقد زخرفت بواسطة بعض الدوائر القليلة ، كها هو الحال في زخرفة كلمة « غبطه » بالشريط العلوى و« رياسة » بالشريط الأوسط « وسعادة » بالشريط الأسفل . كها زخرفت أيضا بواسطة بعض الوريقات والتفريعات النباتية الصغيرة وكلمة « سلامه » في الشريط الأسفل وكلمة « سعاده » بنفس الشريط .

ونستطيع أن نجمل ما تميز به الخط الكوفي المستعمل في هذه المنسوجة فيما يلي :

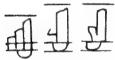
- (١) استعمال الكتابة المتعاكسة مع الكتابة المتوازية في الزخرفة .
- (٢) زخرفة المسافات بين سيقان الحروف سعض الوريقات والتفريعات النباتية مثل:

40. CC



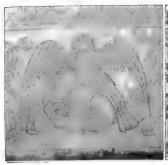
(٣) استمهال زخرفة الأقواس في أسفل بعض الحروف مثل :

(٤) استطالة بعض الحروف وصعودها مثل (ب، ن، س):



(٥) استعمال بعض الدوائر كعنصر زخرفي في أرضية الكتابة مثل: 🔾 😮

ونستطيع القول: إن الخط المستعمل في زخرفة هذه القطعة من النسيع ، ولو أنه يشترك في ميزاته مع ما شاع في بعض بلدان العالم الإسلامي في القرن الخيامس الهجري _ (11 , وكذلك ميلادي) كالكتابة المتعاكسة مثلا ، وهي التي شاعت في كل من مصر وايران 11 , وكذلك استعمال بعض الوريقات والتفريعات النباتية التي شاعت في مصر وصقلية الفاطمية على السواء $^{(1)}$, إلا أننا نلاحظ في زخرفة الكتابة على هذه المسوجة ظاهرة انفردت بها صقلية الإسلامية في القرن الخامس الهجري وهي استعمال الدوائر في زخرفة أرضية النقوش الكتابية $^{(11)}$.



لوحة رقم ١٦١ ﴿ ۗ ـُــَـُـُ لَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّاللَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا



لوحة رقم (٥) 🛆 قطعة من نسيج الحرير _ مجموعة أكرمان _ إيران _ القرن ١٣/١٥ م



تشتمل زخارف هذه القطعة على عناصر حيوانية تمثل مشاهد قنص: ففى شريط الزخرفة السفل نجد مشهدين يتكرران (حسبا يشير إليه الجزء المتبقى من الزخرفة على الجانب الأيسر). المشهد الأول عبارة عن عقاب ينقض على أرنب برى ، نجح الفنان نجاحا كبيرا في التعبير عن الحالة التي يكون عليها الطائر المنقض على فريسته ، فقد رسم العقاب ناشرا جناحيه بعض الشيء ، وثبت جسمه على الأرض بقوة معتمدا على رجليه المثبتين بواسطة أظافره القوية ، في الوقت الذي ضرب فيه بمنقاره في حنجرة الأرنب ليشل حركته ، كيا نجح في التعبير عن الفزع الذي أصاب الأرنب برسم أذنيه منشورتين ورفع رجله اليمنى الأمامية إلى أعلى . أما ساقاه الخلفيتان فقد رسيا في وضع التحفز للجرى لإحساس الأرنب بالخوف والرغبة في التخلص . والرسم يعبر بلا شك عن مقدرة الفنان الكبيرة في التعبير عن الطائر القوى المسيطر على فريسته ، والفريسة الرشيقة النشطة الراغبة في الفرار والتخلص مما دهاها . والفنان بلا شك متحرر في رسمه ؛ فقد عنى بالفكرة وعبر عنها أحسن تعبير ، فجاء رسمه كأنه منظر من الطبيعة . ولم يلجأ الفنان إلى التحوير إلا في رسم بعض العناصر الزخرفية القليلة التي

زين بها أعلى جناح العقاب ؛ حيث رسم زخرفة على شكل نصف ورقة نخيلية ، كها حزم ذيله برسم خطبه أقواس ، ورسم خطا آخر مشاسها له في نهاية الذبل . (لمحة رقم ٣ وشكل رقم ٤) أما المشهد الثاني فهو عبارة عن أسد بمسك بحيار وحشى ويحمله على الانكفاء حتى يتمكن من افتراسه ، وقد نجح الفنان أبما نجاح في التعبير عن الفكرة ؛ فقد رسم الأسد وهو يضغط على الحيار من المقدمة ومن المؤخرة في وقت واحد ، ورسم رجل الأسد الأمامية اليسرى تضغط بشدة أعلى كتف الحماري في حين رسم رجله اليسرى الخلفية (في نفس الاتحاه) تضغط على مؤخره ، وبالتالي بدأ الحمار ينكفي عيث انثنت رجله اليسرى الأمامية ، وحتى يصل الأسد إلى غايته في أسرع وقت ممكن عض الحهار بين كتفيه ليؤثر على أعصابه ، والرسم بهذه الطريقة يوحى بمقدرة الفنان الكبيرة ، ومدى ما بلغه من دراسة لطباع الأسد والحيار ، وقد أجاد الفنان في التعبير عن الحالة النفسية عند كل من الحيوانين في حالة الافتراس ، فالـذل والاستكانـة للحيار ، والقوة والتمكن للأسد (لوحة رقم « ١ ») . كيا أكد الفنان مقدرته كذلك على حسن اختمار الأسد لفريسته المحببة ؛ فمن المعروف علميا أن أحب اللحوم للأسود هي لحوم الحمير الوحشية . وتأكيدا لهذا المعنى أبرز الفنان نوع الحمار بواسطة رسم الخطوط الممينزة للحمار الوحشي ، كما أكد كذلك نوع الحيوان المفترس (الأسد) برسم البقعة الغامقة في بطنه وفخذه . كيا نلاحظ أن الفنان قد رسم هذا المشهد بأسلوب طبيعي ، فاحترم النسب التشريحية لكلا الحيوانين ، ولم يلجأ إلى أسلوب التحوير إلا في القليل؛ حيث اكتفى برسم طرف ذيل الأسد على هيئة قوس ينتهي بزخرفة دائرية مشقوقة (لوحة رقم ٤) وماعدا ذلك فكله طبيعي في رسم الحدوان.

أما من حيث التلوين ، فقد رسم الفنمان بعض أجزاء جسم الأسد باللمون الأزرق الزهرى (٢٧) ، في حين استعمل التذهيب في بقية جسم الحيوان إلى جانب البقع الغامقة المميزة لهذا الحيوان .

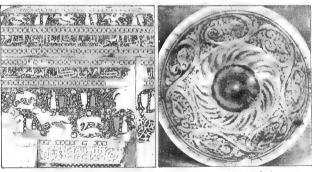
أما الشريط العلوى للزخرفة ، فيضم من العناصر الحيوانية مشهدين هما :

(أ) مشهد لعقاب ينقض على بلشون (لوحة «٣» وشكل «٣») وقد رسم الفنان العقاب واقفا على ظهر البلشون ناشرا جناحيه ، بعد أن جثت تحته الفريسة فى فزع واضح ، وهى تمسك بأظافرها فى الأرض ، خوفا من أن يخطفها العقاب . والمشهد مرسوم بطريقة طبيعية ، وقد خلت عناصره من الزخوفة اللهم إلا أعلى جناحى العقاب اللذين رسم فى أعلاهها زخوفة على هيئة نصف سعفة نخيلية ، فضلا عن زخوفة ذيله بتحزيم بورقة نباتية محورة وخط متعدد التقوسات فى آخر الذيل . وقد نجح الفنان فى التعبير الصادق عن الحالة النفسية عند كل من العقاب والبلشون ؛ فالأول فى حالة النصر والزهو حيث نشر جناحيه بعد سيطرته على

فريسته سيطرة كاملة ، وأحاط بمخالبه على عنق البلشون . أما الثانى وهو البلشون فهو فى حالة من الذهول بعد أن تمت السيطرة عليه ، فقد زاغ بصره . ونجح الفنان كذلك فى إبراز نوع البلشون حيث رسمه وقد ظهرت فى مؤخرة رأسه بعض الريشات التى تميز نوعه الأوروبى (شكل ۲ لوحة ۲) .

(ب) أما المسهد الثانى فهو عبارة عن عقاب ينقض على غزال . وقد نجح الفنان فى التعبير عن الحالة النفسية التى تنتاب كلا الطرفين فى مثل هذه الحال : فالعقاب يضغط بجمسه وينشب مخالبه فى جنبى الغزال ، فى حين يضرب بمنقاره الحاد عنق الغزال وحنجرته حتى يستسلم ، فالعنف واضح فى حركات العقاب ، كها أن الضيق والفزع باديان على الغزال ، وفى نفس الوقت لم يخف رشاقته حتى فى الوقت الذى يحاول فيه الفكاك من عدوه . أما من حيث طريقة الرسم ، فقد لجأ الفنان إلى الأسلوب الطبيعى ، ولم يلجأ إلى التحوير الزخرفى ، إلا عند رخوفته لبعض أجزاء جسم العقاب ، على غرار الاسلوب الذي لاحظناه فى العناصر السابقة .

ومما هو جدير بالذكر أن رسم الحيوانات بصورة طبيعية أسلوب غلب فى صقلية الفاطمية عنه فى أى مكان من العالم الإسلامى المعاصر : وذلك نظرا للتأثر الكبير بالفن البيزنطى وهذا أمر طبيعى : لأن المسلمين عندما فتحوا الجزيرة كانت بيزنطية الحضارة ، فضلا عن أن قطاعا كبيرا من سكانها كان يونانيا ، وهذا ما يؤكده المؤرخون يويشير إليه نقش اللغات الثلاث فى العهد النورماندى (٢٨) .



لوحة رقم (٧) △ لوحة رقم (٨) △ لوحة رقم (٨) △ طبق من الحزف ـ صناعة الرى ـ إيران القرن ١٦ ◘ صنادوق مغطى بالعاج ـ صقلية ـ القرن ١٢م

اشتركت الزخرفة النباتية في هذه المنسوجة مع الزخرفة الكتابية والحيوانية ، فقد وجدناها تزخرف أرضية الأشرطة الكتابية على هيئة وريقات وفروع نباتية صغيرة محورة (وقد سبق الحديث عن هذا عند معالجة الزخرفة الكتابية) كها نجدها في شريط الزخرفة السفلي على هيئة تكوينات نباتية محورة مجمعة في وحدة زخرفية تفصل بين مشاهد القنص المختلفة (لوحة رقم ١) وهي تضم في أسفلها ورقة عنب ثلاثية داخل منطقة لوزية الشكل ، كها نضم في أعلاها ورقتين ثلاثيتين أيضا ، كل واحدة داخل فرع نباتي دائرى ، وحول هذا التكوين الزخرفي مجموعة من الأوراق المحورة ذات الأشكال المختلفة ، ويتدلى من هذا التكوين فرع نباتي إلى أسفل .

أما الزخرفة النبانية في الشريط العلوى ، فهي عبارة عن فرع نباتي متموج ، يضم بين موجاته إما مشهداً للقنص أو زخرفة نباتية تضم ورقة نباتية محورة مجوفة القاع في أسفلها ، وثنتهي بشكل حلزوني يلف حول فرع نباتي خارج من الفرع الأصلي المتموج ويخرج منه عناصر نباتية عبارة عن أوراق على أشكال مختلفة (شكل ٥ ، شكل ٦ ولوحة ١) ونلاحظ أن الفرع النباتي المتموج يسر بشكل منتظم ، بحيث تضم كل موجة سفلية مشهدا من مشاهد القنص ، في حين تضم الموجة العليا زخرفة نباتية مكونة من عنصر نباتي ، يتفرع من الفرع الأصلى ، كما يتفرع عنه بدوره عناصر نباتية أخرى مكونة من أوراق نباتية مختلفة الأشكال . إن أسلوب الزخرفة بالفرع النباتي المتموج أمر شائع في الفن الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب ، فقد وجدناه في إيران يزين النسيج (٢١) (لوحة ٥) كيا يزين الخزف(٣٠) (لوحة ٧) ووجدناه في مصــر على النسيج (٢١) أيضاً ، ووجدناه يزين صناديق العـاج في صقليه (٢٦) (لوحة ٨) ، (لوحة ٩) ، وشكل ٧ واستعمل البيزنطيون أيضا الفرع المتموج في زخرفة منسوجاتهم، ولو أنهم رسموه بأسلوب أكثر طبيعية مع أوراقه (٢٣٦). وبمقارنة بسيطة بين طريقة رسم الفرع النباتي في منسوجاتنا وما جاء على غطاء الصندوق العاجي الصقلي (لوحة ٨ ، لوحة ٩) من فرع نباتي متموج، يقطع بأن المدرسة الفنية التي يتبعها فنان صندوق العاج،هي نفسها التي تخرج فيها فنان الفرع النباتي المتموج على هذه المنسوجة ، فالتشابه نام ، حتى في جعل الموجات العليا في الفرع في كلّ تضم عناصر نباتية محورة والموجات السفلي منه نضم عناصر حيوانية (مشاهد قنص) . وأمر آخر جدير بالملاحظة في هذا الفرع النباتي المتموج أنه يمتاز برسم عقد على شكل دوائر أو كور (شكل ٥ ، شكل ٦) وهذا نفس الأسلوب الصقلي الذي وجدناه شائعا في زخارف سقف الكابلابلاتينا ذات الزخارف الاسلامية المعروفة (٢١) .

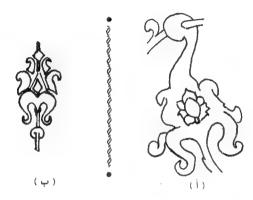
أما العناصر النباتية المتفرعة عن الفرع المتموج الرئيسى فيمكن إجمالها في الشكلين (٥ ، ٦) : أولها عبارة عن ورقة نبانية مجوفة القاع ، وقتد باستطالة حتى تلف نهايتها على الفرع الذي يخرج من الفرع الأصلى ، وقد زخرفت هذه الورقة في وسطها بعنصر الناني فهو داخله من شكل لوزى ويجيط به وريقات متفتحة تنثني إلى الخارج . أما العنصر الثاني فهو عبارة عن ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص قاعها كأسى وأعلاها مقوس . والعنصر الثالث عبارة عن ورقة نباتية على شكل نصف سعفة نخيلية مجوفة القاع . والعنصر الرابع عبارة عن ورقة نباتية ذات قاع مجوف وحوافها على شكل زهرة في طور التفتح .

و بقارنة بين العناصر النباتية الواردة في زخرفة هذه القطعة من النسيج بالعناصر النباتية الشائعة في العالم الإسلامي المعاصر ، نلمس التقارب الكبير بينها وبين العناصر الصقلية .

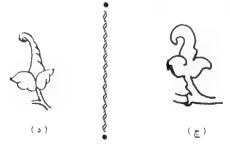


لوحة رقم (٩) غطاء الصندوق الموجود باللوحة رقم (٨) ـ صقلية _ ١٢م

فمثلا العنصر (أ) وهو كأسى مجوف القاع يشبه في تكوينه العنصر (ب) الوارد على قطعة النسيج الصقلية (۳۰).



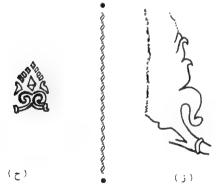
والعنصر (ج) وهو كأسى خطافى الرأس يشبه فى تكوينه العام العنصر (د) الصقلى الوارد فى رسوم الكابلابلاتينا (٣٦) .



العنصر (ه) وهو يشبه نصف سعفة نخيلية مجوفة القاع يشبه فى تكوينه العام العنصر (و) الصقلى $(^{(Y)}$).



والعنصر (ز) يشبه في تكوينه العام العنصر (ح) وهو صقلي أيضا^(٢٨) .



القضيم الفتي

يكن تلخيص عناصر التصميم الفني في هذه القطعة من النسيج فيايلي :

١ ـ خسة أشرطة زخرفية تتجه باتجاه السدى ، ثلاثة منها كتابية تضم خطا كوفيا مورقا ، أما
 الشريطان الآخران فيضيان عناصر نباتية وحيوانية .

٢ ـ استخدام أكثر من لون فى الإخراج ، إذ استعمل مسحوق الذهب للحصول على اللون الأرق الزهرى فى بعض الأصفر الذهبى ، كيا استعملت أكاسيد المعادن للحصول على اللون الأزرق الزهرى فى بعض أجزاء العناصر الحيوانية . أما اللون الأسود فقد حددت به جميع عناصر الزخرفة من نباتية وهندسية .

 ٣ ـ خلو مناطق متسعة في الأرضية من عناصر الزخرفة ، كها هو الحال في شريط الزخرفة السفلي .

٤ ـ قصر التلوين على عناصر الزخرفة مع ترك الأرضية عاطلة والاكتفاء بلون النسيج
 الأصلى .

ه ـ التوزيع الزخرفي للعناصر من خلال الفرع النباتي المتموج .

والجدير بالتنويه في هذا التصميم ، أن الفنان قد أحدث تباينا بين الشريطين الرئيسيين في الزخوفة ، وأعطى الأهمية الكبرى للشريط العلوى منها ، وذلك بإبرازه عناصر الزخوفة وحدها ، سواء أكانت حيوانية أو نباتية مكتفيا بتلوينها باللون الذهبي المحدد بالمداد الأسود ، وترك الأرضية عاطلة عن الزخوفة قاما . مما جعل التركيز البصرى على العناصر الزخوفة في هذا الشريط بالذات . وهذا أسلوب جديد لم نلحظ نظيره ـ على حد علمي ـ في زخرفة المنسوجات المعاصرة في العالم الإسلامي ، مما يدل على أن الفنان كان يتمتع بحرية كبيرة في تكوين تصمياته الفنية .

نسبة هذه القطعة

لعل بعد هذا الاستعراض للخصائص الفنية التى وجدناها فى هذه القطعة من النسيج ، سواء أكانت كتابية أو حيوانية أو نباتية ، وما لاحظناه من قرابة بينها وبين ما جاء فى الفن الصقلى ، لاسيا من حيث رسم العناصر الحيوانية بطريقة قريبة من الطبيعة واحترام النسب التشريحية لها ، والقدرة الفائقة فى التعبير عن الانفعالات النفسية عند الحيوان ، والبراعة فى

التصميم والإخراج مع الالتزام بالميزات العامة للزخرفة الإسلامية الفاطمية ، ما يجعلنا نرجع نسبة هذه القطعة باطمئنان إلى صقلية الاسها بعد المطابقة التامة للتوزيع الزخرق الوارد على هذه القطعة وما جاء على علبة العاج الصقلية التي أشرنا إليها سلفا في أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل القرن السادس الهجرى ، قبل أن تطغى الروح البيزنطية على النسيج وتتغير التصميات بتأثير النساجين اليونانيين الذين جلبهم روجر الثانى واستعملهم في مصانعه بهلم (٢٠) .



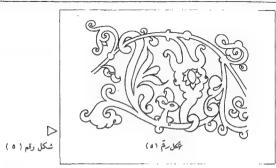


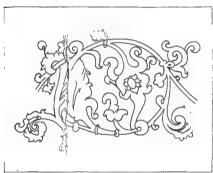
شکل رقم (۲) 🛆



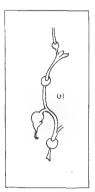


شکل رقم (٣) 🛆









شکل رقم (۷)

• التعليقات والحواشي •

(١) كان كعب بن زهير بن أبي سلمى قد هجا النبى صلى الله عليه وسلم وفر من وجه المسلمين، ثم جاء تائبا وسلم نفسه للنبي ومدحه بقصيدة مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يقد مكبول

فكساه النبى بردة كانت عليه . وهي على حد وصف ابن الأثير : « شملة مخططة » . ابسن الأثير ، تاريخ الكامل ، جزء ٢ ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ .

 (٢) سجل متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وقد وردت به أوصاف هذه المنسوجة . وسنقوم بالتعلية , عليها أثناء الدراسة .

(٣) دكتور زكى محمد حسىن ، كنـوز الفـاطميين ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ط . دار الكتـب المصرية ١٩٣٧م .

وانظر عنده رقم ۲۵۰ Wiet : Exposition des Tapisseries.

Wiet: Tissus et Tapisseries du Mussée Arabe.

نی مجلة Syria ، ۲۸۸ ص ۲۸۸ . ۲۸۹

كها أشار إلى الشبه بين زخارف هذه المنسوجة والزخارف على صندوق مغطى بالعاج محفوظ بكنيسة Wurzburg منسوب إلى صقلية .

Nancy Pence Britton, Pre Tiraz in the Newberry Collection, Arts Islamica, (£)
Vol., 9, 1942 p. 166.

(٥) يمكن تلخيص المميزات العامة لزخرفة النسيج الفاطمي فها يلي :

(أ) ظهور أشرطة كتابية تحيط من أعلى ومن أسفل بشريط به زخارف متعددة (نباتية وحيوانية) مرسومة بأسلوب محور .

 (ب) تطورت الزخرفة فصارت تضم عدة أشرطة زخرفية متسعة في حين احتلت الزخرفة الكتابية المرتبة الثانية .

(ج) ظهرت أشرطة وجدايل تتموج وتتداخل فتحصر بينها جامات ومعينات ودوائر تضم طيورا أو حيوانات أو عناصر نباتية إلى جانب الأشرطة الزخرفية والكتابية .

 (د) في أواخر العصر الفاطمي ، صارت الأشرطة الزخرفية سواء أكانت مجدولة أو كتابية تملأ الثوب كله فلا نكاد نرى فراغا على الإطلاق . (٦) ترامت أطراف الدولة الفاطمية فقد بلغت غربا ما يعرف حاليا بالجزائر وتونس وصقلية ،
 كما امتدت شرقا إلى الحجاز واليمن .

(٧) اشتهرت جزيرة صقلية بزراعة القطن في أماكن مختلفة منها ، كها اشتهرت بعض بلادها بصناعته وتصديره إلى البلاد المجاورة ؛ فقد أورد لنا ياقوت الحموى في كتابه « معجم البلدان » عند ذكر « جطين » وهي احدى قرى « ميلاص » في جزيرة صقلية أن « أكثر زرعها القطر ، » .

انظر ياقوت ، في المكتبة العربية الصقلية ، ص ١١٠ . كها ذكر ابن سعيد : « أن جزيرة صقلبة كثيرة الأنبار والعبون والقواكه والأرزاق والقطر، الكثير » .

انظر نور الدين على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسى ، البدى ، فى المكتبة العربية الصقلية كانوا يزرعون القطن فقال : الصقلية كانوا يزرعون القطن فقال : (وأرض صقلية يقصدون به « القطن » الأرض الكريهة ، ويفعل هذا بالسواحل بالأندلس) . انظر أبا زكريا بن محمد بن أحمد بن العوام ، الفلاحة ، مخطوطة بدار الكتب رقم 284 زراعة (القسم الأول من الجزء الثاني) ص 984 .

أما من حيث نسج القطن وتصنيعه في جزيرة صقلية بفقد أشار إليه الإدريسي فقال : « وبرطنيق بلدة جميلة طيبة وطية حسنة المنظر بهية وبها رباع زكية يعمل بها القطن الكثير والحنا ... » وتقع برطنيق غربي مدينة بلرم العاصمة بمسافة ليست كبيرة . انظر : أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس ، نزهة المشتاق ، في المكتبة العربية الصقلية ص 23 .

ومن حيث تصدير القطن من صقلية ، أشار إليه الزهرى قائلا: (وهذه الجزيرة « صقلية » كثيرة المياه والعيون والفواكه والأرزاق ، ومنها يجلب الجوز والقسطل إلى بلاد أفريقية ، ويجلب منها كثير من القطن .) انظر: أبوعبدالله محمد بين أبي بكر الزهرى ، الجغرافية ، في المكتبة العربية الصقلية ص ١٥٥ . كها ذكر عبدالله بن محمد بن الحسين في كتابه القلاحة « أن الصقليين كانوا من الاجتهاد بحيث كانوا يعشبون الحقل حتى عشر مرات قبل أن يزرعوا فيه القطن ، وكها أحسنوا زراعته أحسنوا غزله وحياكته ، وكانوا يعملون به القرطاس كها كانوا يعملونه من البردى ... » أنظر: مارتينو ماريو مورنيو ، المسلمون في صقلية ، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ، ص ٣٤ ط . بيروت ١٩٥٧ . كها اشتهرت صقلية أيضا بزراعة وصناعة الكتان ويكفي ما أشار إليه في هذا الصدد الرحالة ابن حوقل الذي زار جزيرة صقلية سنة ٣٦٧ ه / سنة ٢٩٧٩ من أنه رأى فيها صناعة متقدمة في النسيج فقال : (إلى شيء من ثياب الكتان والحق فيها أحق أن يتبع فإنه لا نظير لها جودة في النسيج فقال : (إلى شيء من ثياب الكتان والحق فيها أحق أن يتبع فإنه لا نظير لها جودة ورخصا ويباع مستعملها عما يقطع قطعين من الخمسين رباعيا « الرباعي هو ربع الدينار » إلى

ستين رباعيا ، فيزيد على ما يشتريه من أمثاله بجسر الخمسين والستين دينارا كثيرا). انظر ابن حوقل صورة الأرض ، ص ١٣٠ م ص ١٣٠ ط. ليدن ١٩٣٨ . كها أشار المقريزي إلى شهرة جزيرة صقلية في تصدير النسيج الكثير حيث قال : « إن الأميرة عبده ابنة الخليفة المعز لدين الله تركت فيا خلفته ثلاثين ألف شقة » انظر المقريزي الخطط جزء ١ ص ٤١٥ . كها أشار ناصر خسرو إلى نشاط حركة التصدير للأقهشسة من صقلية فيقبول: (ويجلب من هناك «صقلية » كتان رقيق وثباب مقلمة يساوى كل واحد منها في مصر عشرة دنائير مفربية) راجع ناصر خسرو ، الرحلة في مصدر ترجمة يحيى الخشاب ص ٤٧ عند الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخوفة المنسوجة في الأقهشة الفاطهية ص ٨٥ . القاهرة سنة ١٩٤٢ .

أما مصر فكانت تشتهر فى العصر الفاطمى وما قبله بالكتان زراعة وصناعة أيضا ، وقد ورد فى كتب بعض الرحالة إشارات متناثرة عن المدن التى كانت تنتج الكتان فى العصر الإسلامى فيذكر ابن حوقل محلة بنا وبُوصير وسمنود وكلها تنتج الكتان وتصدره إلى جميع أنحاء العالم . كها ذكر ابن بطوطة دلاص وبوش على أنهها من أكبر المدن انتاجا للكتان بمصر ، كها يذكر المقدسي الفيوم وبُوصير . انظر د . سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامي ، ص ١٣ . كها برع المصريون كذلك فى غزل الكتان منذ العصر الفرعوني كها تشير إلى ذلك الرسوم التي وجدت في مقابر الأسرات من الحادية عشرة إلى الثالثة عشرة ببني حسن (محافظة المنيا) .

أما بالنسبة للقطن في مصر، فقد تضاربت الأقوال في وجوده في أوائل العصر الإسلامي فعلى الرغم من وجود مراجع تاريخية تذكر وجود القطن بمصر منذ العصر الفرعوني ، فإنه لم يكتشف بعد دليل مادى مؤكد يؤيد ما ورد في هذه المراجع . انظر دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامي ، ص ١٩٩ . وترى السيدة / نانسي بنس بريتون أنه في أواخر العصر المفاطمي بدأت ندرة القطن تزول في مصر تدريجيا وكان هذا بمثابة تمهيد لظهوره بكثرة في العصر المملوكي . انظر:

Nancy Pence Britton, Pre Mameluke

• Tiraz in the Newberry collection, Arts Islamic, Vol. 9, 1942 p. 166.

وبالنسبة لبلاد اليمن كان القطن يزرع فيها أو على الأقل كان يسهل استيراده من البلاد التي كانت تنتجه في العصر الإسلامي وما قبله كالعراق وإيران . انظر دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامي ص ٢٠ . ومن المعروف أن بلاد اليمن كانت تنتج الوصايل على عهد تبع بن كليكرب ملكها الذي أمر بكسوة الكعبة من الوصايل . انظر سيرة ابن هشام ـ ج ١ ص ١٥ ط . « وستنفلد » (الوصايل لغة جمع وصيله والوصيلة كها جاء في القاموس المحيط ثوب عاني مخطط) وقد استمر إنتاج الوصايل في العصور الإسلامية الأولى مع احتفاظها

بخصائصها التي تتميز بها بن أقمشة العالم الاسلامي الأخرى ، وهي الخطوط التي تنساب طولية أو عرضية وتتصل أو تنفصل لتعطى منظر ألوإن متعددة كأنما غفل الفنان عنها فانسكبت على أرضية بيضاء واختلطت ببعضها وامتزجت ولكن في نظام بديع . وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مجموعة من هذه الوصايل اليمنية توضح مدى عظمة صناعة الأقمشة في اليمن . وقد نجع اليمنيون في صناعة هذا النوع من الأقمشة على أنوالهم المحلية وبلغوا في ذلك درجة عظيمة من الروعة والاتقان . ويكفى دليلا على براعة الصناع أنهم ابتكروا طريقة فنية خاصة لزخرفة الوصايل اليمنية وهي طريقة نسج الخطوط الملونة الناشئة على صبغ خيوط السداة واللحمة قبل النسج بلون أو بعدة ألوان أبرزها الأزرق والأبيض الضارب إلى الصفرة ، والأسمر الضارب إلى الحمرة . ولعل مما ساعدهم على هذا النجاح سهولة حصولهم على القطن ولأن خيوط الوصايل اليمنية كلها من القطن المصبوغ . انظر: وفية عزى ، نماذج من الفنون الاسلامية في اليمن ، ص ٢٨ ، المجلة ، العدد ٧١ ديسمبر ١٩٦٢ كما ابتكر الصناع اليمنيون طريقتين لتزيين الوصايل ، فاستعملوا النطريز تارة والطبع والتذهيب تارة أخرى ، مع وحدة العناصر الزخرفية في كل من التطريز والتذهيب ، وهي تنحصر في الخطوط المجدولة أو الحروف الكتابية انظر وفية عزى ، نماذج من الفنون الاسلامية في اليمسن ، ص ٢٩ ، المجلة ، العدد ٧١ . وانظر اللوحة رقم (٢) وهي عبارة عن نسيج يمنى مطبوع مذهب من القرن ٤ه /١٠م . ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم سجل ١٤٤٧٠ .

(٨) قام بفحص خيوط هذه المنسوجة ميكروسكوبيا معمل مركز بحوث وصيائة الآثار بتاريخ ١٩٨١/٨/١٢م وتبين له أنها قطن ١٠٠٪. وأرجو أن يعدل ما ورد عن تعريف هذه المنسوجة بسجل متحف الفن الإسلامي حيث جاء فيه أنها من الكتان .

(٩) قام بفحص هذه المنسوجة الدكتور سيد خليفة الاستاذ بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة
 (نسيج) وحدد سداها ولحمتها .

(١٠) انظر نهايات حرف الواو الواردة في الشريط السفلي والشكل رقم (١).

(۱۱) هذا الطائر عقاب وليس نسرا كها وصفه الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه « كنوز الفاطميين » ص ۱۲۷ . فالنسر يشترط فيه وجود رقبة .

(۱۲) هذا الحيوان أسد أفريقى يطلق على نوعه Felis leo وليس فهدا حسبها وصفه الدكتور زكى محمد حسن فالأسد له معرفة . كها تتميز السباع بوجود بقع غامقة اللون فى جسمها وهذا ما حرص الفنان على إبرازه .

(١٣) نجع الفنان في إبراز العلاقة بين السباع وما تفضله من فرائس على رأسهـــا الحمــر

الوحشية ,حيث ميز الفريسة بالخطوط لإدراكه محبة السباع لهذه الحمر الوحشية المخططة .

(18) يرى الدكتور سيد خليفة بعد فحصه لهذه المنسوجة وألوانها أن الأصباغ لم تستخدم فى الطباعة على الاطلاق ، فى حين استخدم مسحوق الذهب للتذهيب ، كها استخدمت أكاسيد المعادن للحصول على اللون الأزرق الزهرى . أما اللون الأسود فهو نوع من الأحجار التى كانت سائدة وقت صناعة المنسوجة . وقد استخدم لتثبيت مسحوق الذهب على القهاش وكذلك أكاسيد المعادن الزرقاء ، لصاق وضع على سطح النسيج .

(١٥) هذا الطائر عقاب كسابقه وليس نسرا كها سبق أن بيناه .

(١٦) هذا الطائر بلشون Grey Heron وليس أوزة كها ذكر الدكتور زكى محمد حسن في وصفه . وهو من نوع البلشون الأوروبي European Form حيث يتميز رأسه بوجود ريشات في مؤخرة رأسه وقد بينها الفنان مما يدل على أنه يعيش في بيئة أوروبية . (لوحة رقم ٥ والشكل رقم ٢) . ويستوطن هذا الطائر البحيرات والبرك والمستنقعات ، ويتغذى على الأسهاك والقشريات والديدان .

(۱۷) انظر لوحة رقم (۱) والشكل رقم (۳) .

(۱۸) هذا النوع من النسيج هو أكثر الأنواع ذيوعا وأعمها استعهالا ، ولذا كانت القطع المنسوجة منه أكثر من باقى قطع المنسوجات الأخرى ، وذلك لبساطة طريقة نسجه ومن أجل هذا يعتبر أول التراكيب النسجية التى استعملت فى صنع الأقمشة . وطريقة النسيج السادة معروفة منذ أزمنة بعيدة فى التاريخ وهى عبارة عن تقاطع خيوط السدى مع خيوط اللحمة تقاطعا منتظها بحيث يؤدى إلى اختفاء فريق من خيوط السدى تحت اللحمة ، وظهور الفريق الآخر فوقها وبالعكس فى اللحمة التى تليها وهكذا . انظر :

- John H, Strong: The Eoundation of Fabrics p. 117.
- Glazer: Historic Textile Fabrics, p. 5.
- Nishet: Grammer of Textile design, pp. 6-10.

عند دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامي ، ص ١١ . وكذلك أشكال ٣. ٢. ٢ عندها ويصنع هذا النسيج على الأنوال الرأسيةُ والأفقية على حد سواء .

(۱۹) الطباعة بالقالب عبارة عن رسم وحدة زخرفية على القالب الخشبى ، ثم تحفر هذه الرسوم إما حفرا بارزا ، أو غائرا ويسمى اليابانيون القالب ذا النقوش البارزة بالقالب الإيجابى Positive والقالب ذا النقوش الغائرة بالقالب السلبى Positive ثم يغمس القالب في مادة الصباغة ، ويطبع على النسيج فيظهر الرسم ملونا بالصبغة في حالة القالب الإيجابى ، وتكون الزخارف بيضاء خالية من الصبغة في حالة القالب السلبى بينا يصبغ الإطار المحيط بها . وقد

عرفت الصين الطباعة بطريقة القوالب Block Print منذ عهد بعيد ، وإن لم يعرف على وجه التحديد تاريخ نشأتها . ويمتاز أسلوب الطباعة بالقالب بسهولته وقدرته الكبيرة على الإنتاج السريع . انظر دكتورة سعاد ماهر محصد ، النسيج الإسلامي ، ص ٨٣ . إلا أن القالب المستعمل في هذه المنسوجة لا يعدو أن يكون محدد العناصر الزخرفة سواء كانت حيوانية أو بناتية أو كتابية ، ويطلق على هذا النوع من القوالب اسم « القالب ذو الشرائح المعدنية » .

(٢٠) انظر نقطة البداية على جناح العقاب الذي ينقض على البلشون (بالشريط العلوى للزخوفة) لوحة رقم (١) . ويحتمل أن تكون هذه النقطة نتيجة عملية ترميم ، لاسيا وأن القطعة قد تم شراؤها من أحد تجار الآثار واسمه موريس نجان في ٨ مايو سنة ١٩٣٢م . و ١٩٣٧م أو ١٢) السقلى ، صفة تذهيب الورق والكاغد . يقول : « تأخذ من الوشق ما شنت وتقطعه ثم تجعله في إناء وتصب عليه ما يغمره من الماء حتى تراه قد انحل وقحركه على نار لينة ، ثم تركم فيه يسيرا من الزعفران ، ثم تكتب به في الكاغد أو الورق ، وتتركه حتى يجف ، ثم تأخذ ترك ساعة ، ثم تأخذ من ورفة الذهب الحالى فتقطعها قطعا صغارا على جلد نقى ، ثم تأخذ الكاغد المكتوب فتنفخ فيه قليلا حتى يعرف الموضع المكتوب برفق ثم تدلكها بقطن قليلا حتى نراه قد التزق ، ثم تبل أصبعك بالريق وتضعه على ذلك الموضع وتشدها عليه برفق فان الورقة تلزق الموضع المكتوب بالوشق ، ولا تثبت على سواه ، وكذلك فاعمل في كل شيء تريد تذهيبه » . انظر:

- Nallioo, Gentenario della Nascita di Michele Amari.
- Volume Prime, Palermo Stabilimento, Tipografico, Virzi 1910, p. 447-448.
- La preparazione Degli Inchiostri Hibre Midad Di Differenti Colori Sposta da un Anonimo siciliano.

(۲۲) انظر لوحة رقم (٤) .

the state of the s

(٣٣) يقصد بالكتابة المتعاكسة أن قواعد الحروف في السطرين متقاربة سواء فصلها شريط زخر في أو لم يفصلها فبينها تكون رءوس أحد الطرفين متجهة إلى الشهال نجد رءوس حروف السطر الآخر متجهة إلى الجنوب. انظر دكتور محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة في الأفشية الفاطعية ص ٩٦.

أما بالنسبة لشيوع هذه الظاهرة في إيران انظر لوحة (٥) عن :

- Arthur Upham pope
- A Survey of persian Art from prehistoric Times to the present, PL. B. p. 995.
- (٢٥) د . محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ، ص ١٢٤ .
- ١٣٦ . د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية في صقلية وجنـوب ايطـاليا ، ص ٦٦ .
 لوحات ٨ . ١٠ ، ط جدة . تهامة ١٩٨٠ .
 - . ١٤ ، ١٣ ، ١١ ، ٩ ، ٨ ، ٦ ، لوحات من ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ .
- (٢٧) سبق أن عالجنا طريقة التلوين بالمساحيق المختلفة (راجع حاشية رقم ١٣ ، ٢٠).
- . ۲۸) د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ص ١٤٥ ـ ص ١٤٨ واللوحة (٢٩) الخاصة بنقش اللغات الثلاث بالجزيرة عنده .
- Arthur U. Pope, A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the present, PL. B. (Y%)

 Volume XLp. 995.
 - Ibid. Vol. IX A. p. 598. (**)
- (٣١) د . محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المتسوجة ، لوحة ١٢ ، د . سعاد ماهر محمد . النسيج الاسلامي ، لوحة ٢٢ .
- (۲۲) د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، لوحة ١٠٣ . . ص ١٧٣ .
 - Hayford Peirce et Royal Tyler, Cart Byzantin, Vol., 1 Pl.s., 101, 102, Paris 1932. (YY)
- (٣٤) قارن بين طريقة رسم العقد على الفرع المتموج في هذه المنسوجة (شكل ٤ . شكل
- ه)، والعقد النباتية الصقلية (شكل ٧، ٨). وانظر كذلك عند د. عبدالمنعم رسلان.
 الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا لوحات (٧١ ، ٢٣ ، ٨٦).
- (٣٥) د. عبد المنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا ، لوحة ٩٥ . ص ١٦١ وانظر عنده :
- Falk, Otto. Decorative Silks, p. 21.
- · Migeon, M. D'art M. Tome 11 p. 313.
 - (٣٦) المرجع السابق ، شكل ٢٠ أ ، لوحة رقم ٧٦ .
 - (٣٧) ألمرجع السابق شكل ١٩ ي .
 - (٣٨) المرجع السابق لوحة ٨٧ .
 - Otto Vom Falke, decorative Silks, p. 20. ، ٨٨ ص ، ٨٧ ، ص المرجع السابق ، و المرجع السابق ، ص ١٨٩ ص ،



بقلم: الدكتور محمد بن سعد الشويعر



كثيرا من الباحثين في تاريخ بلادنا . أن يعرفوا مصادر رصد المعلومات . والتعرف على المحالية على المحالية على المحادر . وطريقتهم في البحث . واقتناص المعلومات . ثم تسجيلها . ومنهجية الكاتب في هذا ، والعوامل التي تحيط به أو تؤثر فيه .

ذلك أن قلة ما رصد ُعن نجد والأحساء وعسير ، والحجاز عدا مكة والمدينة ، وبخاصة في الفترة ما بين الدولة العباسية ، وظهـور الدعـوة الإسـلامية السلفيةالإصـلاحية في الـدرعية منـذ عام ١١٥٨ هـ . وهي السنة التي منها بدأت تتحد أجزاء الجزيرة في دولة منظمة ، مداها ولحمتها عقيدة التوحيد الخالص ، ونبذ ما سواه . منذ ذلك التاريخ أقام الإمام محمد بن سعود دعامة الدولة السعودية الأولى ، والتى بدأت عندما تصافح الشيخان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رجمها الله ، وتعاهدا على نصر دين الله ، والدعوة لذلك ، ومضى قدما لإنقاذ الناس من الضلالة والجهالة ، وإزالة ما ترسب فى المجتمعات من شكوك وقتن وخرافات وبدع .

ولذا يعد تاريخ المنطقة قد بدأ منذ ذلك التاريخ ، فرصده أبناؤه المشاهدون للأحداث المهتمون بجانب الإيضاح لكل حدث في وقته .

ولئن كانت المنهجية العلمية ،والقدرة التعبيرية ، تنقص بعضهم ، الا أنهم رحمهم الله جميعا ، قد ملأوا قراغا ، وأوجدوا تراثا ، وخدموا من جاء بعدهم ، بما فتحوه من باب ، ومارصدوه من علم . وهذا لا يمنع استفادة بعضهم من بعض ، والأنفاق في المعلومات التي استقاها كاتبوها من أقواه الرجال ، ومما هو متناقل عن الصدور ، في منتديات القوم ويجالسهم بالتوارث والتواتر .

ولكلِّ من هؤلاء الراصدين منهج خاص ، وطريقة واضحة في استقاء معلوماته ، وتدوين ما توصل إليه ، تميزه عن غيره .

وقد سبق أن طرقت في أعداد ماضية ، وعلى صفحات مجلة « الدارة » لمحـات عن سبات بعضهم ، أو على الأصح عرَّفتُ بكتب وشخصية من كتبوا في هذا المجال ، أو شاركوا بجهودهم السابقة في تجميع ما مرّ بأمتهم وبلادهم من أحداث تاريخية ، أو نظرات اجتاعية .

ولا نعدم فى كل واحد مرّ بنا ، علامة فى جهده تميزه ، أوظاهرة ينفرد بها ، وهذه سمة قلما يخلومنها جهد كاتب ، أو نتاج مؤرخ وفجهد قلم الكاتب تعبير عن شخصيته ، والمؤثرات فيها .

وشىء آخر وضحت عنه فى سيرهم الذانية ، ومنهجيتهم العلمية ، أن من أبرز ما لاحظت كثرة استفادة اللاحق من السابق ، وتكرار المعلومات المستفاة ؛ لأن مصدرها الأساسى الراصد الأول . ولا مرجم يستقى منه غيره ، ومرجعه هو غير مكتوب .

وهكذا فيا يجدُّ من معلومات حسب التتابع الزمني لكل مؤرخ مع أقرانه .

وفى هذا الموقف تبرز شخصية المؤرخ فيا عاصر من أحداث ، وما رصد من معلومات انفرد بها ، إلا أن الظاهرة العامة عند مؤرخى نجد ، أنهم لا يختلفون فى النظرات الدينية ، ولا فى الأحداث السياسية ، وليست لهم مآرب شخصية موجهة كها يبين عند غيرهم ، وأن النقل بأمانة من أبرز سهاتهم ؛ ذلك أن عامل الدين السلفى هو المؤثر فيهم جميعا . وقد كنت تحدثت فى مرات ماضية عن : ـ ابن غنام وتاريخه . فى العدد الأول من السنة الرابعة الصادر فى ربيع الآخر عام ١٣٩٨ هـ . مارس ١٩٧٨ م ، مجلة « الدارة » . ` ـ مقبل الذكير ومخطوطته التاريخية . مجلة « الدارة » العددان الرابع والثالث من السنة الرابعة .

ــ ابراهيم الضويان وجهوده العلمية ونبذته التاريخية مجلة « الدارة » العدد الثانى من السنــة الرابعة رجب عام ۱۳۹۸ هــ . يونيه عام ۱۹۷۸ م .

ـ عبد الرحمن الناصر وتاريخه المخطوط: عنوان السعد والمجد مجلة « الدارة » الأعداد الأول من السنة الخامسة ربيع الثانى عام ١٣٩٩ هـ . والثالث والرابع من السنة السادسة جمادى الآخـرة وشعبان عام ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

وفي هذا الموقف سيكون لى معك يا أخى القارئ لقاء في مخطوطة تاريخية جديدة ، تتحدث عن حقبة زمنية معينة ، واسعة المدى ، وكثيرة الأحداث.فيها جدة في المعلومات ، ودقة في التجميع ، ووفرة في الدلالات والقرائن ، واستفادة من السابقين ، وحداثة في الاسلوب الكتابي ، وطريقة خاصة في التنظيم والترتيب ، وأفق واسع في رصد الأحداث البعيدة عن بينة الكاتب ، وأن كان الناسخ قد أضفى بقلمه لمسات على ما سطره المؤرخ في الأسلوب واللغة ، نما يزيد المخطوطة تجديدا وتبويبا .

وقد كنت أتمنى الوقوف على النسخة الأصلية التى بخط المؤلف نفسه ، لكى يظهر شىء جديد من ثنايا السطور ، ونوعية الحنطر وتاريخه . لكن على وجه الشمول،فالأعم الأغلب منها لم يتبدل : بل بقى على الشكل الذى وضعه المؤلف .

اسم الكتاب : وتحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق » تأليف عبدالله بن محمد بسام . ولا أحب أن أشرك القارئ معى في الجهد والمشقة اللتين بذلتها للاطلاع على هذه المخطوطة طوال ست سنوات ، لكن لا يفوتني الإشادة بحرص وتشجيع معالى الشيخ حسن بن عبدالله أل الشيخ وزير التعليم العالى الذي فتح لى صدره ، ومحضني نصحه ، وساعد بتوجيهه في هذا السبيل فجزاه الله خيرا .

لقد علمت بأن أكثر من نسخة من هذه المخطوطة موجودة عند مجموعة طيبة من الأسر الكريمة بالمملكة ممن يهتم بالتجميع والمتابعة ، كها قال الشيخ حمد الجاسر بأن في مكتبة « أرامكو » بالظهران نسخا منها ،لكننى لم أجدها بالمكتبة ، ولم أستطع الاطلاع عليها عند من يملكها ، وأمضيت في تلك المحاولة قوابة ست سنوات ، لم تُجد فتيلا .

وفى لحظة يأس من الاطلاع على هذه المخطوطة ، جمعنى المكان ثم الاستفاضة فى الحديث مع أخ حبيب لا يبخل بالعلم ، ولا يتباهى بالجمع أو الجاه . وقد وعد _ جزاه الله خيرا _ ببذل جاهه عند من يملكها ، رغبة فى توسيع دائرة المعرفة ، وقد وفى با وعد ، لأنه يقدر على من هى عنده . والذى نخشاه على تاريخ بلادنا هو ضياع حلقات منه قبل نشره ، لتشدد بعض من يملك تلك الحلقات ، ولايهتم بإخراجها وتحقيقها ، فكم سمعنا عن نبذ تاريخية لم نجد لها خيرا ، وقد تكون نسخة مكررة عن سابقاتها ، وقد تكون محيرة فى بعض الجوانب ، لكن الباحث يهمه الاطلاع على الجميع، لأنه لا يعدم نادرة لم يتطرق إليها سواه .

ولقد ذكر الشيخ حمد الجاسر - أمد الله في عمره - في حديث بمجلة « العرب » ، تحت عنوان « مؤرخو نجد من أهلها » بأن هناك تواريخ كثيرة جاء ذكرها في بحثه لم تنشر بعد ، وبعضها ذكر ولم ير (١) وقد يكون ذلك العدد الكبير الذي أشار إليه ، مع نسبة لا يستهان بها غير ما ذكر ، سلكت ذلك المسلك ، وقد يكون فيها معلومات جديدة لا يعدم الباحث الفائدة فيها ، والتي هي ضرورة ملحة لاضافتها للحصيلة القليلة الموجودة على السطح .

وقبل التحدث عن المخطوطة : يحسن بنا أن نعطى فكرة عن الكاتب وأسرته , لأن في هذا الإيضاح جلاء للمهتمين بالبحث التاريخي ، وتعريف له حتى لا تختلط الأسهاء والتخصصات : ذلك أن أسرة آل بسام من الأسر العلمية العريقة في نجد ، عندما كانت في أشيقر بمنطقة الوشم ، وبعد انتقال بعضهم للعيينة ، ثم المصاهرة مع بنى عمهم الذين أصبحوا فيا بعد أسرة شيخ الإسلام مد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه ، ثم بعدما انتقل أغلبهم الى مدينة عنيزة في القصيم .

فمن هو المؤلف ؟؟ . السمة ولقمة

المؤلف لهذا الكتاب : هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله ابن الشيخ أحمد بن عبدالله ابن بسام الوهيبي التميمي (٣) .

لقد ترجم لحياة هذا المؤلف كل من الشيخ : حمد الجاسر في بحثه عن مؤرخي نجد من أهلها بمجلة العرب ، والذي كان بحثا ألقاه في محاضرة بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٧٨ هـ . (٢٦ كيا ترجم له الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في كتابه « علماء نجد خلال ستة قرون » (٤٠) إلى جانب بعض النتف الذي ذكرها عنه الريحاني في رحلته إلى نجد وإنطباعاته عن نجد وعنيزة (٥٠) .

أما ولادته فيرى الشيخ حمد الجاسر بأنه ولد عام ١٧٧٠ هـ . أى فى السنة التى ولد فيها المؤرخ ابراهيم بن صالح بن عيسى،استنادا إلى ما كتبـه إليه الوجيه عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سليم ، وأنه توفى عام ١٣٤٨ هـ . عن ٧٨ عاما ١٠٠ .

أما الشيخ عبدالله بن يسام فيرى بأن مؤرخنا ولد بعنيزة عام ١٣٦٨ هـ. قارئاً ذلك بهـذه الحادثة : بأن والد المؤلف قتل في معركة المطر عام ١٣٧٩ هـ. . وكان له ابناء أربعة : حمد الذي لم يكن عمره يتجاوز السادسة عشرة تعويليه عبد العزيزء ويليهما المترجم له الذي لم يتجاوز عمسره الرابعة . ثم أصغرهم عبد الرحمن الذي كان حملا في بطن أمه حين قتل والده (٧٧) .

أما عن وفاته، فقد ذكر بأنه توفي في بستانه المهيرية في عنيزة عام ١٣٤٦ هـ . (^{٨)} وقد رأيت على

طرة المخطوطة حسبها أثبت الكاتب الذى نسخها بأنه توفى عام ١٣٤٦ هـ تقريبا . كها حدده بعض أهله (١) . وأجد أن هذا يحتاج لمناقشة ، حيث أميل مع الشيخ حمد الجاسر فى تحديد تاريخ ميلاده بعام ١٣٧٠ هـ . للأسباب التالية : . .

 ١ ــ استدلاله بالرسالة التي بعث بها إليه الوجيه الشيخ عبد الرحمن الزامل ، وان كان لم تثبت نص الرسالة ، إلا أنها على كل حال قرينة قوية : فقد يكون الشيخ عبد الرحمن صديقا ملازما للمؤلف ، وأنه نقل عنه هذا الرأى .

ومن المسلم به فيا يتعلق بالعمر وتاريخ الولادة : أخذ رأى الشيخ عن نهسه ، أو التقارب مع أترابه الذين عاشوا معه فترة الصبا ؛ لأنهم يقيسون ذلك بأحداث عالقة بالذهن ، ووقائع واستدلالات هم أخبر بها . وبذا يؤخذ برأيهم ؛ لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ .

٢ ـ ذكر الشيخ عبدالله بن بسام بأن عمره كان أربع سنوات عندما قتل والده سنة المطر عام ۱۲۷۹ هـ . (١٠٠) وهذا غير مناسب ؛ بل يتبادر للذهن حسب هذا القول بأن عمره كان احدى عشرة سنة لا أربع سنوات .

أما إذا كان عمره يقينا أربع سنوات عندما قتل والده ، فان الأمر يحتاج إلى إيجاد رأى ثالث عن تاريخ ولادته وهو عام ١٣٧٥ هـ .، إذا كان قد ثبت بأن والده قتل بالفعل في هذه المعركة .

٣ ـ ذكر وقعة المطر هذه كل من ابراهيم بن صالح بن عيسى فى كتابيه عقد الدرر (١١) وتاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد (١٦) ، والمؤلف عبدالله بن بسام فى تاريخه الذى بين أيدينا فى حوادث عام ١٣٧٩ هـ . (١٦) .

ولم يذكرا عن والد المؤلف بأنه قتل في هذه المعركة ، وهذا غير مستبعد من ابن عيسى ؛ لأنه ذكر أن عدد القتل من عنيزة في حدود أربعيائة ،ولم يذكر من هذا الرقم أي اسم ، فمن باب أولى أن يكون ترك والد المؤلف مع غيره نمن ترك ،وبخاصة وأن الشبيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام قد ذكر بأن والد المؤلف كان فقيرا ، ولم يذكر له منصبا اجتاعيا . ومن عادة المؤرخين تخصيص النابين بالذكر .

لكن كان من المنتظر أن يشير المؤلف نفسه إلى ذلك ، باعتبار أن الموضوع يخصه هو ، ويؤثر فى نفسه ، إلاّ أنه لم يذكر ذلك ، رغم أنه ذكر أناسا من آل بسام لا يقل عددهم عن عشرة ، فى وفاتهم أو أبرز ما مر بهم .

٤ - وإذا اعتبرنا ولادته عام ١٢٧٠ هـ . كما أخبر الشيخ عبد الرحمن الزامل وأثبته الشيخ محمد
 الجاسر ، وهو ما أجدنى أميل إليه ، فإن عمره عندما قتل والده ، يصبح تسع سنوات لا أربعاً .
 ٥ - وعن وفاته أجدنى أميل إلى رأى الشيخ عبدالله بن بسام بأنه تونى عام ١٣٤٦ هـ الذي

أكده ما جاء على طرة الكتاب ، وأثبته الناسخ نقلا عن بعض أهل المؤلف . وبهذا يصبح عمره ٧٦ سنة : لأن عبدالله بن بسام من أهله وعشيرته ، وقد يكون ممن أدركه وعرفه معرفة جيدة . وبذا يسهل عليه رصد تاريخ وفاته ببعض الشواهد المعينة على تحديد الزمن الذى توفى فيه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فالشيخ عبدالله عبد الرحمن البسام أيضا لديه اهتامات تاريخية مبكرة وقديمة، جعلته يهتم بالأمر ويجمع ما يتعلق بالرجال وتراجمهم حتى أخسرج كتابه « علما منجد خلال ستة قرون » في ثلاثة أجزاء ، وينوى إعادة طبعه كها فهمت منه في حجم يقارب! ضعف ححمه الحالى .

ومن ناحية ثالثة فإن ناسخ مخطوطته قد رصد ذلك على الطرة منسوبة إلى بعض أهله . وقد نبجد قرينة رابعة تتمثل فى رصد المؤلف للأحداث التاريخية حتى عام ١٣٤٤ هـ ، وأن السنتين الأخيرتين هما الفجوة بين وفاته وتوقفه ، قد تكونان فترة ضعف لكبر سنه .

ولم أجد في الكتب التاريخية التي تحدثت عن أحداث الفترة التاريخية المقاربة لزمن وفاته ، من مطبوع ألفه مؤرخون من نجد مثل : تذكرة أولى النهى والعرفان للشيخ ابراهيم بن عبيد ، الذي خرجت طبعته الأولى عن مطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض غير محدد تاريخها . ومشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، الطبعة الثانية بإشراف دار الهامة للبحث والنشر والترجمة بالرياض عام ١٣٩٤ هـ . أو مخطوط مثل : تاريخ مقبل الذكير ، وعنوان السعد والمجد لعبد الرحمن الناصر ، من ذكر تاريخ وفاته أو تعرض لسيرته . ومن باب أولى ألا يذكره غيرهم ، إلا فها رصد من معلومات لم يصل إلينا خبرها بعد .

وعلى هذا التحديد ، فإنه من الصدف أن يكون بين مؤرخنا هذا ، وبين المؤرخ محمد البسام صاحب كتاب (الدرر المفاخر ، فى أخبار العرب الأواخر) مائة سنة كاملة فى تاريخ الوفاة ، فمحمد البسام توفى عام ١٧٤٦ هـ ، وعبدالله هذا توفى عام ١٣٤٦ هـ .

سيرته وحياته

ينقل الشيخ محمد الجاسر عن الرسالة التي بعث إليه الوجيه عبد الرحمن الزامل ثناء عاطر! على المؤلف بأنه : نعم الرجل دينا وعقلا وأدبا .

هذا عن التزكية الشخصية ، أما عن حياته الاجتاعية والعلمية ، فيقول : بأنه كان يشتغـل بالتجارة في « يجبى » بالهند ، ويقيم هناك سنتين أو ثلاثا ، ويزور وطنه عنيزة فيقيم فيها كذلك ، ويظهر أنه لم يشتغل بطلب العلم متجردا له ، ولكنه أديب مثقف ، وربما نظم بعض المقاطيع الشعرية الفكاهية الني لها صلة ببعض أصدقائه (١٤) .

لكن الشيخ عبدالله بن بسام قال : بأن صاحبنا هذا وإخوانه الثلاثة : حمد وعبد العزيز ، وها أكبر منه ، وعبد الرحمن وهو أصغر من المؤلف ، بدأوا حياتهم التجارية من لا شيء بلأن والدهم توفى ولم يخلف لهم مالا ،وقد بدأ ذلك أكبرهم حمد بتجارة بسيطة بين عنيزة وسوق الشيوخ فى العراق ، فلها كبر إخوانه وصار لهم منه مساعدة على أعال التجارة ، فتح بيت تجارة فى جدة ، ولما اتسعت أعالهم نقلوها من جدة الى البصرة ، فلما زادت فتحوا بيت تجارة آخر فى الهند ، فصار حمد وعبد الرحمن يعملان فى بيت المدد ، فاتسعت أعالهم ، وربحت تجارتهم ، وصاروا من أثرياء نجد المعدودين (١٥) .

ويزيد الشيخ عبدالله بن بسام عن علمه ومدرسة الحياة التي تخرج منها فيقول: والقصد أن المترجم له مع أعماله التجارية، كانت هوايته ورغبته في القراءة والمطالعة، وجمع الكتب، وأغلب موله الى التاريخ والأدب والسياسة، ومعرفة أحوال البلدان والرحلات، فصارت لديه ثقافة ومعلومات واسعة في هذا الباب، فتحصيل المترجم له للعلم هو من المطالعات وبحالسة العلماء والأدباء والمفكرين، وليس من دراسة منظمة في حلقات العلم فحسب، ولمذا فإن مشاركته في العلوم الشرعية، والعوم اللسائية ليست كبيرة (١٦).

ويبدو أن أسرة آل بسام أسرة علم ومعرفة ، وذات اهتهام بالتاريخ في وقت قلّ المهتمون به في نجد لانشغالهم بلقمة العيش ، ومشاغل الحياة التي أهم ما يشغلهم فيها الأمن وانعدامه ، مع تفشى الجهل ، وغلبة الأمية في الأعم الأغلب ، إلى جانب الهجرة المتكاثرة من نجد إلى حيث تتوفر مصادر المعمل وطلب الرزق ، وسوف يلمس القارئ اهتهام هذه الأسرة بالتاريخ خاصة من التعريف الذي سوف نلم به هنا عن الباحثين والمؤرخين من آل بسام .

لقد ذكر الشيخ عبدالله بن بسام أن المؤلف بدأ كتابة تاريخه في الهند ، لكنه لم يحدد سنة بعينها ، ولم يحدد مدة مكنه في الهند أيضا بدءاً وانتهاء ، كها ذكر أنه أكمله أثناء إقامته في عنيزة (۱۷) . والريحاني عندما مر بعنيزة في حدود عام ١٣٤٣ هـ . ذكر انطباعه عن الشيخ عبدالله بن محمد بن بسام فيقول : وهذا عبدالله بن محمد آل بسام يشبت ما أقول - ويعني بذلك ما قاله أمير عنيزة له بأنه لي يستقدم آلات بخارية لرفع المياه والري ، حتى يستقدمها السلطان عبد العزيز للاحساء ونحن نتبعه - : فهو على علمه وأدبه ، وروحه العصرية في كثير من أمور الحياة ، لا يتقدم طويل العمر في الرياض ، لعبدالله أرض خارج المدينة حفر فيها قليبا عمقه ثم أنون قدما ، وعرضه خمسة وعشرون بعشرين ، يشتغل في رفع المياه منه عشرة جال ، وهو مطوى بالحجارة ، محكم البناء ، كلفه أربعائة لهر انجابيزية ، ويكلفه رفع المياه يوميا ليرة واخدة في الأقل ، أما ثمن الآلة البخارية فلا يزيد على نصر والعراق نصف كلفة القليب ، وثمن النفط أقل من أجرة الجال ، وعبدالله اللنبي ساح في مصر والعراق نصف كلفة القليب ، وثمن النفط أقل من أجرة الجال ، وعبدالله اللسام الذي ساح في مصر والعراق

والهند . يدرك ما فى الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير ، والسرعة فى العمل ، ولكنه عربى . والعرب فى الزراعة على طريقة ملوكهم وأجدادهم (١٨٥) .

هذه البئر قد حفرها مؤرخنا في عام ١٣٤١ هـ . أرخها بثلاثة أبيات ذكرها الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام في ترجمة حياة المؤلف وهي :

> رجسوت رحيا واستعنست بعونه على حفسر بئسر فاق ما كان قبله ولما استتسم الأمسر قلست مؤرخا

کستمطسر یرجسو المنسی من غمامه فجماء نمسیرا یستقسی من جمامه حمدت کریمسا منّ لی بتمامه

۲۵٤ + ۲۷۱ + ۲۸۸ = ۱۶۳۱ هـ (۱۱) .

ومن هنا يبدو أن هذا البئر غير البستان المشهور لآل بسام والمعروف بالمهيرية ، والذى ذكر المؤلف في أحداث عام ١٣٩٨ هـ . ابتدأنا نحن آل عصد بن عبد العزيز بن حمد بن بسام في غرس قليبنا المسهاة الموجهرية المعروفة في بلد عنيزة (٢٠) وهذه البئر عرفت فيا بعد عند بعض التاس ، « أم الموجهرية أو أم المهيرية » ولا خلاف في هذا والريحاني يعترف للشيخ عبدالله بن بسام بالفضل في تعاونه معه عندما استعان به أثناء مروره بعنيزة ، فقد قال : استعنت عندما مررت بعنيزة بالشيخ عبدالله بن محمد العبد العزيز البسام ، فكتب لى لاتحة بأسه بلدان القصيم وسدير والعارض (٣٠) .

وقال في موضع آخر: والشيخ عبدالله البسام الذي قال فيه عظمة السلطان: إنه من العارفين المدققين ، هو من مراجعي في النبذة الأولى (٣٢) .

فالريحانى لم يذكر ذلك إلاّ عن مكانة يحتلها الشيخ البسام عند الملك عبد العزيز، وثقة فى جهده وعمله . مما جعل الريحانى يعتبره مرجعا فى كل ما قدم عن نجد ضمن حديثه فى رحلته .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد نقل عن هنرى دوتى الذى زار نجدا ، وسموه النصرانى الكافر قد أننى على ثلاثة هم : أمير عنيزة وعبدالله القنينى وعبدالله بن بسام الذى قال عن نفسه بأنه يومها كان شابا : فقد ذكرهم بالخير ونعتهم بالفلاسفة وأثنى عليهم ثناء طيبا (٢٣) . أما عن مؤلفاته ، فقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام أن له مجموعا فى الآداب والحكم والأشمار بسياه : الدليل المفيد لمن هو للدين والدنيا مريد .

وقد ذكر قطعة من مقدمته تنبئ عن تاريخ ابتداء تأليفه وسبب ذلك ، جاء فيها : قد اعتنى يجمعه لنفسه ، أحقر الأنام : عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البسام ، مبتدئاً به سنة خمس وثهانين بعد اثنتى عشرة من المئين من هجرة من له الفضل والشرف (۲۵) . وعن مكانته الاجتاعية يزيد الأمر توضيحا الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ،وهو لا شك من يعرفه ، ويدرك عن قرب معلومات دقيقة عنه , وثيقة الصلة به ، بحكم القرابة والمعايشة والتناقل في المجتمع الأسرى عن أخباره ، عندما يقول : والمترجم له من الأعيان الوجهاء في بلده وغيرها ، ويحرص الأمراء والعلماء والأعيان على مجالسته ومنادمته ، والاستفادة منه ، فيستانه الغنبي بالماء العذب ، وأشجار النخيل والفاكهة ، مزار لمحبيه ومجالسيه ، ويجدون الصدر الرحب ، والنفس الطيبة والبشاشة والطلاقة ، كما يجدون عنده حسن المجالسة والمؤانسة ، ولم يزل على أحواله الحميدة ، وصفاته الطبية ، حتى توفاه الله في عنيزة في بسائه (٣٥) .

ويتبادر للذهن من هذا القول الذي جاء عن أحد أقاربه ، والذي يخبره جيدا ، إما بالنقل عن أخباره ممن كان يخالطه ويجالسه ، أو بالمعايشة والمؤانسة ولو لفترة قصيرة من العمر اذا كان الشيخ عبدالله قد أدركه قبل وفاته _ ما كان يتمتع به المؤلف من خلق حسن ، وسجية طبية ، هي نماذج للصفات التي يدعو إليها الإسلام ، وتحث عليها تعاليمه : حسن في الحلق ، وطبب في المعسر ، اقتداء برسول الله الكريم على المحمد على المناس ، ورفعة بينهم علاوة على ما تحققه من أجر عند الله تعالى « فمن تواضع لله دوفعه » .

وإذا كان المؤلف رحمه الله ، قد خلّف نتاجاً علمياً ، هو ما سوف نتحدث عنه في عرضنا له مجملا ، فإن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام يذكر بأن أولاده لم يخلفوا إلا حفيدين يقيان في البصرة ، وله بنات لهن أبناء (٢٦) .

وهذا القول يزيل ما يتبادر من لبس لن يقرأ طرة المخطوطة ؛ بأن له أولادا في عنيزة ، فالمدرس المصرى الذى نسخها : نور الدين شريبة قد قال : نقله عن الأصل الحقي المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، وهو بخط نور الدين شريبة (٢٧) . وقد يكون هؤلاء الورثة أقاربه أو بنو عشيرته ، أو أحفاده من بناته ، لكن من الناحية الشرعية لا يعتبر الورثة إلا الأولاد الذين أشار اليهم الشيخ عبدالله بن بسام بأنهم في البصرة وهذا ليس مقام تحقيق الورثة ، أو مناقشتهم حسب رأى الناسخ كها أنه أوضح في نهاية المخطوطة عن نفسه ، بأنه كان مدرسا بالمدرسة الثانوية في عنيزة عام ١٣٧٥ هـ والشيخ عبدالله بن بسام ألف كتابه الذي طبع عام ١٣٩٨ هـ . بحكة في طبعته الأولى ، مما يدل على أن رأيه أكثر دلالة ، ولعل الناسخ يريد بالورثة البنات إذا كان منهن من هو على قيد الحياة في وقت النسخ ، أو أولادهن ؛ ذلك أن أولاد البنات لا يعتبرون ورثة مع وجود الأبناء الذكور . فلعل الناسخ عبدالله ، وأنهم ليسوا ورثة مباشرين ، أو يريد بذلك الاشرباء ، أو لأنه تصور أن أبناء البنات إذا قالوا له هذا تأليف جدنا أنهم أحفاده وورثته .



مؤرخون وعلماء من أل بسام :

عن صاحب الترجمة ، يجونا إلى إعطاء نبذة عن ذوى الاهتام العلمي والتاريخي من أسرة والحديث ال بسام من باب تقريب المعلومات ، ومن باب تسليط الضوء على هذه الأسرة العلمية ،

والتي كانت تبحث عن العلم ، وترعى التاريخ ، وتهتم بهما سنوات طويلة .

فلقد ترجم الشبخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام ، فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون لأربعة عشر عالما من هذه الأسرة ، فى كتابه المكون من ثلاثة أجزاء ، وضم بين دفتيه ثلاثياثة وثيانية وثلاثين عالما « ٣٣٨ « . وهؤلاء الذين ترجم لهم فى كتابه هم حسب ترتيب حروف الهجاء :

١ ـ أحمد بن محمد بن بسام المتوفى بالعيينة عام ١٠٤٠ هـ . ذكره برقم ٤١ ج ١ .

٢ ـ أحمد بن عثمان بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١١٣٩ هـ . ذكره برقم ٣٥ ج ١ .

٣ ـ حسن بن على بن بسام المتوفى بأشيقر عام ٩٤٥ هـ . ذكره برقم ٥٧ ج ١ .

٤ ـ سليان بن ابراهيم بن بسام المتوفي بعنيزة عام ١٣٧٧ هـ . ذكره برقم ٨٣ ج ١ .

٥ ـ صالح بن حمد بن بسام المتوفى بعنيزة عام ١٣٣٧ هـ . ذكره برقم ١٠٣ ج ٢ .

٣ ـ صالح بن عبدالله البسام المتوفي بعنيزة عام ١٣٠٧ هـ . ذكره برقم ١٠٩ ج ٢ .

٧ ـ طلحة بن حسن بن بسام المتوفى بأشيقر عام ٩٧٠ هـ . ذكره برقم ١١٨ ج ٢ .

٨ ـ عبد الرحمن بن محمد البسام المتوفى بأثينا ـ اليونان عام ١٣٩٧ هـ . ذكره برقم ١٣٧ ج ٢ .

٩ ـ عبد العزيز بن صالح البسام المتوفى بعنيزه عام ١٣٥٧ هـ . ذكره برقم ١٥٧ ج ٢ .

١٠ ـ عبدالله بن عشان بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١١٦٠ هـ . ذكره برقم ٢٠٤ ج ٢ .

 ١١ ـ عبدالله بن محمد بن بسام المتوفى بعنيزة عام ١٣٤٦ هـ .وهو صاحبنا هنا ، ذكره برقم ٢١٢ ج ٢ .

۱۲ - عبدالله بن محمد بن عبدالله بن بسام المتسوق بأشيقــر عام ۱۱٤٠ هـ. ذكره برقم ۲۱۳ ج ۲ .

١٣ ـ على بن محمد بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١٠٩٠ هـ . ذكره برقم ٢٤٩ ج ٢ .

١٤ ـ محمد بن صالح بن بسام المتوفي بالكويت عام ١٣٨٨ هـ . ذكره برقم ٢٨١ ج ٣ .

ولكل واحد من هؤلاء مساع فى طلب العلم ، وجهود فى تحصيله أو تبليغه ، إفادة ونشرا ، لا نحب أن نتوسع فيه ، لئلا يخرجنا عن موضوعنا ، ولن يرغب ذلك العودة الى تراجم حياتهم فى كتاب الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام المسار إليه والذي طبع في مكة عام ١٣٩٨ هـ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة المدينة ، وقد قال الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام مؤلف كتاب علماء نجد خلال ستة قرون ، وعضو محكمة التمييز في مكة المكرمة أيضا ، في نهاية ترجمة محمد بن صالح البسام ما نصه : وعندى عزم على تأليف كتاب عن أسرتى « أل بسام » في أخبارهم وأنسابهم وتنقلاتهم ، وأعيانهم وعلماتهم ، وأدبائهم وتجارهم وبيوتهم التجارية ، وحين يتم العزم على ذلك بعون الله تعالى - فسأجم تراثهم العلمي والأدبى في هذا الكتاب ، وبنه قصائد المترجم له ، وما سمعته منه من طرائف الأخبار ، والفرائب والأسفار (١٠) .

ولكن لست أدرى لماذا سهى على الشيخ غيدالله في تجميعه المعلومات عن علماء نجد ، التحدث عن واحد من ذوى الاهتامات التاريخية و الأنساب ، فلم يترجم له مع هذه المجموعة التي ذكر ، ليكون هو الخامس عشر ، ذلك هو : محمد بن حمد بن بسام صاحب كتاب الدرر المفاخر الذى سيأتى ذكره ، فسبحان من لا يففل ولا يسهو . إلا أن استدراك الشيخ عبدالله السالف الذكر في رغبته إخراج كتاب عن أسرة آل بسام ، قد يكون جاء من تذكره لأسهاء لم ترد في كتابه أمثال : محمد بن حمد السام المشار إليه ، ومحمد السلهان البسام الذي ذكره محمد القاضى في كتابه روضة الناظرين ، وغيرها .

أما الشيخ محمد العثمان القاضى فى كتابه ، فإنه لم يترجم إلا لثلاثة من هؤلاء الذين ذكر الشيخ عبد الله وهم :

أحمد بن محمد البسام ، سليان بن إبراهيم البسام ، صالح بن عبدالله البسام (^{۲)} . وذكر رابعاً لم يشر إليه غيره هو محمد السليان البسام ، وقال عنه بأنه توفى فى عنيزة عام ۱۳۳۲ هـ . (^{۳)} والشيخ حمد الجاسر فى حديثه عن مؤرخى نجد من أهلها قد أورد منهم ثلاثة هم :

_ أحمد البسام الذي جعله الأول في سلسلة الحديث عن مؤرخي نجد ، ولم يصل إلينا أحد قبله أرّخ لنجد .

_ محمد البسام الذي جعله السادس في ترتيب سلسلة الحديث عن مؤرخي نجد .

عبد الله بن محمد البسام -صاحب الدراسة هذه - الذي جعله تحت رقم (٨٨) في مسلسل مؤرخي نجد من أهلها (١٤) . والشيخ محمد في تسلسله هذا يسير وفق التسلسل التاريخي لحياة كل واحد من أولئك المؤرخين .

وسوف نعطى نبذة سريعة بمن له اهتام تاريخى ، ورصد للأحداث أو القبائل باعتبارها جزءً أمن التاريخ ، مع تعريف بجهدهم ، من باب لفت نظر القارئ إلى هذه الاهتامات التي حرصت عليها هذه الأسرة ، وهذا هو ما يعنينا فى هذا الموقف .. وهؤلاء – : ١ ـ أحمد بن محمد بن عبدالله بن بسام بن منيف بن عساكر بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوى بن وهيب . ولد بأشيقر بمنطقة الوشم، وبها نشأ وترعرع . وقد قرأ على علمائها حتى أدرك ، حيث كانت في وقته مركز علم ، ثم انتقل منها في عام ١٠١٠هـ إلى القصب لمدة عام ، والمسافة بين أشيقر والقصب قريبة ، إذ لا تتجاوز ٢٥ كيلا يفصلها الرغام أو ما يسمى الأن نفد الشم .

ثم انتقل إلى ملهم بالشعيب، حيث كانت فى ذلك الوقت تزخر بالعلماء إلى جانب الخصب والناء، وكثرة التمور التي تغلها نخيلها، وهذه تبعد عن الرياض حوالى ٧٠ كيلا شهالا بغرب، وقد بقى بها حتى عام ١٠٤٥ حيث استقدمه أمير العيينة، واستقر بها إلى أن توفى عام ١٠٤٠ هـ. ويعتبر من أوائل المؤرخين لنجد؛ فقد كان من مؤلفاته نبذة تاريخية عن نجد تحكى ربع قرن من عام ١٠٤٥ هـ. إلى عام ١٠٣٩ هـ.

وهذه الفترة ذات أهمية في تاريخ المنطقة لقدمها وأولويتها ، ولوجود أحداث لم يرصدها أحد قبله . قال الشيخ عبدالله بن بسام بأنه اطلع عليها ، وقد نقل عنها كثير من مؤرخى نجد (٥٠) . وقال الشيخ حمد الجاسر بأن هذه النبذة وصلت إلى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى فكانت من مصادر تاريخه (١١) .

وقد اعتبره محمد القاضى المرجع الأول لمن أرّخ لنجد ، وقال : بأن الكل ينقلون عنه (٧٠) . وله مؤلفات في الفقه زيادة على هذه النبذة التاريخية .

٧ - محمد بن بسام قد جعله الشيخ حمد الجاسر فى بحثه « مؤرخو نجد من أهلها » السادس ، فى الرقم التسلسلى من مؤرخى نجد ، والأول هو أحمد بن محمد السالف ذكره ، كها مرّ بنا . لكن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ، لم يتعرض لترجمته فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون ، ولا محمد القاضى فى كتابه روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ، وهها من بلده ويعرفان أسرته ويحتكان بالعارفين منها .

كها أن محقق كتابه : الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر ، لم يترجم لحياته . أو يذكر شيئًا كثيرًا عنه ، حسبها يتطلع إليه القارئ المستزيد ، مما يدل على شح المصادر التى تعرضت لحياته بالدراسة والترجمة . وبخاصة وان من يهمه تتبع حياته يعلق آمالاً على من تولى إنتاجه بالدراسة ويرجم أولا إلى من حقق كتابه .

ذلك أن ترجمة حياة المؤلف، وتتبع أخباره، وتصيد المعلومات عنـه، من لوازم التحقيق. ومكملات التجميع، لكنها فيا يبدو قد عزت على المحقق، فذكر ما وجد وهو قليل جدا حتى لم يذكر اسم والد المؤلف. وقد أورد خير الدين الزركلي نبذة صغيرة عنه ، نقلها عن كتاب عشائر العراق ، فيها فائدة جديدة فهو يقول : محمد بن حمد البسام التميمي مؤرخ من أهيل العراق ، توفي بمكة عام ١٢٤٦ هـ . الموافق لعام ١٨٣٦ م ، له الدررالمفاخر في أخبار العرب الأواخر مخطوط: تكلم فيه على عشائر العرب ونجد والحجاز واليمن والعراق والجزيرة ، ولفته أقرب إلى العامية (٨٠ . قد تحدث الشيخ حمد الجاسر عن هذه المخطوطة ، في بحثه عن مؤرخي نجد من أهلها ، وأعطى مرئيات جيدة حولها (١٠) .

وإن كان الزركل هو أول من أشار إلى اسم والده ، إلا أن سعود بن غانم الحمران العجمى الذى حقق هذا الكتاب ونشره في الكويت الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ . - ١٩٨١ م ، ولم يشر إلى اسم المطبعة التي طبعته قد قال : وهذا من الإضافات المبينة على تتبع حياته : بأن المؤلف محمد البسام التعيمى النجدى المتوفى عام ١٣٤٦ هـ على ما ذكر المرحوم الأستاذ أحمد وصفى زكريا في كتابه عشائر الشام الجزء الثاني ، وأنه انتهى من تأليفه عام ١٩٣٤ هـ ، الموافق لعام ١٨١٨ م ، وقد قام بتأليفه بناء على طلب السيد كلوديس جيمز ريتش ، المقيم البريطاني بالبصرة وبغداد ، إلا أن هذا كتب عليها ؛ بأنه حصل عليها بالشراء في بغداد عم ١٨١٨ م ، وقد قدّمها إلى مكتبة المتحف البريطاني في حدود عام ١٨٥٥ م (١٠٠٠) .

لقد تمت طباعة هذه المخطوطة بتحقيق ونشر سعود بن غانم العجمى ، واستنتج أنه أخذ بها رسالة علمية « الماجستير » ، وأنها مقدمة لجامعة دهشق ، حيث يتراءى ذلك من تقديمه للتحقيق الذى أرّخه في ٢٣ شعبان عام ١٤٠٠ هـ . بدمشق . وقد استكمله بفهارس للأعلام والقبائل والأمكنة ، إلى جانب فهارس الموضوعات والمقدمة ، يقع أصل هذا الكتاب بعد الطباعة في ١٥٧ صفحة ، من القطع الكبير المعتاد ٢٤ × ١٧ سم . وقد أضاف إليا ٨٥ صفحة للفهارس والاستدراكات .

أما المخطوطة فى أصلها وبخط المؤلف فتبلغ ١١٦ صحيفة .

٣ عبدالله بن محمد بن بسام أصاحبنا في هذا الموقف ، والذي عزا الشيخ حمد الجاسر اهتامه بالتاريخ ، ثم بجمع كتاب يصح القول بأنه يحوى خلاصة ما كتبه مؤرخو نجد عن تاريخ بلادهم ، ويضيف إليه ذكر حوادث تتعلق بمكة المكرمة ، في عهودها الأخيرة ، وبعض حوادث أطراف العراق ، ما جاء في المؤلفات النجدية ، ومن ثم يدعوه كتاب : تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق (١١٠) . ولم أجد في ترجمة حياة غير هؤلاء ، من له اهتامات تاريخية ، وقد ذكر الشيخ عبدالله ابن مسام اثنين منها ، ولم يترجم للثالث ، وإنما ذكره غيره كيا مر بنا .

٤ ـ ويصح أن نعتبر الشيخ عبدالله _ أمد الله في عمره _ بكتابه علماء نجد خلال ستة قرون الذى
 طبع عام ١٣٩٨ هـ . في ثلاثة أجزاء ، وقد علمت بأنه سيخرجه في طبعة ثانية بحجم أكبر ، قد يبلغ

خمسة أجزاء ، لما فيه من زيادات وإضافات :

نقول:بأن الشبيخ عبدالله بكتابه هذا يأتى الرابع فى التسلسل التاريخى من أسرة آل بسام ــ على حد علمنا حبما أعطى وبذل : ذلك أن كتابه هذا يعتبر مرجعاً وافياً ، فى السّير والتراجم ، وهى جزه مهم فى المعلومات التاريخية .

وصف المخطوطة

تناول الشيخ حمد الجاسر وجهات نظر بالوصف والتحليل لهذه المخطوطة ، وبا اشتملت عليه ، ويبدو أنه قد اطلع على نسخة منها بخط المؤلف ، يبين مثل هذا عند ذكره إطالة المؤلف ، حينا تجود عليه المصادر ، وتتوفر المعلومات ، وقد ضرب لذلك مثلاً بإجراء عين عرفات إلى مكة بالورقات ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٢٦ من الأصل ٢٠١ ، فإن هذه الورقات تقع في النسخة التي بين أيدينا ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ . هذه النسخة التي نيد نتحدث عنها ، قد كتبت بالخط الرقعي الجميل ، وهي حديثة الكتابة ، إذ نسخها عن أصلها الأستاذ محمد نور الدين بن السيد بن عوض بن حسين بن سالم آل شريبة المتخرج من الأزهر ، والذي كان في جمادي الآخرة من عام ١٣٧٥ هـ . الموافق يناير من عام ١٩٥٦ م ، وهو موعد البدء بنسخها كما جاء في الطرة ، مدرسا بثانوية عنيزة . وقد فرغ من استكمال الخط مساء السبت في الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٩٧٥ هـ . الموافق للحادي والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٦ م ، كما جاء في ختامها . وعلى هذا قد استغرق في إعادة نسخها وتنظيمها قرابة شهور ثلاثة .

ومن بممن أسلوبه وطريقة خطه ، ثم بما كتبه من دراسة عنها ، يتراءى للمطلع أن لديه خبرة فى المخطوطات ، ولذا نراه يلحق بالكتاب صفحة كاملة ، تحت عنوان : دراسة عن المخطوطة التى نقل عنها هذا التاريخ :

وقد جاء في ذلك قوله :

المخطوطة التى نقلت عنها هذا التاريخ محفوظة لدى ابن المؤلف، وهو لا يزال على قيد الحياة في بلده، وبلد أبيه عنيزة، حتى سنة ١٩٥٥ م - ١٣٧٥ هـ.، من بلاد منطقة القصيم إحدى مناطق نجد في المملكة العربية السعودية (١٣).

ــ ليس لهذا الكتاب أصول خطية غير هذه المخطوطة ، وهي تقع في ستة عشر وماثة ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته مختلفة ، وقد كتبت بأقلام مختلفة ، ورقمت صفحاته جميعا ، ولم يكتب له تعقب .

ـ وهو من أوله إلى الصفحة الرابعة عشرة بعد المائتين ، مكتوب بقلم نسخ واضح مرتب .

ومن تلك الصحيفة إلى الصحيفة السادسة والعشرين بعد المائتين ، مكتوب بقلم آخر أميل إلى مشابهة المغازى ، والأرقام الحسابية فيه كتبت الأرقام الفارسية . ومن الصحيفة السابعة والعشرين بعد المائتين إلى آخر الكتاب ، قد كتبت بقلم ثالث ومداد يختلف عن مداد القسمين الأولين .

- بهامش الكتاب استدراكات كان يكتبها المؤلف، وهى فى الكتاب كله بقلم واحد، ويبدو أنها بخط المؤلف نفسه، وهى تكتر فى القسم الأول من الكتاب، أعنى حتى صحيفة ٢٢٦، وتقل فى القسمين الأخيرين، وبخاصة الأوراق الثلاث الأخيرة كها تقدم.

ـ يبدو من الأوراق الثلاث الأخيرة أنها قد كتبت بعد القسم الأول الذي بدئ في تبييضه عام ١٣٣٥ هـ. كما كتب المؤلف ذلك في صفحة العنوان حيث قال : « قد تحرر هذا التاريخ في سنة خس وثلاثين وألف وثلاث من المثين ، وسميته: تحفة المستاق في أخبار نجد والحجاز والعراق » .

ـ يمتل الكتاب بصفة خاصة فى القسم الأخير بالأخطاء اللغوية والاسلائية ، يضمع بعض الكلمات كما يلفظها أهل نجد : فيكتب « الحفض » بدل « الحفظ » : لأن أهل هذه المنطقة ، ينطقون الضاد ظاء ، كما يستعمل كثيرا من الألفاظ العامية الني قلما يدرك معناها إلا أهل نجد .

كما أبان الناسخ في صفحة قبل هذه الصفحة التي نقلها كها هي : بأنه استعان في الحصول على
 هذا الأصل المخطوط بالشيخ العالم العلامة عبد الرحمن بن سعدى ، الذى اختاره الله إلى جواره في
 عام ١٣٧٦ هـ (١٤٠) .

وكلمة اختاره الله إلى جواره عام ١٣٧١ هـ ، جاءت بخط جديد ، بعد الدعاء للشيخ ابن سعدى بطول العمر والنفع للمسلمين ، مما يدل على أن الكاتب قد احتفظ لنفسه بنسخة من المخطوطة . وهى التى وصلت إلينا .

لقد حرص الناسخ بأن يبقى على سبات وترقيم الصفحات الأصلية ، فكان يشير في الهامش إلى بداية الصفحة برقم بين قوسين كبيرين شكلها هكذا []، ولم يكتف بذلك ، بل كانت بداية الصفحات تأتى عند، في نصف السطر ، ومع هذا فإنه يضع إشارة تمثل خطأ مائلا ليعرفه من بهتم بذلك .

أما طريقته هو فى الترقيم ، فقد خالفت طريقة المؤلف فى الأصل ؛ إذ جعل ترقيمه بالورقة ، على طريقة المخطوطات القديمة ، ليعطى لهذا المؤلّف التاريخى سيات المخطوطات ، والتي تدرك بالورقة ورقمها ، ثم يميز بين الصفحتين : بالوجه الأول ، والوجه الثانى .

وقد اهتم الناسخ أيضا بكتير من علامات الترقيم ، مما نستدل به على ادخاله تحسينات على هذه المخطوطة ، ولا بد أنه قد أصلح كثيرا من الأخطاء النحوية والاملائية التى ذكر كترتها فى الأصل . كما كان يجعل دخول السنوات بعناوين بارزة فى وسط السطر ، يكتبها بالرقم الحسابى وبالحروف فيقول مثلا : (ثم دخلت سنة ٨٨٥ هـ . خمس وثبانين وثبانمائة) .

ولست أدرى هل هذه طريقة المؤلف وبعبارته ، أم اجتهاد من الناسخ ، فإن كان هذا منهج خاص بالكاتب لأنه خالفه في أشياء كها ذكر في الوصف فإن من الملائم أن يكتب ثهانمائة هكذا (ثهائمة) لأن الهمزة إذا كسرت أو كسر ما قبلها تكتب على الياء ، ولا مبرر للألف قبلها .

أما ثهانين وكونها منصوبة ، فلعله أراد أن الفاعل محذوف وهو سنة . وفى قوله ثم دخلت سنة ١٣١٦ هـ . ست عشر وثلثاتة وألف ، مثلها السنوات قبلها وبعدها ، نطالب الناسخ بالتعديل حسب تميز العدد ، وهكذا بقية الأرقام .

أما إذا كان قد أبقى على طريقة المؤلف ، فإنه من الملائم التنويه عن ذلك في الوصف الذي كتب ، أو بتهميشات تلفت النظر . ويظهر لنا من معدل الصفحات لهذه المخطوطة ، أن الناسخ قد جعل في كل صحيفة ٣٦ سطرا .

وبهذا الخط ندرك أن نمعدل الصفحة من المخطوطة الأصلية تستوعب ٣٠ سطرا ، يمعنى أن خط المؤلف قد يكون مرصوفا ودقيقا ، أو أن صفحته أكبر ، أو أن الكاتب قد أدخل الهوامش والتعليقات ، التى كانت موجودة فى الأصل ، ضمن هذه المخطوطة عند نسخها ، مما ترتب عليه زيادة فى الحجم . وهذه النقطة الأخيرة قد لا تكون قضية مسلماً بها ؛ لأنها لو جازت فى بعض الصفحات ، فإنها لا

وهذه النقطة الاخيرة قد لا تكون قضية مسلما بها , لانها لو جازت فى بعض الصفحات , فإنها لا تجوز فى الصفحات الأخرى , لعدم التسليم بكثرة العليقات , بحيث تستوعب جميع صفحـات الكتاب .

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة أبانت مراجعه . والسبب الذى جعله يبدأ مشروعه هذا . ثم بين أشياء عن منهجه . وسنتعرض لذلك في الحديث عن مصادره ومنهجيته.

لقد بدأ ابن بسام كتابه هذا بقوله : الحمد أله جامع الخلائق لميعاده ، وموفق من شاء من عباده للصواب في تحريره وإيراده ، أحمده سبحانه وتعالى على جزيل الإنعام ، وأشكره أن علم الانسان ما لا يعلم ، فأتقن وأحكم أى إحكام ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له رب الأرباب ، الذي عنت له الوجوه ، وخضعت لعظمته الرقاب . إلى أن قال : أما بعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه ، راجى عفو ربه ورضاه ، عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله بن المحمد بن عبد العربة (١٦٠) .

وبعد المقدمة وبيان مراجعه ومنهجه ، جعل للكتاب تمهيداً ، قال فيه : وقد صار إبتداء هذا التاريخ من عام ٠٨٥ هـ . وهو المختص بحوادث نجد وأحوالها ؛ لأن ما قبله لم أقف له على خبر ، وقد جعلت الابتداء به في ذكر بعض الحوادث التي ابتداؤها من أول الهجرة ، على سبيل الإيجاز، لأنها نما يرغب الوقوف على حدوثها (١٧) . هذه البداية عنده ، هي نفسها البداية عند غالبية

مؤرخى نجد ، ولم يسبقها أى حدث عند جميع المؤرخين ، ولعلهم جميعا استقوا من منبع واحد . والنقل للسابق .

ثم أوضح فى بيان مكون من أربع صفحات ، بعض الوقائع الشهيرة فى التاريخ الإسلامى ؛ بل وفى العالم بأسره بكليات مختصرة ، تشبه الفارسى وهى طريقة جيدة تزيد حصيلة القارئ ، وتنمى معلوماته ، ومن الملاحظ ان تلك المعلومات بعيدة عن تاريخ نجد والحجاز والعراق ، الذى أوجد الكتاب من أجله .

وقد ابتدأ جدوله ذلك بالسنة الأولى من الهجرة ، والواقعة فيها : أحداث منها : تأسيس مسجد قباء وانتهى بالعام ١٢٩٤ هـ . والواقعة فيها : الحرب بين تركيا والسروس ، وصار الصلح عام ١٢٩٥ هـ . ثم ختم هذا التمهيد التاريخي بقوله : وهذا ابتداء التاريخ المختص بحوادث نجد ، وابتداؤه في سنة ثماغتة وخمسين (٨٥٠ هـ) ، وقد سميته : تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز لحداق .

ثم بدأ التاريخ بعنوان جديد سنة ٨٥٠ هـ « خسين وثباغثة » .

بهذا المدخل التاريخى تعليقات وزيادات بالهامش ، على بعض السنين ، أثبتها الكاتب في الحاشية وهى من تعليقات المؤلف . لكن مثل هذا الهامش لم أر الناسخ قد أثبته في باقى صفحات الكتاب ، مما يدل على احتال تصرف الناسخ وإدخال ما جاء من تعليقات وهوامش في الصلب ، ليخرج الكتاب متكاملاً .

وعلى طريقة المؤرخ ابراهيم بن صالح بن عيسى . نرى ابن بسام يختتم كتابه بمحاولة أقل من الشبخ ابن عيسى حول التعريف بالأسر المقيمة فى عنيزة إنسابها وأصولها ، وقد بسمى ذلك تذبيلا ، أخذ منه حيزا من نهاية المخطوط ، بلغ قراية ثلاث صفحات (١٨٨) .

وهذا المنهج الذى سار عليه ابراهيم بن عيسى فى كتابه الذى نشره الشيخ حمد الجاسر من دار الهامة بالرياض عام ١٣٨٦ هـ . ـ ١٩٦٦ م (تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ووفيات بعض الاعبان وأنسابهم وبناء بعض المدن) قد استغرى قرابة «٤٤» صفحة مطبوعة . ولعل مؤرخنا هذا قد استقى هذا المنهج من المؤرخ ابراهيم بن عيسى ، بل من المحتم أن يكون استقى أغلب معلوماته عنه ، حيث تربطه به صلة صداقة ومودة ، بعدما انتقل للأشيقر إلى عنيزة فى آخر حياته رحمها الله .

وقبل التذييل الذى ختم به ابن بسام تاريخه ، والذى اعتقد أنه يحتاج لاستكمال ، لأنه لم يستوعب فيه جميع البيوتات فى عنيزة ، نراه قد ختم كتابه بحوادث عام ١٣٤٤ هـ . وقد ذكر فيها ضربة عظيمة فى زمن الغوص فى الخليج العربى ، وأبان عن بعض الخسائر فيها . وذكره لحوادث عام ١٣٤٤ هـ. مما جعلنا نستنتج في موقف آخر أنه أنهى تاريخه بنهاية عام ١٣٤٤ هـ. إذْ لم يتضح لنا غير هذا ، ولعل أمين الريحاني عندما قابله وتحدث عنه في كتابه ملوك العرب : وكتابه الآخر نجد وملحقاتها الذي مر بنا طرف من شعوره نحوه يقد كان هذا في زيارته الأولى للملك عبد العزيز عام ١٣٤١ هـ . كها ذكر هذا في كتابه ملوك العرب (١١٠) ، أما آخر ما ذكره المؤلف من أحداث في هذه السنة فهي من أبرز أحداث الجزيرة عموما عندما قال : ـ وفي ١٩ جمادي أول سلمت المديزة المنورة على يد ابنه ـ والضمير يعود للملك عبد العزيز ـ برضا الباشا .

ـ وفى ٦ جمادى آخر سلمت جدة وينبع للإمام ، ورحل الشريف علي منهها ، كها رحل الشريف ماكر من ينبع .

- ثم ذكر حاشية تلحق بحوادث عام ١٣٢٦ هـ. أبان عن وصول قنصل الأنجليز الذى فى الكويت للرياض فى شهر صفر بعد مروره ببريدة وعنيزة من جهة الإمام ، كما وصل إلى العارض مندوبون إنجليز من طريق العقير وبعهم تلغراف اللاسلكى . هذه الأخبار المقتضبة عندما نقارتها بأقوال من تحدث فيها من المؤرخين الذين عاصر وا أحداثها ، فإننا نستطيع أن نقول : بأن أسلوبه مقتضب فى نقل الأحداث، وأنه يتحرى الدقة ويحوم حولها ، لكنه يهتم بالتنبت والتوثق أكثر ، ويرصد ذلك . ولعل هذا ناتج عن نقله من أفواه الناس فى مجتمعه ، وفرق اليوم واليومين لا يعتبران مثاراً للخلاف ، حيث لم يتح له ما أنبح لغيره من الناحية العلمية ، والاطلاع الواسع كالريحاني والزركلي وغيرها ، ومع هذا :

يقول الزركل:إن عبد العزيز أصدر بلاغا في جدة يوم ١٨ جمادى الآخرة وأنه قد دخلها يوم ٧
 جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ هـ. وهو يوم سفر الملك على بن الحسين (٢٠).

كها ذكر أمين سعيد أن الملك على غادر جدة يوم الثلاثاء ٦ جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤ هـ .
 وأن السلطان عبد العزيز دخلها صباح يوم الأربعاء ٧ منه (٢١) .

- وقال برأى الزركلي أحمد العطار فى كتابه صقر الجزيرة : الذى أوضح أن ابن سعود دخل جدة صباح يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة (٣٦) .

- وعن المدينة قال العطار بأنها سلمت صباح يوم السبت ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ . (٣٣) وهو ما قال به مؤلفنا .

أما الأمير سعود بن هذلول فأوضح أن دخول الأمير محمد المدينة كان صباح يوم الأحد ٢٠ جادى الأولى أما التسليم فكان يوم السبت ١٩ جادي الأولى عام ١٣٤٤ هـ (٢٤).

- وأمين سعيد أيضا أوضح بأن حامية المدينة استسلمت يوم السبت ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ . (٢٥) .

وعندى أن ابن بسام فى إثباته لبعض الأحداث أدى من مقبل الذكير الذى كان ينقل عن الصحف الخارجية إذا تيسرت؛ لعدم وجود صحف فى المنطقة عدا أم القرى التى صدر منها أول عدد فى ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٤٣ هـ (٢٦) وفى جوانب أخرى قد تتأخر عنهم المعلومات فيذكرون الخبر فى غير وقته الكنه مع هذا يحاول التحرى ، ولكل مجتهد نصيب .

وهكذا كل منهها كمؤرخ يتوخى وينقل ويحرص ويدقق ، لكتهها جميعا ومعهما مؤرخو المنطقة عموما يتنازون بالصدق فى القول ، وعدم الميل مع جهة دون أخرى ، والحرص على عدم الكذب فيا ينقل ..

وهذه سهات تذكر لمؤرخينا فتشكر.



مصادره

تؤخذ مصادر الكاتب ومراجعه في استقاء المعلومات من جهتين :

_ إما بما يذكره عن نفسه ، وبما يصرح به من مصادر أخذها من غيره ، وهذا في الغالب مما يتحدث عنه بعض المؤلفين في مقدمات كتبهم ، أوفي هوامشهم ، أو في الذكر عندما تمر حادثة من الحوادث ، فيقول : قال فلان ، وقد يسمى كتابه أولا يسميه ، باعتباره معهودا ذكريا أو ذهنيا

هذا بالنسبة للقدامى. أما بالنسبة للمنهجية الحديثة في التأليف، والتي أصبحت من سبات التوثيق في هذا العصر ، فإن الباحث يذكر في بداية النقل اسم من أخذ عنه ، وفي نهاية حديثه يضع علامة الإحالة في الحامش للمصدر الذي استقى منه ، ويحدد اسم الكتاب ورقم صفحته ، وقد يضع الكلام المنقول بين أقواس ليفيد التنصيص.

والجهة الثانية بما يستشف من تطابق المعلومات عن وقائع بذاتها ، تطابقا كليا أوجزئيًّا .

وهاتان الحالتان يلمسهما من يقرأ كتاب : تَحْفَة المُشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق ، الذى نتحدث عنه الآن .

فقد ذكر المؤلف في مقدمته بعضا من المصادر التي استقى منها نبذته التاريخية هذه بقوله : إنه قد سألنى بعض الإخوان المحبين أن أجمع له نبذة في التاريخ تطلعه على بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ووفيات بعض الأعيان ، وبعض شيء عن أنسابهم ، وبناء بعض البدان ، فاستخرت الله تعالى ، وجمعت له هذه النبذة من تواريخ علماء نجد مثل :

١ ـ تاريخ الشيخ أحد بن محمد بن عبدالله بن بسام: وهمو نحو كراس ابتدأه من عام
 ١٠١٥ هـ . وهي سنة ارتحاله من بلد ملهم إلى بلد العبينة ، حتى وصل إلى عام ١٠٣٩ هـ ، لأنه توفى سنة ١٠٤٠ هـ . ، في بلد العبينة رحمه الله تعالى .

٧ ـ وتاريخ الشيخ أحمد بن محمد أل منقور التميمي ، وهو نحو كراس ونصف ابتدأه من وفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيي بن عطوة التميمي النجدي ، ساكن بلد الجبيلة سنة الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيي المعام ١٩٤٨ هـ . وهي السنة التي توفي فيها في حوطة سدير رحمه الله تعالى .

٣ ـ وتاريخ ابن يوسف : من أهل أشيقر ، وهو نحو عشر ورقات .

٤ ـ وتاريخ حمد بن محمد بن لعبون ساكن بلد التويم .

٥ ــ وتاريخ ابن بشر .

٦ ــ ثم بعد ذلك ما رأينا وسمعنا من ثقات أهل عصرنا .

يوثق ابن بسام هذه المصادر بقوله : وما رأيت في هذه النبذة ، فإنبي لم أذكره إلا بعد التحرى والتحقيق ، والبحث والتدقيق ، من التواريخ المذكورة وغيرها ، مما وقفت عليه من تواريخ أهل نجد ، ولم أذكر فيها شيئا إلا ولى فيه مستنده ، والعهدة عليّ في ما ذكرت . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل (١٠) .

ولعله بقوله : (وغيرها مما وقفت عليه من تواريخ أهل نجد) ، يعفى نفسه من ذكر جميع المصادر التى يستقى منها ، فهناك مراجع أخرى أخذ عنها ـ فيا يبدو ـ ولم يذكرها ضمن التعـداد فى مقدمته ، فقد أعطى لنفسه ميرر الآخذ بإشارته المجملة هذه .

كما أن قوله : ولم أذكر فيها شيئاً إلا ولى فيه مستنده ، والعهدة على فى ما ذكرت ، دليل آخر على ثقته فى عمله ، وبرهان على اطمئنانه إلى التأكد من المعلومات التى أوردها ، وأنه يتوقق من كل معلومات تصل إليه ، ولا يرصدها إلا بعد تمسكه بمستند يشد عضده ، ويقوى عزمه ، فى إثبات تلك المعلومات ، التى ستكون مرجعا لمن يأتى بعده ، وبأخذها عنه ، وبذا ألزم نفسه المهدة ، وحتم عليها تحمّل المسئولية .

ولا شك أن هذا الكلام برهان يؤكد ثقة المؤرخ بنفسه ، واطمئنانه على صحة المعلومات التي أخذ على عاتقه مسئولية نشرها وتجميعها ، وتوثيقها والتأكد منها .. وهذا من باب إراحة نفس القارئ عن مستوى هذا السفر الذى سيقع بين يديه من حيث المادة ، والجهد الذى بذل في توثيق المعلومات ، حتى يطمئن على صحة وسلامة ما بسط أمامه . ومن كلامه هذا نستقى أسلوبًا نقدياً : عن رغبة المؤلف فى إبعاد ما وقع فيه بعض المؤرخين من تجميع معلومات غير موثقة، من نبذته التاريخية هذه .

ويتبادر إلى الذهن أن هذه الخاطرة لم تعلق بذاكرة المؤلف وهو يكتب تاريخه هذا ، ثم يهتم بوضعها فى المقدمة التى هى واجهة كتاب ، إلا ليزيل من ذهبن القباري والمهتم فكرة عدم الاطمئنان ، ونزع الثقة ، أو تخلخل التاسك الوجداني في استقاء المعلومات .

فالقارئ عندما يئق فى الكاتب يأخذ عنه ، ويهتم بإنتاجه ، وعندما تتضارب عنده المعلومات ، أو يراها تتمارض مع ما هو معروف ثلايه أو مألوف فى بيئته ، ينزع الثقة منه ، ولا يحتل هذا الإنتاج مكاناً فى نفسه أو يسترعى انتباهه .

ولكن هل هؤلاء الذين ذكرهم من مؤرخي نجد هم كل من أخذ عنهم ؟

إن لسان الحال والمقال يثبتان غير ذلك ، فهو قد اكتفى بذكر هؤلاء في المقدمة باعتبارهم بيت القصيد ، وما ورد في تواريخهم يمثل اللدروة بالنسبة لما سجل في كتابه الوافي ، الذي سهاه نبذة بتاريخية من باب التواضع في الإنتاج - دون الإشارة إلى مواطن الإحالة عند كل واحد . فقد يكونون كلهم أو بعضهم اتفقوا في أحداث بعينها ، وبخاصة وأن التسلسل التاريخي يثبت أن بعضهم قد يكون أو بعضهما تقص عند الآخرين في بعض الجوانب ، ولا تتربب على المؤلف في هذا الجانب ، لأن منهجية الإحالة والإشارة إلى المكان بعينه لم تكن سائرة لدى المؤلفين قبله ، وقد لا يكون قد اطلع في قراءاته على ما بدأ يسير عليه الباحثون والكاتبون في العصر الحديث خارج منطقته بالتوثيق والتأكد من المصادر ، وتحديدها .

فلذا لا نستطيع تحميله فوق ما يحتمل ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وهو إنما يسير على ما هو دارج فى عصره وبيئته ، كها أنه لم يذكر المصادر التى استقى منها لما ورد من تاريخ عن الحجاز والعراق ، مما أعطاء أفقاً أوسع بالأخذ مطلقاً ، وبدون تحديد من أي مصدر .

ولعله أراد بذلك أن يجعل لنفسه باباً مفتوحاً ، يدخل منه لتجميع المعلومات سواء جاء ذكر المصادر عرضا أثناء النقل كنقله عن العلامة الرضى فى تاريخه (٢) وعن صاحب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام (٣) أو لم يأت به .

هذا بالنسبة للمعلومات التاريخية التي سبقته ومصادرها .

وهناك معلومات عاصرها المؤلف، لم يشر لكيفية الوصول إليها مثل:

_ ما يتعلق بنجد ، فلا بد أن يكون استقاها مشافهة من مجتمعه ، وهذا ما نستشفه من كلامه في المقدمة. ـ ما يتعلق بالحجاز والعراق ، وما أضافه من المعلومات العالمية .. وهذا قد يأتمي إليه من عدة مصادر :

المشافهة ؛ أو الاستفاضة على ألسنة الناس .

- وسائل الإعلام الحديثة بالسماع أو القراءة .

وهذه قد تنهيأ له أكتر من غيره ، بحكم أسفاره ومركزه التجارى في عنيزة والبصرة والهند . وإن استعانته كان لم يشر لشيء من ذلك ، لكن النظرة في تاريخه تعطى القارى انطباعاً عن ذلك ، وان استعانته بوسائل الإعلام ، وبخاصة المقروءة منها ، هي من الوسائل التي مكنته من رصد معلومات جديدة وكثيرة ، قد تعزّ على غيره من أبناء المنطقة ، كما يظهر مثل هذا في الخطابين المتبادلين بين أميرلاى العسكر حسن شكرى والملك عبد العزيز بن عبد الرحمن في عام ١٣٢٢ هـ . نقلاً عن جريدة اللواء المؤرخة في غرة رجب سنة ١٣٢٢ هـ . ثها.

ولعل هذه المصادر مما دفعه إلى توسيع دائرة حصيلته التاريخية ، وعدم قصر جهده في الرصد على نجد وحدها .

وشيخنا العلامة حمد الجاسر - أمد الله في عمره - له رأى في صاحينا هذا ، عندما قال : (بأنه تول أهم تلك المصادر، وهي ما كتبه الشيخ ابن عيسي ، وما جاء في كتابي مؤرخي مكة القطبي وحلان ، فقد أكثر النقل عن هؤلاء الثلاثة ، بل نقل جلّ ما في كتب الأول ، وأكثر ما في كتابي الأخيرين ، من حوادث أكة وأمرائها في العصور الأخيرة ، وأغرب من هذا أنه نقل خطبة أحد كتابي ابن عيسي - وهو مطبوع - نقلا حرفياً ، خطبة لكتابه ، ومصادره هي مصادره باستثناء ابن يوسف ، وكما قبل : (كما تدين تدان) فابن عيسي عول على تاريخ ابن بشر كثيراً ، ومع ذلك لم يذكره في مصادره : وابن بشر عوّل على تاريخ ابن غنام ، وتناسي ذكر هذا التاريخ ، فلمإذا لا يمين يتجاهل ابن بسام ابن عيسي مع نقل كل ما كتب 15 . وليس من المستبعد أن تكون الأصول التي رجع إليها ابن عيسي مع نقل كل ما كتب 15 . وليس من المستبعد أن تكون الأصول التي رجع إليها ابن عيسي عاش في كنف آل رحم النها المؤلف ، وقد أشار الشيخ حد أيضا إلى أنه سبقت الإشارة إلى أن ابن عيسي عاش في كنف آل بسام سنينه الأخيرة ، وبقيت كتبه في حوزة أحدهم ، وهذا القول ، لا ينفي عناية الشيخ ابن بسام سنينه الأخيرة ، وبقيت كتبه في حوزة أحدهم ، وهذا القول ، لا ينفي عناية الشيخ ابن بسام التالديخ عناية مكتبة من تدوين أشياء كثيرة ، أضافها إلى ما نقله من مؤلفات قبله (٥) .

إلاّ أن الشيخ حمد يزيد في تحميل المؤلف جهد غيره ، مع أنه أعطاه منزلة مكنته من التجديد والإضافة ، نظراً لعنايته التاريخية وإهتامه بتتبع المصادر ، فيردف قائلا : (والغريب أننا نجد ابن بسام سجل حوادث ما يقرب من تسعين سنة ، فيا بين سنة ١٥٥١ و ١٣٢١ ، ١٣٢١ ، ١٣٤٤ هـ . لم نجد لها ذكراً فيا وصل إلينا نما كتبه ابن عيسى ، ولا نستبعد أن يكون أكترها . ـ إن لم يكن كلها

- ما دونه ابن عيسى مما لم يصل إلينا ، وكثير من تلك الحوادث مما يتصل بقبائل نجد ، وما جرى بينها من فتن وحروب ، فى القرنين التاسع والعاشر ، مما يعود بفائدة جُلِّ على من يعنى بدراسة أحوال تلك القبائل ، ومن تلك الحوادث ما يتعلق بالصراع العنيف فى نجد فى الربع التالث من هذا القرن) (١) .

والمؤرخان متعاصران ومتلازمان ، وتجمعها سهات : حب التاريخ ، والضعف فى الصياغة اللغوية ، وغلبة العامية ، والسير على مبدأ التسلسل الزمني بالسنة الهجرية .

ولذا فإننى أرى أن الجهد المرصود ، يعتبر من أبرزه ، ولا يحسن أن تتسرب الظنون نحو ذلك المجهد ، وبالنسبة لمؤلفنا هذا فإنه لم يتضح لنا دلالة تنبىء بأنه اقتبس كتابه أو أخذه من غيره ، وبخاصة في الحوادث التي عاصرها هو .

وكما يقال بأن الحكم على الشىء فرع من تصوره ، وما دام المتوفر لدينا من انتاج الشيخ ابراهيم إبن صالح بن عيسى قد طبع ، وبعد استقرائه نجد بينه وبين إنتاج الشيخ عبدالله بن بسام تقاربًا وتباعداً .

فها جاء من تقارب قد نحمله على تطابق فى المصادر، وتوافق فى المنبع المستقى منه ، واذا لم يتفقا فى اللفظ والمعنى الذى هو الحدث وتاريخه قويت الدلالة ، مما يجعلنا نعطى الأفضلية للمتقدم زمناً ، وهذان الاثنان قد ذكرا أغلب المصادر التى أخذا عنها ، وهى متفقة .

أما التباعد ففيه ما ينفى تلك الظنون لأن أغلب إنتاج أحدها اختلف عن الآخر لفظاً أو دلالة فى المعنى وهو الحدث التأريخي وقرائنه ، علاوة على كونها عاشا فى فترة واحدة ، وفى بلد واحد ، وماتا متقاربين ، ابراهيم بن عيسى عام ١٣٤٦ هـ . ومؤلفنا عام ١٣٤٦ هـ فى عنيزة ، ومن هنا نستطيع أن نحكم على إنتاج الشيخ عبدالله بن يسام من ناحيتين :

 ١ ـ ناحية ظاهرة وذلك باتفاق المصدرين في استخلاص المعلومات: لفظاً ومعني فهذا نما قد يُدان بأخذه من ابن عيسى ، حسبها جاء في المقدمة التي تطابق قولها فيها حرفياً إلا في النزر اليسير .
 وكذا بعض الوقائع التاريخية .

ونى هذا الموقف وما يساكله نجعل للأقدم والأكثر اهتهاماً الأولوية والريادة ، ولا شك أن فكرة المتجمع تاريخياً ، والاهتام بالأنساب كانت لدى ابن عيسى من السنوات الأولى فى حياته ؛ حيث عرف بذلك فى وقت مبكر وتواتر هذا عنه ، حتى أن الملك عبد العزيز رحمه الله قد كتب للسبيعى فى شقراء ، أثناء رحلة الريحانى ، بالاهتام به وتمكينه من الاطلاع على تاريخ ابسن عيسى كها قال الريحانى (٧) .

أما ابن بسام فلم تبدأ الفكرة عنده إلا متأخرة ، وبعد أن استقر ابن عيسي في عنيزة ، وتلازما

فترة من الزمن ؛ فقد نقل الناسخ عن المؤلف قوله في صفحة العنوان ؛ (قد تحررهذا التاريخ في سنة خس وثلاثين وألف وثلاث من المئين ، وسميته تحفة المستاق في أخبار نجد والحجاز والعراق) (٨) . كما ذكر المؤلف في حوادث عام ١٣٤٣ هـ وفاة الشبخ المؤرخ ابراهيم بن عيسى ، وحدده في ٢٢ شوال وفي هذا مخالفة لما قالمه الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام في ترجمته لابن عيسى نقلا عن أحد تلاسذه بأنه تو في ضحم الثامن من شوال (١٠٠) .

٧ ـ وناحية مستترة ، وذلك باتفاق المعلومات المرصودة ، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نقصرها على شخص بعينه ، ولا أن نحدها لواحد دون الآخر ، لأن اكثر حوادث نجد التاريخية مما يستفيض على ألسنة الناس ، ويتناقلونها كابراً عن كابر ، لقلة الاهتام بالرصد ، وغلبة الأمية . وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نقصر ذلك على شخص بعينه ، ولا أن نحدها لواحد دون الآخر ، إلا إذا كان أحدها قد أورد بالدلائل ؛ بأن هذه المعلومات لم يرصدها غيره ، أو أنه أخذها من مصدرها بصفة خاصة . فهنا قد نعتبر من وافقه ستقي منه .

أما الحالة التي أشار إليها شيخنا حمد بأنه لا يستبعد بأن تكون هذه النبذة التاريخية أو بعضها ضمن المعلومات التي دون ابن عيسى ، مما لم يصل إلينا ۽ فهذا ظن يحتاج إلى ما يقويه بالقرنية ، فها دام لم يصل إلينا من ابن عيسى ، فمن الممكن أن يأتي من يظن أيضا بأن ابن عيسى لم يرصد هذه المعلومات أصلا ، ولا يوجد له غير ما خرج فقط .

ولذا يحسن بنا التوقف عن الحكم حتى يوجد ما يقوى أحد الظنين ، ويؤكده بالبرهان ، لأن الأصل برأءة الذمة .

والذين اطلعوا على تاريخ ابن عيسى قبل نشره حكموا عليه بالركاكة فى الأسلوب ، والسذاجة فى نقل المعلومات ، مع الحلو من التقعر والسجع ، كها قال الريجاني (١١) .

وهذا الحكم جاء في مقدمة الشيخ حمد الجاسر لتاريخ ابن عيسى الموسوم بتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد عند الإشراف على نشره فقال : (وأمر آخر يؤيد القول بأن النسخة التي وصلت إلينا هي المسودة ، ذلك ما نجده من لحن في الكلام ، واستعمال كلهات عامية ، مع الغلط في الإملام)

.. وقد لا يكون ابن عيسى هو المتفرد بذلك ، فقد تبين بأن كثيرا من هذا لدى عبدالله بن بسام ، ولدى المنقور والفاخرى ، وعبد الرحمن الناصر ، مما يدل على طغيان العامية ، والبساطة فى الأسلوب عند الكتابة لدى جميع مؤرخى نجد ، مما يجعل هذا من السيات البارزة لدى أغلبهم ، وفى مقدمتهم ابن بشر الذى لم يسلم من ذلك .

هذا فيا يتعلق بالشكل العام؛ لكن اهتام ابن بسام بالتاريخ جعله لم يقف عند نهاية ابن عيسى، الذي فال عنه الشيخ حمد بأنه (وقف فجأة عند سنة ١٣٢٠ هـ مع وجود نقص في سنوات قبلها لم ترصد) (١٣)، ثم ختم كتابه فجأة أيضا بخبرين في آخـر صفحـة، أحـدهما في عام ١٣٣٩هـ والآخر في عام ١٣٤٠هـ وكلاهما متلازمان، وعن استسلام حائل (١٠).

بينا يؤكد الشبخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام في تعليقه المنشور في جريدة (البلاد) عام ١٣٨٠ هـ . (بأن المطبوع من تاريخ ابن بسام ـ لعله يعنى طبعة سابقة لنشر الشيخ حمد ، حيث طبعه عام ١٣٨٦ هـ ـ تنتهى بنهاية عام ١٣٠٢ هـ . ، وقتد النسخة التى اطلع عليها إلى عام ١٣٥٥ هـ . (١٥) .

إلا أن مؤرخنا عبدالله بن محمد بن بسام قد استمر فى سرده التاريخى حتى عام ١٣٤٤ هـ . . وقد ذكر حوادث من عام ١٣٧٩ هـ . إلى عام ١٣٤٠ هـ . ذات أهمية فى تاريخ نجد لم يتطرق إليها ابن عيسى فيا وصل إلينا من تاريخ مطبوع ، ومنها ما هو قريب الصلة بابن عيسى ، والجهة التى عاش فيها .

ولا نستطيع الجزم بتغافل ابن عيسى لها وإن لم ترد في كتابيه ، ولا أن نتهم ابن بسام بأخذها منه ؛ ذلك أن ابن بسام معاصر للأحداث ولديه من الرغبة التأريخية ، ومقومات التجميع للمعلومات ، حيث بسط الله له الرزق والجاه ، مما يعينه على الاتصال بالحفظة من أبناء المنطقة ، ورصد أكبر مجموعة من الحوادث التاريخية .

وابن عيسى لو عرفنا أشياء عن حياته الخاصة ، ومتى توقف عن كتابة التاريخ ولأدركنا بعض القرائن في الحكم له أو عليه : إذ قد يكون توقف عن الكتابة ، واكتفى بما دوّن ، مما يجعل ابن بسام وغيره يستقى منه مشافهة ، او يستقى من المصادر التي يستقى منها وهى فى الغالب بالنسبة للأحداث المعاصرة : المجلس وحديث الناس المتكرر .

وفى هذه الحالة يصبح حكمه حكم الثقات الذين نقل عنهم . كما قال فى مقدمته ، وأنه ممن يوثق له المعلومات ، ويرسخها فى نفسه ليعينه على الرصد .

ولا بد أن يكون الناس الذين نقل عنهم ابن بسام مسافهة من الكثرة بحيث يصعب عليه تعدادهم ، لأن الناس عموماً فى وقت هذين المؤرخين لديهم اهتامات كبيرة بالحديث عن الماضى والحاضر ، ويدور فى مجالسهم الكثيرة والطويلة ، مناقشات حامية ، حول تحديد الزمن وذكر القرائن لكل حدث تاريخى فى بيئتهم ، حتى ولو كان قديماً . وهؤلاء جميعا لم يذكر منهم ابن بسام أحداً بالنص ضمن مصادره .

وما دامت المعرفة ليست وقفاً على أحد دون أحد ، وأن المعلومات التاريخية تفرض نفسها على المهتم بها وبخاصة مثل نجد في الفترة التي خصصها المؤلف لكتابة تاريخه ، إذ الوسيلة الوحيدة لازجاء الوقت ، والنسلية مجالس السمر والمنتديات ، وفيها يخبرون ويتعالمون بما جد من احداث ،

ويربطون القديم بالجديد، والحدث بالمكان ،والقبيلة بالمواقف والشسخصيات بالوقائسع والأماكن ،ويرددون ذلك في مجالسهم التي هي وسيلة الإعلام ، ونقل الأخبار ، وتداول المعلومات ، عن أحداث مجتمعاتهم ، وما يدور فيها حولهم ، أو يتعلق بهم .

ولا تزال مثل هذه الحالة هي الطريقة المفضلة لدى كثير من الناس ، وبخاصة المتقدمين في السن حتى وقتنا الحاضر ، وفؤرخنا ابن بسام جمع ورصد من فائض ذلك المجتمع .

فها ثبت أنه جاء فى تاريخه ، ولم يرد عند ابن عيسى ، فهو من جهده هو وتجميعه الخاص . فجزاه الله خيراً على ما أورد من معلومات ضافية ، فتحت آفاقاً جديدة نحومعلومات كانت فى طمى النسيان لو لم يوردها فى كتابه هذا ، وله فضل البذل والأولوية .

أبرز ساته المهجبة

قد مرّ بنا أن عبدالله بن بسام استفاد من أسلوب من سبقه ، واستفاد من طريقتهم فى التأليف . وهذه سمة من يقرأ متأثرا بمن سبقه ، وعندما يريد أن بنتج يبرز فى عمله ما يظهر شخصيته المستقلة تجديداً أو توضيحاً .

والشبيخ عبدالله ، لا يشك من بقرأ تاريخه أنه بذل جهداً فى التجميع والتنظيم ، وترتيب الحوادث التاريخية حسب تسلسل السنين ، مع محاولته بأن يحدد الشهر أو اليوم إذا وجد إلى ذلك سببلاً .

 ا - ولكن أحياناً قد يعز عليه ، كما عزّ على من قبله وجود حوادث لبعض السنين ، فيكتب أمام السنة عبارات مثل : لم نعلم من حوادثها شيئا ، أو لم نظفر لها بحوادث ، وقد كان ذلك عنده في (٤٦) سنة وأربعين موضعاً .. وهذه جاءت عنده على أنواع :

ــ نوع قال فيه لم نظفر لها بحوادث إلا وفاة عبد الرحمن العلى الحنبلى وهى سنة ٩٢٨ هــ . وسنة ١٠٢٠ هـ . التى قال فيها لم نعلم بها حوادث إلا وفاة الشريف زيد بن حسن بن أبى نمى وقد جعلت بين قوسين وعلّق الناسخ بأنه وجد هذا مضافاً بقلم الرصاص وبخط المؤلف .

– ونوع آخر قال عنه بأنه لم يظفر فيه بشىء وقد أورده فى سنوات إفرادية وهى خمسة عشر عاما : ۹۳۲، ۲۹۷ ، ۹۳۵ ، ۹۳۲ ، ۹۶۲ ، ۹۶۳ ، ۹۶۳ ، ۹۶۲ ، ۹۵۲ ، ۹۵۲ ، ۹۵۲ ، ۹۵۲ ، ۹۲۲ ، ۹۷۰ ، ۹۲۲ ، ۹۷۵ .

- ونوع آخر قال عنه بأنه لم يسمع بشىء من حوادثها وجاء به مقروناً عامين مرة . وثلاثة أعوام مرة أخرى . وأربعة أعوام مرة ثالثة وبسطر واحد.وهى فى مجموعها تبلغ تسعة وعشرين عاما وهى : عامىين عامين : ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٧ ، ١٠١٣ ، ١٠١٨ ، ١٠١٠ (ثلاث: ثلاثة: ۲۷۱، ۲۷۲، ۳۷۳، ۲۸۱، ۲۸۳، ۳۸۳، ۳۹۳، ۹۶۳، ۹۹۵، ۲۰۰۲، ۱۲۰۳، ۲۰۰۲، ۲۰۰۳، ۲۰۰۲، ۲۰۰۳، ۲۰۰۲، ۲۰۰۳، ۲۰۰۲، ۲۰۰۳، ۲۰۰۰، ۲۰۰۳، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰، ۲۰۰۰،

وأربعة أعوام دفعة واحدة وهي : ١٠٢٦ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٨ هـ .

_ وهناك أعوام لم أر لها ذكراً البتة. وقد يكون هذا لإغفال المؤرخ ، أو لوجود سقط سواء فى الحط أو التصوير بالنسبة للنسخة التى وقعت تحت يدى ، وتبلغ سبعة عشر عاما هى :٩٨٥ ، ٩٨٥ ، ٩٨٨ ، ٩٨٨ ، ٩٨٨ ، ٩٨٨ ، ٩٨٨ ، ٩٨٨ ، ١٦٩٨ ، ١٢١٨ ، ١٢١٨ ، ١٢١٨ ، ١٢١٨ ، ١٢١٨ . ١٢١٨ . ١٢١٨ . ١٢١٨ هـ .

٢ ـ لكن الملاحظ أن لدى المؤلف طريقة مقتضبة في إثبات المعلومات ، فرغم أن كثيراً من الوقائع نقلها عن مؤرخين سبقوه في الرصد وقد أطالوا في إيراد بعض المعلومات، إلا أنه يورد بعض ما يرد عن كل سنة ، ويختصر في ذلك اختصاراً ظاهراً .

ــ وسمة أخرى نجدها عنده ، وهو أن بعض السنوات لا بذكر من حوادثها إلا حالة أو حالتين . وعلى طريقته المقتضبة ، فكأنه شغل الحيز المخصص لذلك وهو غايته التي سعى إليها .

٣ ـ وهناك سمة منهجية تخرج بالمؤلف عن الحط الذى رسمه حسبها يستقى من عنوان كتابه : تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، وهي تعرضه لحوادث تاريخية لا تدخل تحت هذا المدلول ، فيأخيار ومعلومات كثيرة عن مصر وما يدور فيها من منازعات ، وعند دخول الفرنسيين والانجليز لها ، وانتهاء دولة الجراكسة ، وقتل محمد على للمهاليك وغير هذا كثير عنده .

كما يذكر معلومات عن الدولة العثمانية ، وعن الإنجليز ، والروس وعن دخولهم النصرانية ، وعن الاختراعات العلمية الحديثة ، مما يخرجه عن موضوعه الذي ألزم نفسه به .

عنده تراها في البارزة عنده البارزة عنده البارزة عنده

أ – اهتمامه بذكر الوقائع الفتالية بين عشائر الجزيرة العربية ، مما يعيد للقارئ عصور التاريخ السالفة أيام الجاهلية ، ويجعله يتصور الحالة العامة لنجد فى تلك القرون ، وتناحر القبائل على الكلأ والما ، أو من باب طمع بعضهم فى بعض ولأن وازع الدين الإسلامى قد خف من النفوس .

ب _ لكن هذه الظاهرة تختفى عند المتتبع عندما تكون فى الدرعية دولة إسلامية رفعت راية الجهاد فى سبيل الله وبتوفيق من الله ، ثم بجهود الإمامين : محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ابتداء من عام ١٩٥٨ هـ .

ويحتكم الناس لكتاب الله ، كلما قويت الحكومة السعودية بأطوارها ، التي تمثل الحكومة الإسلامية في تنظيمها وحرصها على جذب الناس إلى الدين الاسلامي ، بتطبيق حدوده وشرائعه . ج ـ حرصه على ذكر الحوادث الكونية التى تؤثر فى حياة الناس الاجتاعية من مطر أو رياح وثلوج ـ برد ـ وجراد ـ الدبا ـ ؛ لأن مثل هذه تؤثر فى المحاصيل الزراعية ، والحصب أو الجدب ، وزيادة الرخاء عند الناس أو عدمه كها فى عام ١٢٥٨ هـ . وعام ١٣٦١ هـ . فى أولها وآخرها العواصف الشديدة التى أسقطت فى الأحساء ٣٠٠٠ نخلة ، وفى القصيم وعهان والهند سقطت أشجار ونخيل لا تحصى (١٦٠) . أو يهتم بتأخر الأمطار والجفاف وما يترتب عليها من هجرة بشرية إلى الشام والعراق والساحل العربى وغيره . طمعا فى تحسن الحال المعيشى ، أو أو بئة مرضية تفتك بالناس ، وتقضى على مجموعات منهم ، قد تكون شاملة فى المنطقة أو تكون فى بلد بعينها .

يبرزمثل ذلك في حوادث السنوات التالية : ٨٦٨ هـ . التي كثر فيها الجدرى والحصباء في نجد ، وعام ٨٦٨ هـ . حيث اشتد القحط والفلاء ، وجلا كثير من أهل نجد للبصرة والأحساء ، واستعر القحط الى سنة ٨٧٠ هـ . وعام ٨٦٩ هـ نزل وباء عظيم في بلدان نجد والبادية هلك فيه خلق كثير (١٧) وبندر أن تمر سنتان أو ثلاث دون أن يذكر فيها شيئاً عن المطر أو الجدب بالاهتام الناس به ورصدهم له في سجلات حياتهم .

٤- أهتامه بذكر الوفيات للعلباء والرجال البارزين من شيوخ القبائل ، أو من رجال المدن والقرى في نجد، ويكثر من المعروفين لديه كال بسام باعتبارهم أسرته ، أو ما يتعلق ببلده عنيزة وما حولها . وإلى جانب هذا يتعرض للحوادث الجانبية التي تحصل بين القرى المتجاورة ، أو بين بعض الأسر من بلدة واحدة . ويترتب عليها مهاجرة أسرة من مكان لآخر كخروج ناصر السحيمي من عنيزة ، ثم قتله في الهلالية بالقصيم عام ١٩٧٥ هـ . حيث أطال في موضوعه ، وخروج كثير من الأسر من أشيقر وأسباب ذلك . وهذه كلها تتعلق بحياة بعض الأسر التي يتناقل أبناؤها مثل هذا لاهتامهم به في حياتهم للارتباط الأسرى والعلاقة الاجتاعية .

هــ أما أبناء المدن فهذه قد رسمها لنفسه في المقدمة ، ولذا نراها بارزة عنده وعند مقبل الذكير وإبراهيم بن عيسى ، وهبى ذات علاقة بالحياة الأسرية .. ومن تلك البلدان التي ذكر ـ وهبي كثيرة ـ ما يلى :

ـ عام ٨٧٤ هـ . بناء مسجد الخيف بمنى ، وبناء مسجد نمرة في عرفة ، وتصليح عين عرفة (١٨) .

ـ عام ٧٠٠ هــ . بناء حرمة ، ثم جددت عام ٧٠٠ هــ . بعد خراب ، وعام ٨٢٠ هــ عيارة المجمعة وني عام ٩٦٦ هـ . تم بناء اول سور في جدة (١١) .

- _ عام ٩٧٤ هـ . إجراء عين عرفات إلى مكة المشرفة (٢٠) .
 - عام ٩٧٩ هـ . بدأت عارة الحرم المكي الشريف (٢١) .
 - ـ عام ١٠٠١ هـ . عمرت بلدة القرنية (٢٢) .

ـ عام ١٠١٥ هـ . غرست بلدة الحصون بسدير ، وجددت بلدة البير (٣٣) .

ـ وفي عام ١٠٤٥ هـ . نزل آل أبو رباع حريملاء وعمروها (٢٤) .

ـ وفي عام ١٠٧٩ هـ . بنيت بلدة رغبة ، وعمرت ثادق (٢٥) .

_ وفى عام ١٢٩٩ هـ .. صار الابتداء فى حضر أول قلبان البدائــع التابعــة لبلــد عنيزة قصم (٣) .

_ وَفَى عام ١٣٢٢ هـ . بني سور عنيزة (٢٧) .

ـ وفى عام ١٣٣٠ هـ . ابتداء عهارة بلد الفطفط وسكناها ، وفى عام ١٣٣١ هـ . ابتداء عهارة بلد الداهنة ومبايض وساجر (٨٨) .

وغير هذا مما يتعلق بالبلدان بناء وتعميراً ، أو حفر آبار وبناء أسوار ، أو هدم أسوار وقصور . وهذا كثير عنده.

و ــ وتبدو لديه سيات أخرى تتعلق بالأنساب سواء في الملحق المختصر عن أسر عنيزة أو في مروره بالأشخاص وبخاصة في الوفاة ، فبذكر الانتجاء القبلي .

ز_ ومن هنا يبدو ظاهراً في تاريخ اين بسام جميع المؤثرات التي يهتم بها أبناء نجد عموما من حاضرة وبادية ، ومما تركه بما يبرز في تواريخ الأمم الأخرى ، فهو لأنه غير متوفر في البيئة . ذلك أن من يريد الآن أن يكتب تاريخ المملكة العربية السعودية ، لابد أن يبرز لديه معالم ومنشآت اهتمت بها الدولة لم تكن معروفة من قبل . وذلك بفضل من الله تعالى ثم باهتهم المسئولين إلى تغيير معالم البلاد ، بعد أن أفاء الله عليها من خيره .

وبعد: فهذا هو تاريخ ابن بسام: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، في عرض مجمل ، فهو خلاصة للتواريخ قبله ، جيد في مادته وترتيبه ، رغم أنه يستعمل كليات عامية قد لا يدركها غير القدامي من أبناء نجد مثل كلمة (لله) وتعنى مائة الف في تقديره أموال التاجر احمد بن عمد بن رزق بعد وفاته (٢٩) . والتاجر ضاحي بن عون المدلجي المتوفى عام ١٢٦٠ هم. (٢٠) ومقدار تبرعات المسلمين في الصين ، والمند وأفغانستان وغيرها من الديار التي فيها الإسلام منتشرا وذكر لهم المساهمة في مذسكة حديد الحجاز في عام ١٣٦٩ هم. (٢١) . إلى جانب الأخطاء الإملائية والبوبية ، والإكتار من الألفاظ العامية ، والبساطة في الأسلوب .

ولو خرج هذا الكتاب محققاً ، ومتكاملاً لأفاد في موضوعه ، وأكمل نقصا في بعض الحلقات المفقودة ، والتي تهم الباحث والمتخصص ولعل أولى من يقوم بذلك أخي الدكتور عبدالله الصالح العثيمين ، فهو الباحث والمتخصص .. من أبناء ذلك البلد ويقال إنه يملك نسخة من هذه المخطوطة ، وتخصصه تاريخي ، وسوف يضفي عليه أشياء كثيرة تهم القارئ والباحث ، وأرجو أن يكون ذلك قريبا والله الموفق .

• مصادر ومراجع وهوامش الجزء الأولت •

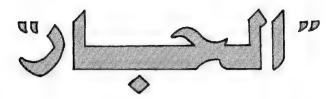
- (١) يراجع في هذا مجلة العرب م ٥ الأجزاء ٩ . ١٠ : ١١ .
 - (٢) مجلة العرب . ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
- (٣) المصدر السابق ، وقد جاء هذا البحث في ثلاثة أعداد من المحلة هي ١٩٠١، ١١.
- (٤) أنظر ص ٢ ص ٦١٣ ـ ٦١٥ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ.
- (٥) انظر نجد وملحقاته لأمين الرمجاني الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م دار الرمجاني في بيروت ص ١٥، ١٧، ٢٠٠.
 - (٦) انظر مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
- (٧) انظر علماء نجد في ستة قرون ج ٢ : ٦١٣ الطبعة الأولى مكتبه ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨هـ .
 - (٨) نفس المصدر ص ٦١٥ .
 (٩) طرة المخطوطة .
 - (١٠) انظر علياء نجد في ستة قرون ٢ : ٦١٣ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة عام ١٣٩٨ هـ .
- (۱۱) انظر أحداث عام ۱۹۷۹ هـ . ص ۳۸ ـ ٤٠ يتحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف أل الشيخ طبعة وزارة المعارف والمطابع الوطنية ولم مجمد تاريخ الطبع .
- (۱۲) انظر احداث عام ۱۲۷۹ هـ. ص ۱۷۵ فى كتابه تاريخ بعض الحوادث منشورات دار الياصة السرياض عام ۱۳۸٦ هـ. ۱۳۹٦ م لطبعة الأولى.
 - (١٣) راجع المخطوطة ورقة ١٤٨ الوجه الثاني .
 - (١٤) انظر مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ ـ ٨٨٩ .
 - (١٥) راجع علماء نجد خلال ستة قرون ٢ : ٦١٣ . الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الخديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ . .
 - (١٦) نفس المصدر ص ٦١٤ .(١٧) راجع نفس المصدر ص ٦١٤ .
 - (١٨) راجع كتاب ملوك العرب ٢ : ١٢٦ الطبعة من عام ١٩٦٧ م دار الريحاني في بيروت .
 - (١٩) انظر عياء نجد في ستة قرون ٢ : ٦١٤ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ .
 - (٢٠) راجع المخطوط ورقة ١٥٧ الوجه الثاني .
 - (٢١) انظر كتابه : نجد وملحقاتها ص ١٥ الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م دار الريحاني في بيروب .
 - (٢٢) نفس المرجع ص ١٧ ـ
 - (٢٣) انظر كتاب ملوك العرب الطبعة الخامسة بيروت ١٩٥٧ م ص ١٢٧.
 - (۲۶) انظر علماء نجد خلال ستة قرون ۲ : ٦١٥ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة عام ١٣٩٨ هـ .
 (۲۵) انظر المرجع السابق ۲ : ۲۵.
 - (٢٦) انظر المرجع السابق ٢ : ٦١٥ .
 - (٢٧) انظر طرة المخطوطة .
 - (٢٨) انظر الخاتمة ورقة ١٩٠ الوجه الثاني.

• مصادرومراجع وهوامش الجزر المنانى •

- (١)انظر علماء نجد خلال ستة قرون ٣ : ٨٠٩ الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ . مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة. .
- (۲) راجع روضه الناظرين ج ١ ص ٥٨ ، ص ١٤٢ ، ص ١٦٩ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م مطبعة الحلبي .
 - (٣) راجع نفس المصدر ج ٢ ص ٢١٤ .
 - . AAA م م ص 1 انظر مجلة العرب ج ٩ م م ص 2 م م ص 3 م م ص 4
 - (٥) راجع ترجمة حياته عند عبدالله بن بسام في كتابه علماء نجد خلال ستة قرون ١: ١٨٦ ـ ١٨٨ .
 - (٦) راجع بحث الشبيخ حمد الجاسر عن مؤرخي نجد من أهلها في مجلة العرب ج ٩ م ٥ : ٧٨٨ .
- (٧) راجع ترجمته عند محمد القاضي في روضة الناظرين الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م مطبعة الحلبي بمصر ١ : ٨٥ .
 - (٨) انظر الأعلام الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ . . ١٩٥٥ م مطبعة كوستا توماس وشركاه ٦: ١٣٤١ .
 - (٩) انظر مجلة العرب ج ٩ م ٥ ص ٧٩٤ ـ ٧٩٦ .
 - (١٠) انظر مقدمة المحلق وهو ناشر الدرر المفاخر ص ٧٠٧.
 - (۱۱) انظر مجلة العرب ج ۱۰ م ٥ ص ۸۸۸ .
 - (١٢) راجع مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
- (٦٣) سبق أن مر بنا قول الشبخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام بأن أولاد المؤلف في البصرة ، وأن الذي في عنيزة اسباط ،
 أولاد بناته .
 - (١٤) الورقة ١٩٠ من المخطوطة الوجه الثاني .
 - (١٥) قد ترك الناسخ مكان محمد بياضا ، فلعله لم يتحقق من الكلمة فتركها .
 - (١٦) انظر مقدمة المخطوطة الورقة الثانية .
 - (١٧) انظر التمهيد في الورقة ٣ الوجه الثاني .
 - (١٨) راجع نهاية المخطوطة الورقة ١٨٨ الوجه الثاني ، والورقة ١٨٩ الوجهين .
 (١٩) ملوكو العرب الطبعة الخامسة دار الريحاني بيروت عام ١٩٦٧ م ٢ : ٣٠ .
- (٢٠) انظر كتابه شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز الطبعة الثانية دار العلم للملايين بيروت عام ١٣٩٧ هـ . ــ ١٩٧٧
 - م ۱ : ۳۵۸ ـ ۳۵۱ . (۲۱) انظر تاریخ الدولة السعودیة لأمین سعید مطبوعات الدارة رقم ۹ بالریاض ۲ : ۱۸۰ ـ ۱۸۱ .
 - (٢٢) انظر صقر الجزيرة طبعة خاصة بالحرس لم يحدد تاريخها ٤ : ٨٨٤ .
 - (٢٣) نفس المصدر ٤ : ٨٦٧ .
- (٢٤) انظر تاريخ ملوك أل سعود للأمير سعود بن هذلول الطبعة الأولى عام ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م مطابع الرياض ص
 ١٧٧٠ .
 - (٢٥) انظر كتاب تاريخ الدولة السعودية مطبوعات الدارة بالرياض رقم ٩ ، ج ٢ ص ١٨١ .
 - (٣٦) راجع مخطوطة مقبل الذكير في تاريخ نجد ٣ : الورقة ٥٥ .

• مصادر ويراجع وهوامش الجزاء الثالث •

- (١) راجع مقدمة الورقة الثانية الوجه الثاني. والورقة الثالثة الوجه الأول من المخطوطة . (٢) انظر للمخطوطة الورقة ٧٤ الوجه الثاني فى حوادث ١١٤٠ هـ .
 - (٣) انظر المخطوطة ايضا ورقة ١٤ الوجه الثاني في حوادث ٨٨٦ هـ .
- (٤) انظر المخطوطة حرادث عام ١٣٢٤ هـ . ورقة ١٧٥ الوجه الثاني والورقة ١٧٦ الوجهين .
 - (٥) انظر مجلة العرب ہے ١٠ م ٥ ص ٨٨٩ ــ ٨٩٠ .
 - (٦)نفس المرجع السابق ص ٨٩٠ .
- (٧) راجع نجد وملحقاته للريحاني فى الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م دار الريحاني بيروت ص ١٢ .
 - (٨) راجع ورقة ١٩١ من المخطوطة الوجه الأول .
 - (٩) راجع ورقة ١٨٧ من المخطوطة الوجه الثاني .
- (١٠) انظر علياء نجد فى ستة قرون مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ . ج ١ ص ١٢٥ .
 - (١١) راجع نجد وملحقاته للريحاني الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م الريحاني في بيروت ص ١٢.
 - (١٢) انظر المقدمة لهذا الكتاب ص ١٠ منشورات دار اليامة بالرياض عام ١٣٨٦ هـ . ص ١٠ .
 - (١٣) راجع المقدمة لتناريخ بعضُ الحوادث في نجد نشر الشيخ حمد الجاسر السابق ذكره ص ٨ ـ . ١٠.
 - (١٤) انظر المصدر السابق ص ٢٠٢ .
 - (١٥) راجع ترجمة ابن عيسي في نفس المصدر ص ٢٣ .
 - (١٦) راجع المخطوطة ورقة ١٦٩ الوجه الثاني عام ١٣٢٠ هـ .
 - (۱۷) راجع المخطوطة ورقة ۱۰ وورقة ۱۱ الوجه الثانى .
 (۱۸) انظر المخطوطة ورقة ۱۲ الوجه الأولى .
 - (١٩) انظر المخطوطة ورقة ١٩ الوجهين .
 - (٢٠) نفس المصدر ورقة ٢٧ الوجه الثاني ، والورقة ٢٨ بوجهيها ، والورقة ٢٩ بوجهيها .
 - (٢١) نفس المصدر ورقة ٣٠ الوجه الثاني ، والورقة ٣١ الوجه الأول .
 - (٢٢) نفس المصدر ٣٤ الوجه الثاني . (/ (٢٧) نفس المصدر ورقة ١٧٣ الوجه الأولى .
 - (٢٣) نفس المصدر ورقة ٣٦ الوجه الأول . ﴿ (٢٨) نفس المصدر ورقة ١٨٢ الوجه الثاني .
- (٢٤) نفس المصدر ورقة ٢٢ الوجه الأول . ﴿ (٢٩) نفس المصدر ورقة ١٠٨ الوجه الأول عام ١٩٣٤ هـ .
 - (٢٥) تُفس المصدر ورقة ٤٨ الوجه الثاني . ﴿ (٣٠) نَفس المصدر ورقة ١٣٩ الوجه الثاني .
 - (٢٦) نفس المصدر ورقة ١٥٨ الوجه الأول . ﴿ (٣١) نفس المصدر ورقة ١٧٨ الوجه الأول .



ميناء المسدينة القسديم "البريك ماليًا"



بقلم : الأستاذ عبد الكريم محمود الخطيب

الجار شهرة قبل الاسلام : إلا أنها بعد الاسلام نالت شهرة كبيرة ، وأصبحت للمنافقة أشهر موانى الحجاز حيث يعرف البحر الاحر ببحر الجار ، وأصبح جغرافيو القرن الثالث الهجرى يشير ون اليه كثيرا في مواضع عدة . ويصف البشارى مدينة الجار فيقول : (الجار مدينة محصنة بثلاث حيطان والرابع البحر وبها دور شاهقة وسوق عامرة ، وهي خزانة المدينة ويحمل اليها من بدر الماء ، والطعام من مصر) ويقول صاحب معجم البلدان :

(هى فرضة ترفأ اليها السفن من أرض الحبشة وعدن والصين وسائر بلاد الهند ، ولها منبر وهى آهلة وشرب أهلها من البحيرة وهى عين يليل وبالجار قصور كثيرة) ، ومن قوله : (أهل الجار يأتون بالماء من فرسخين وأكد ذلك أبو الاشعث الكندى عن عرام بن الاصبغ السلمى) وينسب إلى الجار جماعة من المحدثين منهم : سعد الجارى وهو سعد بن نوفل مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، استعمله حاكها على الجار . كها ينسب اليها عبدالملك الجارى مولى مروان بن الحكم . وقد ضعف شأن ميناء الجار منذ القرن الرابع الهجرى : حيث اختل نظام الامن فى الحجاز بضعف الحكم فتسلطت الاعراب على الجار بالنهب والسلب . وفى أواخر القرن السادس الهجرى بدأ أمر الجار يضمحل وصار حجاج مصر والمغرب يركبون البحر من عيداب الى جدة ..

وقد ظن كثير من المؤرخين أن موضع الجارهو الرايس ، والرايس هى فى منبسط من الارض على الساحل بالقرب من بدر وليس بها من الآثار مايشير الى عمران أو آثار ، أما البريكه هى الجار سلفا وبها خور عميق من البحر محاط بشاطئ صخرى ، وعلى مقربة من الحور تشهد فى أرضها آثار مدينة قدية : منها موقع الافران ، وكسر الزجاج والفخار يكسو مساحة كبيرة من الارض ، وتشهد بقربها خرزات مجرى قناة لعين تتعدر من الجهة الشرقية من أسفل وادى الصفراء ، والبريكه تقع غرب بلدة بدر ، والمسافة بينهها من الجهة الشرقية من أسفل وادى الصفراء ، والبريكه تقرب الدرجة ٣٨/٣٠ طولا شرقيا و ٣٣/٣٠ عرضا شهاليا . وفى وقتنا الحاضر يستعمل هذا الميناء الصيادون من ينبع ، وترسو فيه السفن الشراعية القادمة الى ينبع من جدة ، وكان قد استعمله الجيش المصرى فى عام فيه السين المراعية القادمة الى ينبع من جدة ، وكان قد استعمله الجيش المصرى فى عام مديرين الى البريكه وركبوا منها السفن الى ينبع ، وأشار الى ذلك المؤرخ الشيخ عثان بن مديرين الى البريكه وركبوا منها السفن الى ينبع ، وأشار الى ذلك المؤرخ الشيخ عثان بن

عبدالله بن بشر صاحب: عنوان المجد فى تاريخ نجد، فقال: (البريكه هى المعرفة بالجارميناء المدينة القديم، والبريكه تقع غرب بلدة بدر وتبعد عنها مسافة خمسة وعشرين كملومترا).

وقد اهتم الخلفاء الراشدون بيناء الجار بعد أن تم للمسلمين فتح مصر ، وقد روى المؤرخون أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب اليه الحليفة الثانى عمر بن المخطاب رضى الله عنه أن يحمل منها الطعام الى المدينة المنورة في عشرين مركبا ، في المركب ثلاثة آلاف أردب أو أكثر حتى وصل الجار ، فخرج الخليفة عمر رضى الله عنه وبلائم متى قدم الجار (١٦) ثم وكل من قبض دنك الطعام ، وبنى هناك موضعين وجعل ذلك الطعام فيها . ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب للناس صكاكا من القراطيس ثم يختم أسفلها ؛ فكان أول من صك وختم الصكاك . وقد ضعف شأن الجارمنذ القرن الرابع الهجرى حين اضطرب الأمن في المجاز بضعف الحكم ، فتسلط الاعراب على الجار بالنهب والسلب وقتل أهله ، ومن يومها اضمحل الجار وقوك ميناء ينبع البحر باضمحلاله ..

ويبعد الجارغن ينبع الميناء بسافة خمسة وأربعين كيلو مترا تقريبا . وقد قام المؤرخ صاحب مجلة المنهل المرحوم الاستاذ عبدالقدوس الانصارى برحلة الى منطقة الجار وقد أصدر عددا خاصا عن رحلته تلك فى عام ١٣٩١هـ . ومن قوله عن الجار: (وذهبنا الى ساحل الخليج الرابض على أنقاض الجار الممتد من البحر الكبير حتى حافمة المدينة الجنوبية ، وقد بحثنا سطحى بدت الناحقة وجود هذا الرصيف الذى قبل لنا إنه كان هنا . وبعد بحث سطحى بدت الناحقية وجود هذا الرصيف أيام عمران المدينة ماثلة للعيان وقد تأكل وتداعى ظاهره بفعل الأمواج الهادرة ، أو العارمة التي تلمس بأصابعها بشرته طيلة القرون الخوالى ليل نهار ولقد ظهر لنا رصيف المدينة على شاطئ الخليج ، وهو مبنى بالحجارة المنقبية (٢) البيض المنحوتة بناء متاسكا قويا بدليل بقاء أسسه المزيده على شاطىء الخليج الهرم وكان يحمى المدينة من طرقات مياه الخليج التي ربنا اشتدت أيام امتداد البحر وطفيان أمواجه ..

أما عن أطلال مدينة الجار فيقول;(وعدنا أدراجنا صوب الأطلال الهامدة تحت التراب فبحثنا أولا عن القصور الكبيرة التي كان الجار يموج بها . وقد رأينا أكواما مرتفعة متقاربة ومتباعدة فى داخل سورها القديم المتداعى: قرأينا أن هذه ربا تكون أطلال القصور النامة . وحينا رفعنا شيئا من التراب تبدت لنا حجارة منقبية : هى إما أسس القصور ، أو مايعلو الاسس مباشرة من البناء . ثم رأينا أن نبحث عن السور المذكور فى التاريخ : انه يحيط بالمدينة من ثلاث جهات وسرعان ماتجلى لنا السور متمثلا فى هذه الأكام المرتقعة متسلسلة من البحر فى الجنوب الغربى الى الشهال والى الشهال الغربى، ومن الشهال الغربى . الى الشهال الشرقى . ..

ولم يأخذ منا التأمل كبير جهد ووقت حتى لاحظنا امتداد السور فى ثلاث جهات بدليل هذه التلال المحيطة بالمدينة فى شكل مستطيل من نواحيه الثلاث تماما كها فصله لمؤرخون ...

(ولكننا رأينا بعد ذلك تلالا كثيرة متفرقة متباعدة ومتقاربة على غير نظام ، وبعد تأمل عميق رأينا أنهارا : ربما تكون القصور التي أنشأها الرافهون في شهال المدينة الكبيرة خارج سورها ليكون لهم منها أطايب المنازل وأطايب الهواء النقى على عادة المدن الكبيرة في امتدادها الاكثر صوب الشهال . وفي أتناء مرورنا بداخل المدينة المندثرة استرعى أنظارنا رض مطمئتة في شبه دائرة كبيرة غير منظمة تقع جنوب المدينة بقرب الرصيف الجنوبي منها ، وهي أرض هشة تسوخ فيها الاقدام ويعلو ظهرها شيء يشبه المدهن في لونه الاصفر الذاكن ، وقد قلبنا وجوه الرأى في هذه البقعة فيا يعلوها من شيء من المدهن : فقلنا باحتمالات : أحدها أن تكون مقبرة المدينة اختاروا لها هذا الموقع المتطرف من المدينة القريب من رصيفها وخليجها . وثاني الاحتمالات أن تكون مجزرة المدينة رأوا أن يقتربوا بها من الساحل ومن موقع البحيرة ليسهل عليهم غسل الذبائح بعد ذبحها ، وتراكم المدهن وعظام الأنعام المذبوحة فيها فشكلت هذه الطبقة المدهنية على سطحها ، وثالث الاحتمالات أن تكون مسلخة السمك الذي يصيده حواتو (القريد الميد المريد مسلخة السمك الذي يصيده حواتو (القريد الميد الميد المؤلم المنادية السمك الذي يصيده حواتو (الميد المؤلم المورد الميد المؤلم المدون مسلخة السمك الذي يصيده حواتو (الميد المؤلم ال

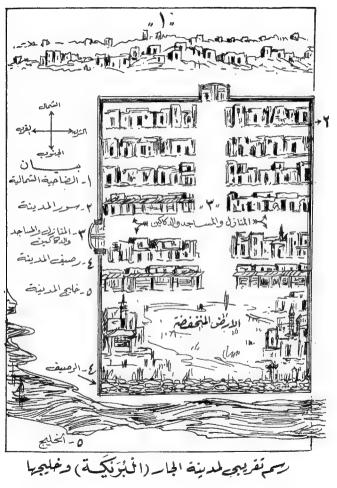
ومن قول الأستاذ الانصارى عن رحلته الى الجار: (كلها كان من التلال وراء السور السيل والشرقى الشيالى فهو مكان الأبنية الجديدة التى تكون محلة أو محلات الضاحية الشيالية المغمورة بالعمران أكثر من سائر الضواحى الأخرى ، ولابد أن فيها منازل ودكاكين وغيرها ؛ فهى امتداد طبيعى للمدينة القدية فى ناحيتها الشيالية عندما تكاتف السكان بها وبرموا من ضيقها ومن تلوث هوائها).

من كل ما اطلعنا عليه تاريخيا حول مدينة الجار القريبة من مدينة ينبع البحر الميناء ومن مشاهدات الاستاذ الانصارى في ربوعها والوقوف على أكثر معالمها البائدة؛ يعلم أنها كانت مدينة من أمهات مدن الحجاز تعج بالحياة والحركة الدائبة ، وأنها كانت سوقا من أسواق الجزيرة التجاريه، وتجارتها لاتنحصر في الجزيرة العربية فحسب؛ بل مغ الغرب والشرق؛ فكان الغرب يحمل اليها تجارته فيصرفها على الشرق ، وكان الشرق يحمل اليها تجارته فيصرفها على الشرق ، وكان الشرق يحمل اليها تجارته فيصرفها الى الغرب؛ حتى أن مساحة المدينة ضاقت بسكانها فأخذ العمران ينتشر خارج أسوارها . وأنها كانت ميناه مدينة الرسول في صدر الاسلام ويعلل أكثر من مؤرخ أنه ضعف شأن مدينة الجار في القرن الرابع الهجرى حين اضطرب الامن في الحجاز وضعف الحكم فتسلط الأفاقون من الاعراب وغيرهم من قطاع الطرق في البر والبحر على المدن الحجازية ، ومنها تسلطهم على سلب الجار وقتل أهله ؛ ومن هنا كانت مدينة ينبع البحر بديلا عن الجار في المنطقة ، فيدأت تنمو من قلعة وخان أسست على أرضها في المورد بسريد على السادس حتى أصحت مدينة من أمهات مدن الحجاز بالملكة العربة السعودية .

٥ جزيرة قراف والعباس ٥

لاغضاضة أن يعود المره الى الصواب ، وأن يصحح أخطاءه ؛ إذ الحق هو الضالة المنشودة - كنت أعتقد جازما فى الماضى أن جزيرة العباس الموجودة اليوم فى جنوب شرق ينبع الميناء وبالقرب منه ربما هى جزيرة قراف ؛ حيث أشار صاحب معجم البلدان فى مادة الجار يقوله (وبحداء الجار جزيرة فى البحر تكون ميلا فى ميل لا يعبر اليها الا بالسفن وهى مرمى الحبشة يقال لها قراف ، وسكانها تجار كنحو أهل الجار) .

واذا أردنا أن نعتبر جزيرة العباس على حذاء الجار فلا نكره فى ذلك التحديد باعتبارها قريبة منه . وقد أشرت الى ذلك فى بحث الينبعين فى الطبعة الاولى من مؤلفى « شعراء ينبع وجهينه » ولكن ظهرت لنا حقائق جديدة عن جزيرة قراف حين قام الأستاذان : حمد الجاسر وعبدالقدوس الانصارى برحلات متفاوته الى منطقة الجار فكانت رحلة الاستاذ الجاسر عام ١٣٩٠هـ . ومن قوله عن جزيرة قراف التى هى على حذاء الجار أى البريكه حاليا ،



(ان البريكة تقع غرب بلدة بدر والمسافة بينهها تقارب ٢٥ كيلو ، وتقع البريكة بقرب المدرجة ٣٨/٣٠ طولا شرقيا ، ٢٣/٤٠ عرضا شهاليا ولم ترسم في الحريطة وأمامها غربا فها بينها وبين الرايس آثار جزيرة كبيرة لم يبق منها سوى الشعب المرجانية الصخرية وهي مستطيلة من الشيال إلى الجنوب بارزة في الخريطة) ..

ومن قول الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصارى في رحلته لمنطقة الجار عام ١٣٩٨هـ وقد أصدر عددا خاصا عن رحلته تلك (وفي المرسى الكبير قديا المقفر حاليا سألت بعض من وجدتهم فيه : أين جزيرة قراف ؟ فلم يعرفوا هذا الاسم القديم الذي اندثر كيا اندثر مسياه في القديم ، قال المسئول مامعناه : الذي نعلمه أنه توجد جزيرة كبيرة فيها صخور عظام تعرف الآن باسم (السلّجية) بكسر السين المهملة واللام مع تشديدها وبالجيم المكسورة المسددة فياء مفترحة مشددة ، وقال لى المسئول ايضا : لعل السلجيه هذه هي ماذكرت أنها جزيرة قراف).

ندرك من الرحلتين التى قام بهما الاستاذان البحانه: حمد الجاسر والمؤرخ الاستاذ عبدالقدوس الانصارى أن جزيرة قراف لازال لها بقايا من آثار على حذاء البريكة أى الجار .. كما ندرك من قول الاستاذ الجاسر أن هناك آثار جزيرة كبيرة لم يبق منها سوى الشعوب، وعلى مايبدو أن عوامل المد البحرى أحدثت فيها تعرية فأزالت جزء اكبيرا منها . أما جزيرة العباس الموجودة اليوم على حذاء ينبع الميناء بمتابعة البحث والتنقيب لم نقف لها على اسم أصل .. كل ماوقفنا عليه في ديوان الشاعر الينبعي/ حسن عبدالرحيم القفطى الذي عاش في القرن الرابع عشر في الصفحة ١٥١ من ديوانه بيتين من الشعر قالها بناسبة تشييد ضريح السيد العباس المدفون في الجزيرة المسهاء باسمه مرفوعة لقائمقام ينبع صادق أغا .. اذ يقول:

أيد الله صادقا وحباه مقعد الصدق يوم حسن المآب قد أشاد الضريح هذا رجاء في جزيل الشواب يوم الحساب

لسنا ندرك من هو السيد العباس الذي دفن في تلك الجزيرة وشيد له ضريح ، وقد أزيل الضريح كها أزيل غيره من أضرحة في ينبع . غفر الله لشاعرنا القفطي وأهل زمانه على هذه البدع التى لاتنقق مع الدين وتعاليم الاسلام ، ومع بداية العهد السعودى أنشئ في هذه الجزيرة محجر صحى يشتمل على غرفتين! احداها فيها مباخر للحجاج القادمين الى ينبع ، والأخرى بها جهاز المبخرة ، وكثيرا مايذهب أهالى ينبع بقصد النزهة الى تلك الجزيرة ولاسيا في أيام الاعياد .. أما اليوم فقد دخلت الجزيرة في مرافق ميناء ينبع الحديث ..

0000 o علياء من الجار o

و في صدر الاسلام عرف من أهل الجار رواة الحديث مما يدل على ازدهار الجار علميا وكثرة سكانها ــ منهم :

١ _ سعد بن نوفل الجاري مولى عمر بن الخطاب وعامله على الجار

سلیان بن محمد بن سلیان بن موسی بن عبدالله بن یسار الاسلمی ممن روی عن

الامام مالك بن أنس وغيره ..

۳ ـ عبدالرحمن بن حسن الجارى

٤ ـ عبدالرحمن بن سعد الجارى

٥ ـ عبدالله بن سعد بن نوفل الجارى

٦ ـ عبدالملك بن الحسن الاحول مولى مروان بن الحكم

٧ .. عمر بن راشد الجاري الساحلي القرشي

٨ ـ عمر بن سعد بن نوفل الجاري

٩ _ عيسى بن عبدالرحمن الجارى

١٠ _ يحييُّ بن احمد المديني الجاري من موالى بني الذيل من الفرس من اهل المدينة كان

من تجار اهل الجار ..

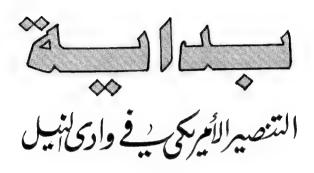
۱۱ _ يحيى بن محمد بن عبدالله بن مهران المدنى مولى بنى نوفل .

٥ الهوامش ٥

 كان ذلك في عام الرماده الذي أكل الأخضر واليابس، واستمر فيه قحط وشحت الامطار في العام الثامن عشر للهجرة .

(٢) الحجارة المنقبية : هي أحجار المرجان التي تستخرج من قلب الارض قطعا بالقشيس .

(٣) حواتو ألجار: هم الصيادون الذين يقومون بصيد الاسياك في المنطقة .





الدكتور عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم

بداية التنصير في مصر:

زارأحد المنصرين الأمريكيين من دمشق القاهرة فى شتاء ١٨٥١ - ١٨٥٢ م ، ولما رجع الى مركزه اقترح أن يمتد النشاط التنصيرى الى مصر ، ونال مساندة زملائه فى هذا الأمر . وبعد تعمّر بدأت الإرسالية الأمريكية تعمل فى القاهرة منذ ١٨٥٤ م ، وقد واجهت البعثة فى بادئ أمرها رفضاً عنيفا من المصريين مسلمين وأقباطاً ، كها أدت حرب القرم وأخبار ثورة الهند الى إذكاء حدة الشعور الإسلامى فى القاهرة ، ووجدت البعثة رهقا شديدا (١٠) .

بدأت البعثة الأمريكية بالتعليم ؛ حيث افتتحت في القاهرة مدرسة للبنين في ١٨٥٥ م بدرب الجنينة ، نقلت بعد ذلك إلى حارة السقايين ، ثم أغلقت هذه المدرسة للنهوض بمدرسة أخرى في حي الأزبكية . وفي ١٨٥٦ م ، افتتحت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة للبنات في مصر ؛ غير أن هذه البعثة قد واجهت في بدء أمرها صعوبات مالية . وشاء الله أن يمر بالقاهرة المهراجا دهلوب سنج وريث عرش البنجاب منفياً إلى خارج الهند ، وكان الرجل قد تنصر . أسر المهراجا دهلوب الى البعثة الأمريكية بأنه يرغب في الزواج ، فزوجته البعثة المدعوة بإبنة إحدى المتنصرات على مذهب الكنيسة الأمريكية ، فمنحهم العريس منحة مالية وأوقف عليهم مبلغ المتنصرات على مذهب الكنيسة الأمريكية ، فمنحهم العربس منحة مالية وأوقف عليهم مبلغ حيث منحهم الأول قطعة أرض ، وزاد الآخر بأن تبرع لهم بجبلغ بعن منحهم الأول قطعة أرض ، وزاد الآخر بأن تبرع لهم بجبلغ بعنه مدسة على والسعة أعطاها لهم ، تسع المدرسة ، ومساكن المعلمين وعائلاتهم (۱) .

كان من الطبيعى أن يكون التعليم وسيلة للهدف الأكبر « تنصير المصريين » ويوضح أحد أشهر المنصرين الأمريكيين المدعو روجر والجسون فى كتابه « وادى النيل مســــــ للحــركة التنصيرية » ⁽⁷⁾ بأن هدف البعثة الأساسى من المجىء إلى مصــر كان تنصير المسلمين بها .

غير أن الشعور بحدة ردود الفعل الناجحة عن السعى لتحقيق هذا الهدف دفعت البعثة الى تحقيق هدف آخر، وهو جذب أكبر عدد ممكن من الأقلية القبطية للمذهب البروتستانتي والالتحاق بالكنيسة الانجيلية . ولبلوغ هذا الهدف شن المنضرون الأمريكيون حملة عنيفة على الكنيسة القبطية واتهموها بالجمود وعبادة صور القديسيين والملائكة ، كها اتهموا رجالها بالجهل والخروج عن اصول الدين المسيحي ، وأزعج الاتهام الأقباط ، وأثار تحول البعض من الأقباط إلى البروتستانتية ثائرة سلطات الكنيسة الوطنية في مصر . وقد تم لقاء في عام

١٨٦٣ م بين وليام تاير القنصل الامريكي في مصر والمنصر جون هوج من جانب ، وبين كيرلس الخامس بطريك الأقباط من جانب آخر. وكان من رأى الجانب الأمريكي انه لا يجب أن تعترض سلطات الكنيسة على عمل المنصرين الأمريكيين : إذ أن غايتهم هي تعليم التوراة . ويظهر انفعال كيرلس الخامس في إشارته للمنصرين الأمريكيين بقوله : « ولماذا جاءوا الى مصر ..إن التوراة لدينا قبل أن توجد أصريكا .. إنسا لسنا في حاجة إليهم ليعلموننا ..إننا نعوف التوراة أفضل منهم » ؟!(1).

وتحول هذا الشعور بالانزعاج من جانب السلطات الكنسية المصرية إلى عمل حاسم , حين قام البطريك برحلة الى الصعيد في عام ١٩٦٧ م ، وقد سايرت الحكومة المصرية رغبة كيرلس الخامس في العمل الحاسم ، وبعثت بتعلياتها الى مديرى المديريات لمعاونته في مهمته ، وبتخصيص باخرة حكومية تكون تحت تصرفه في تلك الرحلة وقد بدأت الرحلة بأسيوط حيث جمع البطريك المسئولين الأقباط ، وقرر تجريد أحد القساوسة من مركزه الكنسي لسياحه لأخيه بالخدمة في كنيسته بعد أن تخرج من مدرسة اللاهوت بالارسالية الأمريكية (٥٠) كها أصدر البطريك مدينة أسيوط الى أبو تبيج وإخيم ، حيث أقفل مدرسة الأرسالية الأمريكية هناك ، وتقدم إلى قنا حيث أبلغه وكيل القنصل الأمريكي هنالك أن قنصل عام الولايات المتحدة بالقاهرة قد أبرق مستفسرا عها يحدث . ورد البطريك بأن ما يحدث لا يجب أن يعني وكيل القنصل ، وأنه لا يأبه لقنصله العام (١٠) . غير أن رد الفعل القبطى هذا لم يشعر كثيرا حيث لاقت البعشة الأمريكية من الأقباط المريكية الدعم من السلطات البريطانية ؛ وتزايد أتباع الكنيسة الأمريكية من الأقباط المتحولين .

وقد شهدت السبعينات في القرن التاسع عشر ازدياد النفوذ التبشيرى للبعثة الأمريكية ، وازدياد عدد مدارسها ؛ حيث تم في مطلع السبعينات تأسيس الكلية البروستانتية في أسبوط ، ثم ما تبع ذلك من فتح مدارس في ملدى ، والباجور ، وميدوم ، والبدارى ، وطهطا ، والقصير ، وسنهور ، والعزيزية ،وأبنوب ، والزرابي ، والمنيا ، وبنى عدى ، والطويلة ونفادة ، وأسنا ، وأرمنت ، والأقصر ٧٠ . هذا بالرغم من أنه لم يكن لهذه البعثة حتى عام ١٨٧٠ م ، سوى ست مدارس بالوجه القبلي ، وثلاث بالقاهرة ، واثنين في الاسكندرية (٨) وأدى مد السبعينات المتزايد إلى أن يصل عدد مدارس هذه البعثة الى ثلاثين مدرسة (١) في ١٨٧٨ م .

وكان المدرس فى هذه المدارس عضوا فى الكنيسة يشارك فى اجتماعاتها المسائية ، ودروسها الدينية ، وصلاة الأحد ؛ ولهذا تميزت نهاية السبعينات بنجاح البعثة الأمريكية فى جذب عدد من الأقباط ، الفقراء منهم بصفة خاصة . وقد بلغ عدد المتحولين من الأقباط الى البروتستانتية همه شخصال . (١٠٠ فى ظل الاحتلال البريطاني وجمايته للتنصير

الأمريكي حتى وصل الى أكثر من ١٢٫٠٠٠ شخصا قبيل الحرب العالمية الأولى . ويستلفت الانتباء أن رواج التعليم الأمريكي قد بلغ رغم إمكاناته المادية القاصرة ما لم

يبلغه أى تعليم أجنبي آخر في مصر بما يدعو الى التساؤل عن سر هذا النجاح . يرى يونان البيب (١١) ان هناك عدة عوامل أهمها :

أن عدم وجود جالية أمريكية كبيرة فى مصر كان عنصرا معاونا لانتشار تلك المدارس لا تقلصها : ذلك أن تلك المدارس قد تميزت منذ البداية بالطابع المصرى، حيث استمر أغلب تلاميذها ومعلميها من المصريين ، هذا على عكس سائر المدارس الأجنبية الأخرى التمي استمرت الغالبية العظمى من تلاميذها ومدرسيها من الأجانب .

ـ أن المدارس الأمريكية قد سعت إلى اجتذاب فقراء الأقباط، الذين وجدوا في تلك المدارس.الى جانب التعليم-كثيرا من أسباب الرعاية التى لم تتوفر لهم فى مدارس أخرى، مثل المعيشة فى الأقسام الداخلية، بالاضافة إلى أن الارسالية الأمريكية كانت غالبا ما تهيى لخريجهى مدارسها أعهالا فيها أو فى غيرها من سائر المؤسسات الأجنبية، وذلك بالطبع بعد أن يتحول الطلاب إلى البروتستانتيه.

- بعد أن أطمأن المسلمون بأن رجال الإرسالية الأمريكية لن يستطيعوا التأثير دينيا على أبنائهم بدأوا يرسلونهم الى تلك المدارس . يضاف الى هذا أن الملتحقين بتلك المدارس كانوا يعفون من التجنيد يعفون من التجنيد . (٢٠٠

وفى عام ١٩٠٧ م بلغ عدد المدارس الأمريكية فى مصر ٢٧١ مدرسة بين ابتدائية وتجهيزية وثانوية وبلغ عدد الطلاب الملتحقين بهذه المدارس ١٢٦٤٠ طالبا وطالبة ، كان عدد الطلاب المصريين منهم ١٣٣٥٠ من اقباط ومسلمين (١٣٠) . هذا بينا لم يزد عدد الأمريكيين فى مصر فى المصرين منهم ١٢٣٥٠ امريكيا (١٤١) وهو عدد جد ضئيل إذا ما قورن بأعداد الأجانب من

الجاليات الأخرى . وظلت أعداد الأمريكيين فى مصر ضئيلة حتى ان هذا العدد ظل كها هو بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ ، حيث لم يزد عدد الأمريكيين فى عام ١٩٦٧ عن ١٥٤٤ أمريكيا فى مصر (١٩٠٠) .

وقد شهدت الفترة بعد ١٩٠٧ م تناقصا سريعا في عدد المدارس الأمريكية حتى وصل الى الثانين مدرسة فقط في ١٩٠٤ م ، ولم تكن هذه المدارس تضم سوى ٥٠٦١ م تلميذا للاثين مدرسة فقط في ١٩١٥ م ، ولم تكن هذه المدارس تضم سوى ٥٠٦١ مصر ولعل ذلك راجع الى استحداث شهادة الدراسة الثانوية في المدارس الحكومية في مصر التي تمت منذ ١٨٨٧ م ، وظهر تأثيرها على المدارس الأمريكية بعدئذ حين أحس الطلاب بأن المدارس الحكومية تؤهل اكثر من غيرها للفوز بالوظائف الحكومية وللدراسات الأعلى ، وبخاصة وأن برامج المدارس الأمريكية كانت مختلفة عن المناهج الحكومية ، ولها طابعها المتميزة (١٧) .

بداية التنصير الأمريكي في السودان ٥

لم يمتد النشاط الأمريكي في التنصير الى السودان بالرغم من أن الكنيسة المسيعية الأمريكية كانت قد خصصت مبلغ ٢٥٠٠٠ دولارا للعمل التنصيري على امتداد وادى النيل في ١٨٨٣ م . وانفلت السودان في ذلك الوقت من قبضة الولاة الأتراك في مصر ، الواقعين تحت الاحتلال البريطاني ، وشهد السودان ثورة دينية عملت على خلاص وادى النيل من المستعمر والمؤثرات الأجنبية بكافة صورها ، وفذا تعطل وصول البعثات التنصيرية الأمريكية الى السودان ، وبقى السودان بعيدا عن تلك المؤثرات حتى أطاح البريطانيون متعللين بالحقوق الحديوية بحكومته الاسلامية في نهاية القرن الميلادي الماضي . ووضع كروم سياسة التنصير في السودان وفي وادى النيل بأسره حين قسم وادى النيل الى ثلاث مناطق .

المنطقة الأولى: حددها بمصر التى وصفها بأنها تضم أغلبية مسلمة وأقلية مسيحية ورأى كرومر بأنه لا مانع من إطلاق حرية العمل للمصريين فى هذه المنطقة. حيث أن المسلمين فى مصر - كها يقول تقرير كرومر - فى اغلبهم مستنيرون ، واختلطوا بالأوروبيين من أزمان متطاولة ، ولهم الدراية بفكر الأور بيين وبأساليبهم . أما المنطقة الثانية فتشمل الجزء الشهالى من السودان حيث المجتمع مجتمع إسلامى ، رأى كرومر بأن أهل السودان الشهالى ليس فيهم طبقة من المثقفين كها هو الحال فى مصر ، وكلهم بعيد عن المدنية الغربية لا يؤمن بأساليبها ، ويضيف كرومر بأن الأهالى فى هذه المنطقة مؤهلين للثورة الدينية واتباع من يشير بها ـ ويرى كرومر أن النشاط التنصيرى فى هذه المنطقة غير مثمر ولكنه سيكون ذا أبعاد خطيرة للادارة البريطانية فى المنطقة بأسرها .

أما المنطقة الثالثة: فهى منطقة جنوب السودان، حيث السكان وثنيون لم يحتكوا بالمسيحيين إلا لماما، ولم تربطهم بالمسلمين في شهال السودان الا الذكريات غير الحميدة، كها يقول التقرير، فانه يمكن اطلاق النشاط التنصيري في تلك المنطقة البكر، وعلى الحكومة أن تعمل على مساعدة الإرساليات في تلك المنطقة بالذات (١٨).

وفي نفس العام الذي وقع فيه السودان في براثمن الاستعيار العالمي، بدأت القم، التنصيرية المختلفة تنشط في اتجاهه . أرسلت البعثة الأمريكية المنصّر واطسون الذي عمل في مجال التنصير في مصر ٣٨ عاما ، والمنصّر جفن الذي عمل عصر كذلك لمدة ١٨ عاما ، لذ بارة السودان وخطّ سياسة تنصيرية للأمريكيين في المنطقة ، وأكد الرجلان بعد الدراسة ، على ضرورة التنصير في الخرطوم وأم درمان والانطلاق بالعمل التنصيري من هنالك إلى الحشة ، التي سيسهل التنصير فيها لعلاقة كنيستها بالكنيسة المصرية (١١) غير أن قرار الحكومة الاستعبارية بعدم التنصير في شهال السودان عاق العمل في هذه الخطة . وبالرغم من احتجاج جفن لدى السكرتير الاداري لحكومة السودان على هذا القرار، وحجته أن النصاري من مستخدمي الحكومة الجديدة يحتاجون إلى الخدمات الكنسية (٢٠) ، إلا أن قرار حكومة السودان بقى ثابتاً . وانصاعت هذه الارسالية للتعلمات وبدأت العمل التنصيري في جنوب السودان . أما في الشيال فقد اكتفى التنصير الأمريكي باقامة المدارس واتخذت الارسالية الأمريكية لها مركزا في الخرطوم وشاركتها نفس المركز إرسالية التنصير الانجليزية (٢١) ، وافتتحت الارسالية الامريكية مركزا بأم درمان وثالث بعطبرة (٢٢) وقد مارست هذه المراكز التنصر الطبي « غير المعلن » إلى جانب الخدمات التعليمية . وسرعان ما انتشرت مدارس هذه البعثة في الخرطوم ، والخرطوم بحرى ، وأم درمان ، ووادى حلفا ، وبلغ عدد هذه المدارس فى عام ١٩٠٩ م ست مدارس؛ أربع منها للأولاد ، واثنتان للبنات (٢٣) .

ونجد في تقرير للورد كرومر (٢٤) في ١٩٠٦ م بأنه قد اتبح للارساليات المختلفة ان تقيم

المدارس فى الخرطوم ، ولمديرى هذه المدارس أن يختاروا من المناهج الدينية ما يشاءون ولكن على سلطات هذه المدارس إخطار أولياء الأمور الذين لا ينتمون الى الطوائف الدينية التى يدرس الدين على نهجها بنسق التعليم عندهم ونوعيته ، ويمكننا أن تنظر فى بعض قوانين تلك المدارس :

 ١ - يجب على رئيس كل مدرسة من مدارس الإرساليات أن يخطر ، قبل أن يقبل تلميذا من المسلمين ، ولى الأمر بأن المدرسة مدرسة مسيحية .

٢ ـ على رئيس المدرسة أن يحصل على موافقة صريحة من ولى الأمر قبل أن يدرج التلميذ ضمن الدارسين للعلوم الدينية على نسق تلك الطائفة ، وألا يحضر أى تلميذ الدروس الدينية الا بموافقة مسبقة من ولى الأمر.

 ٣ ـ للحاكم العام أو من ينوب عنه الحق فى أن يقوم بتفتيش تلك المدارس للتحقق من تقيد المدرسة بهذه السياسة ، وتعتبر مسئولية مدير المدرسة مباشرة فى المحافظة على تنفيذ السياسة .

وقد برر اللورد كرومر سياسته تلك بأن الحكومة تكفل الحرية الدينية للجميع ، وليس اغراض الحكومة البريطانية كها يقول كرومر أن تدعو الناس للانتقال من مذهب الى أخر، وتلك سياسة تنتهجها فى ممالكها وفى المهالك التى لها فيها شىء من السلطة (٢٥) . ونلمح تعاطف كرومر مع الكنيسة الأمريكية حين يشير فى نفس التقرير بأن المنصرين الأمريكيين يعملون على تدين الأهالى وتهذيبهم .

لم يجد الأمريكيون من حكومة السودان موافقة على التنصير المباشر في الشهال الذي خرج توا من ساحة الحكم الاسلامي إلى أتون الاستعبار ، ولهذا توجه جفن Giffon ومعه المدعب مكلوجين Meughlin وزوجته نحو الجنوب ووقع اختيارهم على تل دوليب التي لم تكن تبعد كثيرا عن التوفيقية موفأ البواخر النيلية ومركز الادارة الحكومية وأنشأوا بها مركزا تنصير يا (٢٦) يقول القس جفن (٣٠): « وقمنا بتشغيل عدد غير قليل من السكان الذين غالبا ما يترددون علينا من القرى المجاورة ، وكان هؤلاء يستخدمون في اعهال البنياء ، وزراعة القطن علينا من القرى المجاورة ، وكان هؤلاء يستخدمون في اعهال البنياء ، وزراعة القطن والحضروات مقابل أجر يومي قدره ثلاثة قروش ، وكان عليّ وماكلوجين أن نقوم بتوجيههم في جميع تلك الأعهال . وكان هذا الدرس العملي عما أكسبنا التصاقا بالوطنيين ، وأتاح لنا فرصة فرض نفوذنا عليهم ، وكان من المتعذر التعامل معهم بأية وسيلة أخرى ، وفي هذه الفترة

الوجيزة أخذ بعضهم رويدا رويدا يقدر مميزات وجودهم معنا ، ويعمل من أجلنا وبهذا نصل فى النهاية الى تلقيد مبادئ المسيحية وهو راض » كها بدأ الأمريكيون الطب التنصيرى ، وأخذوا فى علاج بعض رجال القبائل من الشلل والدينكا والأنواك والتوير (٢٨٨) .

وفى عام ١٩٠٤ م رسم كرومر وونجيت سياسة تنصيرية فى جنوب السودان ، وذلك بتقسيم السودان الجنوبي الى مناطق نفوذ تنصيرية ، ووقع التنصير الأمريكي بجوجب هذا القانون فى المنطقة التي تحد جنوبا بخط عرض ٥ شهالا وشرقا بالحدود السياسية مع الحبشة ، وغربا بحدود الارسالية البريطانية ، وكان هذا التقسيم هو الأساس الذى سار عليه نظام مناطق نفوذ الارساليات حتى ١٩٤٧ م ، ولم تطرأ على منطقة نفوذ التنصير الأمريكي إلا تغيرات طفيفة فى الحدود بين مناطق نفوذ الارساليتين فى ١٩٩٠ م حيث أجرى أوين مدير منقلا تعديلا طفيفا فى الحدود بين مناطق نفوذ الارساليتين الأمريكية والبريطانية بعد موافقتها . وبقتضى هذا التعديل أصبحت كل مديرية اعالى النيل داخل منطقة نفوذ الارسالية الأمريكية (٢٩) .

انصب هم الكنيسة الأمريكية في جنوب السودان على محاربة الاسلام ومعارضة انتشاره بين القبائل، وعملت الارسالية بشتى الصور والأساليب التي سنذكر نماذج منها، على استنصال اللغة العربية، وفصل جنوب السودان عن شهاله حتى لا يتأثر بالمؤثرات الاسلامية والعربية، ويشكل مغيرا للإسلام والعروبة الى جوف القارة، وكانت القضية الأولى هي التخلص من التجار السودانيين المسلمين الناطقين بالعربية، وحرمانهم من العمل في جنوب قطرهم، وقد أخذت مسألة التخلص من هؤلاء التجار أبعادا مختلفة؛ حيث أثيرت في مؤثر التنصير العالمي الذي عقد بأدنبره في ١٩٩٠ م وتشكلت لجنة خاصة لدراسة هذه المسألة كان واطسن رائد الإرسالية الأمريكية في منطقة نهر السوباط من أبرز أعضائها (٢٠٠). وخلصت الدراسة إلى وضع أفريقيا في المرحلة التالية للصين من حيث حاجتها الى ضرورة اتخاذ التجارة وسيلة ضررية لشر الانجيل بين شعوبها، وقد علق روبسن استاذ اللاهوت على نتيجة هذه ضررية لشر الانجيل بين شعوبها، وقد علق روبسن استاذ اللاهوت على نتيجة هذه الدراسة ، بأنها قد جاءت بناء على حقيقة ثابتة وهي :

 « إن تقدم التجار السلمين المستمر الى الجنوب على طول طرق التجارة المختلفة يهدد ، بأن تصبح أفريقيا الوثنية إسلامية أكثر منها مسيحية : ذلك أن كل تاجر مسلم هو فى شخصه داعية للاسلام (٣١) .

وأيًّا كان الأمر ، فإن ازدهار العمل التجاري للمنصرين الذي شهده العقد الأول من هذا

القرن في السودان وبخاصة على نهر سوباط الذي كانت تحتل التنصير فيه الارسالية الأمريكية قد أثار سخط التجار الشهاليين ، ودفعهم الى تقديم شكوى الى الحاكم العام جاء فيها: (٣٢) إن المنصرين العاملين على نهر سوباط قد اعتادوا استلام كميات كبيرة من الأبقار عن طريق المقايضة بالذرة مع القبائل التي تسكن المنطقة . إننا نستنكر المنافسة التجارية غير العادلة بيننا وبين المنصرين ، الذين يتلقون مساعدات هائلة من الحكومة وتخفيضات في النقــل النهرى والبرى .. إن هذا الاجراء سيؤدى الى إغلاق تلك المناطق أمام التجارة الشرعية . وكان لتلك الشكوى وقعها على الحكومة ، فأرسل الحاكم العام للسودان خطابا إلى المدير بات المعنية ذكر لمدير مها فيه « لقد بدت في الآونة الأخيرة ، مسألة رغية الارساليات التنصر بة في العمل في التجارة بصورة بارزة ، وإنه لمن الأهمية بمكان بالنسبة للمنصرين والحكومة عدم اتخاذ إجراء يتيح للمسلمين أدنى فرصة للتأكد مما بدا لهم امتيازات غير عادلة في التجارة التي تمارسها الارساليات والتي اعتبرها هؤلاء المسلمون تواطؤا من الحكومة .. إن مجرد وصول هذا الانطباع الى الخارج يترتب عليه إثارة تحامل المسلمين ضد النصاري والحكومة معاً. أما فها يتعلق بتخفيف العوز الحقيقي الناتج عن نقصان الذرة فان ذلك من اختصاصات الحكومة اذا ما عجز التجار أو أبدوا عدم رغبتهم في التغلب على الموقف » . وفي نهاية الخطاب أبدى الحاكم العام ثقته من انه إذا تم توضيح هذه الاعتبارات للإرساليات فانهم سيعطونها التأييد الكامل. ويبدو أن الاقناع لم يشمر فأصدرت حكومة السودان في ١٩١٢ م قانونا يحرم على المنصرين التعامل في التجارة الا ما كان من أمر تسويق منتجات النشاط التنصيري في الزراعة والحرف الأخرى عن طريق المقايضة مع الأهالي للحصول على متطلباتهم الضرورية ، أو لدفع أجور العاملين في مراكز التنصير (٢٢).

وانبرت الارسالية الأمريكية لمعارضة المرضوع: حيث عقد واطسن وجفن اجتهاعا مع الحاكم العام للسودان لمناقشة هذا القانون . رأى واطسون « ان الحدف من اشتغال المنصرين بالتجارة ما هو الا لمقاومة انتشار الاسلام ؛ لأن التجارب قد أثبتت بلا أدنى شك أن التجار المسلمين يقتفون أثر كل أمة بيضاء تفتح إقليا جديدًا في افريقيا وأنه قد ظهرت فكرة إقامة مراكز التنصير عبر القارة الافريقية حتى نيجيريا ، غير أن هذا الأمر قد أعيق بفضل التجار المسلمين الذين يتجولون بحكم طبيعة عملهم وسط السكان ، ومن ثم أصبحت المسألة التي يجب الاقرار بها هي انشاء وسائل مثل تلك الرحلات يقوم بها المنصرون لنقل المسيحية الى

الوطنيين بنفس الاسلوب. ورفض ونجيت التراجع عن القانون لأنه كيا قال ، ومهها كان شعرره الشخصى وعطفه العميق تجاه تنصير السودان ، فانه بحكم وظيفته كسردار للحكومة المصرية ، ونسبة للعلاقات بين مصر والسودان ، فانه من المتعذر عليه ان يتخذ موقفا عدائيا صريحا او سريا ضد المسلمين ، لأنه إذا ما حاول هذا فان نفوذه سينتهى ، وسيفقد ثقة كل مسلم في حكومته التي سيتقوض صرحها ، ونبه ونجيت الى أن السبب الرئيسي في عدم معاداته للمسلمين: هو ان كل الفرق العسكرية التي تعتمد عليها الحكومة البريطانية في إدارتها في جنوب السودان هي فرق مسلمة . ورأى ونجيت في ذلك الاجتاع بأن السبيل الأمثل لمحاربة الاسلام في جنوب السودان يكمن في مجال التنصير العلاجي الذي ليس للمسلمين فيه باع ولن ينافس احد من المسلمين المنصرين فيه ، وشجب ونجيت عمل المنصرين بالتجارة في المنطقة ينافر واطسون لما حدث في الصين عام ١٩٠٠ م حين ظهرت الحركة المعادية للمنصرين والأجانب المعروفة باسم بوكسر Boxerوذلك لاشتغال المنصرين بالتجارة (٢٠٠).

ولم يقتنع واطسون برأى الحاكم العام ولجأ الى التأثير على ونجيت عن طريق جمعية التنصير للكنيسة البريطانية ، وكتب واطسون اليها يطلب أن تستعمل نفوذها للضغط على الحكومة لاعادة النظر في قرار منع المنصرين من الاشتغال بالتجارة ، وإعادة فتح مخازن الذرة التي تم إغلاقها . ولم ينجح واطسون في محاولاته .

واستمرت هذه السياسة سارية المفعول حتى أعادت الإدارة البريطانية فى السودان النظر فيها بعد التطورات التى حدثت فى مصر فى ١٩١٩ ، والسودان فى ١٩٢٤م ، والتى جعلت وقوف المستعمر ضد امتداد الثورة للجنوب شيئا لازما .

تبنى مدير مأديرية اعالى النيل _ ويبدو أنه كان مدفوعا لذلك بالارسالية الأمريكية التى تحتكر التنصير في مديريته _ مسألة اشتغال المنصرين بالتجارة ، لأن اشتغال المنصرين بالتجارة سيكون خطوة مفيدة لابعاد تجار السودان الشيالى المسلمين عن جنوب السودان ، وأن مراكز التنصير ستكون البديل العملى لنشاطهم :

ولا يمكننا بالطبع الخوض تفصيليا (٢٠) في هذه الأمور ولا في مراسلاتها التي دارت والتي انتهت بإصرار المستعمر على عدم الزج بالمنصرين في التجارة « فالمنصرون أوروبيون، والحفاظ على هببة الأوروبي وسط الأفارقة لازمة » ولكننا نشير الى تقلص وجود الشهاليين في الجنوب بالرغم من أن ظروف الحرب العالمية الثانية ، وحاجة القوات البريطانية الحليفة في

منطقة الشرق الأوسط للحوم قد دفعت بالحكومة الى منح تراخيص للتجار الشهاليين لسد النقص في اللحوم من منطقة القبائل النيلية الغنية بالأبقار.

٥ وادى النيل في مؤتمرات التنصير الأولى ٥

شهد العقد الأول من القرن العشرين حركة نشطة من السلطات التنصيرية لدراسة التنصير وتقدمه في البلاد العربية وتقييمه ومواجهة الزحف الاسلامي الى قلب القارة ، فبالإضافة الى مؤتر ادنبره عام ١٩٠٠ م ، السابق الذكر : هنالك مؤتر القاهرة عام ١٩٠١ م ، اللاضافة الى مؤترات أخرى عقدت في السودان في ١٩١٧ م ومؤتر الوراد السودانية الكنغولية في ١٩٧٤ م ومؤتر أبا على الحدود السودانية الكنغولية في ١٩٧٤ م ومؤتر أبا على الحدود السودانية الكنغولية في ١٩٧٨ ومؤتر الرجاف « السودان « ١٩٧٨ ، ويمكن ان ننظر بايجاز في دور الارساليات الأمريكية في هذه المؤترات .

ترجع فكرة عقد مؤتر القاهرة ١٩٠٦ ، إلى القس الأمريكي صمويل زوير، الذى كان وقتها يعمل في إرساليات الخليج العربى الأمريكية للتنصير ، وعن زوير لمناقشة شئون التنصير في المنطقة العربية ، والصعوبات التي تواجهه ، والنظر في إمكانية تجنب الأخطاء العديدة التي وقع فيها المنصر ون الأمريكيون ، والنظر في أمثل السبل لجر أكبر عدد من المسلمين الى حظيرة الكتيسة (٣) انعقد هذا المؤتر في القاهرة في الفترة من ٤ ـ ٩ ابريل ١٩٠٦ م وظلت جلساته سرية مغلقة . وقد اختير زوير لرئاسة هذا المؤتر وكان عدد المنصرين الامريكيين الذين شهدوا المؤتر ٢١ مندوبا ، بينا لم يزد عدد مندوبي الارساليات الانجليزية عن خمسة ، أما الارساليات الأخرى فلم يصل عدد مندوبي الإرساليات الانجليزية عن خمسة ، أما الانجليزية ، ولم يكن لها وجود فعال . وقد نوقشت في هذا المؤتر عدة مسائل خاصة بالتنصير في أرساط المسلمين ، كُما تبودلت المعلومات المختلفة عن مناطق كثيرة أن العالم الاسلامي ونوقشت في المؤتر السبل المتبعة في التنصير . وتحدثت الدكتورة أن وطسن (٣١) عن تجرية الارسالية الأمريكية الطبية في طنطا ، وكيف انها تعاملت مع الكثير من المسلمين في طنطا الاماكن القريبة منها ، وعن خطة العمل التنصيرى في تلك المستشفى ، تقول الدكتورة أن ولاماكن القريبة منها ، وعن خطة العمل التنصيرى في تلك المستشفى ، تقول الدكتورة أن وليس المدين في طنطا

آن واطسون: انهم يذكرون بعض تعاليم الانجيل بأساليب ليس فيها تطرف ولا تقود الى نقاش ساخن ، كيا أفادت واطسون أنهم يقومون بزيارة بعض القرى في المنطقة في رحلات علاجية ، انهم يجدون في القرى الحفاوة والترحاب ، وانتهى هذا المؤتر وصيغت مداولاته وقراراته وضمنت في كتاب لم يسمح بتداوله الا بين المنصرين وأصدقائهم (۲۸).

أما مؤتم ادنبره فقد اهتم - كما سبق أن ذكرنا - بمحاربة اللغة العربية وانتشار الإسلام فى افريقيا . وقد قرر المؤتم وجوب التخلص من الوجود الاسلامى والعربى فى جنوب السودان ، ولما كان الجنود السودانيون العاملون فى الجنوب من المسلمين كان البديل الذى قدمه واطسون المنصر الأمريكي وأحد أعضاء ذلك المؤتم والمنفذ لقراراته فى السودان ، هو تجنيد « الوثنيين » ليحلّوا على الجنود الشهاليين المسلمين فى جنوب السودان (٢٠١) ، وتبنت حكومة السودان هذا الاقتراح ، وتألفت ما عرف بالفرقة الاستوائية التي رأى فيها وينجيت أنها قوة أفريقية تستطيع الوقوف فى وجه أى تحرك عربى اسلامى فى السودان الجنوبي ، وبخاصة وأن المسئولين عن الأمن فيه ها الجنود الشهاليون الذين لا يمكن الركون إلى ولائهم إذا ما طلب منهم قمع إخوانهم فى الدين .

والجدير بالذكر أن الفرقة الاستوائية التى تشبعت بفكر المنصرين الداعسى الى محاربة الاسلام والعروبة تمردت على الحكومة المركزية « اغسطس ١٩٥٥ » غداة استقلال السودان ودفع السودان مهراً غاليا من دم أبنائه للمحافظة على وحدة ترابه . وشكلت تلك الحادثة بداية سلسلة من المشاكل الدموية والاضطرابات التى عانى منها السودان شهاله وجنوبه .

وفى ١٩١٧، عقد مؤتر فى السودان (١٠) حضره ممثل عن كل من الإرساليتين البريطانية والأمريكية ومندوبين عن مصلحة التربية والاستخبارات الحربية لبحث مسألة فرض اللغة الانجليزية كلغة للتعليم فى الجنوب ومحاربة اللغة العربية . كها عقد فى اكتوبر ١٩١٨، مؤتر لغوى آخر فى أروا لدراسة نفس الموضوع، حضره ممثلو عدد من الارساليات منها الارسالية الأمريكية . وفى مارس ١٩٢٤، عقد مؤتر آخر فى آبا اشتركت فيه نفس الارساليات السابقة . وكان آخر المؤترات اللغوية التى عقدتها مجموعة الارساليات الناطقة بالانجليزية هو مؤتمر الرجاف المغوى الذى عقد بمديرية منقلا «السودان» فى أبريل ١٩٢٨، وكان للارسالية الأمريكية فى المركز الذى أقامته فى الناصر (١٤) « ١٩١٢» واعترفت به حكومة السودان الأمريكيون جهودا كبيرة

لدراسة قواعد لغة قبائل الشلك وجمعوا ما بين ١٧٠٠ و ٢٠٠٠ من كلهاتهاودرسوا من خلالها قواعدها وتراكيبها ووضعوا لها قاموسا بل ترجموا اليها . وفي هذا لا يفوتنا أن نذكر جهود المنصر الالماني وشترمان Mestermann الذي كان منصرا في غرب أفريقيا ، ثم آوى الى بلاده ليقوم بالتدريس في جامعة برلين . أوفدت جامعة برلين وسترمان لدراسة لغة الأهالي في بلاد النوبة ، وعندما علم مجلس الكنيسة الأمريكية بذلك قدم له الدعوة لزيارة منطقة السوباط لدراسة لغة الشلك ، ووضع وسترمان مختصرا لقواعد تلك اللغة وقاموسا ، وكتابا صغيرا للصلاة ، « بالشلكية » وساعدت جمعية اصدقاء الانجيل الامريكية في طبع الكتاب المقدس بلغة شلك (١٤) .

وظلت الارسالية الامريكية طوال فترة الحكم البريطاني تعمل من مركزين رئيسين في تل دوليب والناصر ، بالاضافة الى عدة مراكز صغيرة ، وإلى بعض المؤسسات الطبية والتعليمية في مناطق متفرقة من جنوب السودان ، وبعض المناطق في شهال السودان مثل الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحرى والجريف وعطيرة . وتوجت الارسالية الامريكية جهودها التعليمية في وادى النيل بانشاء الجامعة الأمريكية في القاهرة في عام ١٩٧٩ ، وذلك لمعارضة تأثير الجامع الأزهر الذي كان كيا وصفه واطسون « ذو تأثير خطير في العالم العربي ، وان شهادة منه توازى عند العرب شهادة الدكتوراه من اكسفورد ، أو باريس ، أو هارفارد (٢٤٠) وأراد واطسون أن يؤثر بتلك الجامعة على مصر التي هي بحكم موقعها ، ولغتها العربية وتأثيرها الثقافي في المنطقة بتلك الجامعة على مصر التي هي بحكم موقعها ، ولغتها أكثر من مليون نسخة في السنة العربية وبما يصدر فيها من صحف ومجلات كانت تبلغ وقتها أكثر من مليون نسخة في السنة مركز اشعاع بجب التحكم فيه .

معارضة التنصير:

ربما ظهر التأثير الأمريكي المباشر في الشنون السياسية في وادى النيل وفي مصر بصفة خاصة خلال الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها . كانت الدعوة في امريكا التي عبر عنها المؤرخ الاستراتيجي ماهان منذ ١٨٩٤ م بأن على أمريكا أن تطرح عنها عزلتها التي ناسبت طفولتها وأن تنطلق لتضطلع بدورها المحتوم في خدمة أهداف التمدن . وفي هذه الفترة كان الرأي العام الأمريكي ، رغم إحساسه بالمنافسة مع بريطانيا ، يدرك كما يقول الكاتب دالاس

عمق ارتباطه المشترك عنصرا ولغة مع بريطانيا وتشابه الغايات والتطلعات والطموح والآمال . وكان من رأى روزفلت الذى أصبح فيا بعد رئيسا للولايات المتحدة الامريكية بأن « السلام لن يكون إلها إلا إذا جاء والسيف فى يده » وان على الولايات المتحدة أن تلعب دورها فى السياسة العالمية . دعا روزفلت الى تطوير قوة الاسطول . فالدبلوماسى - كها رأى روزفلت _ فى خدمة الجندى وليس العكس . وعندما اصبح روزفلت مساعدا لوزير الاسطول فى الولايات المتحدة الأمريكية قبيل نهاية القرن التاسع عشر عمل على تحقيق أفكار ماهان وتطلعاته .

عملت الارساليات الأمريكية في مصر والسودان وراء دثار السلطة البريطانية القنصلية أولا ، ثم سلطة الاحتلال بعد ذلك ، وبعد الحرب الأولى غدا هذا الدثار كثيفا؛ حتى حاول المجلس العالمي للارساليات التأثير على الحكومة المصرية لإقرار الحرية الدينية المطلقة في المسلمين المسلمين المسلمين وكفالة حق الأرث هم بالدستور . وقد رفع واطسون مدير الجامعة الأمريكية في المرتدين ، وكفالة حق الأرث هم بالدستور . ومع أن المادة (١٢) من الدستور المصرى كفلت القاهرة الى اللورد إللنبي مذكرة بهذا المعنى . ومع أن المادة (١٢) من الدستور المصرى كفلت الحرية المطلقة للعبادات؛ إلا أن مجلس الارساليات في مصر جهيد في سعيه للحصول على ضمانات دستورية لتنصير المسلمين الولم تكن السلطات البريطانية راضية عن تلك السياسة في اذ جاء تعليق من احد موظفى الخارجية البريطانية على التاس مماثل لمجلس الكنائس في عام ١٩٣٠ « بأن العلاج العملي الوحيد هو التدرج نحو الخلاص من النصوص الاسلامية في الدستور المصرى ، وهو تقدم قد بدأ بالفعل وسوف يستمر عن طريق مؤثرات الحياة الفردية ، وتأثيرات المغرب على الشرق ، وانه يشك في أن التدخل الأوروبي سوف يزيد من سرعة هذا التقدم » (ه)).

ولا نستطيع تتبع المعارضة الاسلامية والقبطية فى مصر للنشاط الارسالى الأمريكى : غير ان النشاط الاسلامى فى وادى النيل لمعارضة التنصير على إطلاقه كان مؤثرا منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن . وقد قامت تظاهرات متعددة فى شيرا والأزبكية وميدان الأوبرا ومنهور وكفرالزيات والزقازيق وغيرها ، وكانت استهادة الاسلمية هى هتاف المتظاهرين .

كها قامت فى مصر جماعة الدفاع عن الاسلام برئاسة الشيخ الجليل محمد مصطفى المراغى وعضوية بعض الصحفيين والبرلمانيين ، وكان هدف الهيئة المادة الثانية من قانونها .. « مقاومة التنصير بجميع الوسائل المشروعة التي يهدى اليها الاسلام والعلم ، ومساعدة الفقراء والبتامي المسلمين وتشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة ». واتسع نشاط الجهاعة وأصدرت نداءات متعددة لمقاطعة مدارس الارساليات ، كها قدمت هذه الجهاعة التاسا للملك والحكومة لدرء خطر المنصرين في البلاد .

وقام الأزهر بدوره بالذود عن الدين حتى أن رجاله تعرضوا فى ١٧ سبتمبر ١٩٣١ ، الى فصل نيف وسبعين عللا من عليائه ، وذلك لمعارضتهم للتنصير وامتد نشاط جاعة الدفاع عن الاسلام الى السودان (٢٠٠) . وحيث ان الحكومة البريطانية لم تتجرأ بالتصديق للإرساليات فى العمل فى شهال السودان ، كها سبق الذكر ، كان اهتام هذه الجمعية بجنوب السودان كبيرا،حيث طلب الشيخ المراغى الى حكومة السودان أن تصدر بيانا تؤكد فيه عدم معارضتها إرسال بعثات اسلامية الى جنوب السودان ، والتصديق بانشاء معهد دينى فى جوبا .

أما في السودان فقد قدم رئيس مؤقر الخريجين في ٣ ابريل ١٩٤٢ م الى حكومة الاحتلال مذكرة تشجب « السياسة الجنوبية » وتطالب بإلغاء الاعانات التي تدفع لمدارس الارساليات « كانت الارسالية الأمريكية تفوز بنصيب كبير من الدعم الحكومي » ، كيا طالبت هذه المذكرة بتوحيد مناهج التعليم بين الشيال والجنوب . ونجم عن المحاولات المصرية السودانية المشتركة والفردية أن اصدرت حكومة السودان في اكتوبر ١٩٤٧ بيانا بسياستها الجديدة تجاه الارساليات تضمن حق المسلمين في الدعوة بجنوب السودان سواء بسواء مع المنصرين الارساليات المختلفة أمريكية وغيرها ، ومن النصاري (١٩٤٧) وواجه البيان معارضة شديدة من الإرساليات المختلفة أمريكية وغيرها ، ومن بعض مديري المديريات وظل البيان حبرا على ورق حتى كان استقلال السودان في ١٩٥٦ .

استمر في مصر الضغط من مجلس الارساليات لتغيير الدستور المصرى لوضع نصوص واضحة فيه تحمى المتنصرين المرتدين من المسلمين . وفي المباحثات التمهيدية لاتفاقية الاسمامين . وفي المباحثات التمهيدية لاتفاقية ذلك المدف ، ورفضت الحكومة البريطانية العمل في هذا الاتجاء الذي لا يريده المصريون المسلمون، ولا الأقباط الذين يخشون من مسألة الحرية الدينية المطلقة مما قد يترتب عليه نتائج عكسية لكنيستهم . وردت الخارجية البريطانية على مجلس الارساليات في مصر بأنه ليس من العدل اتخاذ أي إجراء قد يؤدي إلى مخاطر جسيمة للنصارى في سبيل أفراد قلة من المرتدين عن الإسلام . ولم يسفر الضغط عن شيء ما .

التنصير الثقافي :

لم يقتصر النشاط الامريكى فى وادى النيل على التنصير بكافة أنواعه التقليدية ، إغا تعدى هذا الى جوانب ثقافية منها : التنقيب عن الآثار . ولا نستطيع بالضبط أن نقر الدوافع التى حملت الأمريكيين الى هذا الاتجاه : إلا أننا نرجح بأن حضارة وادى النيل قد طارت سمعتها الى ذلك المجتمع الحديث الجذور فسعى لتأكيد ذاته بالكشف عن تلك الحضارة وإقامة المتاحف لها فى أرجاء الولايات المتحدة الامريكية : ليثير اهتماما شعبيا بوادى النيل والشرق بعامة ، كها يمكننا أن نضيف بأن الحفريات كانت تستفز تفكير المسلمين فى ذلك الوقت « ولا نقكر الفكر الاسلامي الداعى الى المعرفة » .

هُرع علياء الآثار الأمريكان الى تأكيد الذاتية الإقليمية التى شجبتها الأخوة الاسلامية حين أكدوا قدم الذاتية الاقليمية وأبانوا بأن لكل منطقة حضارتها المستقلة التى تنازع الأخرى شموخها وأصالتها . ولعل الجدل الذى أثاره رايزنر الأمريكى حين أزاح التراب عن بعض حضارة كوش السودانية فى كرمه والذى قصد به نفى كل علاقة فى التاريخ القديم لوادى النيل شهاله وجنوبه لا يزال شغل مؤرخى تاريخ الحضارات السودانية حتى اليوم (١٨٨).

بدأت أولى محاولات التنقيب الأمريكي في مصر في أحضان سلطات الاحتلال البريطاني . تأسس في لندن في ۱۸۸۲ م صندوق الحفريات المصرية Egypt Exploration Fund وفي العالم التالى مباشرة تم افتتاح فرع له في بوسطن . وزاد نشاط هذا الفرع حتى تم في عام ١٩٩١ اختيار أحد الاساتذة الأمريكيين عضوا للجنة التنفيذية للصندوق . وتشير المصادر الأمريكية أنها جمعت للصندوق في الفترة منذ ۱۸۸۳ حتى ١٩٠٢ اكثر من ١٢٦ الف دولار (٢٠٠)

كان هناك اهتام من جامعة بنسلفانيا في مجال الاثريات منذ عام ١٨٥٦ ولكنه لم يثمر شيئا حيث لم تكن البلاد قد وقعت بعد في براثن لاحتلال البريطاني ، وقد بدأت أهم أعال الأثريين الأمريكيين منذ عام ١٨٥٩ : حين أرسلت جامعة كاليفورنيا للتنقيب عن الآثار في جنوب مصر، وقد استمر عملها هنالك ثلاث سنوات ، وعملت هذه البعثة بعد ذلك في منطقة أهرامات الجيزة وشارك في هذا النشاط جامعة هارفرد ومتحف بوسطن في ١٩٠٥ . وفي ١٩٠٦ ، شارك متحف المترو بوليان في نيويورك في أعال البحث والتنقيب في مصر وقام بنشر عدد من شارك متحف المترو بوليان في نيويورك في أعال البحث والتنقيب في مصر وقام بنشر عدد من الصور والرسومات عن تاريخ مصر القديم (١٥٠) ، وافتتح في هذه السنة قسا للمصريات به



وأصاب الأثرى الأمريكى رايزنر كشفا عظيا حين عشر على قبر الملكة « تى » فى مدافن (٢٥) طيبة ، وكان من أوائل القبور التى وجدت بها حلى وأدوات أخرى بديعة الصنع عظيمة القيمة

وشارك الأثريون الامريكيون فى مؤتمر الآثار الدولى الذى عقد فى الاسكندرية فى ١٩٠٨ . وقد كان لهذا المؤتمر نتائج علمية هامة (٤٤) .

وفى السودان نشطت البعثات الامريكية فى مجال التنقيب عن الآثار منذ عام ١٩٠٩. وقد تمكنت هذه البعثات خلال أربع سنوات من العمل أن تكشف عن مواقع أثرية هامة فى كرمة وفى مروى،وكذلك العثور على آثار عديدة وهامة فى مناطق متفرقة من شهال السودان (٥٥٠).

لعب التنصير الامريكي دورا ثقافيا كبيرا : حيث عمّق الشعور بالاقليمية وجهد في حرب اللغة العربية في جنوب السودان ، ووقف وقفة جادة دون انتشارها حتى لا يمتد تأثيرها الى داخلية أفريقيا لتبقى تلك المناطق بمنأى عن العروبة والإسلام ، غير أن التنصير الأمريكي لم يفلح أبدا في اجتذاب مسلمي وادي النيل : شأنه شأن كل تنصير لأية دولة نصرانية أخرى ؛ ولكنه أصاب قسطاً قليلا من النجاح بين أقباط مصر وحظاً أوفر بين الوثنيين في جنوب السودان .





٥ الهوامش ٥

Field, James, A., America and The Mediterranean World 1776-1882 Princeton, 1968) P.58. (\)

- (٢) الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد اسباعيل باشا ص ٢٣١ .
- Watson, C. Roger, In The Valley Of The Nile, A survey Of The Missionary Movement In Egypt (N.Y., (Y) 1998) PP. 412/413.
 - Wright, L.C., United States Policy Towards Egypt 1830-1910 (N.Y., 1969)PP.146-147. (2)
 - (٥) سعد مرسى احمد وسعيد اسهاعيل على ، تاريخ التربية في مصر « القاهرة ، ١٩٧١ » ص ٢٦١ .
 - (٦) جرجس سلامة ، تاريخ التعليم الاجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين (القاهرة) ص ٤٨
 - (٧) احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في مصر « القاهرة ، ١٩٣٨ » ص ١٩٣٨ .
- (A) كانت جملة مدارسها احدى عشرة مدرسة راجع: كشف احصاد الموجودين بالمدارس العمومية والخصوصية بالقطر المصرى لعام ١٩٠٨/١٩٠٧ ادارة عموم الاحصاء ، نظارة المالية ، ص ٢٨ .
- Dunne, J.H., A Introduction to the History Of Education In Modern Egypt, (London, 1938) P.410. (1)
 Wright, L., C., Op. Cit., P.144.
- (۱۱) العلاقات الثقافية للولايات المتحدة بحصر في القرن التاسع عشر بحث غير منشور ، معهد البحوث والدراسات العربية الفاهرة .
 - (۱۲) جرجس سلامة ، مرجع سبق ذكره ، ص ۱۸ ,
 - (١٣) كشف احصاء التلامذة الموجودين بالمدارس العمومية والخصوصية بالقطر المصرى ١٩٠٨/١٩٠٧ ص. ٢٨.
- (١٤) الاحصاء السنوى العام للقطر المصرى لسنة ١٩١٦ نشره حرف « هـ » تمرة ٨ وزارة المالية ومصلحة عموم الاحصاء ص. ٢٧ ؟
 - (١٥) تعداد سكان القطر المصرى لعام ١٩١٧ . جـ ٢ ، الحكومة المصرية ، وزارة المالية ص ٩٧٥ .
 - (١٦) احصاء المكاتب والمدارس للقطر المصرى ١٩١٥/١٩١٤ ، ص ١٦٢ .
 - (۱۷) جرجس سلامة مرجع سبق ذكره ص ۱۹۷ .
- أ ٢٩٨) راجع نص الوثيقة فى : ابراهيم عكاشة على ، التبشير الديني فى جنوب السودان رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة فى ١٩٧٨ ــ ملحق رقيهدا» .
 - Giffen, C.R., The Egyptian Sudan (London, 1905) P. 56. (14)
 - Watson C.R., The Sorrow And Hope Of The Egyptian Sudan (London, 1905) P.123. (Y-)
 - (٢١) تقرير السيرالدن غُورست لعام ١٩٠٧ . ص ٩١ .
 - (۲۲) تقریر السیرالدن غورست لعام ۱۹۱۰ ، ص ۱۲۸ .

- (٢٣) تقرير السيرالدن فورست لعام ١٩٠٩ ، ص ١٠٢ .
 - (٢٤) تقرير اللورد كرومر لعام ١٩٠٦ ، ص ٢٢٨ .
 - (٢٥) تقرير اللورد كرومر لعام ١٩٠٤ ، ص ٢٢٤ .
- (٢٦) ابرهيم عكاشة على مرجع سبق ذكره ص ٥٤ _ ٥٨ .
 - Giffen, C.R., Op. Cit., P. 58 (YY)
- (٢٨) تقرير السيرالدن غورست لعام ١٩٠٩ ص ١٠٣/١٠٢ .
- (٢٩) ابراهيم عكاشة على ، مرجع سبق ذكره ص ٥٨ _ ٦١
 - (٣٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٣ .
 - Watson, C.R., Op. Cit., P. 118. (71)
 - (٣٢) ابراهيم عكاشة على ، ص ٩٥
 - (۳۳) ناس المرجع السابق ، ص ۹۳ ـ ۹۰۱ .
 - (٣٤) نفس المرجع السابق ، ص ٩٨ .
 - (٣٥) للتقصيل راجع: نفس المرجع السابق كله.
- (٣٦) مؤقر القاهرة ١٩٠٦ ، الغارة على العالم الاسلامي ، المؤيد في ١٩٢١/٤/٢١ .
 - Methods Of Missionary Work Among Muslims, PP.8-11. (TV)
 - Ipid,P.109 (TA)
 - (٣٩) ابراهیم عکاشة علی ، مرجع سبق ذکره ص ١٠٥ .
 - (٤٠) نفس المرجع السابق ص ١٩٣.
 - (٤١) نفس المرجع السابق ص ١١٤.
 - Watson, C.R., The Sorrow And Hope, P.134, (£Y)
 - Op. Cit., P.33-35, (£7)
 - Op. Cit., P.33-35 (££)
 - (٤٥) ابراهيم عكاشة على ، مرجع سيق ذكره ص ٢٤٩/٢٤٨ .
 - (٤٦) نفس المرجع السابق ص ٢٥٢/٢٥١ .
 - (٤٧) نفس المرجع السابق ، ص ۲۵۸ ـ ۲٦١ .
- (٤٨) راجع : عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، تاريخ الحضارات السودانية القديمة « القاهرة ١٩٧٠ » ص ١٦٨ ـ ١٨٠ .
 - Wright, L.C., Op. Cit., PP.230-231, (£4)
 - Brinton, U. J.Y., The Mixed Courts Of Egypt, (New Haven 1930) P.30. (6.)
 - Wright, L,C., Op. cit., P.285. (01)
 - Jakh Ernest, Background Of The Middle East, PP.212-213. (6Y)
 - (٥٥) تقرير السرر ألدن غورست عن المالية والادارة العمومية في مصر والسودان سنة ١٩٠٧ ص ٤١.
 - (٤٤) تقرير السير الدن غورست لعام ١٩٠٩ ص ٤١ .
 - (٥٥) تقرير كتشنر عن الادارة والمالية والحالة العمومية في مصم والسودان ١٩١٣ ص ١٣٤.

أيهجرني قومي..

عَفَاالله عَنهُ مُ ؟ إ...

بقلم : الأستاذ عبد الله حمد الحقيل

اللغة

العربية لغة القرآن والسنة . يتجسد فيها البيان العذب المشرق الجميل . والمعنى الرائع البديع المورق . وتبرز فيها البلاغة والفصاحة . وسهاها القرآن الكربم « اللسان العربى

المبين » ولكم بذل الشعوبيون والمستعمرون وأعداء الإسلام الجهود المتواصلة لمحاربة اللغة العربية وتنفير الأمة العربية من لغتها والتأثير عليها ، وإيهامها بأن اللغة العربية ليست من اللغات العالمية الحية : ولذا نجد البعض قد انساق وراء هذه الكلمات متأثرا بها . ولقد قيل من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه استخف بتراث أمته واستهان بخصائصها ..

وتحن حينا ندعو دائما للحفاظ على اللغة العربية والاهتام بترائها : فليس معنى ذلك أننا لا نريدها أن نساير العصر والعلم ، وبخاصة وأنها لغة معطاء . فقد أعطت الكثير ، فمن بعراً قواميس اللغة العربية يدرك عظمتها وتألفها وازهارها وسعتها وشمولها ، ومن تلك الكتب على سبيل المثال :

١ ـ تاج العروس للزبيدي .

٢ ــ لسان العرب لابن منظور .

٣ ـ الصحاح للجوهري .

٤ ــ القاموس المحيط للفيروز ابادى

المصباح المثير للفيوس .
 معجم فن اللفة لأحد رضا .
 أساس البلاغة للزئمشر ى .
 ۸ ـ دقائق المربية لأمين ناصر الدين .

وغيرها من أمهات الكتب والمعاجم والقواميس. ولا صحة لما يقال بعدم قدرتها على التفاعل والتطور السريع.

إن الواجب علينا نشر لغتنا لنرجع لها سيرتها الأولى : أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية . وهى اليوم فادرة على استيعاب المعرفة بوسائلها المتنوعة ..

ولعل نما يؤسف له شيوع الكنير من الأسباء والمصطلحات والمسمّيات الأجنبية بيننا اليوم فى هذه الدبار النى هى المهد الأول الذى ولدت فيه اللغة العربية وشب البيان العربى الفصيح فيها ، وهى المثانة التى تهوى إليها الأفندة وتتعلق بها القلوب والأبصار . وإذا كانت كل أمة تعتز بلغتها وبتراتها وأرضها ؛ فأولى بنا الحفاظ على لغتنا وفاء لها واعتزازاً بتاريخنا وتراتنا الذى ترتكز عليه شخصيتنا . إننا نمر بجراحل نمو وتطور حضارى تشهدها بلادنا اليوم ، وتبعا لذلك كثر الوافدون إلى هذه الديار من شتى الأجناس ومن مختلف الأمم ، فصرنا نسمع كلهات أعجمية كتبرة تتدفيق علينا باستمرار . ولعل نما يجز في النفس أن تسمع من بعض أساتذة العلوم كلهات توحى بأن اللغة العوبية غير قادرة على استيماب المصطلحات العلمية الحديثة . ولعل مرد ذلك القول إلى جهل بعضهم بقواعد اللغة وأسرارها ومواطن قوتها ومكامن حيو يتها إلى جانب عدم الثقة بكفايتها .. ورحم ألله القائل :

وسعــتُ كتــابِ الله لفظاً وغاية ومـا ضقـت عن أى به وعظات

وأعتقد جازيا أن اللغة العربية قادرة على استيماس تلك المصطلحات ؛ فاللسان العربي غير قاصر عن إيجاد أسلم لتلك المسميات والمصطلحات وإيجاد الألفاظ العربية أو المعربة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة ...

انُ الكتير من كتابنا وبعض أساتذة الجلمعات والمدارس في عالمنا العربي لا يحفلون بلغتهم ، ونجد أن حماسهم لها فاتر وصلتهم بها ضعيفة ومتراخية ولعل ذلك يعود إلى أن الكثير منهم درس معظم العلوم بلغات أجنبية فأصبحت الهوة بعيدة بيئه وبين لغته العربية ..

إن قضية اللغة قضية حيوية في أصلها وجوهرهاءإذ تتصل بديننا وتراتنا وحياتنا ومستقبلنا وبناء أجيالنا وربطهم بجذورها وإشعارهم بأهمية اللغة العربية والحفاظ عليها ..

وكل ذلك يستدعى جهداً علمياً صادقاً متواصلا لتصفية اللغة نما علق بها من الشوائب والكليات الدخيلة التى غزتها فى كل وسائل الحياة .. (وبهذه المناسبة أورد بعض الكليات التى صارت شائعة على الألسنة و نطقها أبناء الضاد بكل سر وسهولة ومنها على سبيل المثال :

چکت -	A Mari	أونيل	بررفة	براهو
کاش	ا زادان	بلسكوب	رادو 😁	تلفزيون
ا انکل	lele	مشام	l _{im}	الفته
إصالون ا	جار وب		جلتانان	طلت
كوانتر	بای ـ یای	أوكسخين		انترفير
بيه	والرسنور	" فيلم	ميكر رفيلم	ميكزفون
شبك	بنظلون	- igua	ووجراه	- Megani
فوتنة	هر بزور عر بزور	الجريفانة المسالة	-	روف جارتن
أركى	مؤتور	تونيد	گفرات	ماللو

ورحم المله حافظ إبراهيم الذى قال : عندما رأى البعض من العرب منصرفين عن اللغة ، ورأى تحولهم عنها ولهنجامهم بغيرها .. وحينا تحدث على لسان اللغة العربية وهى تندب حظها بين أبنائها : وناديت قومسى فاحتسبت حياتي عقمست فلم أجسزع لقسول عداتي رجالا وأكفاء وأدت وما ضقت عن أي به وعظات اسياء لمخترعات وتنسيت فهيل سألبوا الغيواص عن صدفاتي ومنكم وإن عزِّ الدواء أساتي أخاف عليكم أن تحسين وفاتي وكم عزّ أقسوام بعسز لغات فياليتكم تأتسون بالكليات ينادى بوأدى في ربيع حياتي با تحتم من عشرة وشتات يعسز عليهسا أن تلسين قناتي لهسن بقلسب دائسم الحسرات النخرات حياء بتلك الاعظيم من القبسر يدنينسي بغير أناة إلى لغبة لم تنصل برواة لعماب الافاعمي في مسيمل قرات الألسوان مختلفات مشكُّلة بسطت رجائى بعد بسط شكاتى وتنبت في تلك الرمسوس رفاتي غات لعمری لم یقس عات

رجعيت لنقسى فاتهميت حصاتي رموني بعقم في الشياب وليتني ولسدت ولما لم أجسد لعرائسي وسعيت كتياب الله لفظيا وغاية فكيف أضيق اليدوم عن وصف آله أنا البحر في أحشائم الدر كامن فيا وبجمكم أبلي وتبلي محاسني فلا تكلوني للزمان فاننى أرى لرجسال الغسرب عزا ومنعة أتبوا أهلهم بالمعجمزات تفننا أيطربكم من جانب الغبرب ناعب ولمو تزجمرون الطمير يومما علمتم سقيى الله في بطسن الجزيدة أعظها حفظين ودادى في البلى وحفظته وفاخبرت أهبل الغبرب والشرق مطرق أرى كل يوم بالجرائد مزلقا أيهجرنسى قومسى _ عقسا ألله عنهسم ... سرت لُوثــة الافرنــج فيهــا كيا سرى فجاءت كثموب ضم سبعمين رقعة إلى معشر الكتاب والجمع حافل فإما حياة تبعث الميت في البلي واما ممات لا قيامة بعده

> پعد ن د

فها أكثر الغريب الدخيل على لغتنا الجميلة التى يجب أن نصوتها ونحافظ عليها ؛ فهى دعامة قوية من دعائم تطورنا ورقينا ونهضتنا،وعنصر هام من عناصر المعرفة والثقافة

وهی لسان کل عربی .

فأعيدوا يا بنيها نهضة تحيى ثراها

ولنظهر لفتنا من العبارات الأجنبية التي تزرى بها ، ولننظفها من الدخيل والتراكيب الأعجميــة الثقيلة الباردة التي تخدش وجهها وتشينها ... صفحات من مُازالِ لحصارَه العربيةِ الاشعرمية :

رحنلة العبدرك

. إلى الحجاز



بقه : (الله بعد بعد الله م

أبو عبدالله محمد العبدرى رحلته المعروفة بـ « رحلة العبدرى » من بلاد حاحة بدأ الواقعة على شاطئ المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى (١) ، قاصدا الأراضى الحجازية لأداء مناسك الحج ، وكان خروجه من بلاده في الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثمان وثبانين وستائة « الموافق ١٠ يناير ١٢٨٩ م » .

وقد بدأ فى تسجيل مشاهداته طوال الرحلة ، وأعطانا صورة تنبض بالحيوية لما يلاقيه الحاج منذ خروجه من بلاد المغرب متوجها إلى الحجاز ، وحتى العودة بعد أداء مناسك الحج (۱).

وتتميز رحلة « العبدرى » بأنها تمت عبر البر ، ولم يركب البحر كها فعل غيره من الرحالة أمثال : ابن بطوطة ، وابن جبير ، وهذا يعطينا صورة حية عن قوافل الحج البرية ، وكيف كانت تسير عبر الطريق والمحطات التي كانت على امتداد الطريق ، ويتوقف فيها الركب طلبا للراحة،أو للتزود بالماء والمؤن . كها وصف البلاد التي مر بها موضحا الحالة الاجتاعية والعلمية والثقافية السائدة في تلك البلدان . وقد توقف في مصر لفترة طويلة انتظارا لخروج ركب الحجيج كها هي العادة كل سنة ، حيث كانت المحامل وجماهير الركبان لا تخرج للحج الا من جهات أربع : مصر ودمشق وبغداد وتعز (۲)

النداء بالحج سنة للمسلمين ○

ينادى بالحج بديار مصر في االنصف الثانى من شهر رجب، وهو قياس على نداء الرسول ﷺ اول ذى القعدة في المدينة ، لأن مسافة الحج من المدينة عشرة أيام ، ولأن مسافة الحج عن طريق البر من مصر اربعون يوما ، قُدِّم النداء بثلاثة أمثالها ، وكذلك كان الحال في دمشق (4) .

کسوة الکعبة ودوران المحمل ٥

كانت كسوة الكعبة في صدر الاسلام مختصة بالخلفاء ، وكان خلفاء بنـى العبـاس يجهزونها من بغداد في كل سنة ، ولكن بعد أن قضى المغول على الخلافة العباسية سنة

707 هـ . « ١٢٥٨ م » انتقل هذا الشرف الى ملوك الديار المصرية على عهد الماليك ، حيث قاموا بتجهيزها كل سنة (٥) . وكان أول من اهتم بعمل الكسوة للكعبة الشريفة وخروجها إلى الحجاز في احتفال مهيب وأمر بدوران المحمل في مصر هو السلطان الظاهر بيبرس وذلك سنة ١٦٥٧ هـ (٧) .

وقد خصصت دار لعمل كسوة الكعبة المطهرة بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين وكانت تنسج من الحرير الأسود وقد طرز عليها بكتابة بيضاء في نفس النسيج الآية « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة» (٧) . وفي أواخر عهد السلطان المظاهر برقوق « ٧٨٤ ـ ٨٠٨ هـ » استقر تطريز الكتابة من نسيج أصفر مشعر بخيوط الذهب . وقد خصص لعمل هذه الكسورة ناظر مستقل يشرف على تجهيزها . كما اوقفت ارض بيسوس من ضواحي القاهرة للصرف منها على دار الكسوة وما يلزمها من نفقات (٨) .

أما عن كسوة الكعبة في الجاهلية فكانت من النطاع ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب أول من كساها الديباج في الجاهلية . أما في الاسلام فكان الحليفة عمر بن الحطاب _ رضى الله عنه _ يجرد الكعبة عما عليها من الكسوة كل سنة ، وكساها القباطي التي كانت تصنع بمصر ، وزاد الاهتام بكسوة الكعبة في عصر الدولة الأموية . أما في العصر العباسي فكانت كسوة الكعبة خضراء ثم كسيت كسوة سوداه ، ولما ضعف أمر العباسيين صارت ترسل الكسوة تارة من اليمن ، واخرى من مصر الى أن استقرت في مصر بعد سقوط الحلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ . « ١٩٥٨ م » .

وطوال عصر الماليك ، وعندما استولت الدولة المثانية على مصر والحجاز اختصت بكسوة البيت الداخلية ، واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية ، وبقيت مصر تصنع اقمشة الكسوة الداخلية والخارجية حتى عام ١١١٨ هـ . عندما أمر السلطان أحمد بن محمد الرابع بحياكة كسوة الكعبة الداخلية في استانبول ، وارسلت في العام التالى الى مكة عن طريق مصر ، واستمر ذلك حتى سنة ١٢٧٧ هـ . حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسال الكسوة الداخلية .

وعندما دخل الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود الى الحجاز انقطعت مصر عن إرسال الكسوة الخارجية فكساها عام ١٣٢١ من القز الاحمر، وكساها في الأعوام التالية بالديباج والقبلان الأسود، وجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير الأحمر المطرز بالذهب والفضة ، ولما استردت الدولة العنائية الحجاز عادت مصر الى ارسال الكسوة مع المحمل حسب العادة حتى عام ١٣٤١ هـ ، وأن كانت قد انقطعت في بعض السنوات عن إرسالها نتيجة للظروف الخارجية . وفي عام ١٣٤٣ هـ عندما دخل جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الى مكة المكرمة ، وتأخر ورود الكسوة من مصر استعاض عنها بكسوة من الاحساء ، ونتيجة لتوتر العلاقات بين البلدين قام جلالته سنة ١٣٤٦ هـ ، بتأميس دار خاصة للكسوة في محلة جياد بمكة المكرمة ، وكانت أول دار تشيد لعمل الكسوة في الحجاز ، وقام على العمل بها فريق من أهل البلاد بعد ان حذقوا الحياكة وترنوا على (١٠) .

أما دوران المحمل ، فقد جرت العادة انه يدور في السنة مرتين , الأولى في النصف الثاني من شهر شوال (۱۱) . وبعد يوم دوران المناني من شهر شوال (۱۱) . وبعد يوم دوران المحمل من الأيام المشهودة ، حيث يركب فيه أهم الشخصيات في المجتمع ومنهم القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب ، وإعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء ، ويتوجه الجميع الى باب القلعة حيث يقيم السلطان (۱۲).

ويكلف اصحاب الحوانيت التى فى طريق دوران المحمل بتزيين حوانيتهم قبل مرور المحمل بثلاثة ايام ، فتبدو تلك الحوانيت وهى فى أبهى زينة وأحسن مظهر ، ويكون دوران المحمل بثلاثة ايام ، فتبدو تلك الحوانيت وهى على جل بعد تزيينه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر اللون وبأعلاه قبة من فضة مطلبة . ويبيت فى ليلة دورانه داخل باب النصر (۱۳) .

وفي صحياح يوم دوران المحمل تخرج كسوة الكعبة الشريفة وهي محمولة على جمل سبق تزيينه وإعداده لذلك الغرض، ويسير امامها الأمير المعين للاشراف على سفر الحجاج إلى الحجاز في تلك السنة ومعه عسكره القائمون على حراسته وتأمين سلامة الحاج ، والسقامون على جالهم (11) وينزل الركب الى اسفل القلعة ، فنتهض اليه الشخصيات الهامة وذور على جالهم والشهود وناظر الكسوة وغيرهم ، ويركب جماعة من المهاليك السلطانية الرماحة ملبسين المصفات الحرير المغشاة بالحرير الملون وخيولهم ملبسة « البركستوانات » والوجوه الفولاذية كما لو كانت على أهبة القتال ، وبأيديهم الرماح وعليها الشطفات السلطانية بفيلمبون تحت القلعة كما في حالة

الحرب . وهناك بعض صغار الماليك يمسك كل منهم رمحان يديرها فى يده وهو واقف على ظهر الفرس ، وربما كان وقوفه فى نعل من خشب على ذياب سيفين من كل جهة ، كها يهيئون من أزيار النفط وغيرها جملة مستكثرة للالعاب النارية,حيث تطلق تحت القلعة فى خلال ذلك العرض البديع (١٥) .

ويتحول ركب دوران المحمل الى ما يشبه المهرجان، حيث يجتمع الناس حوله والحداة عدون أمامهم ويرددون الأهازيج الدينية ويسير الركب الى الفسطاط، تحيط به الزينات ومظاهر الفرح والسرور، فيمر في شوارعها، ثم يعبر شوارع القاهرة في طريق عودته الى القلعة مصحوبا بالطبلخانات والكوسات السلطانية التي تعزف الموسيقي وتدق الطبول، ومن ثم تنبعث الأشواق وتتحرك البواعث الروحية ويُلقى الله تعالى العزية على الحج في قلب من يشاء من عباده، فيأخذون في التأهب والاستعداد لذلك منذ دوران المحمل الأول في شهر رجب الفرد من كل عام (17).

كما يدور المحمل في المرة التانية عندما ينتصف شهر شوال بوذلك استعدادا لخروج ركب الحاج من مصر في طريقه الى الأراضى المجازية ، وقد حرص سلاطين الماليك على خروج محمل الحاج في موكب كبير احتفالا بهذه المناسبة بعد ان ينتصف شوال (۱۷) . ويسير ركب المحمل السلطاني و معه السبيل المسبّل للفقراء والضعفاء والمتقطعين . ويزود الركب بكل ما يحتاجه من الماء والزاد والأشرية ، كما يزود بالأدوية والمقاقير السطبية وجموعة من الاطباء والكحالين والمجبرين « أي ما يشبه البعثة الطبية التي تصاحب الحاج في أيامنا هذه » ، وعلاوة على ذلك يلحق بالركب مجموعة من الأدلاء الذين يسيرون امام الركب ، والأنمة والمؤذنين لإقامة الشعائر الدينية الى جانب وجود القضاة والشهود ورجال الدواوين والأمناء ومغسل الموتى . هذا بالاضافة الى الأمراء والجنود الذين يصاحبون الركب ، والجميغ في أكمل زي وأتم أبهة .

ويسير الركب وفق تنظيم دقيق ، فاذا نزلو منزلا أو رحلوا مرحلة ، تدق الكوسات وينفر النفير ليؤذن الناس بالرحيل أو النزول (١٨٥) . وبعد ان يتم الركب دورته بالقاهرة ، يخرج متوجها الى البركة « بركة الحبش » وذلك انتظارا لتجمع الحجيج ، ثم تبدأ المسيرة في طريقها الى الأراضى الحجازية (٢١) وغالبا ما يتحرك محمل الحاج من البركة على دفعتين ، حيث يسير الركب الأول،ثم يتبعه المحمل « ومعه كسوة الكعبة الشريفة » وبقية الحجاج

ويرسم « المبدرى » صورة نابضة بالحيوية لقائلة الحج في القرن السابع الهجرى « ١٢ م »، والاستعدادات التي تتخذ لتجهيزها للمسير الى الأراض الحجازية فبعد دوران المحمل للمرة الثانية بعد منتصف شهر شوال من كل عام ، يتجه الى بركة الحبش « والتي كانت تبعد عن القاهرة عشر اميال » حيث يتوافد اليها الراغبون في الانضام الى قائلة المج . وفي هذا الوقت يصدر السلطان مرسوما بتحديد « أمير الحاج » وهو من كبار الأمراء كما يخصص له مجموعة من الفرسان ويده بالنفقات اللازمة ويزوده بالطعام والشراب ، ويسند إليه الاشراف على قائلة المجج . وعند بدء التحرك يعطى أمير الحاج إشارة بقرع الطبول ، وعندها يتخذ الحجاج اماكنهم في الركب بعد اعداد رواحلهم ووضع الأزواد عليها ويتحمل أمير الحاج واعوانه الكثير من العناء والتعب في خدمة الركب والمحافظة على الحجاج ، ومعاونة الضعفاء ومواساتهم وجملهم على دواب السبيل التمي خصصت لمن يتخلف عن الركب لعجزه عن المسير (٢٢) .

وبعد ان يأخذ ركب الحج أهبة الاستعداد للمسير، يلتف الفرسان حول القافلة وهم يحملون المشاعل التي تحيل الليل الى نهار بضيائها الشديد، حيث اعتاد ركب الحج ان يرحل في النصف الأخير من الليل ، وتسير القافلة حتى يسفر الصباح فيؤدون الصلاة ، ثم يستمر الركب في المسير حتى ترتفع الشمس فينزلون للراحة حتى الظهر، وبعد الصلاة يرحلون الى ان تغرب الشمس فيتوقف الركب حتى ينتصف الليل ، وبعدها يواصل المسير على نفس المنوال حتى تصل القافلة الى مكة ، وهذا التنظيم في مسير وتحركات قافلة الحج يبعد عنهم الإجهاد وبشقة السفر، ويساعد على راحة الحجاج ورواحلهم ، كما يتيح لهم فرصة قضاء حوائجهم ، ولو كان مسيرهم بالنهار لقطعهم عنف السير وزاد عليهم العناء.

واستكهالا لتلك الصورة عن قافلة الحج، نجد الفرسان يحيطون بالركب خلال سيره من جميع جوانبه يستحثون المتخلف ويساعدون الضعيف والعاجز، والدليل يسير أمام القافلة ليلا ونهارا يخوض بها الصحارى والفيافي ويعبر بين الجبال والأودية ليرشدها الى الطريق الصحيح . وهكذا تسير القافلة وفق نظام محكم ودقيق ، فلا يرحلون ولا ينزلون الا يإذن من أمير الركب عندما تدق الطبول لأنباء الحجيج بالنيزول للراحة أو التحرك واستكال السع (٢٣) .

ونشاهد في قافلة الحج أغاطا من التعاون ، وصورا رائعة للبر كما ينشدها الاسلام وكما أمرنا بها العزيز الحكيم في محكم كتابه : « وتعاونوا على البر والتقوى .. » الآية (٢٠٠) ، فنجد الأغنياء وأصحاب الأموال في الركب يتسعون بها انفاقا على اختيارهم ، والضعفاء يعيشون بينهم بأنواع من الاحتراف والتسبب ، والفقير قل أن يعوزه التسبب لكثرة اعداد الحجاج في القافلة (٢٠٠) .

وكانت توافل الحج غالبا ما تسير بأعداد كبيرة ، فقد أحصى في بعض الأعوام أعداد الجيال في ركب الحج فوجدت ثبانين الف راحلة ، دون الدواب ، وهذا يعنى ان عدد الحجيج في القافلة يزيد عن الماتنى الف . ونظرا لضخامة اعداد الحجاج في ركب الحج ، فقد يحدث احيانا أن يتغيب فرد عن مجموعته ورفاقه فلا يجدهم الا بعد عشرة ايام من البحث عنهم داخل القافلة ، وهذا يدل على ضخامة الاعداد في قافلة الحج ، ولذا وضعت كل مجموعة لنفسها علامة يتعارفون عليها وتميزهم عن المجموعات الأخرى حتى لا يضل رفاقهم (٢٦) .

قاما كها نشاهد ذلك اليوم في مجموعات الحجاج التي تنتمي الى مختلف البلدان حيث تقوم كل مجموعة بوضع علامة أو اشارة يتعارفون عليها ، وحتى لا يتغيب الحجاج عن رفاقهم .

وكانت قافلة الحج السلطانية تسير وهي مزودة بكل احتياجاتها الميشية وأصحاب الحرف والصنائع المختلفة حيث تمارس في داخل القافلة أغاطا من دروب المعايشة اليوبية . وعندما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون في الحج سنة ١٩٧٧ هـ . قام ناظره الخاص بتجهيزما يجتاج اليه السلطان في الحج ، حيث جع سائر أصحاب الحرف المختلفة وعمل عدة قدور من فضة ونحاس تحمل على الجال ليطبخ فيها ، كما احضر المزارعين لزراعة البقول والحضر وات « النعناع والكرات والكزيرة والريحان وانواع المشمومات » في احواض خشبية لتحمل على الجال وتسقى طوال الطريق ، ويؤخذ منها كل يوم ما يجناجه اليه . كما رتب الأفران والخبازين لعمل ما يجتاج اليه من خيز ، وجهز الدقيق ، والروايا

والأشربة بالاضافة إلى خمساية جمل تحمل الحلوى والفواكه ومائة وثبانين جملا تحمل الحب رمان والملوز وما يحتاج البه المطبخ السلطاني . ومن الطبور الف طائر أوز وتلاتة آلاف طائر دجاج . ولم ينس احتياجات دواب القافلة من العليق ، فجهز مركبين في البحر الى ينبع ومركبين الى جدة تحمل مائة وثلاثين الف اردب من الشعير (١٧٧) . وتزود القافلة بكل ما تحتاجه من الماء والزاد والأشربة والعقافير ، ومجموعة من الاطباء والكحالين والمجبرين والأدلاء والأثمة والمؤذين ، الى جانب وجود القضاة والشهود والدواوين والأمناء ومغسل الموتى وأرباب الصنائع الأخرى (١٨٥) .

وتسير القافلة وكأنّها مدينة متحركة . يتوافر بها كل متطلبات المعيشة . بل ويمــارس افرادها من اهل الحرف اعهالهم اليومية المعتادة .

ويصف « العبدرى » المراحل التى يقطعها ركب الحجيج بده ا من مغادرته القاهرة الى المركة حيث يتجمع هناك الحجاج ، ويستكملون من اسواقها جهازهم وما يلزمهم ، وعندما تمين ساعة السفر تتحرك القافلة بعد اعطاء اشارة الرحيل بدق الطبول الى السويس . وتقطع هذه المسافة في ثلاثة أيام تم الى عقبة آيلة ثلاثة أيام والتى يها سوق كبيرة عامرة بالطعام وما يحتاجه الحجاج في سفرهم ، ويستربح بها الركب يومين او ثلاثة ، ومنها يرحلون الى المنهلة على مسافة نصف يوم ، ثم الى مغادرة شعبب بوادى القر على مسافة يومين ونصف بوم ، ثم يرحلون الى عيون القصب ويصلونها بعد يومين وبها ماء جار عذب ، وبرحلون الى كفافة في يومين ، ومنها الى الوجه في ثلاثة أيام ، وبها ماء عذب طيب ، تم الى اكتمر ، وترحل الفافلة الى المغيرة في يومين « وتسمى العرجاء » ومنها الى ينبع ركب الحجاج بالتمر ، وترحل الفافلة الى المغيرة في يومين « وتسمى العرجاء » ومنها الى ينبع في يومين تم الى الدهناء مسيرة نصف يوم وبها ماء طيب وسوق الى الدهناء مسيرة تومين وبه ماء طيب وسوق كبيرة ومنها الى رابغ مسيرة ثلاثة آيام (٢٠٠) .

ابتداء الإحرام:

بغتسل الحجاج للاحرام في رابغ « وهو دون الجحفة بجسافة » ومنها يتحرك الركب الى خليص على مسيرة ثلاثة أيام ، ومنها إلى بطن مر ثلاثة أيام ، وهو واد من عمل مكة به نخل كثير وماء جار وعهارة ، ومن بطن مر الى مكة شرفها الله تعالى مسيرة نصف يوم « حوالى سنة عشر ميلا » (٢٠٠) ، وهكذا تسير قافلة الحج عبر المراحل المختلفة حتى تصل

الى مكة المكرمة حيث يقوم الحجاج بمناسك الحج.

زيارة المدينة المنورة :

بعد أداء مناسك الج تتوجه القافلة إلى المدينة المنورة « على ساكنها أفضل الصلاة والسلام » عن طريق خليص ومنها الى بدر ثم الى وادى الصفراء ومنها إلى المدينة المنورة (١٣٠) .

رحلة العودة :

يرحل الركب عائدا عن طريق وادى الصفراء ومنها الى ينبع ثم يتخذ مساره من هناك على نفس الطريق حتى يصل الى عقبة آيلة ، وهناك ينفصل الركب الشامى عن الركب المصرى ويتجه كل منهها صوب بلاده . وكان بعض الحجاج من الركب الشامى يفضل المودة عن طريق المعلى الى تبوك وذلك لقرب المسافة بالرغم من وعورة الطريق وقلة المياه

مبشر الحاج :

درجت العادة على أن يسبق قافلة الحج أحد الأفراد ليخبر بسلامة الحاج ، وغالبا ما يصل قبل عودة ركب الحج بيومين أو ثلاثة . وكانت بداية ظهور مبشر الحاج منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وعثان بن عفان ، واستمرت بعدها تلك العادة ، أن يسبق عودة موكب الحاج بشير يخبر بأحوال الناس والحجاج ، وكان يستقبل بشوق ولهفة للاطمئنان على ركب الحج .



٥ الهوامش ٥

- (١) ليون الأقريقي « الحسن الوزان » : وصف افريقيا ، ص ١٠٧ .
 - (٢) العبدري : الرحلة ، ص ٧ .
 - (٣) السبوطي : حسن المحاضرة ، جر ٢ ، ص ٣١٠ .
 - (٤) القريزى: الذهب المسبوك ، ص ١١ .
 - (٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
 - (٦) القريزي: الذهب السبوك، ص ١١.
 - (٧) سورة أل عمران ٣ : آية ٩٦ ـ ٩٧ .
 - (A) صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ٥٧ .
 - (٩) الأزرقي : أخيار مكة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
 - (۱۰) الصدر السابق ، ص ۲۵۹ ،
 - (١١) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
 - (١٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٥٧ .
 - (١٣) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .
 - . ٦٢ ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٦٣ .
 - (۱۵) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨٥ .
 - (۱۷) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٦٢ .
 - ابن الصبر في : نزهة النفرس ، ج ٣ ، ص ١٦١ .
 - (۱۸) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ۲ ، ص ۳۱۰ .
- . ۲۲۶ سليم « د/ محمود رزق » : عصر سلاطين الماليك . ج ٧ ، ص ٢٣٤ .
 - . (۲۰) ابن الصبر في : نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٦١ .
 - (۲۱) العبدري: الرحلة، ص ١٥٥.
 - (٢٢) نفس الصدر السابق ، ص ١٥٦ .
 - (٢٣) الصدر السابق ، ص ١٥٥ .
 - (٢٤) سورة المائدة ٤ : أية ٢ .
 - (۲۵) العبدري : الرحلة ، ص ۱۵٦ .
 - (٢٦) نفس المصدر السابق والصفحة .
 - (۲۷) القريزي : النَّهب السيرك ، ص ١٠٠ ــ ١٠٢ .

- (۲۸) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ۲ ، ص ۲۱۰ .
 - (٢٩) العيدري : الرحلة ، ص ١٥٧ = ١٦٥ .
 - (٣٠) المصدر السابق ، ص ١٦٥ ١٦٧ .
 - (٣١) تفس المصدر، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
 - (٣٢) تقس المصدر ، ص ٣٢٠ .
- (٣٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ، ص ٣١٧ .

0 المراجع 0

- ١ ـ لييم الأفريقي « الحسن الوزان » : وصف افريقيا ، ترجمة د . عبد الرحمن حميد ، نشر كلية العلوم الاجتهاعية
 بجامعة الامام محمد سعود الاسلامية ، الرياض ١٤٠٠ هـ .
- ٢ ـ العبدرى « أبى عبدائه محمد بن محمد » : رحلة العبدرى « المساة بالرحلة المغربية » ، تحقيق محمد الفاسى .
 الرباط ١٩٦٨م .
- ٣- السيوطي « جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر» : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والفاهرة ، جزأين ، تحقيق تحمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧ م .
- لقريزى « تقى الدين أبو العباس أحمد أبو على »: الذهب المسبوك في ذكرى من حج من الحلفاء والملوك .
 عقيق د/ جال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٥ ـ القلقتندى «شهاب الدين أبي العباس أحمد بن على »: صبح الأعشى في صناعة الانشا القاهرة
 ١٩٦٢ م.
- ٦- الأزرقي « أبر الوليد محمد بن عبدالله بن عبدالله بن أحمد » : أضار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدى الصالح ملخص ، جنزان ، ط ٣ دار الأندلس ، بيروت ١٣٨٩ هـ . ـ ١٩٦٦ م .
- لا ـ ابن يطوطة « ابر عبد الله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجى » : رحلة ابن بطوطة ، نشر دار النراث ، بيروت
 ١٣٨٨ هـ . . ١٩٦٨ م .
- ٨ ـ ابن الصدر في « الخطيب الجوهرى على بن داود » نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، ٣ أجزاء ، تحقيق .
 د/ حسن حيشى ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٩ ـ سليم « د/ محمود رزق »: عصر سلاطين المباليك , وتتاجه العلمى والأدبي , الطبعة التناتية , القاهمرة
 ١٩٦٥ م .

الزراعة في اليسامة في العضر العباسين



الدكتور عبا الله محمد السيف

الجغرافيون المسلمون في تحديد إقليم اليامة اختلافاً كبيراً ؛ فبعضهم جعله من نجد « اليامة صرة نجد ومدينة نجد حجر » (١) وأخرون جعلوه من الحجاز (١) ، بينا توسع الأصفهاني في تحديده لليامة فجعلها إقلياً مستقلا يشمل جزءًا من اليمن وجزءًا من البحرين وجزءًا من أطراف الشام والعراق (١) .

يرجع الاختلاف الذي رأيناه في تحديد اليامة إلى اختلاف الحدود الإدارية لأقسام جزيرة العرب بين فترة تاريخية وأخرى: فالتنظيات الإدارية تتغير بتغير الطروف الساريخية ولا تراعى الحدود الجغرافية (1). أما دراستى لليامة في هذا البحث فستشمل هضبة نجد الوسطى أو ما يعرف الآن إداريا بمنطقة الرياض.

سأتناول فى هذا البحث العوامل المؤثرة فى الزراعة ، والإقطاعات والملكيات الزراعية ، وطرق الرى المستخدمة فى اليهمة فى العصر العباسى . ثم أختتم البحث بالحديث عن المحاصيل الزراعية وطرق التعامل الزراعى السائد فى اليهمة فى تلك الفترة .

العوامل المؤثرة في الزراعة :

عرفت اليامة منذ العهود الإسلامية الأولى بخصوبة أرضها (٥٠) ، ووفرة إنتاجها من الحبوب والتمور ، حتى أنه كان لأسود بن مالك بن عبدالله (من بني يشكر بن بكر بن واتل) نخل موقوفة « تصرم في كل سنة مرتبن »(١٠) . وكان الانتاج الزراعي في اليامة يصدَّر إلى المناطق المجاورة لها : ففي عهد الرسول ﷺ قطع نهامة بن أثال الحنفي الميرة عن قريش في مكة بعد دخوله في الاسلام ، ولم يعدها إليهم إلا بأمر من رسول الله ﷺ (١٠) .

ونى العصر الأموى استمر تصدير الإنتاج الزراعى إلى الحجاز، وعندما تأزم الموقف بين عبدالله بن الزبير - رضى الله عنه - وبين نجدة بن عامر الحنفى قطع الميرة الصادرة من اليامة والبحرين عن أهل الحجاز، ولم يعد تصديرها إلا بعد أن تدخل عبدالله بن عباس - رضى الله عنها - وأقنع نجدة بن عامر المنفى (٨).

وفى العصر العباسى: تُحدِّثنا المصادر عن خصوبة التربة فى اليامة ووفرة إنتاجها الزراعى ؛ فتذكر المصادر أن اليامة أكثر نخيلا وثمرا من المدينة ومن سائر الحجاز^(۱) . ووصف ياقسوت نقــلا عن السكوني قربة سدوس بأنها من أخصب قرى اليامة (۱۰۰ . ويعتبر وادى الخرج فى اليامة أحد الأودية

المشهورة بخصوبة أرضه وهو «خير واد باليامة أرضه أرض زرع ونخل »(۱۱). ويذكر المقدسي أن اليامة بلد جيدة التصور(۱۱). وتنتشر المناطق الحصية في مناطق اليامة مشل قَرْفُرى(۱۱). والوَّشُم (۱۱)، والفَّقَى (۱۱)، والفَقَى (۱۱)، وغيرها . ولاشك أن خصوبة التربة في اليامة من العوامل التي ساعدت على غو الزراعة وتطورها .

ومن العوامل التي ساعدت على نمو الزراعة فى اليامة وجود المياه الوقيرة الكافية للزراعة ، كالعيون الجارية ، والآبار الجوفية ، ومياه الأمطار الشتوية.وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل أنتاء حديثنا عن طرق الرى .

والأيدى العاملة من العوامل الأساسية في نهضة الزراعة ، ولقد كان الرقيق يعمل في مزارع المهامة في العصر الأموى ، حتى أنه كان في الخضارم وحدها أربعة آلاف رفيق يعملون وأسرهم على استصلاح الأراضي واستثارها لزيادة الانتاج الزراعي (١٨٠) . ومن المحتمل أن الرقيق في العصر العباسي استمر يعمل في المجال الزراعي : حيث وردت اشارات في المصادر تدل على وجوده بكثرة في الهامة ١١١٠) . ويروى الخطيب البغدادي أن الخليفة أبا جعفر المنصور طلب من والى الهامة السرّى بن عبدالله الهاشعي أن يشترى له رقيقا من رقيق الهامة للعمل كبوابين له ، فاشترى مائتي غلام من الهامة (١٠٠) . ويروى الحربي أن قرة بن جابر أحد سكان قرية أضاح قال : « كنا ننضح على حرث لنا بناحية أضاح ، ولنا غلام ونحن نعمل في حرثنا ، وكان يلح على رطانة بالزنجية حتى رويناها قال : وقف علينا زنجي قد استعرب وفهم ... "١١) .

ويستفاد من هذا النص أن الرقيق كان يعمل في اليامة في الزراعة ، كما أن هناك رقيقاً ممن تعلموا اللغة العربية وفهموها ، وبالمقابل وجد رقيق جديد لا يتكلم العربية .

تلك هي أهم العوامل التي ساعدت الزراعة على أن تبقى ذات شهرة طيبة في اليامة وبخاصة التعور والحبوب ، إلا أتنا لا تنكر أن هناك بعض الفترات خلال العصر العباسي كان لها تأثير سيخ على الزراعة تتيجة للاضطرابات الداخلية : ففي سنة ٢٣٢ه كانت قبائل بنو نمير تغير على المناطق القريبة منها في اليامة ، فكتب الخليفة الواثق إلى قائده يأمره بالقضاء على فتنتهم فسار إليهم وقتل منهم « زهاء ألف وخمسائة رجل » وكان بعضهم « أصحاب نخلل وشاء » (٢٠٠٠) . ويروى الأصفهاني أن الحروب وقتت بين جعدة وقشير بسبب الخلاف على سبح اسحاق « وهو نهر مخرجه من فناة ، وهو بطيحة واسعة ، وعليه من النخل ما لا يدرى ما مبلغه » (٢٠٠٠) . وعندما استولى بنو الأخيضر على اليامة كانت سياستهم الداخلية تتسم بالجور وسوء السيرة (٢١٠) . فقاموا بتشتيت أهلها .

يمول ابن حوقل وفي سنة ٣٣٨ه في عهد الخليفة المتوكل دخل محمد بن يوسف الحسنى الأخيضر الهامة فجلا أهلها بسبب « جوره إلى أرض مصر والمعدن في آلاف كثيرة »(٢٠٠) ويقول المعقوبي بأن أكثر من بالعلاقى في مصر « قوم من ربيعة من بنى حنيفة من أهل اليامة انتقلوا إليها بالعبالات والذرية ... »(٢٦) ، وكانت قُرَّان من المناطق الزراعية في اليامة وعندما استولى بنو الأخيضر على اليامة وعاملوا أهلها معاملة سيئة ترك أهل قران بلدتهم وهاجروا في سنة ٣٦٠هم من اليامة إلى البصرة « طيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسياتهم وجدب أرضهم ... الخ »(٢٠٠) .

REXOLEXIND * CARRY SHINE

وفى القرن الخامس الهجرى زار الرحالة الفاسى ناصر خسر و اليامة ، وذكر أن جيشا من العرب مرّ بالفَلَج وطلب من أهلها خمسائة منّ من التمر ، فلم يوافقوا على ذلك فحاربهم الجيش وقتل « من أهل القلعة عشرة رجال وقلعت ألف نخلة »(٢٨) .

ومن المشكلات التي كانت تواجه الزراعة قلة الأمطار الشنوية : حيث أن بعض المزروعات تعتمد على الأمطار^(٢١) ، وإذا قلت الأمطار أصاب الناس الجنب والقحيط وقلة الانتاج الزراعي^(٣٠).

الإقطاعات والملكيات الزراعية:

لقد بدأ إقطاع الأراضى للمسلمين في الهامة منذ العهبود الإسلامية المبكرة ، فقد أقطع الرسول ولي بحث بحث من المبلود والمبلود الإسلامية المبكرة ، فقد أقطع فرات بن حيًان العجل أرضا في الهامة (٢٢) . وحين وقد حُصين بن شمت على رسول الله ولي أقطعه مياها بالهامة منها الهوى والماعزة وأصيهب والتهاد والسديرة (٢٢) . واستمر إقطاع الأراضى في الهامة في عصر الخلفاء المراشدين (٢٦) . وفي العصر العباسي وردت اشارات تدل على استمسرار إقطاع الخلفاء العباسين للأراضى في الهامة (٢٥) .

أما عن الملكيات الخاصة فلا تعطينا المصادر إلا القليل من المعلومات عمن لهم شهرة معينة ، كها أحيانا تشير إلى الملاك من الأسر بشكل عام ، ومن المحتمل أن ذلك يعود إلى انقطاع الهامة وبعدها عن مركز الحلاقة ، وإغفال المؤرخين لذكرها ، فيروى ابوعبدالله السكوني أن يحيى بمن طالب الحنفي كانت له ضيعة بالبرة في قرقرن "" ، كها كان له ضيعة أخرى تسمى كحيّل في قران وكان ينزل فيها "" ، ويذكر الأصفهاني أن عارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي كان له

نخيل باليامة (٢٨) . ومن المحتمل أنها تقع فى بلدة أثيفية بالوسم من أرض اليامة حيث بروى ياقوت أن أكثرها لولد جرير بن الخطفى ، وكان لجرس بها ضيعة (٢٦) . وبفول صاحب بلاد العرب بأن الأحيسى « ماءة عليها نخيل لولد الشياخ مولى أمير المؤمنين »(٤٠) .

وهناك دلائل تسير إلى وجود فرى زراعية كانت ملكا للأسر والقبائل ذكرب بشكل عام وبدون تفصيل ؛ فيروى الحفصى أن المصانع فرية من فرى الجامة ، فيها نخل لبنى ضور بن رزاح (١٠٠) . وبقول السكونى بأن عفيق الجامة لبنى عقيل فيه فرى ونخل كثير (١٤٠) ، وكانت أكمة من فرى فلج الجامة لبنى جعدة كثيرة النخل والزرع والأبار (١٤٠) . أما البالدية ففيها نخيل ومزارع لبنى غُبر من يشكر (١٤٠) . وفي نَعَام نخيل كثير ومزارع لبنى هزان (١٤٠) . وبروى الحفصى أن العفير به نخل لبنى يشكر الله بن الدُول بن حنيفة ، ونخل اخر لبنى عامر بن حنيفة (١٤٠) . أما الفارية فكانت لبنى عبد لله بن الدؤل (١٤١) . ويذكر الهمدانى أن الهذار به نخل وزرع على أبار وسوان من الأبل لمورش بنى كمب (١٤٠) . أما المذارع فهى نخل وزرع لبنى فشير أيضا نخيل لمرش بنى كمب (١٤٠) . أما المذارع فهى نخل وزرع لبنى فشير أيضا نخيل ومرارع فى قرة فرن والنبطبتان (١٠٠) . ولجعدة وادى الفيل « ملأن نخيلا ، وبأعلاد نفر من بنى قشير أموال كثيرة »(١٥) .

وفي وادى الخرج مزارع ونغيل لبنى قيس بن نعلبة بن عكابه بن بكران واثل (١٥). أما قرمة سدوس ففيها مزارع لبنى سدوس بن شبيان بن ذهل (١٥٠). وفي الفقى نغيل كثير وأبار وضياع لأل حاد من تميم (١٥٥). أما وبرة ففيها نغيل لبنى سيار بن عبيد (١٥٥). وفي أسبله ماء ونخل لبنى العنبر (١٥٥). وبروى الحفصى أن وادى لبن فيه نخل لبنى عبيد بن تعلبه (١٥٥). أما بنبان فهو نخل لبنى سعد بن زبد بن مناة بن تميم (١٥٥)، وفي نهلان نخل لبنى غير (١٥١). وكانت جزالى نخل لبنى عصم من باهله ومواليها. أما الفرعانة فهو وادى نخل للحارث من باهله (١٠٠). هذه بعض غاذج للقرى الزراعية التي ذكرتها المصادر بشكل إجمالي ولا نعلم السبب الذي جعل المصادر تغفل ذكرها بالتفصيل كملكيات زراعية خاصة ! أهو لبعد الهامة وانقطاعها عن مركز الحلاقة بما أدى إلى إغفال المؤرخين لذكرها كما أسلفنا ، أم بسبب تدهوره الحالة الاقتصادية بشكل عام في الهامة بعد استيلاه الدولة الأخيضرية عليها وبعاملة أهلها معاملة سيئة ، مما أدى إلى هجرة بعض السكان عن الهامة وبالتالي زوال الملكيات الزراعية الخاصة وتدهورها ؟

طرق الرى:

كانت الزراعة في اليامة في العصر العياسى تعتمد أحيانا على الأمطار الشتوية التى تنحدر إلى الأراضى الحصبة عبر اليوبيان الكثيرة ، وكان المزارعون يسقون أراضيهم الزراعية من هذه المياه ، يقول ابن الفقيه : « وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليامة وهي عذى لا سقى ... »(١٦) . وبروى الأصفهاني أن رياض السُّلى (روضة سويس ، روضة البديع ، وروضة الطنب ، وروضة الجرداء) تسقى من وادى بنيان « وهي مزارع أعذاء لبني حنيفة »(١٦) . ويذكر الهمداني أن من الأودية الني تصبى في الحرب في واد واحد (١٦٠) .

ونظراً إلى أن الأمطار الشنوية موسمية وغير كافية للزراعة ، اتجه السكان إلى حضر الآبار والعيون وإقامة بعض القنوات التي ساعدت على استصلاح كثير من الأراضي الزراعية . فكانت العيون باليامة كثيرة مثل عين هيت ، وعين جنو، وعين الجيخرة ، وعين الحفضراء (141) . أسا المياه الجارية على سطح الأرض فيذكر ابن الفقيه أن « بالمجازة نهران وبأسفلها نهر يقال له سبح المفسر وبأعلاها قرية يقال لها نعام بها نهر يقال له سبح نعام »(١٥٠) .

وفى أقليم الفلج باليامة انتشرت العيون والأنهار الجارية مثل سبح الزُفْدى وسيح اسحق وعين الذَبَّاء التي « يخرج منها سبعة عشر نهراً » (١٦٠) . وقد عدد الهمدانى عيون الفلج بفوله « ولبنى جعدة سيحان يقال لأحدها الرقادى والآخر الأطلس ، وأما سيح قشير فاسمه سيح اسحق ، فأما الرهادى فان مخرجه من عين يقال لها عين ابن أصبح ومن عين يقال لها عين الزبًاء مختلطتين وأما الأطلس فان مخرجه من عين يقال لها عين الناقة ... » (١٦٠) . ويذكر خسر و أن المياه في الهامة وفيرة حيث تجرى في قنوات ، وفي اقليم الفلج وحدها أربع قنوات لسقى أشجار النخيل (١٨٠) .

وفى بعض المناطق الزراعية فى المامة كانت المياه تجرى تحت الحصى بالقرب من سطح الأرض مثل عقيق الميامة (عقيق تمرة) الذى كانت مياهه بثور توجد بالقرب من سطح الأرض « وربما أتارته الدواب بحوافرها »(١٦) ، وكان ماء نفى يسقى خسة آلاف بيت وهو « أحساء تحسى من البطحاء .. »(٧٠) .

ومع النوسع فى الزراعة ازداد حفر الآبار لرى المزروعات : ففى الهَفَى توجد الآبار الكثيرة ^(۱۷) . كما توجد الآبار فى قارة العنير ، وقارة الحازمي ، وغمرة ، والهذار ، وأكمه والمذارع والغيل فى الفلج وحولها النخيل والزروع ^(۷۷) . وفى سوق الفلّج ماثنان وستون بئراً ^(۷۷) ، وعلى الرغم من أن القوافل التجارية كانت تتزود من هذه الآبار بالماء إلا أنه يبدو أن هذه الآبار تستخدم أيضا في رى المزروعات والبساتين ، حيث يذكر الأصفهاني أن « منازل بنى قشير في ناحية السوق على شط الوادى نخيل ودور وحيطان » (الم) كانت توجد الآبار أيضا في قرية السّال باليامة ((الأمال المؤارعون يرقعون المياه من الآبار بواسطة النواضح من الآبال لإرواء مزروعاتهم . يقول المهمداني : « الهذار فيه نخل وزرع على آبار وسوان من الإبل ((()) ويذكر خسر و أن المياه في الفلج تستخرج من الآبار بواسطة الجبال ()) .

أنواع الزراعات والمحاصيل الزراعية :

تعتبر التمور والحبوب أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج في اليامة في العصر العباسي ، ويبدو أن ذلك عائد إلى ملاممة التربة والمناخ لنمو هذه المحاصيل الزراعية . فيروى ابن الفقيه قائلا « وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليامة وهي عذى لا سقى يحمل منه إلى الخلفاء وأما تمره فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين يمامى اليامة عامى اليامة فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليامى ... »(**) . وتذكر المصادر أن اليامة أكثر نخيلا وثمراً من المدينة ومن سائم المجاز(***) . ويفول الرحالة الفارسي خسروا بأن النخيل في اليامة كثير ، وعندما يكثر التمر في اليامة يباع الألف من بدينار واحد (*^*) . ويذكر الأدريسي أن باليامة « قرى عامرة ومزارع متصلة ورنل وحدائق وأشجار ... وبها تمور حسنة الألوان شهية المأكل »(*^*) .

ومن أهم الأقاليم التى كانت تنتج التمور فى الجامة اقليم الفلج : حيث كان ينتج كميات كبيرة من المتور ويوجد بها كثير من المزارع والبساتين ، يقول صاحب بلاد العرب « وبالفلج نخيل ومزارع وأنهار $^{(\Lambda \gamma)}$. وكان سيح اسحق يسقى عددا من النخل « لا يدرى ما مبلغه $^{(\Lambda \gamma)}$. كما كانت أشبجار النخيل تزرع فى قرى الفلج والمناطق المجاورة لها مثل قُرْن التى فيها النخيل والمزارع $^{(\Lambda \lambda)}$. وأكمه الكتيرة النخل والزرع $^{(\Lambda \lambda)}$. كما يكثر النخل فى وادى الهدار والمذارع فى الفلج $^{(\Lambda \lambda)}$ ، والشيطيّتان $^{(\Lambda \lambda)}$ ، ويعتبر وادى الغيّل فى الفلج من أشهر المناطق الزراعية حيث تكثر المزروعات وأشجار النخيل فيروى الأصفهانى أنه واد بين جبلين « ملآن نخيلا $^{(\Lambda \lambda)}$ ، وبه نم يقال له الصفرى ، يصدر إلى المجاز « لا يصبر فى البحر غيره لصلابته ، فى الصيف يمضغ مثل الكندر، وفى الشتاء بنشق كالزجاج $^{(\Lambda \lambda)}$. ويقول خسرو بأن تمور الفلج من أجود أنواع التمور

وهي أفضل من تمور البصرة وغيرها (٩٠٠).

ويروى ياقوت نقلا عن الحفصى أن النخيل كان موجوداً أيضاً فى قرى البإمة مثل العقير ، ووادى لبن ، والمصانع ، وِبَنَبَان ، ووَبَرة ، وأُسَيِّلُه والقُدامى^(۱۹) فى الوشم . وتكثر زراعة النخيل أيضا فى نعام^(۱۹) ، وعقبق بنى عقيل^(۱۲) ، والحسرج^(۱۱) ، ومنفوحة^(۱۱) ، ومُؤسب^(۱۲) ، ووادى المففى ، والوثر وروضة الحازمى^(۱۷) ، وقرانِ ^(۱۸) ، وثرمداه ^(۱۹) ، ومُلهم التى يقول فيها الشاعر :

بـل هل شجتـك الطُعُسن باكرة كأنهن النخـل من ملهـم(١٠٠٠)

ويروى ياقوت بأن ملهم موصوفة بكثرة النخل (۱۰۱) . وتكثر زراعة النخيل في قرى اليامة مثل البّالدَّنَه وتُمرُ وتُمير (۱۰۲) ويقول أبوعبدالله السكوني بأن قُرَّقرى وقراها مثل الهزمة وقرَّماء والأطواء ملينة بالزروع والنخيل الكثيرة (۱۰۲) .

أما قرية أباض باليامة فكانت عامرة بالنخيل والمزارع وكان « لها نخل لم ير نخل أطول منها »(۱۰۰ ، كما كان يوجد النخل بكثرة فى بَيْسَان باليامة ريقول أبوداود الأيادى :

نخلات من نخل بيسان أينع

سن جيعا ونبتهن تواثم (١٠٥) ،

ومن قرى اليامة التى كانت توجد بها النخيل وادى كنزة والوسط ، ووادى الجمل (١٠٠٦) ، ووادى لحُاء الذى كان كثير الزرع والنخل (١٠٧٧) ، ويذكر الهمدانى أن فى رملة الوَرُكة « حواء من نخل كثير »(١٠٨٨) .

ألا يا بنسى عصم جزالى وحنة مراطيب تجنسى كل عام لكم حربا إذا أرطبت منها المساكير هيجت صدور رجال لم تروعوا لهم سربا(١٠١٠).

وتوجد النخيل والمزارع أيضا فى الريّبُ ومأسل جاوه ، والشريف ، وسخين وسخنه ، والشط والثريا والجوزاء فى سواد باهله(١١٢٦ . وقد زار الثريا الرحالة الفارسى ناصر خسرو فى القرن الخامس الهجرى،وذكر أن بها نخلا كثيرا وأن أراضيها تزرع بمياه الآبار والسواقى(١١٣٠) . ونظرا لكترة زراعة النخيل في شتى مناطق اليامة : فقد تعددت أنواع التمور وتنوعت ففي الوتر يوجد نوع من التمر يسمى الزغرى يقول الشاعر :

يذودها عن زغرى بوتر صفائح الهند وفتيان غير(١١٠).

وأجود أنواع التمور في اليامة البردى والزرهاء والجدامية (١٠٥٥). وهناك أنواع من التمور أقل جودة: كالصفرة. والطفر، والمجنة ، والصفراء ، والقعقاعي ، واللصف ، والصفر، والصفايا ، والتعفوض ، والمهاني ، والجعاب ، والمرى ، وخرائف بنسي مسعود ، والصرفان ، والصنعانة ١٠٠١) . وفي إقليم الفلج باليامة كانت توجد أنواع من التمور ، كالصفرى الذي يصفه الهمداني بأنه سيد التمور : حيث يغرق في البحر « فيات سائر التمران ما خلا الصفرى (١١٠٠) . ومن أنواع النمور التي كانت توجد في الفلج أيضا : السرى ، واللصف ، والفحاحيل ، والمجتنبي ، والبعادي ، والتباريخ ، والبياض ، والسواد ، والبرني (١١٨) ، وبذكر ناصر خسرو أن بالفلج تمر يسمى « ميدون » تزن الواحدة منه عشرة دراهم ، ولا يزيد وزن النوى به عن دائق وضف (١١٩).

ومن المحاصيل الأخرى في اليامة الحبوب وتأتى في الدرجة التانية بعد التمور ، وقد أشارت المصادر الى تصدير اليامة للحبوب إلى مكة في العهود الإسلامية الأولى _ كما أسلفنا _ واستمر ذلك خلال العصرين الأموى والعباسى ، وبننى ابن الفقيه على جودة قمح اليامة وطبب طعمه ويعول بأنه « يحمل منه إلى الخلفاء »(١٣٠) . كما كانت تزرع الحبوب في بلاد بنى تمير كمكاش في الشريف ، فيروى ياقوت أن « لهم فيه مزارع بروشعير »(١٣١) . وكان يحيى بن طالب الحنفي يسترى غلات السلطان بفرقرى ، لكن أبو عبدالله السكوني _ الذي روى هذا الخبر _ لم يوضح لنا نوعية هذه الغلات الكثيرة (١٣١) ، ومن المحتمل أن هذه الفلات تشتمل على الحبوب والتمور نظرا إلى أن منطقة قرقرى كانت ولازالت تشتهر بهذه المحاصيل الزراعية ويروى الأضيلة نخل « وفم قاع يزرعونه يقال له الجثجاثة »(١٣٢) .

لقد ورد في المصادر كتيرا كلمة « زرع » و « زروع » (۱۲۲) أنناء الحدث عن بعض قرى اليامة ، ومن المحتمل أن المصادر تعنى بهذه الكلمة زراعة الحبوب بجميع أنواعها ؛ لأن شهوة اليامة في إنتاج الحبوب و باللذات وادى الحرج كانت كبيرة ، واستمرت حتى نهاية العصر العباسى ؛ فيروى أبو الفدا أن أهل الأحساء والقطيف كانوا يجلبون التمر إلى وادى الخرج باليامة ، ويشترون

بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة (۲۰۰). ولعل ذلك يرجع إلى أن انتاج التمور ، قد قل في بعض المناطق في اليامة في أواخر القرن السابع الهجرى حتى اضطرت إلى الاستيراد من المناطق المجاورة وبالذات من الأحساء والقطف ، أما الحبوب فكان انتاجها يفيض عن حاجتها . ولقد صرح بذلك أبوالفدا قائلا : « وأخبرني من رآها (اليامة) في زماننا هذا أن بها أناسا وقليل نخل ... ووادى اليامة الحرج وبه عدة قرى وبها الحنطة والشمير كثير ... »(١٣٦٠). كها كانت تزرع الحبوب في الفلج في اقليم الهامة في العصر العباسي (١٣٧) .

ولا تمدنا المصادر بمعلومات مفصلة عن زراعة الحضروات والفواكه في الهامة : سوى أن المصادر ذكرت قرية سدوس بأنها من أخصب قرى الهامة ، وكانت تنتج كميات كبيرة من الرمان ، حتى أنه كان يباع المائة رمانة بدرهم وكان في غابة الجودة ، ولفد عبر الحربي عن جودة وكثرة الرمان في سدوس بقوله : « تخرج الرمانة كيلجة من حب أحلا شيء ... ثم لو وردتها ألف راحلة ما تبين ما يخرج منها »(١٢٨) . ويذكر أبوعبدالله السكوني بأن قرية سدوس لها رمان موصوف (١٢٨)

وكانت الحَضَرَمة بستانا مشهورا بخصوبة التربة والانتاج الزراعي ، يفع في اليامة بين حجر (الرياض حاليا) وبين مفوحة « له خاصية في عظم البصل »(١٣٠) . ويستشف من رواية ياقوت أن الزعفران كان يزرع في ولدى المياه (وادى جلاجل) في إقليم اليامة(١٣٠) .

وليس لدينا معلومات مفصلة عن التعامل الزراعي ، أو عن العهال الذين زاولوا مهنة الزراعة في الهامة في العصر العباسي ، ولكن يبدو أن بعض الملاك كان يقوم على زراعة أرضه بنفسه أو بمساعدة رقيقه : يقول جابر بن قرة « كنا ننفسح على حرث لنا بناحية أضاح ولنا غلام ونحن نعمل في حرثنا ... »(١٣٢) . و بروى الأصفهاني أن رياض السلى كانت تسقى من وادى بنبان ، وكان المزارعون يسكنون في قبتين مبنيتين في هذه الرياض (١٣٢) . ومن الملاك من كان يزارع على الأرض غيره كأن يدفع له جزءا من المحصول كأجرة على عمله . يقول خسرو بأن الفلاحين في إقليم الفليح بالهامة كانوا يعملون في المزارع « وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات من غلة »(١٣٤) . وكان بعض المزارعين يستفر أرض غيره مقابل مبلغ من المال يدفع سنويا ، فكان مروان بن أبى الجنوب بن أبى حقصة يستفل ضيعة في الهامة مقابل ألف درهم سنويا "أ

الهوامش والتعليقات ٥

- م قد مذا البحث الى الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب _ المؤتم التخصيصي الأول الذي عقد في الكويت من ١٠ ـ ١٤ ديسمبر ١٩٨٣ م ـ وموضوعه « الري والفلاحه » .
- (١) إبن الفقيه ، كتاب البلدان (ليدن : ١٣٠٢هـ) ، ص ٣٠ وحَجْرُ أقدم قاعدة لاقليم الهامة ، ولقد قامت مدينة الرياض على أنقاض مدينة حجر . أنظر حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ (الرياض : ١٣٨٦هـ) ، ص ٩
- (۲) ابن حوقل ، صورة الأرض (دار الحياة ، بيروت) ص ۲۹ ، أبر الفدا ، تقويم المبلدان (باريس : ۱۸۵۰م) ص ۸ ، الفلقشندى نهاية الأرب (القاهرة : ۱۹۵۹م) ، ص ۱۷ .
- (٣) الأصفهاني ، بلاد العرب (الرياض : ١٩٨٨هـ) ص ٣٦٠ . لمزيد من للعلومات عن موقع الهامة من الجزيرة العربية راجع كتابنا الحياة الاقتصادية والاجتاعية في نجد والحجاز في العصر الأموى ، بدروت : ١٤٠٩ ، ص ٣١
 مما عدها .
- (٤) انظر: صالح العلى ، تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العرب ، ط ١ (سنة ١٣٨٨) ، ص ٢ ، ٩ ، عبدالله بن خميس ، معجم العامة (الرياض : ١٣٩٨هـ) ، ط ١ ، ص ١٧ .
 - (٥) الدينوري ، الأخبار الطوال (القاهرة : ١٩٦٠م) ، ص ١٦ ـ ١٧ .
 - (٦) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (دار المعارف ، القاهرة) ، ص ٣٠ .
- (۷) ابن هشام ، سيرة النبى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، (القاهرة : ١٣٥هـ) ، جـ ٤ ، ص ٣٦٦ ـ ٣٠٧ . ابن الأثير ، الكامل (القاهرة : ١٣٥٩هـ) ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ ، ويذكر ابن سعد أن ثهامه لما أسلم ضيق « على قريش فلم يدع حبة تأتيهم من الهامة .. » انظر الطبقات (دار صادر بيروت) ، جـ ٥ ، ص ٥٥٠ . والميرة جلب الطعام للبيع ، انظر: ابن منظور ، لسان العرب (طبعة بولاق) ، جـ ٧ ، ص ٣٩٠ .
- (\(\)) ابن الأثير . الكامل في التاريخ . جـ \(\) . ص ٣٥٢ ، النوبري ، نهاية الأوب (دار الكتب المصرية رقم ٤٩٥ مصارف عامة) . ووقة ١٤٤ .
- (٩) الاصطخرى ، المسالك والمالك (القاهـرة : ١٩٦٨هـ) ، ص ٣٣ ، ابـن حوقــل ، صورة الأرض ، ص ٣٨ . الأدريسي ، نزهة المستاق ، طبع الجزء الخاص بجزيرة العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٨ ، ص ٤٤ .
- (١٠) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة لا ييزج) ، ص ١٨٤ المشترك وضعا (جوتكين ١٨٤٥) ، ص ٣٤٥ . وسدوس قرية لاتزال تعوف بهذا الاسم ، وهي بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع . انظر: ابن بليهيد صحيح الأخبار (القاهرة : ١٣٩٨) ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ . وأبوعبدالله السكوني هو أحمد بن الحسن بن اساعيل السكوني ، كان مختصا بالخليفة العبدي المحافية المقتدر ، وقد ألف كتابا في اسهاء مهاه العرب . انظر: ياقوت ، معجم الأدياء ، مطبعة دار المقاهرة : ١٣٥٧هـ ، جـ ٣ ، ص ٨ ـ ٩ . ١ .
- (١١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٩ . ولاتزال منطقة الخرج منطقة زراعية ذات غلة وانتساج انظر :
 عبدالله بن خميس ، معجم البامة ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
 - (۱۲) المقدسي ، أحسن التقاسيم (ليدن : ١٩٠٦م) ص ٩٤ ..
- (٣٧) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٧ . وقرقرى أرض واسعة تعرف الآن باسم البطين ، وتشتهر بانتاج القمح والتمور وفيها عدد من القرى منها ضرماء ، والمزاحية ، والعويند والبرة . انظر عبدالله بن خميس ، معجم اليامة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٢ ـ ٢٧٧ .

- - (١٤) الهيدانى ، صفة جزيرة العرب ، (الرياض ١٣٩٤هـ) ، ص ٢٨٤ . اقليم الوشم اقليم واسع يقع جنوب القصيم ، ويضم عددا من القرى أهمها شقراء وأشيقر ، ومرات ، وثرمداء ، وأثيثية .
 - انظر: مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية (بيروت ١٣٨٢هـ) ، الجزيرة العربية (بيروت ١٣٨٢هـ) ، جـ ١ ص ١٥٩ ــ ١٦٠ .
 - (١٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ص ٢٠٨ . والفلج في الجزء الجنوبي من اليامة يعرف الآن باسم الأفلاج منطقة عامرة بالسكان والنخيل والزروع . انظر : عبدالله بن خميس ، معجم اليامة .
 جـ ١ ، ص ٩٥ ـ ٧٠ .
 - . ۱٦) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٦٨ ــ ٣٦٩ . ويعرف الآن باسم العرض وأشهر تراه القويعية . انظر نفس المصدر ، ص ٣٣٦ ، هامش (٢) .
 - . (۱۷) الهمدانی ، صفة جزیرة العرب ، ص ۲۸۵ . والفقی أصبح يعرب الآن باسم سدير ، وبه قری کثيرة ومزارع . انظر : عبدالله بن خميس ، معجم البامة ، چـ ۲ ، ص ۲۵۰ .
 - (٨٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ٣٥٣ . والحَضارم تشمل الآن قرية الهامة والسلمية والسبح في اقليم
 الحرج. انظر: الحربي المناسك (الرياض: ١٣٨٩هـ) ، هامش (١) .
 - . برع السريم الطبيعي السلط من البلدان المن ١٩ ، الأصفهائي ، الأغاني (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب) جـ ١٩ . و ١٩) انظر: ابن القليم ، البلدان ، ص ٢٩ ، الأصفهائي ، الأغاني (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب) جـ ١٩ . ص ص ٢٩ ، ص ٢ ؟ ، ص ٢ جـ ١٤ ، ص ٢ جـ ١٤ ، ص ٢٣٢ .
 - (۲۰) المخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (القاهرة ، ۱۳۶۱هـ) ، جـ ۳ ص ۱۷۱ ، ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ۳ ، ص ۳ ، العبردي ، أخبار ابر الصيناء الباس (الرياض ، ۱۳۹۸هـ) ، ص ۸ .
 - (۲۱) الحربي ، كتاب المناسك ، ص ۳۲۱ ، ولاتزال قرية أضاح معروفة وتنطق وضاح . انظر : نفس الصفحة ، هامش (۲۱) .
 - (۲۲) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، (طبعة دار المعارف بيصر : ۱۹۷۵) ، ج. ٩ ، ص ١٤٦ ، ١٤٨ .
 - (٣٣) الأصفهائي ، يلاد العرب ، ص ٢٢٥ .
 - (١٤) محد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٧٠ ـ ٧٠ ، عبدالله الشبل ، الدولة الأخيضرية ، مجملة كلية اللغة العربية ، العدد السادس (١٣٩٦هـ) ، ص ٤٦٣ .
 - (٢٥) أبن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٥٨ .
 - (٢٦) اليعقوبي ، البادان (ليدن : ١٩٨١م) ، ص ٢٣٤ .
 - (۲۷) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة دار صادر ، جـ ٤) ص ٣١٩ . وقران تعرف الآن بالقرينة قرية عامرة ذات نخيل ومزارع الظر : ابن خميس ، معجم البامة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٨ .
 - (۲۸) ناصر خسر و . سفرنامه ، ص ۱۶۰ . والمنّ بساوی شرعا رطلین . کل رطل ۱۳۰ درهها . انظمر : هنتس ، المکاییل والأوزان الابسلامیة ، عیان : ۱۹۷۰ ، ص ۶۵ ـ ۵۲ .
 - (٢٩) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٠٥ .
 - (٣٠) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ، (رواية السكونيي) .
 - (۳۱) البلاذري ، فتوح البلدان ، (القاهرة : ۱۹۵۱) ، جد ۱ ، ص ۱۱۱ .
 - (٣٢) نفس المصدر ، ص ١١٢ .
 - (٣٣) البكري ، معجم ما استعجم ، (القاهرة : ١٣٦٤هـ) جـ ٤ ، ص ١٢١٤ .

- (۳۲) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ ۱ . ص ۱۱۱ .
- (٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج. ٩ ، ص ٣٣٢ .

٣٦١) ياقوت ، معجم البلدان ، (جـ ٤ ، ص ٦٣ . والبرد لاتزال موجودة وتبعد عن الرياض حوالي تسعين كيومترا .

(٣٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ١٤٢ ، ويقول عبارة بن عقيل :

عجبت لتغسريس نوى التمسر بعدما

طلعت من السبعسين أو كدت أفعل.

انظر الهجري ، التعليقات والنوادر ، دار الرشيد ، بغداد : ١٩٨١م ، جـ ٢ ص ١٥٩ .

(٣٨) تفس المصدر ، ص ٢٥٣ .

- (٣٩) ياقرت ، معجم البلدان ، جد ١ ، ص ١٩١ ، المسترك وضعا ، ص ١٣ . وأثيفية قرية من قرى الوشم ، لاتزال موجودة وتنطق أثيثية ، انظر مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية ، ص ١٦٠ .
- (٤٠) الأصفهاني , يلاد العرب ، ص ٣٦٣ . وثنية الأخيين تعرف الأن يالحيسية وبعد اصلاحها ومرور السيارات منها سميت (سبع الملفات) . انظر : عبدالله بن خميس ، معجم اليامة . ج ١ . ص ١٤٤ ـ ٣٤٥ .
- (١٤) يافوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ . ص ٤٤٥ ، والشترك وضعا ، ص ٣٩٨ . والمصانع قرية معروفة إلى هذا العهد . من ضواحي مدينة الرياض ذات تخيل ومزارع . انظر عبدالله بن خميس ، معجم اليامة ، جـ ٢ ، ص ٣٧٠ . والحفصى من ضواحي مدينة الرياض ذات تخيل ومزارع . اظف القرن الثالث الهجرى وهو أول من ألف كتابا عن اليامة ، وكان هذا الكتاب من مصادر ياقوت ، وقد اكثر عنه النقل ، لكن كتابه عن اليامة مقفود ، انظر ، مجلة العرب ، جـ ٣ ، السنة : ١٩٦٨/١٣٨٩ . ص ١٣٠٠.
- (٤٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ . ص ٧٠٠ . انظر: عرام ، أسياء جبال تهامة ١ طبع ضمن نوادر المخطوطات ، النهرة : ١٣١٤هـ) ، ص ٤٦١ . وعقيق پنى عفيل يقع بين وادى الدواسر والسليل . انظر بن خميس معجم اليامة ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .
 - (٤٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج. ١ ، ص ٣٤٤ .
- (33) ، الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٦٨ . و يقول الاستاذ عبدالله بن خيس بأن الهائدية هى ما بعرف الأن بالفاقعة بالقرب من صلبوخ منزل بنى غير « أصحاب النخل باليامة الذى يصرم فى السنة مرتين » . انظر : معجم اليامة ، جـ ١ . ص ١٣٣ .
 - . 19) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ Υ ، ص Υ ، والمشترك ، ص Υ .
- (٤٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٠ ، والمسترك وضعا ، ص ٣١٤ ، والعقير هي التي اتخذها إبراهيم بن عربي وإلى البامة لعبد الملك بن مروان مقرا له ، ويقع في متسع من وادى العرض أسفل بلدة العبينة ، ويرجح الجاسر أن يكون في موقع المفيدر الآن ، انظر: مدينة الرياض ، ص ٣١ .
 - (٤٧) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧١٧ .
 - (٤٨) الهدائي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٤ .
 - (٤٩) نفس المصدر ، ص ٢٠٤
- (٥٠) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ الشطبتان يسميان الآن الشطبية والضبعية. انظر: نفس المصدر
 ص ٢٢٦ ، هامش (٣) .
- (٥١) نفس المصدر ، ص ٢٢٧ . ووادى الغيل لايزال معروفًا في أقليم الأفلاج ، ولايزال كثير المياه كثير التمور .

- انظر: الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ ، هامش (١) .
- . ١٤١٩) الزمخسرى ، الجبال والأمكنة والمياه (بغداد : ١٩٦٨م) ، وياقوت معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .
 - (٥٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٨٤ .
 - (٥٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ ٣٠٦ .
 - (٥٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٥٧ .
 - (٥٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ (رواية الحقصي) .
 - (٥٧) نفس المصدر ، جـ ٥ ، (طبعة صادر : بيروت) ، ص ١١ ـ ١٢ .
- (٥٨) نفس المصدر ، جـ ١ (طبعة صادر . بيروت) ، ص ٤٩٧ ، ولايزال پنيان معروقا إلى اليوم ويبعد عن الرياض بحوالى خسين كيلا شهالا . اين خيس ، معجم اليامة ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .
 - (٥٩) الأصفهائي ، بلاد العرب ، ص ٢٣٥ .
 - (٦٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣١٠ .
 - ۲۹) ابن الققیه ، البلدان ، ص ۲۹ .
- (٦٢) الأصفهاني , بلاد العرب ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ . ولا يزال السُّق معروفا ويقع في شرق مدينة الرياض ، ويقطعه طريق المنطقة الشرقية . انظر: نلس للصدر ، ص ٣٠٣ ، هامش (٤) .
 - (٦٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨ .
 - (٦٤) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٨ .
 - (٦٥) تقس المصدر ، ص ٢٨ .
 - (٦٦) الأصفهائي ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ .
 - . T-7) $| A_{\rm tot} | A_{\rm tot} |$, $| A_{\rm tot} |$, $| A_{\rm tot} |$
 - (۱۸) خسرو , سفرنامه , (ترجمة يجيبي الحشاب , بيروت ۱۹۷۰) , ص ۱٤٠ ، ١٤٢ .
- (٦٩) عرام ، اسهاء جبال تهامة ، ص ٤٣١ . و يُعرَف عرام فى نفس الصفحة البثر بأنه » يشبه الأحساء ويجبرى تحت الحصى على مقدار ذراع وفراعين ودون الزراع » .
 - (٧٠) المداني ، الصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
 - (۷۱) تقس الصدر ، ص ۲۸۵ .
 - (۷۲) تفس المصدر ، ص ۲۸۵ ـ ۳۰۱ ، ۳۰۲ ، ۳۰۲ ، ۳۱۲ .
 - (٧٣) تقس المصدر ، ص ٣٠٤ .
 - (٧٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ .
 - (٧٥) الأدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٥ .
 - (۷۹) الهنداني ، المصدر السابق ، ص ۳۰۶ .
 - (۷۷) خسرو . سفرنامه ، ص ۱٤٠ .
 (۷۸) این الفقیه ، البلدان ، ص ۲۹ .
- (۲۹) الاصطخرى ، المسالك والمالك ، ص ۲۳ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ۳۸ ، الادريسي ، نزهة المشاق ، ص ٤٤ .
 - (٨٠) ضرو ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

- (٨١) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- (٨٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضا : رواية السكوني في معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٩٠٨ .
 - (٨٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ .
 - (٨٤) نفس المصدر ، ص ٢٢٥ .
 - (٥٥) الهيداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .
 - (٨٦) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .
 - (۸۷) الأصفهائي ، بلاد العرب ، ص ۲۲٦ .
 - (٨٨) نفس المصدر، ص ٢٢٧ .
 - (۸۹) الحربي ، المناسك ، ص ۲۲۲ .
 - (٩٠) خبرو ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
- (٩١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ . ص ٤٩٧ ، جـ ٣ ، ص ٦٩٩ ، جـ ٤ ، ص ٣١١ ، ٤٤٥ ، جـ ٥ ، ص ١١ ـ ٢١ ، ٢٥٩ .
 - (٩٢) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٩١٩ .
 - (۹۳) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٠٠ .
- (۹۶) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ۳۸۲ ـ ۳۸۳ ، الزمخشرى ، المصدر السابتق ، ص ۸۳ ، ياقـوت ، جـ ۲ ، ص ۶۱۵ .
- (٩٥) الزيخشري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ . ومنفوحة نقع جنوب الرياض ، وامتد العمران إليها وأصبحت أحد أحياء مدينة الرياض ، انظر: ابن خميس ، معجم اليامة ، جـ ٧ ، ص ٠٠٠ .
 - (٩٦) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١٢٧٦ .
 - (۹۷) الحمدائي ، المصدر السابق ، ص ۲۸۵ ــ ۲۸۹ .
 - (٩٨) نفس المصدر ، ص ٣٠٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جد ٢٤ ، ص ١٤٢ .
 - (٩٩) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩٢٢ .
 - (۱۰۰) الهندائي ، المصدر السابق ، ص ۳۰۸ .
 - (۱۰۱) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ (طبعة دار صادر : بيروت) ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .
- . (۲۰۲) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ۳۲۸ ، ۳۲۹ . وبلدة تمير لاتزال معروفة في اقليم سدير ، أما تمر فهي بلدة تسمي الآن تمريه بالقرب من تميرة معجم اليامة ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .
- . (٢٠٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ، جـ ٤ ، ص ٦٦ . والهزمة والأطواء غير معروفتان الآن أما قُرماء فتعرف باسم ضرماء أنظر ، ابن خميس ، معجم ، اليامة ، ج ٢ ، ٢٢ .
- (٤٠٠) نفس المصدر (طبعة دار صادر بيروت) ، ج ١ ص ، ٦٠ . وأباض تسمى الآن بوضه وتقع في أعلى وادى
 حنيفة , راجم : ابن خيس ، معجم الهامة ، ج ١ ص ٤٩ ٥٠ .
 - (١٠٥) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة دار صادر بيروت) ج. ١ ، ص ٥٢٧ .
 - (١٠٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٧٣ .
 - (۱۰۷) ياقوت ، معجم البلدان ، (طبعة دار صادر بيروت) جـ ٥ ، ص ١٤ .
 - (۱۰۸) الهنداني ، المصدر السابق ، ص ۳۹۸ .

- (۱۰۹) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ۲٦٨ ـ ٣٦٩ ـ
 - (۱۱۰) الهيداني ، الصدر السابق ، ص ۳۱۰ .
- (۱۱۱) الهجرى . التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية (دار الكتب المصرية ٣٤٧ لفويات) ، ص ١٦٤ . والريّب يعرف الآن باسم الربن فيه قرى وسكان انظر سعد بن جندل ، الربيم ، الربيب ، الربين ، مجلة العرب ، ج ٧ ، ج ٨ السنة ١٣٩٦هـ ص ١٦٢ .
 - (۱۱۲) المبدائي ، المصدر السابق ، ص ۲۹۲ ـ ۲۹۳ .
 - (۱۱۳) خسرو، سفرنامه ، ص ۱۳۸ .
- (۱۱۶) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٦٠ ، (رواية الحقضى) . ويسمى الوَثَرُ الآن صلبوخ وهو غير الوِثْرُ الذي يسمى الآن البطحاء . انظر : معجم البامة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .
 - (١١٦) تقس الصدر ، ص ٢٠٩ .
 - (۱۱۷) المبدائي ، المصدر السابق ، ص ۳۰۷ .
 - (۱۱۸) نفس الصدر ، ص ۳۰۷ ـ
 - (۱۱۹) خسرو ، سفرتامه ، ص ۱٤٠ .
 - (۱۲۰) اين الفقيه ، البلدان ، ص ۲۹ .
- (۲۲۱) ياتوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٤٠٤ . والشريف يسمى الآن الشريفة أو الشرفه وتقع فيه بلدة الشعراء . انظر: سعد بن جنيدل ، عالية نجد ، (الرياض ١٣٩٨هـ) ، ص ٢٥٧ .
 - السر: سند بن بسيس ، سيد درد ، روس در
 - (۱۲۳) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ۲۵۲ ـ ۲۵۳ .
- (۱۲۶) نفس للصدر ، ص ۳۰۵ ، ۳۲۸ ، الهيداني ، المصدر السابق ، صي ۲۸۳ ــ ۲۸۹ ، ياقوت ، معجم البلدان ، · جـ ۲ ، جـ ٤ ، ص ۲. .
 - (١٢٥) أبو القدأ ، تقويم البلدان ، ص ٩٩ .
 - . ١٢٦) نفس المصدر ، ص ٩٧ .
 - (۱۲۷) خسرو ، المصدر السابق ، ص ۱۳۸ .
 - (۱۲۸) الحربي ، المناسك ، ص ۱۱۸ .
 - (١٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٨٤ .
- (٣٠) ياقون ، معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ، ١٢٤ . ويجب أن نلاحظ أن الحَضْرَمة (فتح الحَمَّاء وسكون الشاد وقتح الرأء) ليست الجُضرَمة (بكسر الحَمَّاء ، ويسكون الشاد ، وكسر الرأء) أو الحَضارم والتي تقع في الحرج . انظرابن خميس ،
- الراء) ليست الجِقْصِهِه (بخسر اخلاء ، وسحون الصاد ، وتسر الراء) أو اختصارم وأننى نفع في أخرج . أنصر بين سيس معجم اليامة ، جـ ١ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .
- (۱۳۲) نفس المصدر ، (طبعة صادر : بيروت) ، جأ ٥ ، ص ٣٤٦ . ووادى المياه يعتبر من أشهر أودية سدير ويسمى أيضا وادى جلاجل . انظر : ابن خيس ، معجم اليامة ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ . وذكر الحفصى أن أول ما يسقى جلاجل وادى
 - المياه معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٤٦ .
 - (۱۳۲) الحربي ، المناسك ، ص ۲۳۱ .
 (۱۳۳) الأصفهائي ، بلاد العرب ، ص ۳۰٤ .
- (١٣٤) خسر و . سفرنامة . ص ١٤٠ . والسير يزن خمسة عشر مثقالا من غلة انظر: نفس الصفحة هامش (٢) .
 - (۱۳۵) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ۹ ، ص ۲۳۲ .



للاستاذ عبد الله السيد شرف

هي إحدى مقومات الأمة .. ولبنة من لبنات حضارتها ، واللغة العربية هي اللغة أثرى اللغات .. وهي اللغة التي ارتبطت بأشرف الرسالات السياوية ، وأتمها ..

ولهذا .. فقد حاول المفرضون مرارا ان ينالوا منها .. بالطعين تارة .. وبالقدف بالأحجار تارة اخرى .. فقالوا عنها إنها عسرة الهضم .. كثيرة المترادفات .. والمتضادات .. ثم إنها ظلمت المرأة ! والحل عندهم يكمن في احلال العامية محسل القصحي .. !!

وما أبطل دعواهم .. وأفشل محاولاتهم ..! فهمم لا ينطقمون بحق ولا يبتغمون الصواب .. لكنها حاجة في النفس ، يعرفها كل عربي يعتنز بعربيته ، وبلسانمه العربي الفصيح !

قيل عنها إنها قاصرة عن مسايرة العصر وملاحقة ركبه .. وأنها كشيرة الترادفات .. عقيمة القواعد .. عسرة الفهم .. و .. و .. ثم أخيرا قيل إنها ظلمت المرأة .

تلك هى اللغة العربية .. التى تنفرد ـ دون بقية اللغات ـ بأنها الوحيدة التى لاقت من الكيد والحروب ما لم تلاقه لغة اخرى .. وما ذلك الا لأنها لغة العرب .. خير أمة أخرجت للناس .. ولأنها ترتبط بالنور والهدى الذى جاء به محمد ولله والمحمد من كل ما ألصقوه بها من تهم وافتراءات .. فهى اللغة التى رفع اصحابها لواء أعظم حضارة عرفها العالم ، يوم أن كانوا يستظلون بحروفها الوارفة وتشحذ هممهم كلهاتها الواعية ، فتدفعهم الى الاقدام والتفاني ..

وهى اللغة التى اختارها الله _ جل شأنه _ لتكون لغة خير أمة أخرجت للناس، هى اللغة التى نزل بها كتابه الكريم المعجز. قال عنه : بلسان عربى مبين ، لقد انزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم .

وكما لا توجد حضارة بلا أمة فإنه لا توجد أمة تعتز بمكانتها إلاّ ولها لغة يتجمعون تحت رايتها وتكون أساسا متيناً للبنيان الحضارى .

من أجل هذا كله . حاول أعداء العربية أن ينالوا منها ، وأن يطعنوا فيها بمقولات القصد منها إشاعةالفرقة ، والتفكك : ليسهل الفتك والافتراس ، فالذئب إنما ينقضً على الفريسة الفاصية .

وفى هذه الكلمة سنقف قليلا على ضفاف هذه اللغة لننهل من نهرها العذب ونغوص فى مائها الصافى محاولين أن نفند ما ألصقوه بها من تهم ، هى منهها براء ، وأن ننحى ما ألقوه فوق صفحتها من أوشاب وأدران .

○ النحو العربي ○

وُضع علم النحو على يد أبى الأسود الدؤل بإشارة من علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وذلك خوفًا على اللغة من أن ينتشر فيها اللحن ثم التحريف ، وبخاصة وأن الرفعة الإسلامية قد اتسعت ، ودخل الساحة من لا يتقن اللغة .

وقد تم وضع النحو بطريفة الاستقراء فكانوا يتتبعون كلام العرب ثم يدونون . أى أنه لم يقم على الاستنتاج الذي يحتمل ان يقع في الخطأ قدر وقوعه على الصواب ..

فها الذى حدث بعد كل هذه القرون ليرفعوا فى وجه النحو راية العصيان والتنكر ، وهو أساس كل علم .

_ يقول أبو بكر بن مجاهد: كتت عند أبى العباس أحمد بن يحيى « تعلب » فقال لى :
يا أبا بكر .. اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث
ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو .. فليت شعرى ماذا يكون حالى فى الآخرة ، فانصرفت
من عنده فرأيت تلك الليلة النبى ولي في المنام فقال أقرى أبا العباس منى السلام وقل
له إنك صاحب العلم المستطل ..

قال الروذبارى أى أن جميع العلوم مفتقرة إليه (الفراد) فلياذا يغيرون عليه الآن ، ويرتفع صوتهم ليطالبوا بتبسيط النحو .. وأيهما أفضل .. أن نرتفع إلى مستوى النحو وهو ثابت أم نهط به إلى مستوياتنا العقلية وهى متفاوتة من شخص لآخر ١٢ إن هذا يذكرنى بما حدث لأبى تما ؛ فقد روى : أن رجلا قال للطائى فى مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد : يا أبا تقول من الشعر ما مفهم ؟

فقال له : وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ ففضحه (٢) لقد وصفوا عصرا من العصور بالانحطاط: لأن اللغة ضعفت في هذا العصر فأصيبت أقلامهم بالاعوجاج وألسنتهم بالركاكة ، فهاذا يكون الحال عندما تموت اللغة ، ويشنق النحو وهو الذي قالوا عنه إن النحو في العلم بجنزلة الملح في القدر ، بل إنهم كانوا يتواصون فيا بينهم « إذا سرك ان تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر في عينك من كان عظيا فتعلم العربية » ، وقد تعلموها ، وشدوا إليها الرحال من كل جانب ، فكان منهم الزهراوى ... وابن خلدون .. والمعرى .. وطارق بن زياد . ولإحساسهم بجهال العربية ودقتها قال البيروني : أن تهجوني بالعربية أفضل عندى وأحب إلى من أن يتدحوني بالفارسية .. ولا شك أنها عشقهم مقدار عشقهم لها فدانت لهم قطوفها ، ودلتهم على دروبها ومسالكها ، فأقاموا حضارة ظلت أوروبا تنهل منها حتى وقت قريب ، وهي أساس ما هم فيه من تقدم في شتى الجوانب ..

وكم أنقذت اللغة من أسير ، وكم فك النحو من قيود المسجونين ، ولولا معرفتهم ببواطنها

لواجهوا ما لا يحسدون عليه .. وكم حلَّت الفتحة الأغلال. وكسرت الضمـة سلاسـٰل الأمراء .

رُوى أن عبد الملك بن مروان أخذ رجلا كان يرى رأى الحارج ، رأى شبيب فقال له : الست القائل : ومثا سُوَيدُ والبَطِينُ وَفَعْنَبُ ومثا أميرُ المؤمنين شَهيبُ

بضم الراء من « أمير » فقال : إغا قلت : ومنا أمير المؤمنين شبيب بفتح الراء منها . « أي با أميرً المهمنين » فأم بتخلبة سببله (١) .

وقد قبل إن تحريف المسيحية جاء لأنهم أسقطوا ــ الشدة ــ فتغير المعنى .. كانت الكلمة : يا عيسى إنى ولدتك من بتول ، بتشديد اللام ، فلما أسقطوها أسقطوا فى الضلال والشرك . وقد كان القدماء يستغفرون الله تعالى عند اللحن ، وهذا هو الرسول ﷺ يقول للصحابة رضوان الله عليهم ــ حين لحن بحضرته رجل ــ أرشدوا أخاكم فقد ضل ..

أما الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أمر بضرب الكاتب الذى أخطأ ، فقد جاءه كتاب من كاتب لأبى موسى الأشعرى يقول فيه : من ــ أبو موسى ــ فيكتب له عمر : سلام عليك .. أما بعد : فاضرب كاتبك سوطا واحدا وأخَّر عطاءه سنة ⁽¹⁾ .

بعد كل هذه القرون العديدة يكتشفون أن اللغة قاصرة عن ملاحقة العصر بأدواته وخترعاته .. ولا نعرف من أين جاه هذ القصور وهذا المجز ، والعربية بِلدائين حروفها أطوع اللغات على التشكيل والإثراء،لكنهم يصر ون على إلقاء اللغة وسط بحار العجز ثم يطالبونها بألا تبتل .. فإذا ما وضعت المجامع العربية ألفاظاً عربية لمستحدثات جديدة ، وجدناهم يهملونها عمدا، بل ويطلقون النكات السخيفة ويروجون لها ،ورحم الله حافظ ابراهيم حيث يقول :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آكي به وعظات فكيف أضيق اليوم عن وصف ألة وتنسيق أسياء لمخترعات

وما زالت الأيام تثبت أن العربية أقدر من غيرها على احتواء الكثير من المصطلحات الحديثة ، إن نحت المصطلحات الفلسفية الوجودية الحديثة الصعبة أكبر دليل على ثراء اللغة العربية ، فقد عجزت اللغات الأوروبية رغم وحدة أصوطا أن تجد مرادفا لعشرات المصطلحات الألمانية .. واليونانية ، ولكن اللغة العربية استطاعت ذلك (٥٠) ثم .. هل اللغة العربية وحدها هي التي يصعب فهمها دون بقية اللغات ، ولماذا لم يحاول أحد أن بنال من الصينية، وهي أصعب بكثير من اللغات مجتمعة ؟ لكنها حاجة في النفس ..

والغريب فى الأمـر، أنسا نجـد الكشيرين من أبنـاء العـربية ينساقـون وراء تلك الادعاءات، ويردّدون ما قاله للغرضون دون أن يتنبهوا لخطورة ما يروجون، ولو أنهم بذلوا جهدهم العلمى فى ترجمة المصطلحات الأجنبية ليسهل تدريسها لكان خيرا لهم^(١)

○ الترادف ○

من النهم الموجهة الى اللغة العربية ، ما يقال تحت اسم الترادف .. وهو كها يفولون اتفاق لفظين أو أكثر في معنى واحد ، مما يعد تكثيرا لا فائدة منه ، ونود في البداية أن نذكر ما قالته المراجع عن الردف .. والترادف . تقول المراجع : ودف الرجل .. وأردفه ركب خلفه على الدابة .

والردف شيء خلف سيء فهو الترادف ، الجمع الرداق ، وفي حديث بدر« فأمدهم الله بألف من الملاتكة فردفين » .. أي متنابعين وترادفت الكلبات .. تشابهت في المعنى : هذا ما فالته لنا المعاجم .. ومن هذه التعريفات ينضح لنا أن التعريف الذي وضعه المحتجون على اللغة لا بوافق ما ادّعوه .. إذ أن الترادف لا يعنى الاتفاق ، كما يفولون .. فلا بسترط في التنابع أن يكون هو عين المتبوع .. فلكل شخصيته المستفلة عن الآخر .. على أننا لن نتوقف كبرا أمام هذه المسأله , لكن سننتفل الى ذكر ما عاله أبو هلال العسكرى عن الفروق اللغوية . يفول أبو الهلال : كما لا يجوز أن بدل اللفظ الواحد على معنى واحد؛ لأن في ذلك تكتبرا للغة بما لا المائي ، أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإسارة ، وإذا أشير إلى سيء مو واحده فعرف ، فالإشاء إليه تائية .. وثالة غير مفيدة ، وواضع اللغة حكيم لا بأتى فيها بما لا فعرف ، فالإشارة إلى المسكرى ، ويتضح منه انه ننفى وجود الترادف .. و دذل على صدق قوله بإيراده مجموعة كبيرة من الفروق الدقيفة بين الكلبات المختلفة اللفظ، والتي يظن أنها متشابهة المعنى ، كالكأس والقدح ، والعام والسنة .. و .. و .. إلى اخر ما احتواه كتابه المفد .

والذي نريد أن نذكره هو:هل انبنقت العربية من نبيلة واحدة ؟ ثم هل وجد النرادف في لغة القبيلة الواحدة ؟ روى ابن عباس رضى الله عنهها قال:كنت لا ادرى ما فاطر السموات والأرض حتى سمعت أعرابيا ينازع في بئر فقال : أنا فطرتها ـ يريد أنشأها (٨٠) وهذا بعنى أن الألفاظ لم تكن واحدة عند كل القبائل أى أن اللغة غير مسئولة عن الترادف . ومعلوم أن العرب قبل الاسلام كانوا قبائل متفرقة لكل قبيلة لهجتها الخاصة . ومسمياتها الخاصة ، وهذا ما أوجد ما يسمى بالترادف .

وقد اكد الدكتور شوقى ضيف ، ذلك مرجعا الأمر كله الى اختلاف اللهجات والقبائل في وضعته للمعانى الحسية والذهنية من أسهاء وأفعال (٩) فلما جاء الإسلام بنوره المشرق وتعاليمه السامية جمع كل هذه القبائل تحت راية واحدة ، وللتأكيد على أهمية الوحدة والتكانف نجد في القرآن الكريم عدة ألفاظ لم تعرفها قريش من قبل _ قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .. فقال ابن المناذر: أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام . ونحن نقول قدر .. ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل : « وجفان كالجواب وقدور راسيات »وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية وتجمعون هذا الاسم على علالى ، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف . وقال الله تبارك وتعالى: « غرف من ونحن من مبنية « وهم في الغرفات آمنون » (١٠)

يتضح من هذا كله أن الترادف راجع إلى اختلاف القبائل ، وبعدها عن بعضها الممض .. ولا وجود هذا الأمر بين القبيلة الواحدة ، فلو وجد الترادف عند القبيلة لكان ابن عباس على علم تام بعنى كلمة فاطر ، أما أن الترادف تكثير لا فائدة منه ، فهذه الكلمة جانبها الكثير من الصواب ، إذ لولا هذا الترادف لما استمتعنا بهذا الكم الهائل من الشعر ، أو فن العربية الأول ـ فلولاه ما كان للساعر حرية التنقل من غصن لآخر ليسمعنا أعذب الألحان والأنفام ، وكيف يتأتى له ذلك ، والوزن يقيده ، والقافية تحدة لكن مع ثراء اللغة يستطيع الشاعر أن ينتقى من بينها ما يناسب قافيته ويضيف إلى القصيدة بعداً جعاليا فريدا .

هذا عن الترادف ، وإن كان هناك العديد من الألفاظ التي يبدو للمرء أول وهلة أنها ، متشابهة المعنى .. لكن بالعودة إلى المراجع يكتشف أن بينها اختلاف واضح وتباين ظاهر . أمّا عن التضاد فقد أرجعه الدكتور شوقى ضيف إلى أنهم كانوا فى الجزيرة متباعدين ، وقد تطلق قبيلة كلمة على مسمى ولا تسمع بها القبيلة البعيدة فتضعها لمسمى يضاده . وبكون ذلك اتفاقا ومحض مصادفة (۱۱) .

ولنا أن نسأل الآن .. هل العربية هي التي تنفرد بوجود الترادف .. والتضاد ؟ في اللغة

الانجليزية مثلا كلمة Spring تعنى عندهم « ربيع » .. ونفس الكلمة بنفس الحروف تعنى « ينبوع » .. ثم هى أيضا تعنى « زميرك » .. وأيضا « يقفز » ، وكل هذه الكلبات لا يمت بعضها لبعض بصلة قربى ، أو وشيجة نسب ، فهل اتهمت الانجليزية بما اتهمت به لغة القرآن الكريم ؟ .. أم أن الأمر « شنشنة » معروفة من أخزم .

O « العربية والمرأة » O

قيل مؤخرا .. إن المعاجم العربية ظلمت المرأة ، فقد قالت امرأة نازلة ، والنازلة هي الداهية .. ثم إن المعاجم حرمتها الداهية .. وإذا وقعت فهي واقعة .. والواقعة من أسياء القيامة .. ثم إن المعاجم حرمتها التاء الخاصة بها في الأوقات التي تحتاج إليها فيها ، فقالت : مرضع .. وطالق ولم تقل : مرضعة . وطالقة :

ولست أدرى ماذا يقصد من وراه هذا ؟ أهى محاولة لحذف تاه التأنيث التى اختصت بها المرأة وحدها والتى تدخل لتفرق بين المذكر والمؤنث في حالة اللبس فلا يعقل أن يقال : امرأة حبلة لاستحالة صرف المعنى للرجل ، إذ ما الداعى لتاء التأنيث والكلمة مؤنثة بنفسها ، أم أن الأمر فقط إشعار المرأة بأنها مظلومة لتطالب بالمزيد من الحرية ؟ .. ثم لماذا لم تظلمها المعاجم حين قالت امرأة كريمة ، عفيفة ، جميلة ، صبورة ، مليحة .. وهمل التأنيث لاسم الشمس عيب أم التذكير فخر للهلال ؟ .

اللغة العربية لم نظلم المرأة كما قبل .. بل إنها أعطت لكل ذى حق حقه ، وكما قالت مرضع . قالت أيضا مرضمة .. وفي القرآن الكريم : « يوم ترونها تذهل كل مرضمة عها أرضعت » وهذا من جماليات الأسلوب القرآني المعجز ، فكلمة مرضع لا تحتاج إلى التأنيث فهي لا تصرف إلا إلى المرأة ، فلا يقال أبدأ رجل مرضع ، لكن إن دخلت التاء فلا بد أن هناك إضافة ما تود اللغة أن تنبهنا لها .. فالمرضع من لها طفل ترضعه أو التي في تديها لبن ، أما المرضعة فهي التي تضع تديها في فم الصغير ، أي أن هول يوم القيامة سوف يذهل الناس حتى أن المرأة ستذهل عن وليدها رغم أنه ملتصق بها .

« الدعوة الى العربية »

نصل بعد هذا إلى الدعوة التي ينادون بها بين الحين والآخر . زاعمين أنها الحل الأمثل

وتتلخص دعواهم تلك في إحلال العامية محل الفصحي. وتعود حذور هذه الدعوة إلى عام ١٨٨١ م ، حيث تبنت الدعوة مجلة « المقتطف » التي كان يصدرها بعقوب صروف .. ثم أعيدت الدعوة مرة أخرى إلى عام ١٩٠٢ م ، عندما ألف القاضي ولور كتابا أسياه « لغة القاهرة » اقترح فيه اتخاذ لغة القاهرة لغة للعلم والأدب .. كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية . ثم عاد « وليم ولكوكس » عام ١٩٣٦ م ، ليدعو إلى هجر اللغة العربية وأبَّده سلامة موسى (١٢) ولا شك أننا جميعا نشيم في هذه الدعوة رائحة إشاعة الفرقة بين أبناء خير أمة أخرجت للناس ، فلهجة القاهرة العامية تختلف عن لهجة سوهاج ، ولهجة سوهاج تختلف عن لهجة الاسكندرية ، وكلها مدن داخل دولة واحدة ، كيا أن شعر الرباية في مصر غير مفهوم لأهل المغرب ، والشعر النبطى في المملكة العربية السعودية لا سبتسيغه أبناء مصر ، فكيف نترك ما يفهم وتتمسك بما لا يفهم ؟ . من المؤكد أننا لو أحللنا العامة محل الفصحى فسنعيش في تباعد وتنافر، حتى إذا اشتكى أي عضو من ألم ألم به فلن يخف لنجدته العضو المجاور له، وأنَّى له ذلك وهو غير قادر على فهم لغته رغم قرب المسافة وتلاحم الديار، وسيصبح العرب لقمة سائغة تؤكل كما أكل الثور الأبيض، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى التلاحم والوقوف صفاً في وجه أصحاب مبدأ :« فرَّق تسد » . ويأتي بعد ذلك جيل لا يعرف عن لغته الفصحي أي شيء .. فيختلط عليه الأمر .. فيهجر القرآن الكريم؛ الذي ما إن تمسكنا به فلن نضل أبداً ، حتى إذا قرأه فسوف بدخل فيه ما ليس منه ويسوء الفهم لسوء القراءة ، ثم يكذب على الرسول عَلَيْكِ رغم نهيه عن ذلك ، قال الاصمعي : أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ : من كذب علىَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . (١٣)

0000

اللغة العربية .. هى لغة الجيال ، والحق .. لا يشعر بهذا إلاّ من عايشها ونام على وسائد كلباتها ، واستيقظ على شقشقة ألفاظها ، ودافع عنها وعن دياوها بعد أن أثارت همّنه أستّة حروفها ، ولهذا فقد عنى بها الأولون ، وأولوها عنايتهم واهتامهم وشاركهم الكل فى الإحساس بها العامة والخاصة ، والحاكم والمحكوم ، بل إنهم أنفوا من اللحن :

وازداد تعجبهم على من يلحن حتى ولو كان خليفةً . تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن .. فصرٌ الأعرابي أذنيه « أصغى باهتام » فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى .. فقال الأعرابي : أفّ طفا .. ما هذا ؟ ثم تكلم ، فلحن الثائشة فقال الأعرابي : « أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر » (14) لقد رأى الرجل أن الخليفة ليس جديرا بهذا المنصب لأنه لحن في كلامه ، بل إن أعرابيا دخل السوق فسمعهم ليحنون . فقال : « العجب يلحنون ويربحون » (10) وهو تعجب يدل على حبهم للفتهم وإستنكارهم للإساءة إليها .. فهم أهل فصاحة وبلاغة ، أشربوا حبها .. وأحسوا ببواطن جالياتها دون معلم أو مرشد .

روى أن رجلا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ : « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم » فقال الأعرابى : « لا يكون » (١٦٠) يعنى أن فى هذا إغراء على الزلل، فتنبه الرجل إلى أنه أخطاً .. وأن صحة الآية الكرية : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

لقد أحبوا لغتهم .. وشدوا إليها الرحال .. وجابوا من أجلها القفار بغية أن يغترفوا من نهرها العذب السخى .. فكانت أملهم فى الصحو .. ورؤياهم فى المنام .. بل إن منهم من راح يصرّح وهو على فراش الموت : « أموت وفى نفسى شىء من حتى » !! فلا أقل من أن نحافظ على ما تركوه لنا بدلا من أن نهدمه ونشوة جماله .. لقد نزل التررية ، قائلا :كهيعصى ، حم ...

فعلينا أن تحافظ على لغة القرآن الكريم .. متذكرين دائها قول الله تعالى « قرآنا عربيا غير ذي عوج » .



المصادر

- ١ الأهرام جريدة ١٤٠٢/٥/١٩ هـ . ١٩٨٢/٣/٥ .
 - ٢ _ البيان والتبين. الجاحظ دار الكتب العلمية .
- ٣ ـ العصر الجاهلي . د . شوقى ضيف ، دار المعارف . الطبعة الثامنة ١٩٧٧ م .
 - ٤ ـ العمدة . ابن رشيق دار الجيل . الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .
 - ٥ _ عيون الأخبار . ابن قتيبة . الهيئة المصربة للكتاب ١٩٧٣ م .
- ٦ ـ الفاضل . المبرد . تحقيق عبد العزيز الميمني . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥ م .
- ٧ ـ الفروق في اللغة . أبو هلال العسكري . دار الآفاق . الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
- ٨ ـ مجالس تعلب . أحمد بن يحيى . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف الطبعة
 الثالثة . ١٩٢٩ م .
- ٩ ـ مراتب النحويين . عبد الواحد بن على ، تحقيق محمد أبو الفضل . دار نهضة
 مصر ١٩٥٥ م.
 - ١٠ ـ معجم الأدباء . ياقوت الحصوى . دار إحياء التراث .
 - ١١ _ هدم اللغة العربية .. لماذا ؟ .. ابراهيم سعفان _ مجلة اصوات ١٩٨١ م .

الهوامش

٣ عيون الأخبار / ١٥٥/.
 ١ العصر الجاهل ١٧٥.
 ١ مراتب النحويين ٣٣.
 ١٠٤ هدم اللغة .. للذا ٤٠٠.

٥ .. الأهرام في ٥/٣/٨. . ١٦ معجم الأدياء ١/٩٠.

۲ هدم العربية لماذا ۳۷.
 ۷ الفروق في اللغة ۱۳.
 ۷ الفروق في اللغة ۱۳.

٨ _ الفاضل ١٤ . () ١٦ ـ البيان والتبين ١٨١ .

عرض کتاب،

الاطهارالقانوني والسكياسي لمجلس التعساون المخسليجي



عرض وتعليق: الدكتور طه عثمان الفرا

- عنوان الكتاب : الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي .
 - مكان إصداره: الرياض في عام ١٩٨٣ م.

وسوف نعرض هذا الكتاب أملا في إبراز أهم مزاياه العلمية ، والإشارة الى بعض الملاحظات إسهاما في خدمة الأهداف السامية التي من أجلها جاء مولود الوحدة العربية الجديدة _ مجلس التعاون لدول الخليج العربية _ إلى حيز الوجود .

أولا: عرض لأفكار الكاتب ○

أن جاء المؤلف بالمقدمة وأوضح منهج البحث الذى سلكه عند معالجته لهابقسم كتابه إلى مقدمة وستة فصول أردفها بخاتمة وملاحق وقائمة مراجع.

أورد المؤلف مقدمة لكتابه تحت عنوان « تمهيد » ذكر في مستهلها أن أوار الحرب الباردة بين الدولتين العظميين قد بدأت حرارتها في التصاعد في محيط مجريات أمور الخليج العربي منذ أن غزا الروس أفغانستان سنة ١٩٧٩ . ثم أشار إلى معاصرته لأحداث المنطقة واهتامه بها ، وأورد بعض المعلومات التفصيلية المتعلقة بالموقع والساحة ، وتعداد السكان ، ونسباً مئوية للقوى العاملة والأراضي الزراعية في كل من دول المجلس الست .

ويعالج الفصل الأول من الكتاب الظروف التي أحاطت بنشأة مجلس التعاون وقيامه وصدى مجيئه الى حيز الوجود محليا ودوليا،وكيف أن فكرة إنشائه تبلورت وبرزت من الفكر العائم الى عالم التنفيذ والواقع، في مؤتمر عقد بمدينة الرياض في الرابع من شهر فبراير عام ١٩٨٨.

أما الفصل الثانى فقد تعرض الى « تجاوب الوحدة الخليجية بين محاولات الماضى وأمل المستقبل » ، مع تركيز على دراسة محاولة إقامة اتحاد يضم إمارات خليجية عربية تسع وكيف أن تلك المحاولة قد أسفرت عن استقلال كل من البحرين وقطر وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة .

ثم يتعرض الفصل الثالث الى « مجلس التعاون وتحديات الأمن في الخليج العربي » ويعطى المؤلف أهمية ملحوظة لهذا الفصل ؛ لا لأنه خصه دون غيره من أبواب كتابه بكتابة تمهيد له فقط , بل لأنه عالج من خلاله مجموعة من الموضوعات الحيوية بصورة موضوعية ، مثل مفهوم أمن الخليج، وكيف أن عرب الخليج قد أثبتوا وجودهم وأكدوا أهمية دورهم في معالجة المسائل المتعلقة بأمن خليجهم ومستقبله . بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الفصل أوضح الأطاع والأخطار الاستعارية المحدقة بالمنطقة وعلى الأخص بعد الغزو الشيوعي لأفغانستان واقتراب موجات المد الروسي من سواحل الخليج وبحر العرب .

ويدرس الفصل الرابع « مجلس التعاون كإطار للتكامل الاجتاعى والاقتصادى » مؤكدا أن إمكانات هذين النوعين من التكامل الاجتاعى والثقافي بالذات توجد بين ظهرانى عرب الخليج بصورة ملحوظة تفوق وجودها بين سكان أى إقليم من وطننا العربى الكبعر.

ثم يأتى الفصل الخامس ليعالج « النظام القانوني لمجلس التعاون لدول الخليج العربية » موضحا أهداف المجلس ، وعضويته ، وهيكله التنظيمي ، وهيئة تسوية المنازعات التابعة له ، ووضع هذا المجلس كمنظمة إقليمية في إطار الأمم المتحدة .

وأخيرا نصل إلى الباب السادس حيث يناقش المؤلف « العلاقات الدولية في إطار مجلس التعاون الحليجي » . ويتعرض هذا الباب إلى مجموعة من الأسور الهامة مشل التنسيق والتكامل السياسي بين الدول أعضاء المجلس ، وبعض من الجوانب السياسية الحارجية لهذه الدول تجاه مجموعة من الدول الأجنبية .

ومن الملاحظ أن الكتاب في مجمله يتعرض إلى كثير من الحقائق والأحداث الهامة الجارية في المنطقة . ويقدم الكاتب التحليلات والتعليلات العلمية المناسبة بصورة مقتضبة تاركا الكتابة عن مزيد من التفصيلات عنها للباحثين والدارسين . ولقد أشار المؤلف إلى هذه الحقيقة في نهاية تمهيده لكتابه بقوله : « .. وإني إذ أقدم هذه الدراسة الموجزة ، لآمل أن نفتح الباب لمزيد من الدراسات حول هذه التجربة الهامة ، تجربة قيام مجلس التعاون الخليجي » .

ثانیا : ملاحظات عامة ○

أورد المؤلف المقدمة أرقاما تفصيلية متعلقة بمساحة كل من دول المجلس وتعداد السكان والقوى العاملة في كل منها . وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات من الناحية العلمية ؛ إلا أنه كان من الأجدى وضعها في جدول مستقل كي يسهل على القارئ الاستفادة منها من حيث المضمون أو المقارنة ،نظراً لأن الأصل في المقدمة هي إعطاء القارئ فكرة موجزة عما ينطوى عليه أي بحث أو كتاب ، ونظراً لأن المجلس يهدف إلى تحقيق غاية سامية هي الوحدة الشاملة بين الدول الأعضاء ، فقد كان من المستحسن أن

تُعطى المقدمة القارئ فكرة مقتضبة عن أهم المحاولات السابقة التى رمت إلى توحيد الجزيرة العربية تحت لواء واحد مع الإشارة إلى قيام كل من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة .

وعندما تطرق المؤلف إلى الكتابة عن « منهج البحث »في كتابه ؛ أشار فقط إلى الهدف الذي حدده لدراسته ، وأغفل ذكر أهم البواعث التي دفعته إلى القيام ببحثه ، وذكر أبرز الوسائل التي اتبعها للحصول على المعلومات . وبعد ذلك أخذ المؤلف في توضيح الموضوعات التي سوف يتعرض لها في كل فصل من فصول كتابه الستة . وبذلك انضوت تحت لواء المنهج الذي حدده لكتابه مادة علمية بكان من الواجب أن يشار لها في المقدمة أو أن تضمن الخاتة مع إضافة الحقائق والآراء والمقترحات الجديدة التي توصل إليها الكاتب في أثناء قيامه بدراسته .

أما بخصوص الاقتباس فإن المؤلف ضمن حواشي كتابه مجموعة جيدة من المراجع والملاحظات والمعلومات التي أثرت الكتاب، ويمكن أن يستفيد منها القراء والباحثون والمحللون في أية دراسة مقبلة تتعلق بمجلس التعاون لدول الخليج العربية . ولكن بعض تلك المعلومات كانت غير كاملة، وبخاصة المتعلقة بالمراجع . وعلى سبيل المثال نرى المؤلف يقول في أول حاشية لكتابه « انظر تصريحات المسئولين والزعياء في مجلس التعاون في الكتاب الذي أصدره المجلس في ذكراه الأولى عام ١٩٨٢ م « دون ذكر عنوان ذلك الكتاب » واسم المؤلف وجهة الإصدار أو دار النشر . وعند الإشارة إلى الكتاب نفسه في الكتاب الذي هو قيد العرض وجد الكتاب تحت عنوان : « مجلس التعاون لدول الخليج العربية . الكتاب الأول ، مطبوعات مجلس التعاون عام ١٩٨٢ » إن مثل هذا الاختلاف كتيراً ما يربك القارئ ويجعل من الصعب على الباحث تحديد الاسم الصحيح للكتاب وبالتالى ينتج عنه عدم سهولة العثور عليه أو الرجوع إليه .

ومما يلاحظ أيضا عدم الالتزام بنسق واحد لأسهاء مراجع هو كاتبها ،كها فعل عندما يقول : « راجع رسالتنا للهاجستير : مرجع سابق « ص ٣٥ » في حين أنه لم يشر إليها كمرجع في الحواشي السابقة بتاتا . ثم يشير في صفحات تالية إلى الرسالة ذاتها بقوله :

«.. رسالتنا اتخاد الإمارات العربية » المقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. وبعد ذلك يعود ليشير إليها بعبارة «.. رسالتنا سالف الإشارة إليها .. » وتساهل المؤلف في ذكر أسهاء الصحف والمجلات فأوردها بصورة مختصرة لا يمكن القارئ من الرجوع الى اقتباساته منها بدقة ، وذكر أسهاء إلدول أحيانا مقتضبة ، وأشار إلى نفسه بضمير المتكلم والتزم بذكر الألقاب العلمية للباحثين مثل (حاشية ص ١٢ ، ص ٧٣) وهي أمور تعارف الباحثون على أغاط محددة لها . وإنني لعلى يقين بأن الطريقة العلمية المتبعة في ذكر المراجع والصحف وغيرها لا تخفى على المؤلف الكريم .

ويسم هذا الكتاب ببساطة الأسلوب ورصانة اللغة وغزارة المعلومات والميل إلى سرد الحقائق الهامة . وعلى الرغم من أن المؤلف قد جاء بهذه الحقائق في صورة ممتازة التزمت بالتسلسل التاريخي والمنطقى ؛ إلا أن البحث لا يزال في حاجة إلى مزيد من التركيز على الناحية الموضوعية ؛ وبخاصة عند الكلام عن الموقع الجغرافي ، والشروات المطبيعية ، والأخطار المحدقة بالمنطقة وعلى الأخص بعد الغزو الشيوعي لأفغانستان واقتراب المد الرسي من شواطئ بحر العرب . وعندما يعرف القارئ بأن المؤلف متخصص في العلوم السياسية بفإنه يطمع في التعرف على مزيد من تحليلاته السياسية الموضوعية على غرار ما فعل في الفصل الثالث «مجلس التعاون وتحديات الأمن في الخليج العربي » مع إضافة بعض الحرائط التوضيحية .

فالكتاب لم يتضمن أى شكل من خرائط أو رسوم بيانية وغيرها؛ عدا الخريطة التى حواها شعار المجلس على الصفحة الأولى للغلاف الخارجى . وهذا الشكل نفسه لا يتمشى مع التمثيل الكارتوغرافى لخرائط دول يضمها تنظيم واحد . ويحتم هذا التمثيل أن تأخذ الحرائط فى هذه الحالة لونا واحداً لا ألواناً متباينة . لقد أعطى الشعار المذكور اللون الأخضر للمملكة العربية السعودية ، وأخذت الكويت اللون الأبيض ، وأعطى اللون الأصفر لهاقى دول أعضاء المجلس وغيرها من الدول التي تضمها الخريطة المذكورة . ونظرا لأن المتعارف عليه عالميا أن لكل شعار هدفاً واحدا أو أكثر: لذا فإنه كان من الواجب أن تأخذ دول المجلس الست لوناً واحداً ءثم يعطى ما عداها فى الخريطة لُوناً مغايراً . ومن المعروف أن شعارات المجلس وخرائطه تتمشى مع هذا المنوال ؛ بحيث تبرز

الدول الأعضاء كوحدة واحدة . تُرى ألم يكن بإمكان المؤلف أن يزود كتابه بمجموعة من الحرائط التى يمكن أن توفر على القارئ الكتير من الوقت وترفع من شأن القيمة العلمية للكتاب ذاته ؟ ومن أهم تلك الحرائط :

- ـ خريطة توضح دول المجلس وعواصمها وبعض المدن الهامة بها .
- _ خريطة تبين الموقع الجغرافي لدول المجلس بالنسبة لقارات العالم القديم .
- خريطة تبرز بعض الثروات الطبيعية ، وبخاصة الزيت والغاز الطبيعى والمعادن الموجودة
 في الدول الأعضاء .

ويرد التساؤل نفسه عن خلو الكتاب من الأشكال والرسوم البيانية ؛ علما بأنها تكاد تكون ضرورة عضيث يمكن أن تحل محل بعض الجداول الموجودة في الكتاب نفسه .

إن الأشكال البيانية تسهل مهمة المقارنة على القارئ وبخاصة عندما يتعامل الشكل الواحد مع مجموعة دول .

أما عن الجداول فإن المؤلف قد أثرى كتابه بها ، وهى بلا شك وسيلة جيدة لعرض المعلومات في مساحات محدودة ، وتيسر على القارئ مهمة الحصول عليها . ولكن يلاحظ أن أرقام تلك الجداول لا تواكب تصاعدياً أرقام صفحات الكتاب . فعلى سبيل المثال نجد جدول رقم (١١) قد تصدر الصفحة الحادية عشرة ثم تلاه جدول رقم (٣٧) ، (٣٧) ، (٣٧) ، (٣٨) ، (٣٨) ، ويحتمل أن يكون السبب هو أن الجداول قد نقلت عن مصادر بمراجع أشار المؤلف إلى بعضها وبقيت تحمل أرقامها الأصلية ، وفى هذه الحالة كان ينبغى له أن يجعل تسلسلها تصاعدياً بحيث يتناسب مع المادة العلمية لكتابه مع الإشارة إلى المصدر أو المرجع الذي أخذت منه .

0 الخاتمة 0

جاءت خاقة الكتاب على هيئة ملخص؛ وضّع أهم المعلومات والحقائق التي توصل إليها المؤلف في صورة مرتبة ومنطقية . إن مثل هذا الترتيب يساعد القارئ بوجه عام والباحث بوجه خاص في التعرف على أهم الآراء والحقائق والافتراضات والتحقيقات التي يحتسوى عليها الكتاب . وهذا يعنى توفير المزيد من الوقت والجهد للباحشين والقراء عند رجوعهم إلى موضوعات معينة بقصد معوفة المزيد عنها أو الاستفادة منها .

إن اطلاع المؤلف على شنون المنطقة عن كثب ، ومعاصرته ومتابعته لكثير من أحداثها ، قد أثرى المادة العلمية التى احتواها الكتاب بين دفتيه . بالإضافة إلى ذلك فإن الطريقة التى اتبعت فى دعم هذه المادة بالأرقام والحقائق الموثقة قد رفعت من قيمة هذا الكتاب،على الرغم من الملاحظات التى أشرنا إليها سابقا . أما بالنسبة إلى إبراز الحقائق والرد على بعض المقولات على مجلس التعاون الحليجى : فإن المؤلف قد تصدى لها وفندها بصورة علمية مما جعل لمادة كتابه العلمية صفة مميزة تستحق التقدير والإعجاب .

وفى ختام هذا العرض يمكن القول بأن هذا الكتاب يستحق قراءة كاملة وعدم الاكتفاء بهذا العرض ، لأنه خطوة طيبة فى ميدان الدراسات الخليجية ، ويستحق أن يأخذ مكانه فى المكتبة العربية .



قرية" المفساو"

صورة للحضارة العبهة قبل لإسلام فالمملكة العربية السعودية



عرض : الدكتور أحمد حسن غزال

هذا الكتاب في عرض شيق ودراسة علمية جادة النتائج الأولية لأحدث الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأوسط. وهي « قرية » الفاو ، التي تبعد حوالي ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ، والتي كشفت عنها بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود ويشرف عليها الدكتور عبدالرجمن الطيب الأنصاري منذ عام ١٩٧١م . ويذكر الدكتور الأنصاري أن الدراسات التفصيلية لكل المعثورات التي تم الكشف عنها في السنوات العشر الماضية تعد الآن ، بعد تصنيفها ، لتصدر في عشرة مجلدات .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن المؤلف يعرض للقارئ من خلال مجموعة هائلة من الصور والتخطيطات الدقيقة للمكتشفات الأثرية المزودة بشروح وتعليقات وافية ، صورة حية لما كانت عليه إحدى المناطق القديمة وسط الجزيرة العربية ، وأهميتها في إعطاء صورة واضحة ومحددة،عن دورها في ازدهار الحضارة العربية القديمة،ودورها الفعال في منطقة الشرق الأدني القديم ..

والكتاب أصدرته جامعة الملك سعود سنة ١٩٨٢م ــ بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على إنشائها : ليعبر عن أحد الانجازات الناجحة التى قامت بهـا الجامعـة فى مجـال الدراسات والاكتشافات الأثرية في الملكة العربية السعودية .

ويقع الكتاب في ٢٠٩ صفحات ، منها ١٤٩ صفحة باللغة العربية و٣٠ صفحة أخرى تحوى موجزا باللغة الانجليزية . ويضم بين هذه الصفحات أكثر من ٣٠٠ صورة ملونة وتخطيطات متعددة للمعثورات الأثرية ، في طباعة فاخرة ، زودت جميعها بشروح وافية باللغتين العربية والانجليزية ..

وبقدم المؤلف للقارئ « قربة » الفاو ، فيذكر أنها تشرف على الحافة الشهالية الغربية للربع الحالى على بعد حوال ٢٠٠٠م إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض و٢٨٠ كم إلى السهال الشرقي من مدينة نجران في المنطقة التي يتداخل فيها وادى الدواسر ، ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو ، ومن هنا جاءت نسبتها حديثا إلى الفاو ، تعريفا بها وقييزا لها عن باقى القرى المجاورة . وبذلك تقع « قرية » على الطريق تعريفا بها وقييزا لها عن باقى القرى المجاورة . وبذلك تقع « قرية » على الطريق التجارى الذي يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشهالها ، وشهالها الشرقى : حيث كانت تبدأ القوافل من المالك الجنوبية متجهة إلى نجران ، ومنها الى « قرية » ومنها إلى الأفلاج فالهامة ثم تنجه شرقا إلى الخليج وشهالا إلى وادى الرافدين وبلاد الشام . ومن هنا جاءت

أهميتها كمركز تجاري واقتصادي هام في وسط الجزيرة العربية .

أما عن المصادر التى حدثتنا عن « قرية » فيذكر المؤلف أن الاهتام بها كموقع أثرى بدأ منذ الأربعينات عندما زار الموقع بعض الرحالة الأوربيين على فترات متقطعة ، وكانت ثمرة رحلاتهم جمع بعض النقوش المظاهرة ودراستها والاشارة الى بعض أنقاض المبانى والتلال ثم رسم خارطة لها . وبع عام ١٩٩٧م قامت بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بدارسة علمية حديثة للموقع وتحديد المنطقة الاثرية هناك ، لتبدأ فيها التنقيب الأثرى بطريقة علمية من العام التالى ١٩٩٧م في مواسم سنوية متنالية حتى الآن ، ومن المتوقع أن تمتد أعيال التنقيب فيها إلى حوالى عشرين عاما قادمة .

ومن الملاحظ أن ذكر « فرية » قد جاء فى المصادر الإسلامية بشكل محدود ، فلم يذكرها إلا البكرى والهمدانى ، وربما يرجع ذلك إلى أن دورها كمركز تجارى او مستقر حضارى كان قد انتهى قبل ظهور الاسلام ، ويؤكد ذلك عدم اكتشاف آثار اسلامية بموقعها حتى الآن .

أما الكتابات التي اكتشفت بالموقع : فكانت من أهم المسادر بالنسبة للباحث , فقد أشارت إلى «قرية » وسمتها «قرية ذات كهل » وكهل هذا الذي أشارت إليه هذه الكتابات العربية القديمة ، كشفت الحفائر الأثرية عن صوره منقيشة ومرسومة على جدران سوق «قرية » ومنازلها ، وعلى عملاتها ومباخرها ، وأيضا على سفوح جبل طويق . وأهم ما أشارت إليه هذه الكتابات هو أن «قرية » كانت عاصمة لدولة كندة وأن ملوك سبأ وذي ريدان قد غزوها أكثر من مرة عوتؤرخ هذه الكتابات في فترة تتراوح بين القرن الأول

يقدم المؤلف بعد ذلك شرحا وافيا لأهم المكتشافات الأثرية التي جاءت من الجزء الذي تم حفره حتى الآن « بقرية » بعد تصنيفها وحصرها في ثمانية موضوعات كالتالى : أولا العيارة :

استخدم سكان «قرية » الأحجار في مبانيهم بعد أن قطعوها من المحاجر وصقلوها ، كها توضح مبانى المقابر وأساسات المبانى الهامة كالقصر والمعبد . واستخدموا اللبن المربع والمستطيل في بناء منازلهم ومحلاتهم التجارية . وأهم المبانى المعهارية التى تم الكشف عنها . . .

 ١ ــ السوق : عبارة عن تجمع ضخم لمجموعة من المحلات التجارية يحيط به سور ضخم يتكون من ثلاثة جدران سميكة أوسطها من الحجر الجيرى . أما الداخلى والخارجي فمن اللبن . وللسوق باب واحد ويعلو سوره سبعة أبراج . ويقع السوق على مقرب من الحافة الغربية للوادى الذى يتصل بين جبل طويق وبين الحدود الشرقية للمدينة السكنية التى بدأ الحفر فيها الآن . ويقدم المؤلف وصفا معاريا للدكاكين التى بقيت كاملة بأبوابها الواسعة وواجهاتها المبنية من الحجارة وبعض النفاصيل الأخرى ، وقد لاحظ أن عددا كبيرا من الدكاكين يتكون من طابقين ، وكذلك وجود مجمع مائى لخدمة أغراض أصحاب الدكاكين ...

٢ _ القصى :

يوضح تخطيط القصر أنه يتكون من عدة حجرات وصالات وأروقة ولسم يبتى الا أساسات وأجزاء باقية من الجدران وقواعد بعض الأعمدة. وتدل بقاياه على أنه بنى من الأحجار المطلبة بالجمص من الداخل ، إذ وجد على أرضية إحدى القاعات كتمل من اللبانى الساقطة تعلوها طبقة جصية مقلوبة على وجهها اتضح بعد رفعها بعناية أنها تحمل مناظر مرسومة بالألوان ويغلب عليها اللون الأحمر ، وسنتناولها فيا بعد . ولايزال الموقع في حاجة إلى مزيد من الكشف والدراسة .

٧ _ المعيد :

يعتبر معبد « قربة » أول معبد قديم يكشف عنه داخل حدود الملكة العربية السعودية، ويكتسب هذا المعبد أهمية خاصة ؛ حيث عثر بداخله على مجموعة من التاثيل البرونزية ، فيها دلالات أسطورية أعطت معلومات جديدة لم تعطها من قبل مقابر أخرى في جنوب الجزيرة العربية ؛ فهذه التاثيل توضح أهمية منطقة « قربة » كمركز حضارى في وسط الجزيرة العربية ووجود صلات حضارية تربطها ببلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادى النيل. هناك أيضا نقش يشير إلى بناء المعبد عثر عليه عند المدخل .

٤ _ المقابر:

برى المؤلف أن مقابر « قرية » تنتمى من حيث شكلها المعارى وتخطيطها وتوزيعها في المنطقة الأثرية الى ثلاث قئات سكانية .

أ _ مقاير الملوك ، وهى عبارة عن حجرات مبنية فى باطن الأرض يعلوها أفنية بها شواهد قبور مكتوبة . وأهم ماكشف عنه هو قبر « معاوية بن ربيعة » ملك قحطان ومذحج مكا يدل النقش المكتوب بالقلم المسند على شاهد القبر . وقد بنى قبره من الحجر الأملس ويصل إلى عمق خسة أمتار . ولم يبق من المعتورات إلا شاهد القبر فقط عجرية من الواضح أن المقبرة تعرضت من قبل للنهب على أيدى لصوص المقابر ، وتوجد قطع حجرية كبيرة حول

المقبرة مما يوحى بأنه كان يعلوها فناء كبير لتأدية الطقوس الجنائزية .

بـ مقابر النبلاه وتقع على مقربة من مقبرة معاوية بن ربيعة ، وقد تم الكشف عن مقبرة أختار عليه الكشف عن مقبرة أختار عليه المناب المحران، ويؤدى الى حجرة الدفن السفل مهبط بعمق حوالى ثلاثة أمتار ونصف ، وهي وان كانت تشبه مقبرة الملك معاوية إلا انها تخلو من غرفة دفن خاصة بصاحب المقبرة . ومن أهم الاكتشافات شاهد قبر مكتوب بالقلم المسند يوضح ان صاحب هذه المقبرة هو « عجل بن هفعم » ولقد عثر أيضا على مقبرة أخرى تنتمى إلى هذا النوع رهي لشخص يدعى « سعد بن أرسن » .

جـ مقابر العامة ، وتقع شهال شرقى المدينة على الحافة الغربية للوادى شهال السوق ،
 وهى تشبه المقابر الإسلامية الحالية ، أى أنها عبارة عن لحود محفورة في سطح الأرض ،
 وتقفل بكتل متساوية من اللبن ..

ه _ المساكن :

توضح الحفائر الأثرية التى أجريت بالمنطقة السكنية أنها مرت بثلاث فترات سكنية متعاقبة . ويوضح تخطيطها وجود أزقة وشوارع بين المنازل ، ووحدات سكنية متعيزة ، ونزل ينا التجار ، وقد روعيت الدفقة في استقامة المباني ، واستخدمت الأخشاب للأبواب والنوافذ ، ويلاحظ وجود مجار للمياه النظيفة واستخدام الأحجار المصقلة في خزانات المياه ، وكذلك شيوع استعال الدرج في جميع الوحدات السكنية، ويلاحظ أيضا وجود مخازن للغلال وأماكن للرحى حيث تطحن الحبوب . كذلك توجد متكات ومقاعد داخل الغرف ، ويصل ارتفاع الدكان الى حوالى ٦٠ سم، وكل هذا يدل على فهم عميق لحياة متطورة واستخدام صحيح لأسس العهارة في تلك الفترة ..

في الواقع انه باكتشاف المنطقة السكنية تكتمل العناصر الأساسية التي توضح لنا التخطيط المعارى للمدينة العربية قبل الاسلام . وهذه العناصر هي كها رأينا : السوق - القصر - المعبد - المقبرة - السكن . ولاشك أن هذه هي المرة الأولى التي تكشف فيها الحفاير الأثرية سواه داخل حدود المملكة العربية السعودية أو خارجها عن نموذج متكامل لتخطيط المدن العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ..

ثانيا: الكتابات:

كشفت الحفائر الأترية عن مجموعة هائلة من الكتابات في دولة كندة . ويعتقد المؤلف أن الكتابة بالنسبة لهم كانت حاجة ملحة : نظرا لدور « قرية » التجاري بين الجنوب



والشيال والشرق، كما أن دورها السياسى كماصمة لدولة كندة يجعلها مرتكزا لدور قيادى يحتم عليها الاهتام بهذا الجانب الحيوى في علاقاتها مع الآخرين . لقد انتشرت الكتابة بشكل يبعث على الإعجاب بهذا المجتمع المتعلم ، فالكتابة هناك في كل موقع وفي كل اتجاه على سفوح الجبال بكميات هائلة وفي السوق والمعبد وعلى اللوحات الفنية وعلى جدران المدينة السكتية وعلى شواهد القبور، وعلى العظام والخشب والأوانسى الحجرية والمفجار والتأثيل والأختام والمسكوكات ، وعلى أغطية الجرار .

كل هذا يعنى أننا أمام مجتمع كانت الكتابة تلعب فيه دورا مهها وأساسيا . وكان القلم المسند الجنوبي هو القلم الرسمي الذي يعبر به مواطنو « قرية » عن أفكارهم وخواطرهم ومشكلاتهم ، وهو القلم الذي استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية والموضوعات التي تناولتها كتابات « قرية » كانت موضوعات دينية وتجارية ، وبعض المعلوسات الخاصة

المتعلقة بالعلاقات الفردية . كما أن هذه الكتابات قد أوضحت التعريف بقبائل كانت ضمن مكونات هذا المجتمع ، كذلك أمكن التعرف على « كهـل » معبىود « قرية » الأعظم ..

ثالثاً : الرسوم الفنية :

اهتم الفنان العربى فى شبه الجزيرة العربية برسم مشاهداته فى الحياة اليومية على لوحات قنية تختلف فى جودتها وإتقانها من مكان لآخر حسب ظروف المجتمع وسستوى الفنان ومدى قدرته على نقل ماشاهده . وقد درس المؤلف مراحل التطور التى مربها فنان شبه الجزيرة العربية فى « قرية » وقسمها إلى أربعة مراحل كالتالى :

١ ـ المرحلة الأولى :

وقد اتخذ فيها فنان « قرية » من سفوح الجبال الصخرية لوحات ينقر ويرسم عليها غيلائه ومشاهداته في الطبيعة . وكان الشكل الانساني من الموضوعات الواضحة في ذهنه منذ مراحله الأولى : فقد فرق بين رسم الشخص العادى ورسم الأله ، حيث تخيل الأله في شكل إنساني ضخم ، ونقر شكلا على صخرة الجبل يطل على « قرية » يصل ارتفاعه إلى ١٠ أمتار في كامل ملابسه بمسكا برمحين في يده البسرى ومتمنطقا بسيف ، ويعتقد المؤلف أن هذه الصورة ماهي إلا للاله « كهل » وأمامه ذلك السهل الفسيح يطل عليه حيث كانت نجرى مراسم الأعياد ، وعلى سفح الجبل نفسه تنتشر رسوم مواكب الجهال _ يعضها يحمل الهوادج _ وخيول وأشخاص ومناظر حروب ..

٢ _ المرحلة الثانية :

وفيها حاول الفنان العربى أن يرسم داخل المنازل عحز رسومه فى بلاط الجدران كها توضح غالبية الغرف، ثم خطا خطوة متقدمة نوعا ما ، حيث استعمل الألوان فى رسومه كى تبدوا أكثر وضوحا وجاذبية .

٣ _ المرحلة الثالثة :

نلاحظ أن الفنان في هذه الفترة أصبح يمثل كيانا له دوره في المجتمع ، ولعله كان ينفّذ أعياله بتكليف من سكان « قرية » فيرسم مناظر يقترحونها عليه أو يطلبونها منه . وينعكس هذا الاتجاه بوضوح في أحد دكاكين السوق « بقرية » ؛ إذ ظهر على جدرانه ثلاث لوحات تمثل رحلة صيد للجال قام بها شخص يمتطى صهوة جواد كتب فوق رأسه

كلمة « ملك » وفوق رأس شخص آخر كتبت كلمة « سالم بن كعب » . كما رسم الفنان كلابا تسير في معية الموكب . ثم تتكرر كلمة « كهل » بين هذه الرسوم ، وقد نفذت رسوم الأشكال باللونين الأسود والأحمر . وتعتبر هذه اللوحات من أهم الأعمال الفنية التي تعكس مرحلة متقدمة من فهم الفنان لرسم مشاهد تفصيلية .من الحياة اليومية في هذه المرحلة ..

٤ ـ المرحلة الرابعة :

في هذه المرحلة نجد أن فنان « قرية » قد قوى عوده وتطور إدراكه للأساليب الفنية بشكل ملحوظ ، فتبت ألوانه ومزج بينها ونوعها ، فجاءت لوحته آية في الابداع المفنى . ونجد هذا الاتجاء واضحا في اللوحات الفنية التي عثر عليها في أنقاض القصر . وهذه اللوحات الفنية تمثل شريطا أو إفريزا من المناظر المرسومة فوق طبقة جصية رقيقة لايزيد سمكها عن مليمترين فقط . وكانت عملية إنقاذها من بين الأنقاض وترميمها من أشق العمليات ، وقد تمت بكفاءة نادرة . والموضوعات الزخرفية التي بقيت من هذا الإفريز تتمثل كالآتي .

سمك يسبح في الماء ، وخيول تخوض الماء لم يبق منها إلا السنابك ، وربا كانت هذه المنيول تجر عربة تعبر البحر أو النهر . لوحة أخرى يتمثل عليها وجه لإنسان ذى عينين واسعتين وشارب رفيع وعلى رأسه إكليل يوضح شخصيته الهامة ، فربا كان ملكا يتوج بمساعدة شخصية الى يبنه ويساره لم يبق إلا أجزاء منهها ، وحولهم جمتا تنتشر الزخارف النباتية التي تتمثل في أوراق العنب وعناقيده ، لوحة تالية عليها بقايا لأقدام الجال ومعها أوراق العنب وعناقيده ، لوحة أنها بحوارها مبخرة وكتابة توضح أنها « بنت كعب » ، ثم تأتي لوحة عليها جل يحمل هودجا ، وإنسان يمسك بخطام الجمل .

لقد كان فنان « قرية » طوال مراحل تطوره الأربع فنانا أصيلا ، تكمن أصالته في أنه احتفظ في فنه بطابع منطقته ، والبيئة التي يعيش فيها . فرسم الاله والانسان والجمل والهودج والخيول والمحاصيل والمباخر واستخدم القلم المسند ، وحافظ على السيات العربية في كل أشكاله طوال رحلته الفنية من خلال أسلوب فني متطور يعكس روح العصر الذي بعش فيه ..

رابعا: التاثيل:

حفلت « قرية » الفاو أيضا بمجموعة مهمة من التأثيل ، بقى معظمها في حالة جيدة .

بعضها صنع من المعادن والبعض الآخر نحت من الأحجار الحبرية والمر ، كذلك وحدت تماثيل من الطين والخزف . بعض هذه التاثيل لأشكال آدمة كاملة أو أجزاء منها والمعض. الآخر لأشكال حبوانية وغير ذلك من الأشكال المختلفة . وأهم التأثيل الآدمية ، كان التمثال الرائع الذي عثر عليه في المعبد، وهو من البرونز للطفل حاربوكراتيس ابن الآلهة إيزيس. يرتدى على رأسه التاج المزدوج الذي يرمز الى مصر العليا ومصر السفلي ، ويتدلى شعره على جانب رأسه ، يقرب سبابته اليمني من فمه . وهو مجنح ويسك بيده اليسرى قرن الحير يتدلى من فوهته العليا عنقود عنب. وربما قد أعيدت صياغة التمثال من جديد حيث نلاحظ استخدام عناصر عربية تتمثل في « الدلاية » التي تتدلى على صدره ، والتي تمزت بها بعض التأثيل البرونزية التي اكتشفت في جنوب الجزيرة العربية ، كذلك يظهر بوضوح عنقود العنب الذي رأيناه كدافع زخر في أسياسي في « قرية » كها رأينا على الرسومات الجدارية ، وتنتشر أوراق العنب وعناقيده أيضا كوحدات زخرفية في جنوب الجزيرة العربية . هناك أيضا تمثال نصفي لامرأة من البرونز ترتدي تاجا على رأسها، ربما كانت ملكة أو المَّه . وتمثال لشخص جالس على ساقيه وبداه ممدودتان على فخذيه في وضع خشوع وتعبد ، وهو من البرونز . وهناك أجزاء عديدة من تماثيل آدمية تتمثل في أقدام وأذرع وقبضات آيادي وتماثيل لدلافين وتماثيل لحيوانات ورءوس لأسود من البرونز، وغير ذلك من التاثيل الأخرى العديدة صغيرة الحجم ..

خامساً الخشب والعظم والعاج:

أعطى سكان « قرية » اهتاما خاصا بالخشب فاستخدموه في أغراض عديدة ، ورغم التف الذي يصيب هذه المادة ، فقد بقيت بعض المصنوعات الخشبية منها : وعاء صغير على شكل طبق ، ومكيال وجد في أحد الدكاكين ، وعدد من الأمشاط تظهر بها الأسنان الدقيقة من طرف والعريضة من طرف آخر مع خطوط زخرفية جميلة . أما عن مواد العظم والعاج، فقد عثر على قطع عديدة صنعت من هذه المواد قبل الأساور والخواتم والأقواص والدلايات والحرز والحلى ، واستخدمت هذه المواد أيضا في تزيين المقاعد ومقابض الحناج والسوف ...

وقد لوحظ أن عظام الجيال قد حفظت بعد تنظيفها للكتابة عليها ، وهى المرة الأولى فى تاريخ الجزيرة العربية التى يعثر فيها على عظام مكتوبة . كما عثر أيضا على أقراص أسطوانية من العاج، استخدمت كمنازل للصدف . أما بالنسبة للمنسوجات ، فمعظم القطع المنسوجة التي عثر عليها في « قرية » من الكتان وصوف الأغنام ووبر الجال. وقد أمدتنا الرسوم والتاثيل الآدمية التي ترتدى الملابس أمثلة لتطور صناعة المنسوجات وتقدمها من حيث الصناعة.

سادسا: الصناعات المعدنية:

كشفت حفريات « قربة » عن العديد من الأوانى المعدنية والكسر المعدنية المختلفة ، تمثلت فى أشكال القدور والسكاكين وأغهاد الحناجر والمراود ومقابض الأوانى والأساور . وأهم هذه المعثورات : جزء من كأس فضية ، عيار وزن مكعب الشكل مستطيل يعلوه مقبض نصف دائرى عليه كتابات ورمز الآله « كهل » ويزن هذا المعيار حوالى أربعة كيلو جرامات . عثر أيضا على مسرحة من الرون كمثرية الشكار بحالة حددة ..

سابعا ٠ المسكوكات والحلى والزجاج :

تعتبر المسكوكات في « قرية » من أهم المغورات . وتكمن أهميتها في أنها قد ضربت في « قرية » ومعظم ماعثر عليه كان من الفضة وتحمل على الوجه صورة شخص واقف أو جالس وهو في المغالب « كهل » معبود « قرية » ، وعلى الظهر يأتى اسمه أو توقيعه واضحا . وأما عن الحلى فها وجد منها هو عبارة عن أساور من المعدن والزجاج أو العظام أو العجاج ، وغالبا ماتكون هذه الأساور مزخرقة بزخارف جميلة منقوله من الطبيعة ، بخطوط على السطح الحارجي أو حبيبات دائرية تتكرر على محيط الأساور . عثر أيضا على بعض خواتم فضية ونحاسية وحديدية ومجموعة كبيرة من الحرز بأشكال وأحجام مختلفة من العقبق والبللور الصخرى والياقوت والزجاج المعتم والشفاف ، وقمد استعملت كمقود وأعلاق (دلايات) وتعاويد ، كما عشر على مجموعة كبيرة من الفصوص المختلفة وألوان وأعجام . أما بالنسبة للزجاج فتعتبر معثورات « قرية » معرضا رائما لأنواع مختلفة وألوان شتى ، وتعكس بوضوح حركة التجارة ونحوها .

ثامنا : الأدوات الحجرية والفخار :

استعمل مواطنو « قرية » المحجر بعناية فاتفة سواء ماكان منه محليا أو مجلوبا من خارجها . وأهم هذه الأحجار البازلت والحجر الصابوني والأوبسيديان والكواترز والبللور الصخري والجرانيت . وقد صيغت هذه الأحجار أواني متعددة الأشكال تستخدم في أغراض الحياة اليومية وصنعت منها أيضا تماثيل صغيرة . كذلك وجدت مجموعة من الرحي

الى جانب العديد من الأحجار الكبيرة التى كانت تزين واجهات المعابد والمبانى المختلفة حيث نجد عليها زخارف نباتية في أشكال هندسية . كذلك استخدمت الأحجار في صناعة الأفاريز وموائد القرابين والمذابع والأحواض والمراحيض إلى جانب العديد من شواهد القبور المكتوبة بالقلم المسند .

أما بالنسبة للفخار فمن المعروف أنه من أهم المواد التي يكتشفها الأثريون لما يعطيه من معلومات تسهم في تحديد ملامح الأدوات التاريخية التي مرت بها الحضارات القديمة . وكشفت الحفائر الأثرية في « قرية » عن العديد من الأواني الفخارية ، وأمكن تحديد أنواعها وصفاتها وأشكالها الزخرفية التي نقشت عليها .. وعثر أيضا على العديد من الكسر الفخارية بعضها يحمل كتابات ، وورد على بعضها اسم « كهل » وأسهاء أخرى منها « شمر يهر عسن » ملك حمير . وقد امكن تصنيف فخار « قرية » بصفة عامة إلى فغار خشن ، منها مجموعات أوانيه خاصة بالاستعال البومي أو للأغراض الدينية بالمعابد والمقابر أو للأغراض التجارية . وأشكالها كانت القدور والأزياء والجرار وأواني للزبادي ، بعد ذلك الفخار الرقيق ، ويتاز عن الحشن بنعومته ونقاء طينته وتأثره بالأساليب الفنية بعد ذلك الفخار الرقيق ، ويتاز عن الحشن بنعومته ونقاء طينته وتأثره بالأساليب الفنية ماعثر عليه من الفخار الرقيق تلك الكسر النبطية التي وجدت في المنطقة السكنية ، وهي ماعثر عليه من الفخار الرقيق تلك الكسر النبطية التي وجدت في المنطقة السكنية ، وهي ذات عجينه حمراء نقية جيدة الحامة ، وتنتمي الى أجزاء من أطباق صغيرة ورقيقة مزخرقة من الداخل بزخارف ملونة باللونين الأسود والبرتقالي .

يأتى بعد ذلك الفخار المزجع أو الحزف وقد عثر عليه فى « قرية » بكميات كبيرة لاتقل فى حجمها عن الفخار غير المزجع . وتتمثل أشكال هذا النوع فى الزهريات والأطباق والزبادى والأباريق وغيرها . ومن الملاحظ أن الأوانى الحزفية فى « قرية » قد تشكلت على دولاب ، ويبدوذلك واضحا من الحلقات الدائرية المتوازية حول أجسام الأوانى . ويختلف علمها أسلب الزخارف من فنان إلى آخر ،



الخنائمة

يستخلص المؤلف من هذه الاكتشافات النتائج الهامة التالية :

١ ـ أن الطراز المعارى الذى استخدمه سكان « قرية » فى السوق والقصر والمعبد والجزء الذى كشف عنه من المنطقة السكنية بدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازا عربيا أصيلا , حيث برزت فيه مراعاة السكان لظروف البيئة واحتياجاتهم المختلفة . ويلاحظ أن بعض عناصر هذا الطراز تتمتل فى الطرز المعارية التي تنتمى لحضارات أخرى سادت فى القرون الأولى للميلاد فى الميدن والبدو والحضر وسواحل آسيا الصغرى ..

٧ - تعتبر الكتابات التي عثر عليها في حفائر « قرية » من أهم المصادر الأثرية بالنسبة للمؤرخين , فقد أفادتنا في التعرف على اسم عاصمة دولة كندة وأن اسمها « قرية » ووصفتها بأنها « ذات كهل » وبذلك نكون قد تعرفنا لأول مرة في التاريخ العربي على عاصمة هذه الدولة التي لم تشر إليها الكتب العربية من قبل ، كها لم تشر أيضا إلى معبودها الرسمي « كهل » دومن أهم النقوش التي عثر عليها نقش الملك « معاوية بن ربيعة » إذ يكن مقارنته بمضمون نقش النحارة ، ولذا أمكن تحديد تأريخه ، بحوالى القرن النائث الميلادى . هناك أيضا أسهاء الأعلام التي ظهرت محزورة على الفخار ومنها اسم « شعر يهرعس » الملك الحميرى الذي يعود إلى الفترة ذاتها ..

٣ ـ وتمثل الرسوم الفنية التى وجدت فى أنقاض القصر قمة التطور الفنى لهذه المدينة إذا ماقورنت بمثيلاتها فى البلدان المتاخمة سواء فى الشيال أو الجنوب ، بل يمكن القول بأنها تفوق فنونها من حيث دقتها وتناسقها وقدرة الفنان الذى رسمها فى إبراز التفاصيل الدقيقة حتى جاءت رسوماته معبرة عن تصوره ورؤيته الفاحصة للبيئة التى يعيش فيها . وستبقى هذه اللوحات الفنية الرائمة النموذج الوحيد للأشكال المرسومة على الجدران فى أرض الجزيرة العربية إلى ان تكشف الحفائر الأثرية عن نظير لها ..

٤ ـ وتمثل التأثيل الحجرية والمعدنية تطورا فنيا ملحوظا فى « قرية » ، فبالنسبة للتأثيل المنحوتة من الأحجار المرمرية نجدها تعكس فى أسلوبها الفنى مزيجا حضاريا يمتد منذ القرن الثانى ق.م فى اليمن بصفة خاصة . أما بالنسبة للتأثير المصنوعة من المعدن فهى تبرز التأثير الشبالى بما يحمله من أساطير وأفكار دينية ترجع إلى نهاية العصر الهلنستى وطوال العصر الرومانى وحتى القرن الخامس الميلادى ..

٥ ـ وبالنسبة للمسكوكات لاحظنا أن « قرية » ضربت عملاتها محليا وأظهرت صورة

معبودها «كهل » على العملة كشعار لدولتها وهذا يعنى الاستقلال السياسي لدولة كنده . كما نلاحظ أيضا وفرة العملات المصنوعة من الفضة وهذا يعنى أيضا قوة التعامل التجارى مع الدول الخارجية المجاورة حيث يقتصر التعامل فقط على العملات الذهبية والفضية ومافى مستواها أما العملات البرونزية فهى قاصرة فقط على التعامل الداخلى في المدينة . وبذلك تعطى «قرية » صورة فريدة لما كانت عليه الظروف السياسية والاقتصادية للمدينة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية . وثنبت الدراسة أن هذه العملات يعود تاريخها الى مابين القرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادى ..

٦ ـ ويمثل فخار «قربة » الفار علامة بارزة في تطور تاريخ المدينة ويمكن مقارنة مرحلته الأولى بفخار القرنين الثانى والأول ق م في « جحر بن حميد » باليمن وكذلك بالفخار الهنستى والرومانى والنبطى وبخاصة المزجج منه ، وتشير الأولى الى صناعته محليا وتطوره ، رغم أن الحفريات لم تكشف بعد عن أفران حرق الفخار في «قرية » ..

وبعد .. فان كل هذه الأدلة توضح أن مجتمع كنده كان مجتمعا متحضرا ، فرغم بعده الجغرافي عن مراكز الحضارات القدية التي عاصرته : إلا أن النشاط التجارى والثقـل السياسي الذي تمتل في دولة كنده جعل في استطاعة « قرية » أن تجذب إليها أجمل ميزات تلك الحضارات ، وأن تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عها جاورها ، لتقوم بدور حضارى فعال وسط الجزيرة العربية ..

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة ؛ فهو يوضح لنا صورة دقيقة وشاملة لمجتمع دولة كندة بصفة خاصة والمجتمع العربى في شبة الجزيرة العربية بصفة عامة في فترة من أهم فترات تاريخ هذه الأمة ، ويكتشف بوضوعية عن ظروف الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لفترة كان يكتنفها الغموض في تاريخنا الحديث . وبذلك يضيف الى المكتبة العربية عملا هاما للمتخصصين والباحثين في آثار وتاريخ الجزيرة العربية .



ح کے کیم بنی امُنیة خالد بن یزید بن معاویة

يقلم: الدكتور على عبد الله الدفاع

خالد بن یزید بن معاویة بن أبی سفیان بن حرب بن أمیة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أم هاشم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد مناف، عاش فها بين عامى ١٣

و٨٥ه . « ٦٣٥ ــ ٧٠٤ م » . وهو الذي جعل لعلم الكيمياء مكانته بين العلوم الأخرى ، وقد كانت في مرتبة متدنية بين العلوم ؛ حيث كان تعلمها آنذاك أمرا لا يليق بالحكياء والسادة ، بل كانت من العلوم التي تدرس في الأدوار السفلي في المدارس القديمة ، ولكن صار لها بفضل خالد ابن يزيد بن معاوية شأن عظيم ؛ فهو في الحقيقة قد اهتدي سهدي جده معاوية بن أبي سفيان الذي فتح بابه على مصراعيه للعلياء ليتدارسوا المشكلات العلمية .

يقول أحمد الدمردائس في كتابه (تاريخ العلوم عند العرب) قبيل انتشار المدارس كانت حلقات العلم لا تعقد في أمكنة من طراز واحد : بل تعقد في أمكنة مختلفة كالمساجد وقصور الحلفاء والأمراء ، ومنازل العلماء والمكتبات ، وكان الخلفاء يعدون أنفسهم حماة للعلم ، ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والعرفان ، بدأت بقصر معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى الأول ، ثم خالد بن يزيد بن معاوية المؤسس الأول لعلم الكيمياء عند العرب .

أما حاجى خليفة فيقول فى كتابه (كشف الطنون عن أسامى الكتب والفنون) أول من تكلم عن علم الكيمياء ووضع فيها الكتب ، وبيّن صنعة الأكسير والميزان،ونظر فى كتب الفلاسفة من أهل الاسلام خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفى من تلامذة خالد كها قيل :

حكمــة أورثناهــا جابر عن إمـــام صادق القـــول وفى ووقد امتدح فاضل أحمد الطائى فى كتابه (أعلام العرب فى الكيمياء) خالد بن يزيد بن معاوية كنابغة فى الكيمياء والأدب العربى .

إن التاريخ الاسلامى ليشهد للأمير خالد بن يزيد بن معاوية بقدرته العلمية والقيادية ، ولكن الحظ لم يحالفه بأن يتولى القيادة ، فقد حاول محاولات قليلة لتولى ونما الأمور في الدولة الاسلامية ، دون أن يحرز نجاحا . أراد كثير من أصدقائه وأقاربه تشجيعه ليتولى مقاليد حكم بنى أمية بالقوة ، ولكنه وفض؛ لوجود مروان بن الحكم الذى عرف برجاحة عقله ، وهو في ذلك الوقت أكبر بنى أمية سنا . وقد لخص سعيد الديوه جى في كتابه (الأمير خالد بن يزيد) الموقف بقوله : انقسمت الأمة الإسلامية إلى ثلاثة أحزاب بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هجرية (٦٨٤ ميلادية) :

١ حزب عبدالله بن الزبير وكان يرى نفسه أولى بالخلافة ، حيث كان يحكم الحجاز وامتد سلطانه
 إلى سوريا ومصر ، وتعداها إلى العراق وخراسان .

 ٢ ـ حزب مروان بن الحكم : وكان برى أنصاره أنه ما أحد أولى جذا المنصب منه ، إنه لكبير قريش وشيخها ، وأرجحها عقلا وكيالا ودينا وفضلا .

٣ حزب خالد بن يزيد يؤازره أخواله ، من بنى كلب ومعه الأردن وطبرية ، ويرى أنصاره أنه من معدن الملك ، ومقر السياسة والرياسة . جده معاوية مؤسس الدولة الأموية وأحد دهاة العرب المعدويين ، ولخالد عقل وفضل ، لكنه دون الحلم .

وقد رأى بنو أمية وأنصارهم خطورة الموقف ، وأن حزب عبدالله بن الزبير سينجح إذا لم يتفق بنو

أمية ويلتفوا حول بعضهم . وفي آخر الأمر رأوا أن يتولى مقاليد الحكم مروان بن الحكم ويخلفه خالد ابن يزيد ، ولكن عندما تولى الخلافة مروان بن الحكم حصرها في أبنائه ، وانقطعت أسرة آل أبى سفيان عن الخلافة . يقول سعيد الديوه جى في كتابه السابق : (وانتقلت الخلافة من أسرة آل أبى سفيان إلى أبناء الحكم ، وأن مروان بن الحكم نكث المهد ، وحصرها في اولاده ، فجعلها في ابنه عبد الملك ومن بعده إلى ابنه عبد العزيز . وعمل خالد شتى الحيل لاسترجاع الخلافة إلى الفرع السفياني ، وكان نصيبه الفشل . والمتتبع لحياته يجد علائم الذكاء والاعتداد بالنفس والتزعم ، كانت تظهر في أقواله وأفعاله منذ صغوه . وقد أجمع الذين ترجموا له أنه كان من رجال قريش المعدودين علما وفضلا ولكن الاتحداد بالتحدة .

عندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان بن الحكم ، بدأ الحوف على الأمة الاسلامية ينمو فى تفكير خالد بن يزيد ؛ لأن عبد الملك عُرف بتسلَطه بسيفه ولسانه . فصار خالد بن يزيد يعقد صداقة مع المعارضين لعبد الملك وحكمه ، فعلى سبيل المثال تزوج خالد برملة بنت الزبير ، فحاول عبد الملك أن يحول بين خالد ورملة ولكته فشل . يقول سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) ؛ إن النزاع السياسي لخالد كان هادتا ، فإنه لم غيرة ـ فى سبيل ذلك ـ دما ، فقد استماض عن السنان باللسان ، لأنه يعلم حق العلم أن الناس مع القوى ، وأنه لا يمكن أن يستميلهم إليه ، طالما سيوفهم مع الخليفة ، الذي لا يتأخر عن ذبح أقرب الناس إليه فى سبيل توطيد الملك ، والذي هند الناس بقوله : من قال لى اتق الله ـ بعد موقعى هذا ـ ضربت عنقه) ولذا فإن خالدا لم يقم بثورة ، وكان آل أبى سغيان يستفزونه فى كل مناسبة ، ويجاولون أن يحركوه على القيام بحركة فعالة بورن جدوى .

أما موضوع زواج الأمير خالد بن يزيد من رملة بنت الزبير فهى في الحقيقة أسطورة غريبة نقلها سعيد الديوه جى فى كتابه (خالد بن يزيد) وهى : حج عبد الملك بن مروان ، وبعه خالد بن يزيد ابن معاوية ، كان هذا من رجال قريش المعدودين ، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ، فيبنا هو يطوف بالبيت ، إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقها عشقا شديدا ووقعت بقلبه وقوعا متحكنا ، فلم أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه ، فوقع بقلب عبد الملك تهمة ، فبعث المه فسأله عن أمره . فقال : يا أمير المؤمنين ، وملة بنت الزبير ، رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلى ، فوالله ما أبديت اليك ما بى حتى عيل صبرى ، ولقد عرضت النوم على عينى فلم تقبله ، والسلو عن قلبي فامتنع عنه ، فأطال عبد الملك التعجب من ذلك ، وقال ما كنت أقول إن الهوى يستأثر مثلك ، قال (فإني لأشد تعجبا مني .. الخ ..) ونظم الأمير خالد بن يزيد أبياتا من الشعر في سنائر مثلك ، قال (فإني لأشد تعجبا مني .. الخ ..) ونظم الأمير خالد بن يزيد أبياتا من الشعر في مناسبة زواجه برملة بنت الزبير بن العوام ومنها :

أليس يزيد السيرُ من كل ليلة أحِن إلى بنت الزبير وقد بدّت اذا نزلت أرضا تحبّب أهلها وان نزلت ماء وان كان قبلها تجول خلاجيلُ النساء ولا أرى، أحبب بنسى العوام طرًا لحبها خليام ما من ساعة تذكرانها

وقى كل يوم مِنْ أحبتنا قربا بنا العيسُ خرقا فى تهامة أو نقبا إلينا، وإن كانت منازلها حُزبا مليحاً وجدنا ماءه باردا عذبا لرملة خَلْخَالاً يجول ولا قلبا ومن أجلها أحبت أخوالها كلبا من الدهر، الا فرجت عنى الكربا

وعندما ينس خالد بن يزيد من الوصول إلى الخلافة ، اتجه إلى طلب العلم ، فنبغ في هذا المجال . وقد اهتم في بادى "لأمر بعلم الصنعة (علم الكيمياء) ، فجلب العلماء من مصر ليترجوا العلوم الكيميائية والطبية من اليونائية والقبطية إلى اللغة العربية ، فخالد بن يزيد ـ الذى عجزت بنو أمية أن تنجب مثله ـ أول من بدأ ترجمة العلوم البحتة والتطبيقية من لفات مختلفة إلى العربية ، ثم نقلت الدواوين من اللغة الفارسية إلى العربية في أيام الحجاج . يقول ابن النديم في كتابه (الفهرست) كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا في نفسه ، وله همة ومحبة اللعلوم . خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جاعة من فلاسفة اليونايين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي ، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لفة إلى للإسامة عمد يحيى الهاشمي في كتابه (الكيمياء في التفكير الإسلامي) قوله : كان يعيش في الإسكندرية راهب يدعى (ماريانوس) كان يشتغل في الكيمياء ، وقد سمع به الأمير العربي خالد بن يزيد واستدعاء إلى دمشق ليتعلم منه الصنعة . وبعد أخذ ورد قبل هذا الراهب المجيء الى مورية ليعلم خالدا الكيمياء ، وقام بترجمة عدة كتب إلى اللغة العربية) .

يجب أن نأخذ من منهج حياة الأمير بن يزيد درسا نهندى به في حياتنا العملية : فهو لم يقف مكتوف اليدين نائحا على موضوع الخلافة ، بل استمر في حياته اليومية ، وبدأ يفكر في طريق آخر يخلّد به اسمه فاختار العلم وجلب العلماء المتخصصين في علمي الكيمياء والطب من مصر . فخالد ابن يزيد يعتبر عصاميا من الدرجة الأولى . ولقد صار من العلماء المولمين في الأدب والعلوم والتاريخ ، حتى أصبح مضرب الأمثال في اهتهاماته العلمية في عصر كانت الأمة الإسلامية مشغولة في مشاكلها السياسية . يقول سعيد الديوه جي في كتابه (خالد بن يزيد) يئس خالد من الخلافة ولكنه لم ييئس أن يخلد له ذكرا يفوق ذكر الذي اغتصبها منه حيا وميتا .

خالد بن يزيد أحد المولمين بالعلم والأدب .. كما نرى أنه كان له ميل طبيعمى إلى العلوم والمعارف ، وأن ذكاء المتوقد وحبه للعلوم المختلفة لم يقنع بما كان للعرب من العلوم في ذلك الوقت ، وأيما سعى بالاطلاع على ما للأمم الأخرى من العلوم والمعارف المختلفة ، ولم يكن يعرف غير العربية بولكن كان في الشام رهبان يعرفون اللغات الأجنبية ، وقد تعلموا اللغة العربية ، وفي استطاعتهم كما أن مدرسة الاسكندرية كانت لم تزل موجودة ، وفيها علماء تعلموا اللغة العربية ، وفي استطاعتهم أن يترجموا كتب الأمم الأخرى . ويذكر الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) كان خالد بن يزيد بن معاوبة خطبيا شاعرا ، جيد الرأى أديبا كثير الأدب حكيا ، وكان أول من أعطى التراجمة والفلاس والكيمياء والفلاسة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات .

لقد اهتم خالد بن يزيد اهتماما بالغا ببعض فروع المعرفة كالكيمياء والطب والفلك . فأما اهتمامه بعلم الطب فلحاجة الشعب له ؛ لأنه يخوض ويعالج بعض الأمراض التي تصيب أفراد الشعب ، فهذا الموضوع من أهم الموضوعات التي اعتنى مها علماء العرب والمسلمين بعد خالد ، وأما علم الكيمياء فهو العلم الوحيد الذي كان الاعتقاد بين الناس سائدا أنه عكن بواسطته تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة . وكذلك يمكن صنع الأدوية باستعمال النظريات الكيميائية ، وهذه بطبيعة الحال حقيقة علمية خدمت علم الطب عبر القرون . وأخبرا اهتم بعلم الفلك ، لأن العرب عرفوا بالتجارة والرحلات إلى جميع أنحاء العالم لذا يحتاجون إلى الإلام بحركة النجوم. يقول سعيد الديوه جي في كتابه (الأمير خالد بن يزيد) : كانت صناعة الكيمياء رائجة في مدرسة الاسكندرية ، فاستعان خالد بعلياء هذه المدرسة واستقدمهم إلى الشام ، وبذل هم العطايا الكثيرة ليترجوا له الكتب ، ومن هؤلاء راهب اسمه « مريانوس » طلب منه أن يعلمه صناعة الكيمياء ، ولما تعلمها أمر بنقل الكتب التي تبحث عنها الى العربية ، فنقلها له راهب آخر اسمه « اسطيفانوس ».وكان مولعا بالنجوم ونقلت له الكتب التي تبحث عنها . ويظهر لنا أنه لم يكن يكتفي بدراسة هذ العلم دراسة نظرية ، ويقنع بالأقوال دون التطبيق ؛ بل إنه كان يحاول أن يطبق ما يقرأ . تذاكروا الماء بحضرة عبد الملك ابن مروان بن الحكم فقال خالد : (إن شئت أعذبت لكم ماء البحر) فأتي بقلالي من ماء ثم وصف کیف یصنع به حتی یعذب .

ويذكر ابن خلكان فى كتابه (وفيات الأعيان) : ان خالد بن يزيد بن معاوية كان من كبار علماء قريش بفنون العلم ، وله إسهامات جليلة فى صنعة الكيمياء والطب ، كان ذا باع طويل فى هذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل ومؤلفات توضح بكل جلاء معرفته وبراعته . وقد سخّر خالد بن يزيد بن معاوية المال خدمة العلم والعلياء ؛ فكان حكيا في تصرفاته ، ولذا لقب بحكيم بنى أمية . وكان يقرض الشعر ، وقد امتاز شعر خالد بن يزيد بخلوه من المجون والفُحش والغزل العارى ، لذا يمكن القول بأنه شاعر حكيم وعرَّاف وملتزم بتعاليم الإسلام . يقول سعيد الديوه جى في كتابه (الأمير خالد بن يزيد) : بل إن خالد بن يزيد سخر المال لتهذيب نفسه وتثقيف عقله ، وتخليد ذكره بين العلياء والأدباء والشعراء فهو من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسياحة وقوة العارضة ، علاَّمة خبيرٌ بالطب والكيمياء حكيم شاعرٌ ، وقد علم العرب والعجم . وهو بعيد كل البعد عن طيش الشباب ، ونزق الفتيان ، وانههاك المترفين ، ولمو المجان . فهو يمثل النفس الأبية الطاهرة ، التي لا تشغلها ملذات الدنيا ونعيمها عن تخليد ذكرها ، وهو يحاسب نفسه على كل عمل يقوم به ، أو قول يصدر منه ، ،

ويظهر ورعه وزهده وتقاه جليًا من بعض أشعاره وأقواله ، التي نقلها سعيد الديوه جي في كتابه (الأمير خالد بن يزيد) منها :وكان خالد بن يزيد يذكر الحساب والعقاب ، وأن كل نفس ستجد ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء ، ويحث على العمل الصالح لهذا اليوم العصيب :

وتكون يوم أشد خوف واثلا في السوزن إذ غبط الأخف الأثقلا عن حظ نفسك في حياتسك غافلا إن سرك الشرف العنظيم مع الغنى يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت فاعمسل لما بعسد الحياة ولا تكن

ومن أقواله المأثورة :

- (١) إذا كان الرجل محاربا ، لجوجا معجبا برأيه ، فقد تمت خسارته .
 - (Y) وقيل لخالد: ما أقرب شيء ؟ قال: « الأجل » .
 - (٣) قيل له : ما أبعد شيء ؟ قال : «الأمل » .
 - (٤) قيل له : ما أوحش شيء ؟ قال: « الموت » .
 - (٥) قيل له : فها أنسب شيء ؟ قال : « الصاحب المواتى » .
 - (٦) قيل له : فها الدنيا ؟ قال : « ميراث » .
 - (Y) قبل له : فَها الايام ؟ قال : « دول » .

كان خالد بن يزيد بن معاوية يصوم ثلاثة أيام من كل أسبوع فى آخر أيام حياته . كما أنه بنى جامع حمص المشهور وكان عدد العمال فى ذلك الوقت أربعيائة عبد ، فلما أنهوا بناء المسجد اعتق العبيد ثوجه الله سبحانه وتعالى . وفى آخر الأمر انقطع خالد بن يزيد عن الناس وانكب على القراءة والتصنيف .

ويلخص سعيد الديوه جي في كتابه (الأمير خالد بن يزيد) هذا قائلا: كان خالد زاهدا تقيا يصوم الجمعة والسبت والأحد من كل أسبوع .. كان كثير الحديث للناس عن صفوة الحلق الرسول وللهجة وقد أجمع المؤرخون على زهده ونقاوته وورعه ، وأنه وأخوه كانا من خيار القوم . ومن آثاره الجليلة أنه عمر جامع حمص وكان له (٤٠٠) عبد يعملون فيه ، فلما انتهى عبار الجامع اعتقهم في سبيل الله . لذا نجده يقضى آخر حياته في بيته ، منقطعا عن الناس ، ولزم عبادة ربه ، والتتبع والدراسة ، فخلد له ذكرا يفوق ذكر الكثير من أبناء الذين حرموه من الحلاقة ، وأسندوها إلى من لا يكن أن يقاس بحكيم آل أمية ، الذي وضع أساس التدوين والترجمة للعرب ، وأطلعهم على علوم ومعارف لا يعرفونها . وقد سئل : (كيف تركت الناس ولزمت بيتك ؟) قال : (هل بقى الآحاسد نعكة ، أو شامت نتكة ؟) .

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية بحق من رُواد علماء العرب والمسلمين في حقل الكيمياء ، بل هو أول من قاد قافلة الكيميائيين العرب والمسلمين . كما أنه يعتبر أول من استعمل علم الكيمياء لصناعة بعض الأدوية لحدمة حقل الطب ؛ لذا نجد أن علماء العرب والمسلمين أولوا هذا الفن العناية التامة ، ولقد اشتهر خالد بن يزيد بين معاصريه بحنكته وسعة اطلاعه على معظم العلوم البحتة والتطبيقية ، فهو اول من أدخل علمى الطب والكيمياء والعلوم الأخرى اليونانية إلى العالم العربي . يقول ابن النديم في كتابه (الفهرست) : قال محمد بن اسحق : الذي عنى بإخراج كتب القدماء

يروبير عبد المستمال المستمال المستملة المستمل المستمل المستمل على يرابع عبد الحار الم المستملة خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان خطيبا شاعرا فصيحا حازما ، ذا رأى ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم ، وكتب الكيمياء . أما محمود الحاج قاسم فيقول في كتابه (الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به) وأن أول من قاد هذه القافلة من الكيميائيين العرب وأدخل الكيمياء والطب وبقية العلوم البونانية إلى العالم العربي هو خالد بن يزيد بن معاوية .

كانت فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة منتشرة بين العلماء آنذاك ولا شك أن خالد بن يزيد بن معاوية تأثر بهذه الفكرة الحلابة ، وهي إمكانية تحويل مادة النحاس إلى ذهب ، وقضى وقتا في التفكير للوصول إليها ، فطلب مجموعة من كبار العلماء في حقل الكيمياء من مدرسة الاسكندرية راجيا أن ينجح مشروعه هذا .

يقول محمد فائز القصرى فى كتابه : (مظاهر الثقافة الاسلامية وأثرها فى الحضارة) : فقد استدعى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية عددا من علماء الاسكندرية الى دمشق وأغدق عليهم المال وأحسن لهم مطالبهم ، وكلفهم بالتجارب العلمية والترجمة للحصول على الذهب من مادة النحاس.

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه: (الأغاني) أن خالد بن يزيد بن معاوية قضى مدة طويلة من حياته في طلب الكيمياء حتى أنه برز في هذا الميدان . وقد امتدحه القاضى أبو القاسم صاعد بن أحد بن صاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم): أن خالد بن يزيد بن معاوية كان متضلعا في حقل الطب والكيمياء ، فهو أول من بين العلاقة المتينة بينها ، ويتضح من إنتاجه في هذا المجال أن له باعا طويلا . أما محمد ابراهيم الصيحى فيذكر في كتابه (العلوم عند العرب) : أن خالد بن يزيد ابن معاوية كان من قادة الأوائل لعلم الكيمياء فهو الذي أمر بترجمة الكتب الأغريقية الني تناولت بعض الدراسات الكيميائية وعكف على دراستها والتعليق عليها حتى برع في هذا الحقل .

مؤلفاته:

اهتم خالد فى آخر حياته بالتأليف فكتب كتيرا من الكتب والرسائل ، ذكر بعضها فى (الفهرست) لابن النديم ، و (كشف الظنون) لحاجى خليفة ، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان ومنها :

- (١) كتاب وصيته الى ابنه في الصنعة .
 - (٢) كتاب الحرارات.
 - (٣) كتاب الصحيفة الكبير.
 - (٤) كتاب الصحيفة الصغير.
- (٥) ثلاث رسائل في الصنعة احتوت إحداها على ما جرى بينه وبين مريانوس .
 - (٦) السر البديع في قلك الرمز المنبع .
- (٧) منظومة فردوس الحكمة فى علم الكيمياء ويذكر صاحب كشف الظنون أن هذه المنظومة تحتوى على ثلاثياثة وخمسة عشر بيتا مطلعها :

الحمد لله العلى الفرد الواحد القهار رب الحمد ال العلى الحمد يا طالب صناعة الحكهاء خذ منطقا حقا بغمير خفاء

(A) وكتاب الرحمة في الكيمياء⁽¹⁾.

ويروى لنا أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) رواية طريفة تدل على تواضع الأمير خالد ابن يزيد المتميز وعقله الراجع: قابله راهب سأله: أأنت من أمة محمد ؟ ، فقال خالد : نعم ، فسأله الراهب: أمن علمائهم أم من جهالهم ؟ فقال خالد بن يزيد: لست من علمائهم أو جهالهم ، قال الراهب: ألستم تزعمون في كتابكم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ فأجاب خالد: بأن لهذا مثلا في الدنيا ، فسأل الراهب: فها هو ؟ قال خالد: مثل الصبى في بطن أمه يأتيه رزق الرحمن بكرة

وعشيا لا يبول ولا يتغوط، فأدرك الراهب أنه يخاطب عالما وقال: ألم تزعم بأنـك لسـت من علمائهم؟! فأجابه خالد: بلى ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم.

وخلاصة القول أن خالد بن يزيد بن معاوية ، كان بإمكانه أن يتولى الحكم ، ولكن بطريقة العنف التي يمكن أن تقود الى تفكك الدولة الإسلامية ، فبحكمته ترك الحكم وانصرف إلى طلب العلم ; حيث خلد اسمه بين من أسس العلوم التطبيقية في العالم العربي والإسلامي ، ويعده كثير من المؤرخين من عباقرة العالم الاسلامي ، بل من الذين وضعوا النظريات الهامة ، والإضافات المبتكرة في حقلي الطب والكيمياء ، فهو اول من جلب العلماء غير المسلمين من مدرسة الاسكندرية التي كانت عامرة بكبار العلماء من يونان وأقباط ، فلم يجعل الاختلاف في العقيدة حائلا بينم وبينهم ، بل قريهم منه واستفاد من خبرتهم العظيمة بالترجمة من اللغات المختلفة إلى لفة القرآن الكريم ، فصارخالد بن يزيد ـ رحمه الله ـ يتلمذ على الكتب المترجمة ، لأنه لا يجيد لغات أجنبية .

خالد بن يزيد بن معاوية هو الذى جعل علم الكيمياء علما ذا أهمية كبرى ، حيث طوره وجعل منه مصدرا لصناعة العقاقير ، والاعتقاد بإمكانية تحويل المعادن الحسيسة إلى ذهب وفضة ، لذا نجد أن كثيرا من العلماء في العالم الإسلامي تحمسوا هذا الحقل حتى صار مصدرا للعلم التجريبي ، ولقد ترع المنهج العلمي على أيدى علماء العرب والمسلمين الذين اهتموا بالعلوم التطبيقية مثل الكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها ، وقد انعقد إجماع مؤرخى العلوم ، على أن خالد بن يزيد بن معاوية يعتبر بحق من نوابغ الكيميائيين العرب ، إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التي كانت محيطة به ، فالأمير خالد بن يزيد بن معاوية من حكماء الرأى ، كان حكها كيائيا ، ذا اخلاق ممتازة ، وبعد نظر عجيب ،ولقد احسن صنعا في نهج طريق العلم بدلا من الحكم . لأن الأمة الإسلامية انذاك كانت عبيب ،ولقد الحماد الدينانية والفارسية والهندية والقبطية والعبرية وغيرها .

لم يهمل خالد بن يزيد الجانب الأدبى والاسلامى ، وتعزى فصاحته إلى حفظه القرآن الكريم ، وقد كان من الذين يقضون معظم وقتهم فى الإرشاد والتذكير بصغوة الخلق الرسول عليه حتى أنه فى بعض الأحيان كان يجمع خدمه فى بيته ويتلو عليهم القرآن الكريم ويفسره لهم ويقرأ بعض أحاديث الرسول عليهم المراقبة .

كان خالد بن يزيد بن معاوية فصيح اللسان ، صاحب فكرة ، قوى الشخصية منذ نعومة أظفاره . كان مصدرا للنصح والإرشاد لبنى أمية ، ولذا حق أن يلقب بحكيم بنى أمية . ويذكر ياقوت الحموى فى كتابه (معجم البلدان) : أن خالد بن يزيد بن معاوية يعد من رجال قريش الأفذاذ الذين اشتهروا بالقصاحة واللين والورع .

لقد أجع المؤرخون في حقل العلوم التطبيقية في العالم: أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية هو أول من بدأ الحركة العلمية بين العرب والمسلمين . يقول فاضل أحمد الطائى في كتابه (أعلام العرب في الكيمياء): لقد أجمعت المصادر المتوفرة لدينا على أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، رائد العرب والإسلام في الكيمياء ، وكان أول من أمر بترجة التراث اليوناني إلى اللغة العربية ، إضافة إلى تعريب ما نقل من اليونانية الى القبطية ، ويعتبر بحق الرائد الأول في نقل العلوم إلى اللغة العربية ، وبذلك وفر العلم لمن أراد ارتشافه من العرب والمسلمين الذين يحسنون اللغة العربية ، وبعد أن قرأ العلم بإمعان ، شغف بعلم الكيمياء بالدرجة الأولى ، وبالعلوم الأخرى بصورة عامة .

۰ ۰ ۰ ۰ • الهمامش •

(٣) القلب: سوار الدأق.

(١) الحرق : الفلاة الواسعة .(٢) النقب : الطريق في الجبل .

(٤) ذكرت بعض المصادر أن هذا الكتاب لجابر بن حيان .

. المراجع :

- (١) ابن النديم: الفهرست.
- (٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان.
- (٣) صاعد الأندلس : طبقات الأمم .
 - (٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان.
 - (٥) الجاحظ: البيان والتبيين.
- (٦) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
 - (٧) أحمد الدمرداش : تاريخ العلوم عند العرب .
 - (A) سعيد الديوه جى: الأمير خالد بن يزيد.
 - (٩) فاضل أحمد الطائى : أعلام العرب في الكيمياء .
- (١٠) محمود الحاج قاسم : الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة .
 - (١١) محمد فائز القصرى : مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها في الحضارة .
 - (١٢) محمد أبراهيم الصيحى: العلوم عند العرب.



للاستاذ رابح لطفى جمعه

يحتلف اللغويون قديماً وحديثاً حول كلمة كاختلافهم حول كلمة «قرآن »، ولعل السبب في ذلك أن يكون راجعاً الى ما توهمه البعض من أن العرب في الجاهلية لم يعرفوا لفظة « قرأ » بعنى التلاوة ، وحين عرفوها استخدموها بعنى غير معنى التلاوة ؛ فكانوا يقولون ؛ هذه الناقة لم تقرأ بسلى قط. يقصدون أنها لم تحمل ملقوحاً ولم تلد ولداً . ومنه قول عمرو بن كلثوم ؛

ذراعسى عيط ل أدماء بكر هِجان اللون لم تقرأ جنينا وقد تمثل هذا الاختلاف القديم الجديد في اتجاهين أساسيين، أولها حول الأصل الاشتقاقي للفظة «قرآن» والثاني حول عربية هذا اللفظ.

وفى هذا المقال نتناول هذا الاختلاف باتجاهين، محاولين أن ندلى فيه برأينا

الأصل الاشتقاقي للفظة قرآن 〇

أما بالنسبة إلى الأصل الاشتقاقى للفظة قرآن ، فقد ذهب علماء اللغات في هذا اللفظ مذاهب شتى ، فهو عند البعض مهموز ، وعند البعض الآخر غير مهموز ، فمن رَأى أنه بغير همز الشافعي والفرَّاء والأشعرى .

كذلك قرأ لفظة « القرآن » غير مهموز قارئ أهل مكة المكرمة في زمانه إسباعيل بن عبد الله ابن قسطنطين آخر أصحاب ابن كثير زماناً . وعن أبى بكر بن مجاهد أنه قال « كان أبو عمر بن أبي العلاء لا يهمز القرآن، وكان شربة مكم اردى عن ابن كثير » .

ويقول الشافعى : إن لفظ « القرآن » المعرف ليس مشتقاً ولا مهموزاً بل ارتجل ارتجالاً ووضع علياً على الكلام المنزل على النبي ﷺ .

فالقرآن عند الشافعي كها يقول: لم يؤخذ من كلمة « قرأت » ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قريءٌ قرآناً ، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل .

والمعروف أن التوراة بالعبرية « تورة » مأخوذة من كلمة « هِرَّآة » بكسر فسكون بمعنى دلُّ أو هدى ، أو أورى أو أنار وهى اسم لما أنزل على موسى ، أما الإنجيل فمعناه « البشارة » وهو اسم لما أنزل على عيسى عليه السلام ، وهكذا القرآن اسم لما أنزل على النبي ﷺ .

أما الفراء فيقول : إن لفظ « القرآن » مشتق من القرائن جمع قرينة ؛ لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فكأن بعضها قرينة على بعض .

ويقول : الأشعرى ومن تابعه على رأيه : إنه مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه ؛ لأن السور والآيات تقرن فيه ، ويضم بعضها إلى بعض .

إذاً فالقرآن عند الأشعرى وأصحابه معناه الجمع : لأنه يجمع السور فيضمها بعضها الى بعض . ويقول ابن عباس :

« قرأت الكتاب قراءة وقرآناً ، ومنه سمى القرآن ؛ لأنه جمع القصص ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض . ويقول الراغب الأصبهاني :

« القراءة ضم الحروف والكليات إلى بعض فى الترتيل ، يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم أى جمعتهم .

وغنى عن البيان أن القول بعدم الهمز فى القرآن فى هذه الآراء جميعها بعيد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة ، وبالتالى فإننا نطرح هذا الرأى جانباً . أما من رأى أن لفظ القرآن مهموز فهما الزجاج واللحيانى ، ويقول الزجاج : إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأ الماء فى الحوض إذا جمعه ؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة .

وبعلل الزجاج قراءة من قرأ كلمة « القرآن » بغير همز بأنه ترك الهمزة من باب التخفيف ، ونقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وهو ما تجيزه اللغة وتخضع له ولا يغير شيئاً من أصول الكليات ، وعلى ذلك فكلمة القرآن غير المهموزة تساوى كلمة القرآن المهموزة مشتقة من مادة « قرأ » . أما اللحياني فيقول إنه مصدر مهموز بوزن الغفران والفرقان مشتق من قرأ بحضى تلا ؛ سمى به

أما اللحياني فيقول إنه مصدر مهموز بوزن الغفران والفرقان مشتق من قرأ بمعنى تلا ؛ سمى به المقروء ، وتسمية للمفعول بالمصدر .

ونحن نميل الى هذا الرأى الأخير ؛ لأنه أقوى الآراء وأرجحها كما سنبين ذلك . فالقرآن فى اللغة إذاً مصدر مرادف للقراءة على وزن فعلان وهو لفظ عربى صريح مادةً وصيغةً ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرآناه فاتبع قرآنه » ، ويرى بعض المفسرين أيضا أن قوله

تعالى : « الرحمن علم القرآن » أى علم القراءة .
والملاحظ أن كلمتى القرآن والقراءة تزدوجان فى كثير من آى الكتاب الكريم ، قال تعالى :
« فإذا قرأت القرآن فاستمذ بالله من الشيطان الرجيم » وقال « وقرآناً فرقناه لتقرآه على الناس على
مكث » وقال « وإذا قرى* القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . وإذا فإن كلمة القرآن مشتقة من القراءة

• كلمة « القرآن » عربية •

أما الاتجاه الثانى في اختلاف اللغويين حول كلمة « القرآن » فيتمثل في عربية هذه الكلمة ، فمنهم من قال إن هذه الكلمة أخذها العرب من أصل آرامي وتداولوها ، إذ وردت القراءة في الآرامية بمعنى التلاوة ، وقد نادي بهذا الرأي المستشرق « برجشتراسر » حيث قال : إن اللغات الآرامية والحبشية والفارسية تركت في اللغة العربية أثاراً لا تنكر لأنها كانت لغات الاتوام المتمدينة المجاورة للعرب في القرون السابقة على الهجرة .

ويؤكد صبحى الصالح فى كتابه « مباحث فى القرآن الكريم » هذا الرأى ويقول ، إن تداول العرب قبل الإسلام للفظ « قرأ » الآرامى الأصل بمعنى « تلا » كان كافياً لتعريبه واستعال الإسلام له فى تسمية كتابه الكريم .

لا من القرء .

وقريب من هذا الرأى رأى الدكتور طه حسين حيث يقول . إن القرآن ليس شعراً ولا نثراً ولكنه قرآن وأصله بالسريانية « الجهر » أى أنه كتاب يُتلى جهراً أو أنه كتاب جهر به ، وظهر بعد أن كان في طيِّ الخفاء .

وغنى عن البيان أن هذا الرأى هو رأى المستشرقين « شواللي » و« ويلهاوزن » ، فقد عارض هذان المستشرقان في عروبة كلمة القرآن ؛ وقالًا ، ان هذه الكلمة مأخوذة من كلمة « قرياني » السريانية وهي بمعنى القراءة أو المقروء ، ويقوى هذا الفرض لديها مقاربة الكلمة السريانية للكلمة العربية في الصيغة .

ويرى محمد طه الحاجرى أن إنكار المستشرقين لعروبة كلمة «قرآن» وردها الى الآرامية أو السريانية ، إنما يرجع الى مزاعمهم في القرآن أن يصدر عن أصول أجنبية كالتوراة والانجيل ، ومن هنا لا يرون بأساً في أن يكون القرآن قد استعار عنوانه أيضاً من هذه المصادر، أو من اللغة التي كتب يها .

وكها سبق أن ذكرنا أن حجة من أنكر عروبة لفظ القرآن هي عدم ورود مادة القراءة في نص جاهلي شعراً كان أو نتراً ، ولكننا لا نعتقد أن هذه الحجة تنهض دليلا على صواب هذا الرأى ؛ فالثابت عند علماء اللغة العربية أن لغة العرب لم تنته إلينا بحدافيرها ، وإنما الذي جاءنا من العرب غيض من فيض . وقد ذهب كثير من الكلام شعراً ونتراً بذهاب أهله . وفي ذلك يقول ابن فارس « ذهب علماؤها أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

وإذاً فإن عدم ورود مادة قرأ وقراءة في نص جاهلي لا يدل دلالة قاطعة على عدم وجود الكلمة في اللغة المعربية ، فليس منكوراً - كما يقول المرحوم محمد لطفي جمعه في كتابه « ثورة الاسلام وبطل الأنبياء » - أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تجارة ، وكانت مكة بصفة خاصة مركزاً من المراكز التجارية الكبرى ، فكانت الكتابة شائعة في مكة أكثر منها في المدينة ؛ لأن أهل المدينة كانوا مشغولين بالزراعة ، وبديهي أن الحياة التجارية والمعاملات التجارية تعتمد إلى حد كبير على الكتابة ولا كتابة بغير قراءة .

وتدل النصوص الجاهلية نفسها على أن العرب قد اتخذوا الكتابة لا فى الرئائـــق التجاريــة فحسب، بل فى عقد المحالفات بين القبائل المختلفة وأشهرها فى الجاهلية حلف الفضول، الذى حضره النبى عليه فى شبابه قبل بعثه فى دار عبد الله بن جدعان، كذلك حلف ذى المجاز. وقصة «صحيفة المتلمس» أشهر من أن تروى ، وهي واقعة حدثت في الجاهلية ، فيروون أن عمر و بن هند ملك الحيره كتب لطرفة بن العبد صاحب المعلقة المعروفة باسمه ولخاله المتلمس كتابين إلى عامله على البحرين وعيان ، فلقيا في طريقها غلاماً يرعى غنيمة ولما علم امنه أنه يحسن القراءة فض المتلمس كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فإذا به أمر بقطع يدى المتلمس ورجليه ودفنه حياً فقال المتلمس لابن أخته : يا طرفة معك والله مثلها فقال طرفة : كلا ! ما كان ليكتب لى مثل ذلك . وسار بالكتاب حتى أتى عامل البحرين وعيان وقتل . وهذا الخبر يدلنا على ان الكتابة والقراءة كانت معروفة عند الجاهلين .

ليس هذا فحسب بل إن المعلقات كانت تكتب وتعلق على الكعبة ليقرأها كل وافد على مكة في مواسم التجارة والأدب ، وهذا يثبت أن العرب في الجاهلية لم يكونوا غرباء عن الكتابة والقراءة . ولماذا نبعد كثيراً وبين أيدينا نص لا يرقى إليه الشك ولا يأتيه الباطل بأن العرب في الجاهلية كانوا يعرفون مادة « قرأ » بمعنى التلاوة ، ذلك هو خبر نزول الوحى على النبي ﷺ ، فقد أجمعت المصادر العربية والإفرنجية على أن أول ما بدى * به الرسول من الوحى هو الرؤيا الصادقة ، « فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصحح » . ثم حبب إليه الحلوة والانفراد بغار حراء يخلو به الليالي ذوات العدد حتى جاءه الحق وهو في الفار ، إذ جاء الملك فقال :

_ اقرأ . قال : ما أنا بقارى ،

يعنى لا اعرف القراءة ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام أمياً لا يعرف القراءة أو الكتابة . فكررها الملك مرتين ثم قال :

ـ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .

فهذا حديث نبوى شريف يقطع في أن كلمة « قرأ » وبشتقانها كانت معروفة عند عرب الجاهلية بمنى التلاوة ، فلا عجب إذا أن تكون كلمة يفتتح بها الوحى الرباني ، ويستهل بها التنزيل الآلهي هي كلمة « اقرأ » . وعلى فرض أن القرآن استعار مادة القراءة من بعض اللغات السامية الأخرى بزعم عدم العثور على هذه المادة في النصوص الجاهلية التي بين أيدينا فهو افتراض بعيد عن الصواب وفيه كثير من المجازفة .

وعلى ذلك فإننا نرى أن الكتاب الكريم قد استحدث كلمة القرآن استحداثاً واشتقها من كلمة « القراءة » العربية الأصل ، وعلى نحو من الاشتقاق العربي الصميم ، فكثيراً ما يأتى المفعول في لغة العرب بلفظ المصدر ، أو الفاعل ، فتقول العرب سر كاتم أي سر مكتوم ومكان عامر أي معمور وعلى هذا فكلمة القرآن من قبيل تسمية المفعول بالمصدر.

حقيقة قد لا يكون هذا الاشتقاق شائعاً في اللغة كغيره من الصيغ ، ولكنه في حقيقة الأمر منسق الحروف منغوم النبرة ليس أجدر منه أن يكون اسها وعنواناً وعلها على ذلك الكتاب المعجز الخالد المنزل على النبى ويلي والمكتوب في المصاحف والمنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته وقراءته .

وبعد

فلعنا أن نكون قد وفقنا الى إثبات عربية لفظ« القرآن » أصلاً واشتقاقاً ومعنى والله ولى التوفيق .!!!



• أهم مراجع البحث •

- (١) السيوطي ، الاتفان في علوم القرآن ، طبع القاهرة سنة ١٩٤١ .
- (٢) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٥٧ .
- (٣) ابن خالویه ، مختصر فی شواذ القراءات ، نشر بعنایة المستشرق برچشتراسر ، طبع القاهرة سنة
 ١٩٣٤ .
 - (٤) الدكتور صبحى الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، طبع بيروت سنة ١٩٦٨
- (٥) محمد لطفى جمعه ، ثورة الاسلام وبطل الانبياء ابو القاسم محمد بن عبد الله ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٩ .
 - (٦) محمد طه الحاجري ، « كلمة قرآن » ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، سنة ١٩٣٦ .
- (۷) رابح لطفى جمعه ، القرآن والمستشرقون ، طبع المجلس الأعلى للشنون الاسلامية ، القاهرة ، سنة
 ۱۹۷۳ .

شمُولية الفِكرائُ غرافيٰ فِي كُتُبُّ الدَّلْبُ

للدكتون محمد محمود محمدين

ه مقدمة ●

تولى الأمم الناهضة تراثها العلمى اهتاما كبيرا : لأنه ميراثها من فكر الأجداد ، والمتنكر التراثه أو الغافل عنه يصبح بلا هوية حضارية . إن اهتامنا بالراث الجغرافي يجب ألا يقتصر على إعداد قوائم بكتب التراث وتحديد أماكن وجودها ، أو السعى الى مجود اقتناء كتب التراث والمخطوطات والتشدق بعناوين تلك الكتب او الاشادة بمؤلفيها ، وإنما يجب علينا أن نشجع الاثبحاث الجادة : لأنه على الرغم من تعدد الدراسات وتنوع البحوث التي تناولت تراثنا الجغرافي الاسلامي إلا أن هذا التراث مازأل في حاجة ماسة إلى جهود كثير من المخلصين؛ لمراجعة ما كتب عنه مراجعة شايلة ، وإعادة النظر في هذا التراث على أساس موضوعي ؛ لإلقاء الضوء على ما غمض من جوانبه ، وإبراز الإسهامات التي أثرى بها علماء المسلمين الفكر الجغرافي .

ان من الحقائق التي لا يمكن إخفاؤها أن العنابة بالتراث الجغرافي الاسلامي ، وتحقيقه وتبويبه زمنياً وموضوعياً ، استمرت زمنا طويلا وقفا على المستشرقين ، وقد بدأ ظهور حركة الاستشراق في القرن العاشر الميلادي على يد الراهب الفرنسي « جسر بر دى أورالياك Jerbert de Oraliac الذي قصد الأندلس أيام ازدهارها طلبا للعلم سنه ٩٩٩ م . وفي القرن السابع عشر الملادي ازدهرت حركة الاستشراق بشكل كبير، وقد أسس اور بانبوس المولندي مطبعة عربية في هولندا سنه ١٦١٣ م هي مطبعة ليدن التي قامت بطبع كثير من أمهات كتب التراث الجغرافي ، التي مازلنا تعتمد على معظمها أو على صور لها حتى الآن(١).ومن أواثل الذبن اهتموا بالتراث الجغرافي الاسلامي من العرب في القرن التاسع عشر الميلادي ، أحمد زكمي باشا (١٨٦٧ ـ ١٩٣٤ م) . وقد مثل أحمد زكى باشا (وهو فلسطيني المولد) الحكومة المصرية في أربعة مؤترات من مؤتمرات المستشرقين ، قدم في أحدها وهو مؤتمر اثبينا سنه ١٩١٧ م عشرة كتب قديمة حققها ونقحها ، وستة كتب من تأليفه منها : معجم تحرير وضبط الأعلام الجغرافية ، وهو معجم عرب _ فرنسي . وكان احمد زكي إذا ما وصف بالتعصب للعرب الشنغاله بالتراث يقول : « هل يراد بنا أن نسكت عن مفاخر أجدادنا .. هل نترك لغيرنا إظهار مفاخر أجدادنا ... ثم ماذا أعمل بما أرشدني إليه بحثى حديثاً وهو ان الكندى الاسلامي قد اكتشف ورصد نجماً من ذوات الأذناب ؟ هل نترك تحقيق هذه المسألة للأفرنج ونبقى عالة عليهم في بيان مفاخرنا ؟ . (٢) إن كثيرا من الدراسات التي قام بها المستشرقون في مجال التراث الجغرافي الاسلامي في حاجة إلى معاودة النظر مثنمي وثــلاث ؛ لأن هؤلاء المستشرقـين مهما اتصفــوا أو تظاهــروا بالإنصاف والنزاهة في دراساتهم؛ فإنهم لن يسلموا من الميـــل والهــوى وخـير مشــال لذلك « كراتشكوفسكي » في مصنفه تاريخ الأدب الجغرافي العربي .

إن دراسة تراثنا الجغرافي ليست مضيعة للوقت كها قد يبدو لبعض السنج، أو أنها تخرج عن نطاق الجغرافيا المعاصرة ، أو أنها مجرد دعوة للرجوع إلى الوراء والتشدق بأمجاد غابرة ، واتما هي دعوة من أجل بعث الثقة في النفوس وإثارة للغيرة والحياس ، وحفزا للهمم حتى نعمل بجد واجتهاد لاسترداد مكانتنا في هذا العلم . اقرآوا ما كتب « لاروس » الفرنسي في دائرة معارفه عن جغرافية العرب يقول « لاروس » : « إذا أراد القارئ أن مجد في القرن الحادى عشر عجيبة من العجائب الجغرافية فلا يبحثن عنها في أوروبا التي صارت إذ ذاك بربرية : ولكن ليبحث عنها عند العرب (٢) » .

ولا شك أن دراسة التراث الجغرافي قد تكون سبيلا لحل مشكلة اختلاف المصطلحات الجغرافية المناسبة المجاوفية المناسبة

التى يمكن أن تسهم إلى حد كبير فى تضييق نطاق هذه المشكلة . ويؤمل بعض الباحثين على دراسة التراث الجغرافي فى إمكان ظهور مدرسة جغرافية عربية لها أصالتها وشخصيتها المتمدة .

• كتابات العرب في الجغرافيا •

قلها يخلو كتاب من كتب التراث من معلومات أو معارف جغرافية سواء أكانت هذه الكتب كتب أدب أو تاريخ أو دواوين شعر أو فقه أو حديث . ولقد أطلق العرب أسهاء عديدة على جوانب الفكر الجغرافي منها : علم تقويم البلدان _ البلدان _ عجائب الأقاليم السبعة ، صور الأقاليم _ الأقاليم _ علم المسالك والمهالك ، صورة الأرض ، علم عجائب البلاد ، رسم المعمور ، الربع المسكون ، علم الأطوال والأعراض ، وعروض البلدان ، علم البرود (جمع بريد) ، جغرافيا .

وقد استخدم الجغرافيون المسلمون لفظ « جغرافيا » أحيانا للدلالة على خريطة الدنيا ، ومن هؤلاء، ابن خلدون الذي ذكر في مقدمته : « وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجمال والبحار والأودية »(¹³⁾ .

وجاء فى المعجم العربى اللاتينى المعروف بالفوكابوليستا Voocablista الذي وضعه أحد الرهبان فى القرن ١٣ م، الفظ « جعرافيه » بالعين المهملة مرتين ، فى ص ٨٠ للدلالـة على الحريطة ، وفى ص ٤٦٩ « جعرفية » للدلالة على خريطة الدنيا(٥٠) .

إن من يتصدى لدراسة التراث الجغرافي الإسلامي عليه ألا يكف عن البحث ليس فقط في كتب التراث الجغرافي، ولكن كتب التراث التاريخية والأدبية . وعلى سبيل المثال فان كتاب الحيوان للجاحظ يحوى مادة وفيرة في الجغرافيا « الحيوانية » والاجتاعية على الرغم من أنه كتاب أدبى ، كها أن كتاب فتوح البلدان « للبلاذرى » حوى مادة هامة في محيط الجغرافيا التاريخية والجغرافية والمجغرافية والسكرية ، على الرغم من أنه كتاب تاريخ .

• جغرافية التراث بين الأصالة والترجمة •

أسهم علماء المسلمين إسهامات كبيرة فى إثراء الفكر الجغرافى فى العصور الوسطى . ولـم تقتصر كتاباتهم فى الجغرافيا على مجالات محددة ، بل امتدت لتشمل مجالات عديدة لكل ما هو معروف الآن من فروع للجغرافيا المعاصرة تقريباً. لقد بدأت الكتابات الجغرافية عند المسلمين بالاعتباد على المعرفة الجغرافية القديمة ، التي كانت لدى الشعوب التي اعتنقت الاسلام ، من عرب وفرس وهنود ، كما اعتمدت كذلك على ترجمة كثير من الكتب اليونانية . إن الدولة الإسلامية حين امتدت واتسعت فتوحاتها تطلب ذلك ان تتسع جنبات حياتها ويستبحر عمرانها ويستبع ذلك انفتاحا على العلوم والفكر والحضارة (۱) . وتسابق الحلفاء على رعاية العلم وتشجيع العلما ، ومنذ عهد أبىي جعفر المنصور والرشيد والمأمون أصبح النقل والترجمة جزءا من سيامة الدولة ، وكان يدفع للمترجم مثل وزن الكتاب الذي ترجمه ذهبا . وعا تجدر الإشارة إليه أن أعال العلماء المسلمين لم تكن مقصورة على ترجمة الكتب فقط ، بل سارعوا إلى تصحيح أخطائها وأضافوا إليها كثيرا من ملاحظائهم وما حققوه من آراء .

وعموما يمكن تقسيم الفكر الجغرافي عند المسلمين في العصور الوسطى من حيث أصالته إلى تعلين : ١ ـ نمط اتباع : حذا فيه المسلمون حذو الكتب التي نقلوا عنها وتأثروا بها ، ومن أمثلة ذلك الجغرافيا الفلكنة والرياضية والاقليمية والبحرية .

٢ ـ غط ابتداع: ابتكره الجغرافيون المسلمون أو أظهروا فيه أصالتهم مثل المعاجم الجغرافية.
 والجغرافيا اللغوية والجغرافيا الدينية أو الروحية.

أن من يتصدى لدراسة كتابات الجغرافيين المسلمين يجد انها تشكل مدرسة جغرافية خاصة بهم ، أصدق ما توصف به هي أنها مدرسة روحية لغوية .

نماذج توضح شمولية الفكر الجغرافي في تراثنا

نقصد بتعبير « شمولية الفكر الجغرافي » ما درج عليه الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى من حيث كتاباتهم في شتى الموضوعات الجغرافيه طبيعية أو بشرية ، ولقد ظل هذا الاتجاه سائداً في أوروبا حتى منتصف التي اللترن التاسع عشر ، وأخر رواده في اوروبا الكسندر فون همبولت (١٧٦٩ – ١٧٩٨ م) في كتابه « علم الأرض Kosmos» ورويتر (١٧٧٩ - ١٨٥٩ م) في كتابة « علم الأرض The Erdkunde » . وقد ظهر الاتجاه نحو التخصص يتزايد باستمرار؛ لأنه لم يعد في مقدور اي إنسان ان يحيط جواغب المعرفة الجغرافية (٧٠) .

ويجب ان نشير هنا الى ان بعض الكتابات الجغرافية العربية فى العصور الوسطى تميزت بالتخصص الى حد ما ؛ مثل كتب الانواء التى تطابق الى حد ما الجغرافيا المناخية المعاصرة ، ومن أمثلة هذه الكتب « كتاب الأنواء » لأبى محمد بن مسلم بن قتيبه الدينورى المتوفى سنه ٢٧٦ هـ (٨٧٩ م)، ومن أمثله الكتب المتخصصة الأخرى كتاب لأبي سعيـد عبـد الملك بن قريب الاصمعي (توفي ٢١٦ هـ) . ويمكن ان يوصف هذا الكتاب بأنه جغرافيا نباتية . على ان الكتب التي التزمت بموضوعات جغرافية محددة قليلة ، وان غالبية كتب النراث الجغرافي كتب موسوعية شاملة تتناول جميع فروع الجغرافيا ، وذلك إذا ما أخضعنا المادة المكتوبة للتصنيف وفق الفروع الجغرافية المتعارف عليها الآن . وفيا يلى نماذج من كتابات الجغرافيين المسلمين توضع أهم الفروع الجغرافية المختلفة التي تناولتها كتاباتهم .

• أولا: الجغرافيا الطبيعية •

لم تنل الجغرافيا الطبيعية اهتمام كبيرا من الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى ، مثل الاهتام الذي حظيت به الجغرافيا البشرية ، ومع ذلك نجد إشارات جغرافية عديدة يمكن أن توصف بأنها جغرافية تضاريس وجيمورفولوجيا ، وجغرافية بحار ، وجغرافيا مناخية ، وجغرافيا حيوية وتربة . وسوف أكتفى هنا بأمثلة توضيحية .

ا ـ الإشارات الجغرافية التضاريسية والجيمورفولوجية قسم المقدسي تضاريس الشام الى أربعة محاور طولية توازى ساحل البحر المتوسط على النحو التالى : الصف الأول يلى بحر الروم ، وهو السهل رمال متعقده .. والصف الثانى الجبل مشجر ذو قرى ... والثالث الأغوارذات قرى وأنهار .. والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة (٨)

ونجح البيروني (1) في تفسير طريقة تكوين سهل هندستان ، حين أشار إلى أنه كان في الأصل قاع بحر تراكمت عليه رواسب الطمي حتى احالته سهلا . ويقول البيروني في ذلك « وأرض الهند من تلك البراري يحيط بها من جنوبها بحرهم المذكور ومن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ، وإليها مصاب مياهها بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها وفي احجارها المدملكة الموجودة الى حيث يبلغ الحفر عظيمه بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنبار وأصغوه عند التباعد وفتور الجرى ورمالا عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر لم تكد تصور ارضهم الا بحرا في القديم قد انكبس بحمولات السيول (١٠)

وقد أشار البيروني الى الجاذبية في قولة : « والناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة وعليها ايضا نزول الأثقال الى السفل(١٠٠) .

ويشير المسعودى إلى أن العلاقة بين اليابس والماء متغيرة ويقول فى ذلك : « يستحيل موضع البحر وموضع البر ، فليس موضع البر ابدًا برأً ولا موضع البحر أبدأً بحراً ، بل قد يكون برأً حيث كان مرة بحراً ويكون بحراً حيث كان مرة براً ، وعلة ذلك الأنهار وبدؤها وجريها ؛ فإن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً ، وحياة وموتاً ونشتاً ونشورا ، كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات ؛ غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزء ، لكنها تشب وتكبر أجزاؤها كلها معاً وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد(١٧٧) .

ب - جغرافية البحار والمحيطات

لا يخلو كتاب من كتب النراث الجغرافي من الإشارة الى البحار والمحيطات وما بها من جزر. وقد أشار البيروني الى أن المحيطين الاطلسي والهندي متصلان وذلك قبل رحلة فاسكوداجاما بما يقرب من خسة قرون . يقول البيروني : « فالمعمورة اذن في ربع من أرباع الأرض ، ويطيف به بحر يسمى من جهة المغرب والمشرق محيطاً . ويسمى اليونان ما يلى المغرب منه وهو ناحيتهم أوقيانوس ، وأما من جهة الجنوب فان العارة تنتهى الى ساحل البحر المتصل بالمحيط في الجانبين (۱۲) .

وتناول القزويني ظاهرة المد والجزر فقال: إن القمر إذا صار في أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه في المد قليلا من القمر ، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر في وسط سياء ذلك الموضع ، وإذا صار هناك انتهى المد منتهاه ، فإذا انحط القمر من وسط سيائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعاً إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك الموضع ينتهى الجزر منتها ، فاذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد مرة ثانية ، إلا أنه أضعف من الأولى فيكون في كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر في ذلك البحر مدان وجزران (١٤٥)

وقد حاول الدمشقى تعليل ملوحة مياه البحر فقال: « إنه أجاج لمصالح العالم ، جعله الله مغيضاً للأنهار ، ومعبراً للسيول والأمطار ومركبا لرفاق البحار ، ومضر باً لمصالح الأمصار ... زعم قوم أن أصل الماء العذوبة لملوحتها وجذبت الشمس ما فيه من اللطافة بحرارتها فاستحال إلى الغلظ والملوحة . ولولا الحكمة الآلهية اقتضت طبخه بمخالطة الأرض المحرقة لأنتن وأفسد ما يكون فيه من الحيوان (١٠) .

• ج ـ الجغرافيا المناخية •

يرجع اهتام العرب بالظواهر المناخية الى ما قبل الاسلام . وقد ذكرت كتب فقه اللغة أن للسحاب عند العرب مائة وخمسين اسباً وللمطر أربعة وثبانين اسبا وفقاً لموسم سقوطه وشدته واستمراره ١٦٠٠). وتناول المسعودى العوامل المختلفة المؤثرة فى المناخ تحت عنوان «أصناف اختلاف البلدان » ورأى أنها أربعة : أولها النواحى (الموقع) والثانى الارتفاع والانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحاركها ، والرابع طبيعة تربة الأرض^(۱۷) .

ويشير إخوان الصفاء الى أن الرياح ليست شيئاً سوى تموج الهواء بحركته الى الجهات الست ، كما أن أمواج البحر ليست شيئا سوى حركة الماء وتدافع أجزائه ، واعلم أن الرياح كثيرة التصاريف فى الجهات الست ، ولكن جملتها أربعة عشر نوعاً ، والمعروف منها عند جمهور الناس أربع وهى الصبا والدبور والجنوب والشهال (١٨٨) ويذكر ابن قتيبة الدينورى أن العرب كانوا يستدلون بالبرق على نزول المطر ، فاذا لمت سبعون برقة انتقلوا ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر ، وإذا كان البرق عندهم وليفا وتقوا بالمطر ، والوليف الذي يلمم لمعين لمعين المتن (١٨٨) .

وتعرض اخوان الصفاء لظاهرة البرق والرعد ، وذكروا أن البروق والرعود يحدثان فى وقت واحد ، ولكن البرق يسبق الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع ؛ لأن أحدهما روحانى الصورة وهو الضوء والآخر جسمانى وهو الصوت (۲۰) .

كـ الجغرافيا الحيوية

تضمنت كتابات الجغرافيين المسلمين كثيراً من الحقائق عن النباتات والحيوانات وفق أسس مختلفة . ومن الذين كتبوا عن الجغرافيا النباتية ، أبو سعيد الأصمعي (١٢٨ ـ ٢١٦ هـ) في كتباب « النبات » ، والنضر بن شميل في الجزء الخامس من كتاب « الصفات » ، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (١٢٢ ـ ٢٠٥ هـ) وله كتاب « النبات والشجر » ، والقزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » حيث يتحدث عن النبات والحيوان .

وقد أشار القزوينى الى أن الزروع والأشجار لا تنبت إلا فى المواضع النى تطلع عليها الشمس وكذلك لا ينبت تحت النخيل والأشجار العظيمة التى لها ظلال واسعة شىء من الزروع : لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها(۲۰) .

وتناول الأصمعى النباتات التى تنمو فى الجزيرة العربية ، فمن شجر الحجاز: الغرقد والسدر ، فها كان برياً فهو تشال وما كان ينبت فى الأنهار فهو « عُبْرِى » والعوسج ، واللصف . ومما ينبت بجبال نجد : الثغام ، والحُماض ، والشرِّيان .. والبشام ، والبُطْم ، والقتاد ، والحرشف ... والعِكْرش

ينبت. في السباخ (٢٢)

ويعد ما كتبه اخوان الصفاء في الجغرافيا الحيوية أدق ما كتبه الجغرافيون المسلمون في هذا المجال بيداً اخوان الصفاء بتعريف النبات؛ بأنه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو، ثم يصفون النباتات وفق اسس مختلفة ويوزعون النباتات توزيعاً جغرافياً فيقولون: واعلم يا أخى بأن من النباتات ما ينبت في البرارى والقفار، ومنه ما ينبت على رءوس الجبال، ومنه ما ينبت على شطوط الأنهار وسواحل البحار، ومنه ما ينبت في الآجام والغياض (٣٣).

ويربط أخوان الصفاء بين المناخ والتربة والنبات الطبيعي بقولم: « ومن النبات ما لا ينبت الا في البلدان الدفيئة ، ومنه ما لا ينبت الا في البلدان الباردة ، ومنه ما لا ينبت الا في البلدان الباردة ، ومنه ما لا ينبت الا في التربة الطينية ، ومنه ما لا ينبت الا في الراصل وبين الحصى والحجارة والصخور والارض الباسة ، ومنه ما لا ينبت الا في الاراضي السبخة (عنه) . وتحدث القرويني عن الحيوانات وبزاياها ووسائل الدفاع التي تحفظ بنه نفسه اعن أعدائها ... فمنها ما يعفظ نفسه بسلاح كالقنفذ . ومنها ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر ومنها ما يدفع العدو بالقرة والمقاوية كالفيل والأسد والجاموس (٥٦) . وقد قسم أخوان الصفاء الحيوانات وفق حركاتها : فمنها ما يتدحرج ومنها ما يزحف ومنها ما يعدو كالفأر (٢٦) . كما قسم إخوان الصفاء الحيوانات وفق حركاتها : فمنها ما يتدحرج ومنها إخوان الصفاء الحيوانات وفق حركاتها : وسكان الماء ، وسكان المواء ، وسكان الماء ، وسكان البد المقصود بالنظر في وجه البر ، وسكان المزار وبيل الأودية ، ثم ينحو السوادات ، ويتيامن عن الجبال ويتياسر عنها وعن الحياد الدفيئة وتصيف في البلدان مهم الرياح في تصاريفها . ومكذا تعرف الطيور التي تشتى في البلاد الدفيئة وتصيف في البلدان

• ثانيا: الجغرافيا البشرية في كتب التراث •

اهتم الجغرافيون المسلمون بالجوانب البشرية اهتهاما كبيرا بحيث لا نجد أى فرع من فروع الجغرافيا البشرية المعاصرة : إلا وكتب فيه الجغرافيون المسلمون . وعلى سبيل المثال نجد المقدسى فى كتابه « احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » يتناول الأقاليم الاسلامية من حيث اختلاف اهل البلدان فى كلامهم والسنتهم (جغرافيا لغوية) ومكاييلهم وبوازينهم وما يحمل عندهم واليهم (جغرافيا تجارية) ... وشرابهم وثارهم وزروعهم (جغرافيا زراعية) ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وبساكنهم وأزيائهم (جغرافيا حضارية) وتناول كذلك المذاهب والقراءات (جغرافيا دينية) ،

ووصف المدن من حيث المواقع وحالة الهواء والتخطيط والسكان (جغرافية مدن) . وفيها يلي مناقشة لبعض فروع الجغرافيا البشرية في كتب التراث :

ا ـ الجغرافيا الاجتماعية والحضارية

أولى الجغرافيون المسلمون عادات الشعوب وتقاليدها اهتاما كبيرا وتحدثوا عن أثر المشاخ أو الأهوية في أمرِجة الشعوب . وبعد ابن خلدون (٧٣٧ ـ ٨٠٨ هـ) أبرز الذين كتبوا في الجغرافيا الاجتاعية من الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى . تحدث ابن خلدون عن تأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم ، وذكر انه لما كان الجانبان من الشهال والجنوب متضادين من الحر والبرد وجب ان تتدرج الكيفية ، من كليهها الى الوسط فيكون معتدلا ، فالاقليم الرابع أعدل العمران ، والتاني والسادس بعيدان عن الاعتدال ، والأول والسابع أبعد بكثير . ويقول إن الاقاليم الثلاثة المتوسطة (من الثالث الى الخامس) مخصوصة بالاعتدال ، وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واديانا، حتى النبؤات فاغا توجد في الاكثر فيها(١٨٠) . وقد اشار ابن رسته الذي توفي قبل ان يولد ابن خلدون بأكثر من اربعة قرون ، الى ان كل المواضع والبلدان تختلف حالاتها وحالات اهلها وما يحدث فيها على قدر قرب الشمس فيها أو بعدها عنها(١٠٠) .

وتناول ابن خلدون الفرق بين البدر والحضر ، وذكر ان البدو ِ أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية اصل العمران .

وتحدث كل من المقدسى والاصطخرى عن سكان الاقاليم المختلفة وازيائهم وأخلاقهم. وقد ذكر الاصطخرى سكان خوزستان (غربستان) فقال : « زيهم زى أهل العراق فى الملابس من القمص والطيالسة والعمائم .. والغالب على اخلاقهم سوء الخلق ، والمنافسة فيا بينهم فى اليسير من الأمور وشدة الامساك والغالب على خلقهم صفرة اللون والنحافة وخفة اللحي(٢٠٠)

ب _ جغرافیة المدن

نالت المدن اهياما كبيرا من الجغرافيين المسلمين؛ وذلك في كتب الأقاليم والرحلات والمعاجم الجغرافية . وقد حددت بعض الكتب عروض المدن وأطوالها مثل « تقويم البلدان » لأبي الفداء . وقام المقدسي بتصنيف المدن ويقول في ذلك : اعلم انا جعلنا الأمصار كالملوك ، والقصبات كالحجاب ، والمدن كالجند ، والقرى كالرجاله (٣٠٠) . وقد وزع تقى الديس المقريري المدن على

الاقاليم السبعة ، وذكر ان عدد المدن والحصون احد وعشرون الفا وستائة مدينة وحصن (٣٧) .

ويرى ابن خلدون أن الأمم تتجه الى اتخاذ المنازل للقرار والمأوى ؛ حينا يعم الترف وتؤثر الدعة والسكون ، ويجب أن يراعى فى مواضع المدن دفع المضار (الحماية) وجلب المنافع وتسهيل المرافق (ماه ـ مراع ـ مزارع) (۲۳) ويتناول ابن الفقيه مواقع المدن فيقول : ان الصواب ان تتخذ المدور بين الماء والسوق وان تكون الدور شرقية والبساتين غربية (١٤) وتناولت كتابات المقدسى فى دراسته للمدن الجوانب الجغرافية المختلفة ، وقد وصف مدينة الطائف فقال : إنها مدينة صغيرة (الحجم) ، شامية الهواء باردة الماء (المناخ) ، أكثر فواكه مكة منها ، موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة (الزراعة) ، وهي على ظهر جبل غزوان (الموضع) ربما يجلد بها الماء (أي يتجمد) بسبب البرد ، عامتها مداب غ (صناعة) اذا تأذى ملوك مكة بالحسر خرجوا إليها (مصيف) (170)

جـ _ الجغرافيا اللغوية

اهتمت كتب التراث باللغة العربية ؛ لأنها لفة الوحى ، ويذكر المقدسى أن أهل جزيرة العرب لغتهم العربية إلا بصحار؛ فان نداهم وكلامهم بالفارسية ، واكثر أهل عدن وجده فرس ، إلا أن اللغة هى العربية ، وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه ، وليديه يدينه وقس عليه ، ويجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ولرجل ركل . ويضيف المفدسي إلى ان جميع لغات العرب موجودة في بوادى هذه الجزيرة الا ان أصبح لغة بها هذيل ، ثم النجدين ، ثم بقية الحجاز الا الأحقاف فان لسانهم وحش (٢٦)

وتناول الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » لغات أهل هذه الجزيرة ، وتناول ابن خلدون اللغة العربية واسباب فسادها لكترة المخالطين للعرب من العجم (٢٧) . ولـم يقتصر الجغرافيون المسلمون على اللغة العربية فقط ، بل تحدث كل من المقدسي والاصطخرى عن لغات الاقاليم المختلفة ، فالمقدسي حينا تحدث عن جمل شئون اقليم خراسان:ذكر ان ألسنتهم مختلفة ، أما لسان نيسابور ففصيح مفهوم غير انهم يكسرون أوائل الكلم ويزيدون الياء ... وفي كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجونه من صدورهم ويجهرون فيه (٢٨) .

• عـ الجغرافيا الدينية •

اهتم الجغرافيون المسلمون بدراسة المذاهب الفقهية وانتشارها ، وتتبعوا الفرق الخارجـة عن

الاسلام. وتناول هشام الكلبى أصنام العرب وذكر أن أول من اتخذ الاصنام من ولد اسهاعيل « هذيل »، واتخذوا « سواعاً » في ينبع ، واتخذت كلب « ودا » بدومة الجندل ، واتخذت خيوان على ليلتين من مكة في طريق صنعاء « يعوق » واتخذت مذحج وأهل جرش « يغوث » واتخذت حمير و أما أ » (٣٦) .

وقد تتبع الاصطخرى مناطق الجهاعات المذهبية في جزيرة العرب ، حيث يشير الى البحرين ومدينتها هجر ويصفها بأنها دار القرامطة ، وتنتشر الأباضيية بقرب خيوان ، وقد أشار الإصطخرى إلى وجود جماعة من اليهود الحاصة المعروفة بالسامرة في مدينة نابلس بفلسطين ، ووجود اقلية من النصارى في بيت لحم وحمص (٤٠٠) . ويقول المقدمى : الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ... وبالكوفة الشيعة الله الكيناسة فاتها سنة ... واكثر أهل البصرة قدرية وشبعة .

• هـ ـ الجغرافيا الطبية •

تعرضت كتب التراث الجغرافي لذكر بعض المناطق وأمراضها ، واعتقد كثير من الجغرافيين ان هناك علاقة بين المناخ والأمراض وعبروا عن ذلك « بأمزجة البلدان وأهوائها » ويشير الحموى فى متدمة معجمة الى ان الأطباء فى حاجة الى معرفة الجغرافية وأن حاجتهم اليها ضرورية ((13) ويشيف المقدسي « الأهواز » فيقول : « فيه أيضاً المقدسي الى اهل بغداد بانهم قليلو الأعهار ((14) ويضيف المقدسي « الأهواز » فيقول : « فيه أيضاً للمقيم بتى وبراغيث وكرب عظيم وفى الليل دبس وفى النهار حر السموم ((14) . ويتحدث المقدسي عن عين ماء بطبرية تغلى تعم اكثر حمامات البلد ... وفى هذه الكورة ماء مسخن يسمى الحَمَّة حار من اغتسل فيه ثلاثة ايام ثم اغتسل فى ماء آخر بارد (حمام السونا) وبه جرب أو قروح أو ناسور أو أى عله تكون برأ بأذن الله .. وبحيرة « صُحَرً » اعجوبة يقلب فيها نهر الأردن ونهر الشراة ... واصحاب احتقن بمائها شفى من علل كثيرة ولها موسم فى شهر آب يذهب اليها الأحداث وأصحاب الملال (13) .

ويذكر ابن الفقيه أن من عيوب الشام كثرة طواعينها والناس يقولون حمى خببر وطواعين الشام ودماميل الجزيرة وجرب الزنج وطحال البحرين . قالوا ومن اقام بالموصل حولا وجد فى قوته فضلا ومن أطال الصوم بالمصيصة خيف عليه الجنون⁽⁶⁰⁾ .

وتناول ابن خرداذبة فى عجائب طبائع البلدان ما يمكن ان يندرج تحت « الجغرافيا الطبية » يقول ابن خرداذبه : « من اقام بقصبة الأهواز حولا فتفقد عقله وجده ناقصاً ، ولا يوجد بها احد له وجنة حمراء ، والحمى بها دائمة . وقد ذكر الجاحظ ان عدة من قوابل الأهواز خبرنه انهن ربما قبلن المولود فيجدنه محموحاً .. ومن دخل بلاد الزنج فلابد من ان يجرب ، ومن سكن البحرين عظم طحاله . قال الشاعر:

ومــن يســكن البحريــن يعظــم طحاله ويحســد بمــا في بطنــه وهــو جائع(١٦)

وقد تعرض النويرى (٧٧٧ - ٧٣٧ هـ) للبلدان التي اشتهرت بحيوانات وحشرات سامة ويضرب بها المثل في ذلك فقال : « أفاعي سجستاني ، وحيات أصفهان ، وثمابين مصر ، وعقارب شهر زور ، وبراغيث أوينية ، وفأر أرزن ، ونجل ميا فارقين ، وذباب تل فافان ، وأفداح (سوس) بلد (في العراق) .

وتناول الأمطار الشهيرة بأنواع معينة من الأمراض فقال : طواعين الشام ، وطحال البحرين ، دماميل الجزيرة ، وحمى خيبر ، وجنون حمص ، وعرق اليمن ، ووباء مصر ، وقروح بلخ(٤٧) .

ويشير ابن خلدون الى أن الطب من الصنائع التى لا تستدعيها الا الحضارة والترف. .. وللبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ؛ الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج(١٨)

وكان للمرب فضل كبير في مجال الصيدلة التي كانت تعرف بالعقاقير ، والأدوية . وعرف العرب خصائص النباتات في العلاج ، ووضعوا تعريفاً للصيدلة فقالوا : بأنها العلم الباحث عن التمييز بين النباتات المتشابهة في الشكل ، ومعرفة منابتها : صينية أو هندية ، أو فارسية ، أو مصرية ، ومعرفة زمانها بأنها صيفية أو شتوية ، أو ربيعية ، ومعرفة جيدها من رؤيتها ، ومعرفة خواصها الى غير ذلك (١١) .

• و_ الجغرافيا الاقتصادية •

نالت الجوانب الاقتصادية من الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى اهتهاما كبيرا . وقد كتبوا عن الزراعة ومحاصيلها وعن التجارة وأنواع البيوع ، والصناعات التي اشتهر بها كل قطر من أقطار العالم الاسلامي . وأولى الجغرافيون المسلمون طرق النقل المختلفة التي تربط بين اقطار العالم الاسلامي عناية فائقة ، ويرجع ذلك الى انتشار الصحارى القاحلة التي يضل الانسان فيها طريقة فيهاك . وفيإيلى مناقشة لبعض فروع الجغرافيا الاقتصادية التي وردت في كتب التراث .

• ١ _ الجغرافيا الزراعية •

ميّز العرب بين نوعين من الزراعة : فالزراعة التي تزرع داخل القوية أو أسوار المدينة تعرف « بالضامنة » : لأنها فى القرية مضمونة وتحت رعايتهم ، والزراعة التي تزرع خارج القربة فهي « الضاحية » وهي أوسع وأكبر في مزراعها ؛ لأنها لا تحد بمبان أو أسوار (٥٠).

وذكر ياتوت الحموى في معجمه ان الزراعة في المملكة الاسلامية متنوعة الصور ، وانه كان لكل واد أو قرية شيء انفرد به وابتدعه في الزراعة (٥٠) .

وهناك كتب كثيرة تناولت الزراعة عند العرب نذكر منها كتاب الفلاحة النبطية لأبى بكر بن وحشية (٢٩١ هـ) وهذا الكتاب مترجم عن (الأنباط) سكان بابل وعالج هذا الكتاب استنباط المياه ، وهندستها وكيفية حفر الآبار ، وإفلاح الأرض وعلاج الشجر ، وزكاء الزرع ، وخواص البلدان والازمنة واختلاف طباع الأدوية ، وتراكيب الشجر ، وغروسها وإفلاحها ، ودفع العاهات عنها ، وعن أبدان الحيوانات .. ودليل مجمىء المطر والبرد ، والصحو ، والسحاب ، ومعرفة ما ينتج من الزرع في أى سنة أردت ذلك (٥٥) واهتم الجغرافيون المسلمون بمصادر المياه المختلفة وذكر المسعودى انه وجد في بعض النسخ من كتاب الفلاحة ان من اراد علم ذلك فينظر قرى النمل ، فان وجد النمل علاظاً سوداً ثقيلة المشى فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن ، وان وجد النمل سريع المشى لا يكاد يلحق فالماء على أربعين ذراعاً ، والماء الأول يكون عذباً طيباً ، والثانى يكون مثيلا ملماً ١٥٥).

وأشارت كتب التراث الجغرافية إلى السدود والقنوات في أقطار العالم الاسلامي ، والآلات المائية التي كانت تستخدم . وصنف المقريزي أراضي مصر إلى تسعة أصناف حسب التربة : أفضلها هي ما أطلق عليها « البافي » وأردؤها هي « السباخ » وهني كل أرض غلب عليها الملح حتى ملحت (١٩٥٠) .

وتناولت معظم الكتب الجغرافية في التراث ذكر المحاصيل المختلفة ومناطقها . ولسم يهمسل الجغرافيون المسلمون ذكر الحيوانات المختلفة التي كانت تربى في أقطار العالم الإسلامي .

٢ - الجغرافيا الصناعية

لم يغفل الجغرافيون المسلمون أن يشيروا الى ما اشتهر به كل قطر اسلامى من الصناعات المختلفة . وتحدث إخوان الصفاء عن مقومات الصناعة وذكروا أنها : ١ - الهيولى (المادة الخام) ، ٢ - المكان ، ٣ - الزمان ، ٤ - الأداة ، ٥ - الآلة ، ٦ - الحركة ٧ - الصائم .

وميز الحوان الصفاء بين الآله (عضو من أعضاء الجسم) وبين الأداة (خارجة عن ذات الصانع كفأس اللجار)

وقسموا كذلك الصناعة الى مراتب:

ا ـ صناعات ضرورية مثل: الحراثة ـ الحياكة ـ البناه. وسائر الصناعات تابعة وخادمة لها .
 وذلك لأن حاجات الانسان الضرورية هي المأكل والملبس والمسكن .

٢ - صنائع الجيال والزينة (العطور - النزيين)⁽⁰⁰⁾. وتعد صناعة الملابس أهم الصناعات التي يرد ذكرها كثيراً ، فالمقدسي يذكر ما اشتهرت به مصر من أقمشة كتانية ، وأن كتان مصر ربجا يصدر إلى فارس ، وبأحدى قرى مصر كانت تصنع الاقمشة الصوفية وذلك في مدينة طحا⁽⁰⁰⁾ وذكر المقدسي أن من أكبر مدن الفرس التي اشتهرت بصناعة نسيج الكتان مدينة كازرون التي اطلق عليها « دمياط الأعاجم » وتعمل ثياب الكتان بها وتباع فيها (١٥٥) .

واشتهرت مكة ببعض أنواع العطور واشتهرت الطائف بالدباغة والأدم(٥٨).

وظلت مصر تشتهر بصناعة ورق البردى حتى القرن الرابع الهجرى . فقد ذكر الثعالبي ، ان كواغيد سموقند عطلت قراطيس مصر ، وكان أجود الورق في القرن الرابع بمملكة الاسلام هو الكافد الذي نقلت صناعته من الصنن^(١٥) .

• ٣ ـ جغرافية التجارة •

تصدى ابن خلدون لتعريف التجارة فقال: « إنها محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيًا كانت السلمة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قياش وذلك القدر النامي يسمى ربحا^(١٠٠) وقد كانت هناك أنواع من البيوع التي مارسها العرب في الجاهلية مثل: الرمي بالحصا المنابذة - الملامسة ، وغيرها وقد ذكرت كتب التراث الجغرافية انواع هذه البيوع . وقد كانت هناك اسواق للعرب ذات أغاط مختلفة بعضها يمثل العرب أصدق تمثيل مثل عكاظ وذى المجاز، ودبى ، وأسواق نخضع لنفوذ أجنبى مشل عمان (سيطرة بيزنطية) .

وتناولت كتب التراث أنواع البضائع التي تنقل والطرق التي تسلكها . وقد ضرب بأهل البصرة

المثل في قلة الحنين الى وطنهم حتى أنه يحكى انه وُجِدَ بيت مكتوب على حجر جاء فيه :

مــا من غريــب وان أبــدى تجلده الا سيــذكر عنــد العلــة الوطنا

وقد كتب تعليق تحته « إلا أهل البصرة » . واشتهر الفرس باستيطانهم للموانى التجارية ، وذكر الأصطخرى أن الفرس منذ زمن طويل قد استوطنوا جدة ، وهى فرضة مكة ، وكان اليهود اكبر منافس للفرس وأهل العراق في التجارة (١٦١)

وتناول الجغرافيون المسلمون ذكر النقود والماكييل والموازين المختلفة .

• خاتمة •

ليس هذا المثال سوى محاولة لجذب انتباء الجغرافيين المعاصرين إلى تراثنا الجغراف ؛ حيث يستطيع كل منا أن يسهم في إبراز بعض جوانب تخصصة ، حتى تكتمل لدينا الصورة المشرفة لإسهامات أجدادنا ، ولقد حاولت اعطاء نماذج سريعة ومتنوعة ، إذ أن الحدف لم يكن الإحاطة بكل الفروع التي كتب فيها الجغرافيون المسلمون ؛ وإنما الاشارة لبعضها بقدر يتبع لنا أدراك ثراء الفكر الجغرافي الاسلامي في العصور الوسطى .



• هوامش •

- (١) محمد عبد الغنى حسن ، عبد الله فكرى ، سلسلة أعلام العرب ، وقم 12 ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ص ص 40 ـــ ٩٠ ـ
- (٢) أنور الجندى ، أحمد زكى الملقب بشيخ العروبة ، سلسلة أعلام العرب رقم ٢٩ ، بدون تاريخ طبع ، ص ص ٣٥٤ ــ (٣) أور الجندى ،
 - (٣) محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ، المجلد الثالث عشر . الفاهرة سنه ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م ص ١٢٢
 - (£) مقدمة ابن خلدون ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، بدون تاريخ طبع ص ٤٨
 - (٥) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، مدريد سنه ١٩٦٧ . ص ٣٦٩ .
 - (٦) مقدمة ابن خلدون ، طبعة لجنة البيان سنه ١٩٥٧ ، ص ٢٧٢
 - Preston E. James, All Possible Worlds, New York, 1972, P. 147 (V)
 - (٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، طبعة مكتبة خياط ، مصورة عن طبعة ليدن سنه ١٣٨٩ هـ ، ص ٨٦ .
- (٩) كتب البيروني في مواضع عديدة وبلغت تصانيفه ١٩٧٣ تصنيفاً منها خسة عشر تصنيفاً «كتاباً » في الجغرافيا . وقد وصفه المستشرق الالماني ادوارد مسخاو بأنه أكبر عقليه ظهرت في التاريخ.
- (۱) ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ، (في تحقيق ما للهند) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثبانية , حيدر أباد الدكن .
 الهند ، سنه ۱۳۷۷ هـ (۱۹۵۸ م) . ص ۱۵۷
 - (۱۱) البيروني ، القانون المسعودي ، طبعة الهند ، ج ١ ، ص ٢٢
- (۱۲) اپر الحسن على بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، سنه ١٩٦٥ م ص ١٢٦ لقد سبق المسعودى برأيه هذا عن مراحل مجرى النهر ، وليم موريس ديفيز الجيمورفولوچى الامريكي بتسعة قرون (الباحث)
 - (١٣) محمد محمود محمدين ، الثراث الجغرافي الاسلامي ، الاسكندرية ١٤٠١ هـ ، ص ٢٤٨
 - (١٤) محمد محمود القزويني ، عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجودات ، طبعة القاهرة ، سنه ١٩٦٦ ، ص ١٢ .
 - (١٥) الدمشقى ، نخبة تحفة الدهر في عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ببغداد ، ص ١٦٤
 - (١٦) انظر فقه اللغة للثعالبي ، والمخصص لابن سيده
 - (۱۷) المسعودى ، التنبية والاشراف ، طبعة دار التراث بيروت ، سنه ١٩٦٨ . ص ٢٦
 (۸۸) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، الرسالة الخامسة ، طبعة دار بيروت سنه ١٩٥٧ م . ص ٦٥

```
( ١٩ ) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري ، كتاب الأنواء ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر ابد ، طند ،
                                                            سنه ۱۳۷۵ هـ ( ۱۹۵۲ م ) ، ص ۱۷۷ .
                                                             ( ٢٠ ) اخوان الصفاء ، السالة الخامسة ، ص ٧٥
                                                                   ( ٢١ ) القزوش عجائب الخليقات ص ١٧
     ( ٢٢ ) ابو سعيد الأصمعي ، كتاب النبات ، تحقيق عبد الله يوسف غنيم ، القاهرة ، سنه ١٣٩٧ هـ ( ١٩٧٢ م )
                                                                               ص. ص. ۲۲ _ ۲۲ .
                                                             ( ٢٣ ) إخران الصفاء المصدر السابق ، ص ١٦٠
                                                             ( ٢٤ ) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ١٦١
```

- (۲۵) القزويتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ۸۸٠ (٢٦) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ١٨٥
- (٢٧) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ص ١٩٦ ـ ١٩٨ .
 - (٢٨) المقدس ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٧
- (٢٩) تقي الدين المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . بولاق سنه ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠ .
 - (٣٠) مقدمة ابن خلدون ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بدون تاريخ طبع ، ص ٨٣ .
 - (٣١) اين رسته ، الأعلاق النفيسه ، طبعة ليدن ، سنه ١٨٩١ ، ص ١٠٠
 - (٣٢) الاصطخري ، المسالك والمالك ، القاهرة ، سنه ١٣٨١ هـ ، ص ٦٣ .
 - (٣٣) مقدمة ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٧ ٢٤٩
 - (٣٤) ابن الفقيد المداني ، مختصر البلدان ، طبعة ليدن ، سند ١٣٠٧ هـ ، ص ص ١٥١ ــ ١٥٢
 - (٣٥) المقدس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩
 - (٣٦) المقدسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٦ ٩٧ .
 - (٣٧) مقدمة ابن خلدون ، ص ص ٢٥ ٥١٣ -
 - (٣٨) المقدسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٣

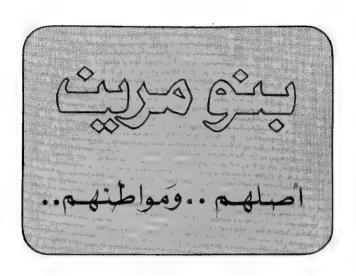
197٤ م ، ص ٢٢

- (٣٩) ابر المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي ، كتاب الاصنام ، تحقيق احمد زكي ، دار الكتب المصريمة سنمه
 - (٤٠) الاصطخري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣
 - (٤١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ، سنه ١٩٥٥ م ، ص ١
 - (٤٢) المقدسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤
 - (٤٣) المقدسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١٠
 - (٤٤) المقدمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٥
 - (٤٥) ابن الققيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٨
- (٤٦) ابو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبه ، المسالك والمهالك ، عن طبعة ابريل سنه ١٨٨٩ . ص ص ١٧٠ ـ ١٧١

- (22) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى ، نهاية الأرب في قنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، سنه ١٩٣٣ م السفر الأول ، ص ص. ٣٠٠ ـ ٣٧٦
 - (٤٨) مقدمة ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩٣
 - (٤٩) محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة . سنه ١٩٧٦ ، ص ١٨٨
 - (٥٠) التراث الجغراني الاسلامي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٨
 - (٥١) أدم ميتز ، الحضارة الاسلامية ، المجلد الثاني ، دار الكتاب العربي بيروت ، ص ٣٤٤
 - (٥٢) أحمد عيسي ، تاريخ النبات عند العرب ، القاهرة ، سنه ١٣٦٧ هـ (١٩٤٤ م) ، ص ٩٩
 - (۵۳) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعة دار الأندلس بيروت سنه ١٩٥٦ م ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ م .
 - (۵۶) المقريزي ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ص ١٠٠ ــ ١٠١

 - (٥٥) الحَوان الصفاء ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٥ وما بعدها
 - (٥٦) المقدس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢
 - (٥٧) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٣
 - (۸۸) جواد على ، ص ۷ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤٦
 - (٥٩) آدم ميتز ، مصدر سبق ذكرة ، ص ص ٣٦٦ ــ ٣٦٧
 - (٦٠) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٥٥
 - (٦١) آدم میتل، مصدر سبق ذکرہ ، ص ٣٨٣





تعقب الأستاذ عبد الله كنون

في مجلة الدارة الراقية (العدد الأول ، السنة الثامنة الصادر في شوال ١٩٨٧هـ ولير ١٩٨٧م) مقالا بعنوان (المرينيون في المفرب الاسلامي والعروبة في ضوء الدراسات الأنثروبلوجية) للدكتور عبد الباقي على قصة ؛ كتبه بمناسبة زيارته لقلعة المنصورة حكا سهاها - في إحدى ضواحي تلمسان ، مع قسم التاريخ لجامعة قسنطينية بالجزائر . وكان أن طلب منه إلقاء كلمة عن هذه القلعة ، ومن أجل الحصول على معلومات عنها لجأ الى المركز السياحي بتلمسان فأمده بنشرة جاء فيها «أن المرينيين عرب رُحل حاصر وا تلمسان سبع مرات» وأشارت الى الحصار الطويل الذي دام نحو ثهاني سنوات من (١٩٨٦ - ٧٠٦) وشيدوا أثناء الحصار مدينة المنصورة المفتخرة بمسجدها وقصرها ومخازتها وحدائقها وحماماتها وديارها.)

وإلى هنا والأمر جلى لا اعتراض عليه . لكن الكاتب الفاضل مهد لهذا الكلام بكلمة أشار فيها إلى ذُكر (بني مرينا) في شعر امرئ القيس وأنشد على ذلك قبله :

فلسو في يوم معسركة أصسيبوا ولسكن في ديسار بنسي مرينسا

وألم إلمامة خفيفة بالحرب التى كانت بين الحارث بن عمرو من جدود امرى القيس وأحد ملوك كندة والمنذر بن ماء السياء ملك الحيرة والتى انتهت بقتل الحارث وولديه في ديار بنى مرينا . وبناء على ذلك فقد استشكل أن يكون المرينيون عربا رحلا ، وهم الذين شيدوا مدينة المنصورة أو قلعتها التى فاقت قلعة الحياديين بالإتقان والزغرفة ، ورجع أن يكون لهؤلاء العرب وجود قبل وصولهم إلى المغرب في مركز حضارى مهم ، عرفوا فيه الاستقرار ودرسوا فن المجار ، ومن ثم لامحل لوصفهم بالعرب الرحل إلى آخر ما قال .

ولجأ إلى ابن خلدون للفصل فى الموضوع ، ولكنه وجده ينسب بنى مرين الى زناتة من قبائل المغرب فقال (يبدو أن لونا من الاختلاط وقع بين بنى مرين وقبيلة زناتة حتى ظن ابن خلدون أنها بطن من زناتة) .

وبعد تتبع أقوال أخرى لابن خلدون في هذا المنحى حكم عليها بالغموض ثم قال (وهكذا انتقل هذا الحلط الى بقية المؤرخين المحدثين حتى الشيخ عبد الرحمن الجيلالى ؛ فهو يقول في التاريخ لبنى مرين : «المرينيون هم فخذ من بطون القبيلة العظيمة زناتة ، كانت مساكتهم ومواطنهم وراء تلمسان غربا على ملوية ، وجنوبا إلى نواحى سجلهاسة وبصحراء فِكَيكُ») الخ

وبمقتضى كلام الدكتور يكون الأمر قد اشتبه على جميع مؤرخي المغرب من قبل ابن خلدون ، وعمدتهم ابن أبي زَرْع صاحب كتاب القرطاس ، وكذا مَنْ بعده وأشهرهم الناصرى صاحب كتاب الاستقصا ، وهذا شيء غير مقبول ، وقد أوقعه في ذلك الاعتاد على بيت امرى القيس السابق الذكر ، وهو بيت أنشده ابن منظور في لسان العرب فقال : « وينو مرينا الذين ذكرهم امرؤ القيس فقال : »

فلسو في يوم معسركة أصيبوا ولسكن في ديار بنسى مرينا

هم قوم من أهل الحيرة من العباد ، وليست مرينا بكلمة عربية ، وكذلك قال صاحب القاموس فيهم ، ومزجه في التاج عند شرحه فصار هو نفس نصّ اللسان .

والعباد بكسر العين قوم من شتى قبائل العرب اجتمعوا على دين النصرانية بالحيرة فسموا بذلك

وبهذا وحده يظهر أن بني مرينا لاصلة لهم ببني مرين المغاربة :

فبنو مرين آخر اسمهم نون وبنو مرينا آخر اسمهم ألف . ثم ان كونهم (متنصرة) من شتى القباتل يمنع أن يكونوا هم بنى مرين المغاربة الذين لم يعرف عنهم قبل ولا بعد انتهاء لدين النصرانية ، وكونهم بعض العباديين يدل على أنهم آقلية بمن تتألف منهم جاعة العباد ، والمرينيون قبيلة كبيرة من قبائل زناتة ، فأين تجىء هذه الفئة القليلة منهم ؟ بل أين تجيىء جاعة العباد كلهم من أهل الحيرة ، من بنى مرين القبيلة المغربية التى رأينا مواطنها تضرب في جهات متباعدة من أبلاد المغرب ؟! .. والكاتب على حق في إعجابة بألقاعة أو مدينة المنصورة ، وتعجبه من أن يكون بناتها عربا رحلا كما وصفوا في نشرة المركز السياحي بتلمسان ، ولكن هؤلاء البدو الرحل كانوا قد نزحوا اللى المغرب من الصعوراء قبل بناء المنصورة بنحو ثبانين عاما ، ونشبت بينهم وبين الموحدين ملوك المغرب والأندلس حروب طويلة قضوا فيها على الدولة الموحدية وحلوا مكانها في الاستيلاء على شئون الدولة وتأسيس المملكة المرينية ، والمغرب يومئذ في قمة ازدهاره علما وحمائا ، وكان الحصار الطويل الذي الشعورة أثناءه .

قال في الاستقصا بعد أن ذكر زحف السلطان يوسف المريني على تلمسان وتحصن صاحبها وقومه بالجدران وتعريلهم على الحصار .. « ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيا جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران ، وصيرها في وسطه ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يختلف إلى تلمسان برفق أو يتسلّل اليها بقُوت . وأخذ بحفنقها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لابل الطيف ، واستمر مقيا عليها كذلك مئة شهر ، ولما دخلت سنة اثنتين وسبعهائة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه ، قصراً لسكناه ، واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار الأنيقة ، واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ المهامات والمفادق والمارستان وابتني مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيعا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب ، مسير (۱) عليها سبعائة ديناز ثم أدار السور على ذلك كله ، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ، ونقت اسواقها ورحل اليها النجار بالبضائع من جميع الآفاق وسهاها المنصورة ، فكانت من أعظم امصار المغرب وأحفلها ، إلى أن خربها أل يغمراسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها »(۱)

ونشير إلى أهل بنى مرين : فهم فخذ من زناتة كما سبق القول ، وزناتة قبيلة عظيمة من قبائل المغرب يدخل تحتها أقوام وفرزق عديدة من البطون والأفخاذ ، وهم ينتسبون الى العرب ويقولون إنهم أبناء بر بن قيس عيلان ، فهم من مُضر ، ولهم في ذلك أشعار وحكايات عن هجرة أوائلهم إلى المغرب واختلاطهم بأهله وفي ذلك يقول شاعرهم عبد العزيز الملزوزى من أرجورته المسهاة « نظم السبك في ذكر الأنساء والخلفاء والملوك » :

فجاورت زناتة البرابرا فصيروا كلامهم كما ترى ما بدل السدهس سيوى أقواهم ولم يبدل منتهي أحواهم بل فعلهم أربى على فعمل العرب في الجود والإيشار ثم في الأدب

هذا قول نسَّابتهم ، ولكن النسابة العرب ينكرون ذلك ومنهم ابن حزم وغيره ، والله أعلم .
ولمزيد من العلم عن بنى مرين وأصلهم ينبغى الرجوع الى كتاب القرطاس السابق الذكر
وكتاب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية وهو لمؤلف مجهول نُرجَّح أنه ابن أبى زرع
صاحب القرطاس ، والى كتاب روضة النسرين فى تاريخ دولة بنسى مرين ، وإلى كتاب
الاستقصا ، وتاريخ ابن خلدون وسائر الكتب المغربية المختصة وهى كثيرة .



٥ هوامش ٥

⁽١) يعنى أنفق .

⁽٢) الاستقصاح ٢ ، ص ٣٩ .



إعـــداد الأستاذ مصطفى أمين جـــاهين

¢¢\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$\$



● فى يوم الاثنين ١٩ من شهر ربيع الثانى ١٤٠١ هـ . الموافق ٣٣ فبراير ١٩٩١ م ، تقلد حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز «طبب الله ثراه » ، جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠١ هـ . وذلك لخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين المتمثلة فيا يأتى : ١ ـ دعوة جلالته للتضامن الإسلامي ، وقيامه بالجهود المشكورة في سبيل جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم والذود عن مقدساتهم .

٢ ـ عمله الدائب على تحكيم الشريعة الاسلامية ونشر الدعوة . `

٣ ـ تبرعات جلالته الخاصة لتحقيق رسالة المسجد ونشر القرآن الكريم
 وتعمن الدعاة .

٤ .. دفاعه عن الأقليات الإسلامية في العالم وتقديم العون لها .

● في يوم السبت ٢٤ من شهر جادى الأولى ١٤٠٤هـ. الموافق ٢٥ فيراير ١٩٨٤م، تقلد حضرة صاحب الجلالة الملك « فهد بن عبد العزيز» المفدى ، جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام من عزية ثابتة وجهد صادق وعمل دائب في خدمة الإسلام والمسلمين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتاعية وغيرها .. لا سيا جهود خلالته الخيرة في جع الشمل ورأب الصدع للأمة العربية والاسلامية والسعى إلى تحقيق التضامن الإسلامي وما بذله ويبذله من جهود جادة ومستمرة من أجبل إنهاء مشكلة لبنان وتخفيف آلامه ودعيم القضية المسطينية ، وإسهامات جلالته الخاصة والرسمية باسم المملكة في كل ما يضمد جراح المسلمين من آثار المحن والكوارث ، ومد يد العون لجميع الأقليات الاسلامية في بلاد العالم والوقوف بجانبها .. وتركيزه الدعوة إلى الله عز وجل ونشرها وحمايتها ومساندتها بن يرسل من دعاة يتحملون أعباء هذه الأمانة في مختلف بلاد المسلمين رضويا .

حفظ الله خادم الحرمين الشريفين .. ووفقه لخدمة شعوب المسلمين .

••••

في يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى الموافق « ٢٥ فيراير ١٩٨٤ م » افتتح معالى محمد أبا الخيل وزير المالية والاقتصاد الوطنى ومحافظ الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى « ندوة الإعلام من أجل التنمية في الوطن ألعربي » بمدينة الرياض ، والتي نظمها الصندوق العربي للإنماء الاقتصادى والاجتاعي ، والمركز الوطني للمعلومات الاقتصادية والمالية بوزارة المالية والاقتصاد الوطني ، وبالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والصندوق السعودي للتنمية ، والصندوق الكويتسي للتنمية .

بدأ في المملكة من السبت ١٠ إلى الجمعة ١٦ من شهر جمادى الأولى
 ١٤٠٤ هـ . الموافق ١١ إلى ١٧ فبراير ١٩٨٤ م ، أسبوع المساجد السابع السنوى ، للعناية بشئون المساجد .

....

● فى يوم الاثنين ١٢ من شهر جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ . الموافق ١٣ فبراير ١٩٨٤ م ، افتتحت « الندوة السعودية الأولى فى علم الأعصاب السريرية الإكلينيكية » والتى نظمتها كلية الطب ـ جامعة الملك سعود بالرياض ، واستمرت ثلاثة أيام ، وشارك فيها عدد من الأساتذة البارزين من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ، وأساتذة يتبعون منظمة اليونسكو المالمة .

....

- في يوم الأحد ٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ، الموافق ١١ من مارس ١٩٨٤م، تفضل صاحب الجلالة الملك « فهد بن عبدالعزيز » المفدى ، بافتتاح خسة مشروعات صناعية كبرى في الجبيل هي :
 - الشركة السعودية للميثانول « الرازى » .
 - _ شركة الجبيل للأسمدة « سياد » .
 - _ الشركة السعودية للحديد والصلب « حديد » .
 - _ مشروع تبريد المصانع بمياه البحر.
 - ـ معهد تنمية القوى البشرية .

....

في يوم الثلاثاء ١١ من جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ، الموافق ١٣ من مارس ١٩٨٨م، تفضل العاهل المفدى الملك « فهد بن عبدالعزيز» بافتتاح المرحلة الرابعة من توسعة ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام، وحوض إصلاح السفن بالميناء ، كما تفضل بإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية للحوض ، وشهد عملية رفع باخرتين على الحوض .



دمشق في الساريخ

المؤرخون ونقلة الأخبار في أول من اختلف بنى دمشق . ومنشأ اختلافهم يرجع إلى اختلاف من ثقل عنهم ذلك من علماء أهل الكتاب وسواهم : إذ هم العمدة في مثل هذا ، وفطاحل المؤرخين الإسلاميين إنما يرجعون في تاريخ المدن والدول التي ليست بعربية إلى أخبار الكتابيين ومن قبلهم من المؤرخين .

ومما ذكره الثقات من أهل السير والإخباريين عن قصة آدم وصواء ، وهابيل وقابيل ، واختصاص كل منهم بمحل قريب

من دمشق ، وأنها عمرت من عهد آدم عليه السلام .

ويذكر عن كعب الأحبار أن أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط «حران ودهشق » ثم « بابل العراق » بعدها ، وقبل إن أول مدينة عمرت بعد الطوفان هى صنعاء اليمن ، نقل حاكم البقاع في كتاب « الأبصار في ذكر الأقاليم وملوك الأمصار » أن آدم عليه السلام كان ينزل في موضع بغوطة دهشق يقال له الآن «بيت الآبار» ،

وحوا بيت لهيا ، وهابيل في مقرى ، وكان صاحب غنم ، وقابيل في قينية ، وكان صاحب زرع ، وقسم الأوائل الشام خمسة أقسام : الشام الأولى : فلسطين ، وأوسط بلدها الرملة .

_ الشام الثانية : حوران ، ومدينتها العظمى طبرية .

ـ الشام الثالثة : الغوطة ، ومدينتها العظمى . دمشق .

الشام الرابعة حمص

- الشام الخامسة : قنسرين ، ومدينتها العظمى حلب .

وقال ابن الكلبى المفسر والمؤرخ الشهير: أول من بناها « دمشاق بن قانى بن لامك بن أرفخشد بن سام بن نوح » عليه السلام . وقيل إن الذى بناها « جيرون بن سعد بن عاد ابن إرم بن سام بن نوح » ، وسياها « إرم ذات العهاد » ، وباسمه سميت . وقيل إن « هـوداً » عليه السلام نزل دمشت وأسس الحائط الذى في قيلي جامعها ، وأثره بالجامع الأموى موجود حتى الآن .

وقال وهب بن منبه : إن العازر غلام إبراهيم عليه السلام بنى دمشق ، وكان حبشياً وهبه له « تمرود بن كنعان » حين خرج إبراهيم من النار ، وكان الفلام يسمى « دمشاق » ، فدعيت باسمه . وقال غيره سميت بدماشيق ابن غرود بن كنعان وهو الذي بناها . وقال أخرون سميت بدمشيق بن إرم بن سام بن

نوح ، وهو أخ لفلسطين ، وإيليا ، وجمس ، والأردن ، بنسى كل واحد موضعاً فسمسى باسمه . وقيل : أول من بناها بنسو أراسف الكنعاني الذين اشتهروا بأنهم بنسوا مدينة بابل وصور ودمشق . وقيل : بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين .سنة من جملة الدهر الذي يزعمون أنه تسعة .

وولد إبراهيم الخليل بعد بنائها بخمس سنين .وقيل إنما سميت دمشق بالرومية ، وأن أصل اسمها « دوماسكس » ومعناها مسك مضاعف،وذلك لطيبها وكثرة أزهارها ، وحتى الآن تستعمل بعض الدول الأجنبية هذا الاسم .

وقال بعضهم نقلا عن التوراة: إنه لما قتل قابيل أخوك ؟ قال: لا اعلم ، العلي حارس الخفى ، فقال سبحانه وتعالى: إن صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض . ومن المحقق أن اسم دهشق في اللغة السريانية معناها الأرض التي شربت الدم . وروى بعض الاتفىين أن مكان دهشق كان داراً لنوح ، وأن خسب السفينة من جبل لبنان ، وأن ركوبه بالسفينة كان من «عين الجر» بناحية البقاع ، ونقل صاحب «عيون التواريخ» أن الخبي بناحية اللقام ، ونقل صاحب «عيون التواريخ» أن « دهشقش » ، فسميت باسمه ، واختط المدينة رحمه الم ثلاثة أبواب :

ـ باب البريد . ـ ـ باب جيرون . ـ باب الفراديس .

ثم زيد فيها بعد ذلك إلى ثبانية على عدد أبواب لجنة ، لأنها جنة الدنيا . وكلها وللمؤرخان أقوال غار التي ذكرت ، وكلها

متناقضة ، وباني هذه المدينة وتاريخ بنائهما

سرٌ من الأسرار التبي عجيز الباحثسون عن الوصول إلى حقيقتها ؛ فالمدينة قديمة العهد وجدت قبل زمان الخليل عليه السلام بشهادة التوراة ، حيث يقال إن ابراهيم أسر « لوط » ابن أخيه إلى حوية الواقعة في شيالها ، وكانت هذه الواقعة قبل المسيح عليه السلام ، فعلى هذا تكون دمشيق قد بنيت منذ أكثير من ٣٨٠٠ سنة ، وإذا كانـت في زمــن ابــراهيـم مدينة عظيمة ، فنستطيع أن نقول إنها وجدت قبل ذلك الوقت بمثات من السنين . وفي العصر الإسلامي ، تميزت دمشق بين مدن العالم الإسلامي على مرّ العصور بمكانة خاصة ، فهناك من يعتبرها أقدم المدن المسكونة ، والعرب الفاتحون عرفوا قيمتها ، فاهتموا بالمحافظة عليها ، ورفعوا شأنها حتى أصبحت دار الخلافة ، وقاعدة الدولة الاسلامية النامية الغازية المتوسعة في عهد بني أمية ، ثم جار عليها الزمن في عهد بني العباس ، وتواترت فيها الفتن فتداعت معالمها الأموية واضمحلت ، ولم يبق منها قائباً إلاّ الجامع الكبير عند باب البريد ، والعنفوان

الأموى «على حد تعبير المؤرخين » الذى حافظ عليه أهل دمشق على الرغم من تعاقب المحن . وهكذا استمرت المدينة العريقة فى ظل الدولة العباسية ، ثم الفاطمية ، تعيش على هامش التاريخ الإسلامي ، حتى دخلت تحت حكم «آل سلجوق » فى غضون القرن ولم يمض زمن يسير على دخول دمشق تحت حكم السلاجقة ، والملوك الأتابكة من بعدهم ، عتى أخذت المدينة تستعيد مكانتها فى العالم حتى أخذت المدينة تستعيد مكانتها فى العالم ضد الفرنجة فى بلاد المشرق ابتداء من القرن السادس للهجرة ، وهو الثاني عشر للميلاد ، فالسادس للهجرة ، وهو الثاني عشر للميلاد ، وذلك فى ظل الدولة الأتابكية البورية ، ثم الأيوبية .

وفى الوقت الذى أخذت دمشق تستعيد مكانتها السياسية والعسكرية فى العالسم الإسلامي ، عاد إليها النشاط التجاري وازدهرت فيها الصناعات والحرف ، وبرز فيها تراث معالم الحضارة الإسلامية والنهضة الاجتاعية والعلمية المترامية الأطراف .

YOCY

الرجع: محمد أديب أل تقى الدين الحصنى _ كتماب
 منتخبات التواريخ لدمشق جـ ١ : ٣ _ منشورات دار الآفاق
 الجديدة _ بيروت ١٩٧٩ م .



● الهمزة « مشكلاتها وعلاجها »
د . شوقى النجار من منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض . « الطبعة الأولى ١٩٨٤ م » ، ١٩٨٤ م »



● التصوف في تهامة محمد بن أحمد العقيلي الطبعة الثانية مشتملة على فصول جديدة وزيادات وتعليقات وتراجم « ۲۳۱ صفحة »





● من أبواب التراث:

« الروضة الغناء »
صالح العلى الصالح
« من منشورات دار
الرشيد للطباعة والنشر
بالرياض »

الرياض »



تهجّیت حُلیا .. تهجّیت وهیاً شعر: محمد الثبیتی من مطبوعات الدار السعودیة للنشر والتوزیع « الطبعیة الأولی _ ۱٤٠٤ هـ ۱۹۸۳ م»





أشياخ ومقالات .

محمد حسین زیدان « ۲۱۰ صفحة »



● أعلام الحجاز

« الجزء الثانى »

« فى القرن الرابع عشر للهجرة »

محمد على مغربى

« ٣٥٠ صفحة »



تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى ، تم افتتاح المقر الدائم لمؤسسة الملك فيصل الحيرية بالرياض ، وذلك مساء يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ . الموافق ٢٥ فبسراير ١٩٨٤ م . .

كما شرّف جلالته الاحتفال السادس لتقليد جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها هذا العام ١٤٠٤ هـ.

- جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام:
- حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود .
 - ـ جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية : أ

فضيلة الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء .

جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي :

سعادة الأستاذ محمود محمد شاكر.

_ جائزة الملك فيصل العالمية للطب:

أ ـ سعادة الدكتور جون س . فورد تران .

ب ـ سعادة الدكتور وليام ب . جرينو الثالث .

حـ بسعادة الدكتور مايكل فيلد .

_ جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم:

أ ــ سعادة الدكتور جيرد بينج .

ب ـ سعادة الدكتور هنرى روهرر .

هذا وقد حضر الحفل عدد كبير من أصحاب السمو الملكى الأمراء والمعالى الوزراء ، وكبار المسئولين وبعض الشخصيات العربية والاسلامية والعالمية .

وهكذا جاءت جائزة الملك فيصل العالمية لتبارك جهود العلماء والباحثين في شتى نواحى العلم والأدب، وتشاركهم مسيرتهم في كل ما يعود على الانسانية بالخير والتاء والازدهار.





جوائز أل بصير العالمية

من منطلق الإيمان بالله تعالى ، والرغبة الأكيدة في المساهمة في وجوه الخير والبر ، أصدرت أمانة جوائز آل البصير العالمية ميثاقها الأساسي الذي يهدف إلى رفع راية الإسلام وخدمة الدعوة الاسلامية ، وتكريم العلماء وتشجيع البحث العلمى ، والأخذ بيد طلاب العلم ، وخدمة بنى الإنسان ، وذلك من خلال صرف مجموعة من الجوائز المالية للمبرزين من رجال

الدعوة الإسلامية والأدباء والعلماء والمتفوقين من الطلاب والطالبات في مختلف المراحل والتخصصات.

وكذا تشجيع مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، والمؤسسات التى تعنى بعلومه وعلوم السنة المطهرة داخل المملكة وخارجها، وتشجيع البعوث الإسلامية والعمل على نشر الكتب الاسلامية باللغة العربية واللغات الأخرى، والمساعدة في بناء المساجد والمراكز الاسلامية، وإقامة المكتبات التي تعنى بالتراث الإسلامي في كل مكان.

وأيضا تمكين الطلاب الصالحين النابغين من متابعة دراسانهم الجامعية والعليا من أبناء المسلمين : عن طريق منح تخصص لهذه الغاية وغير ذلك من الأهداف الحيرة التي رصدت لها أكثر من مائتي مليون ريال .

وتم تحديد الجوائز المالية بألف جائزة سنويا يبدأ الإنفاق عليها بمبلغ خسة ملامن ربال سنويا .

المكتب الاعلامي السعودي في تونس

مضى عام على افتتاح المكتب الإعلامى السعودى فى تونس ، كان ملبئا بالنشاط والحركة ؛ حيث يقوم بتوزيع الصحف والمجلات والدوريات السعودية على مختلف الأوساط الإعلامية والإدارية والثقافية والجامعية والديبلوساسية والعلمية فى كافحة أنحاء الجمهورية التونسية ، كما يميد صحافتها بكل المعلومات حول مسيرة المملكة الإنجائية ، وحول أفاق التعاون التونسي السعودى ، كما أنشأ المكتب مكتبة لخدمة القراء التونسيين ، ونشر الإشعاع العلمى خدمة للإسلام والعروبة ، وتوثيق الروابط الأخوية والتعاون والمحبة بين الشعبين السعودى والتواسى .

المبحر الكحمر وألكم المركبانية

الدكتور محمد أحمد الرويثي ، الدكتور أحمد عبد القادر المهندس

ملخص البحث الم

يناقش هذا البحث ، الملامح الأساسية لتكوين البحر الأحمر وتاريخه ، وتركيبه الجيولوجي ، وقعدته ، والختصائص المميزة لحيوان المرجان الذي يبنى الشعب المرجانية ، و وأنواعه المنفرصة والسائدة في العصر الحديث ، والبينة التي توجد فيهما الشعب المرانية وأنواعها المختلفة

وركزت الدراسة على الشعب المرجانية التى يزخر بها البحر الأحمر الذي يعتبر بيئة طبيعية جيدة لتكوينها ، والتى وجد أنها تنقسم الى مجموعتين هيا : الشعب المرجانية المنعزلة ، والشعب المرجانية الساحلية ، وخُتم البحث بإيضاح أهم الخصائص المميزة للبحر الأحمر

١ ـ البحر الأحمر وتاريخه الجيولوجي :

يمثل البحر الأحمر جزءا من الأخدود الأفريقي ، الذي يمتد من جنوب خط الاستواء حتى شهال فلسطين ، وهو أكثر أجزاء الأخدود وضوحا ، ويمتد من الشهال الغربسي إلى الجنوب الشرقي بين خطى عرض ٣٥٠ شهالا ، ٣٠ ١٢٠ شهالا ، لمسافة تزيد عن ١٩٥٠ كيلو متراً (١١) .

ويبلغ انساع البحر الأحمر عند شبه جزيرة سيناء حوالى ٧٧٥ كم ، بيغا يبلغ انساعه حوالى ٣٥٠ كم فيا بين مصوع وجيزان ، ثم يضيق إلى حوالى ٣٠ ـ ٤٠ كم عند جنوب مضيق باب المندب (٢) . ويصل عمقه في بعض المواقع حوالى ٤٨٧ منرا ؛ لكنه يصل الى ٢٠٣٩ منا في وسطه (٢) .

تكون الأخدود الأفريقي في أواخبر العصر الكريتاوي والنصف الأول من الزمين الثالث ، ثم انفصلت الهضبة العربية الأفريقية في الميوسين ، وقد نتج عن تلك الحركات التكتونية انكسارات والتواءات أدت الى تكون البحر الأحمر (1). ولعل هذا يعود إلى تباعد اللوح العربي واللوح الأفريقي مما سبب مولد البحر الأحمر. وتتباعد شبه الجزيرة العربية عن قارة افريقيا بمعدل يقرب من ٢٠ ملليمترا في العام وذلك خلال قاع البحر الأحمر الذي بعد من أصغر المحيطات في العالم ؛ حيث تنبثق الصخور المنصهرة من باطن الأرض لتمزق القشرة الحديثة في قاع البحر الأحمر مما يشكل منخفضا في مركزه يسمح بميلاد هذا المحيط الجديد (٥) . ويشغل البحر الأحمر أخدودا عميقا هو جزء من انكسار أرضى عميق في القشرة الأرضية ذو علاقة كبيرة بالتكوينات التكتونية للمحيط الهندي(٦) . ويرجع تاريخ تكوين البحر الأحمر إلى عصر الأيوسين ؛ حيث ظهر لأول مرة على شكل خليج كبير مفتوح أمام البحر المتوسط، ثم تطور تدريجيا الى منخفض واسع خلال عصور الأوليجوسين Oligocene والميوسين Miocene وقد أصبح البحر الأحمر منذ عصر الميوسدين ذراعا للبحر المتوسط وبحر تيش Tethys القديم ، حيث اتصلت مياه البحر المتوسط بمياه البحر الأحمر الذي كان مغلقا من الجنوب بحاجز أرضى بفصله عن الحبط الهندي ، حتى أواخر الميوسين (٧) . وقد حدثت بعض الانكسارات في اوائل الميوسين نتيجة لارتفاع حواف الأخدود ، وانتهى هذا العصر بحركات رفع أدت الى ظهور جبال البحر الأحمر ، وصحبها ارتفاع على الساحل وتكوّن سلسلة من البحيرات الطولية الساحلية (٨).

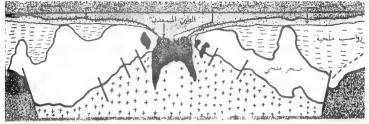
وفي بداية عصر البلايوسين Plioceneحدث ارتفاع في سطح الأرض انفصل بسببه

البحر الأحمر عن بحر « نيش » Tethys ، ترتب عليه انفلاق البحر الأحمر وفصله عن البحر المتوسط ، بينا انخفض الحاجز الأرضى الجنوبي نتيجة لتزحزح القرن الأفريقي بعيدا عن شبه الجزيرة العربية نما سمح لمياه المحيط الهندي بالدخول إلى البحر الأحمر . وحدثت ذروة انكسار الغور الأوسط للبحر الأحمر في عصر البلايوسين Pliocene مصحوبة بارنفاح لجوانب الأخدود ـ جبال البحر الأحمر " كما عملت الأورية على نقل وتعربة الصخور القدية وإعادة ترسيبها على الساحل (١٠) . كما تكون في هذا العصر مضيق باب المندب ؛ حيث اتصل البحر الأحمر نهائيا بالمحيط الهندي (١٠) . وفي فترة البلاستوسين والحديث « الزمن الربع » تعرض ساحل البحر الأحمر لمركات وفع اقترنت بانخفاض منسوب سطح البحر، وكانت المنطقة تخضع خلاله لفترة مطيرة ، نما زاد من قوة جريان وديان جبال البحر الأحمر . ونتج عن ذلك تكوينات رسوبية نمندة على طول الساحل ، تحيط بها شعب مرجانية تظهر في صورة شواطئ " مرجانية مرتفعة ، نجدها قد نقطعت في عدد من السطوح المختلفة تظهر في صورة شواطئ " مرجانية مرتفعة ، نجدها قد نقطعت في عدد من السطوح المختلفة الارتفاع ، أعلاها يبلغ حوالي ٢٥٠ مترا فوق مستوى سطح البحر عند جزيرة نبران (۱۱) .

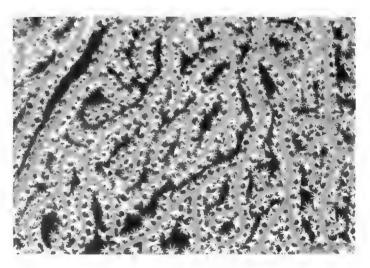
٢ ـ تمعدن البحر الأحمر :

حظى البحر الأحمر باهتام علمى كبير منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وقد اكتشفت فيه مناطق تزخر بكميات كبيرة من الرسوبيات المعدنية منذ منتصف الستينات (١٧) . وقد تم اكتشاف حوالى ثانية عشر موقعا للرسوبيات المعدنية في المنطقة العميقة الواقعة في منتصف البحر بين المملكة العربية السعودية والسودان . ويوضح شكل (١) قطاعا جيولوجيا بعرض البحر الأحمر : حيث تتكون قشرة محيطية جديدة سنويا ، ويكن ملاحظة الطين المتمعدن الذي يرتكز على الصخور النارية ، وتحيط به صخور محدية ، وتنبئق منه ينابيع حارة ، ويبلغ عمق هذا القطاع الجيولوجي حوالي سبعة كيلو مترات (١٣) . وثبت أن العناصر التي تعتبر اقتصادية في الرسوبيات هي الزنك والنحاس مزاته والكادميرم والمنجنيز والحديد والرصاص . وتقدر حاليا كمية المعادن في منطقة « أطلانتس ٢ » بالبحر الأحمر كالتالي :

٢ مليون طن زنك ، ٥٠٠ الف طن نحاس ، ٤ آلاف طن فضة ، ٨٠ طن ذهب بالإضافة الى كميات من الرصاص والكادميوم والكوبالت (١٤٠) .



شكل رقم (١) قطاع جيولوجي بعرض البحر الأحر



صورة رقم (١) يزخر البحر الأحمر بكثير من المستعمرات المرجانية ذات الألوان المختلفة مثل هذه المستعمرة التي تظهر في هذه الصورة .



الساحل الشرقي للبحر الأحر وشعبه المرجانية . واعياقه المال

٣ ـ المرجان والشعب المرجانية :

تنتج الشعب المرجانية عن نمو توتراكم وإفراز مستعمرات حيوان المرجان ، وهو حيوان دقيق الحجم « يسمى بوليب Polyp وينتمى الى شقائق البحر وقناديل البحر . ويعيش المرجان فى مستعمرات متحدة ، وهو يفرز أملاحا كلسية من البحر ويكون لنفسه منها المرجان فى مستعمرات متحدة ، وهو يفرز أملاحا كلسية من البحر ويكون لنفسه منها فى النهاية صخرا مرجانيا ، وأغلية المرجان تفرز هيكلا جيريا صلبا ، ويتخذ أشكالا عديدة فمنه الذى ينمو وكأنه قرون غزال ، وبنه ما يشبه دماغ الانسان فى تعاريجه ، ومنه ما يكون مستدير الشكل (١٥٠) . وتوجد أنواع مختلفة من حيوان المرجان ؛ فهناك المرجان الرباعى ، وهو مرجان منفرض ظهر فى العصر الأردوفيسى ، وبلغ أوجه فى العصر البيلورى ، واختفى فى نهاية حقب الحياة القدية Palaeozoic Eva قبل وحالى ٢٠٠ مليون سنة . وقد أتى بعد هذا المرجان المرجان السداسى Zoantharia أو Elexacorallia ألمرجان الثانى الشعب المرجانية فى البحار الحديثة ، كما يوجد أيضا المرجان الثانى .

ولا يعيش حيوان المرجان في درجة حرارة أقل من ٢٠ م، ولذلك يتركز نمو الشعب المرجانية في المياه الدافئة الاستوائية والمدارية الواقعة بين خطى عرض ٣٠ شهالا و ٢٥ جنوبا ، كما أن المرجان لا يمكن أن ينمو قرب الأنهار أو الأوية التي تصب في البحر وترسب أحجاما كبيرة من الرسوبيات ، كما أنه يعيش في نطاق ضيق من الحرارة والملوحة والمعبق (١٧).

والشعب المرجانية هى أرصفة من الصخور المرجانية التى قد تمند مسافة مئات الكيلو مترات ، وتوجد فى المياه الضحلة على شواطئ الجزر والقارات فى المناطق الاستوائية ، وهى لذلك تسمى الشعب الشاطئية . ويمكن تقسيم الشعب المرجانية إلى ثلاثة أنواع حسب أمكنة وجودها (١٨) كالتالى :

ا ـ الشعب السجافية: Fringing Reef

وهذه تكون أرصفة ملاصقة للشواطئ ولا تظهر فوق الماء إلا أثناء الجزر.

ب _ الشعب الحاجزية : Borrier Reef

وهذه تكون أرصفة عالية على هيئة حواجز حول الشاطئ ويفصلها عنها بحيرات شاطنية طولية (Lagoone)

حـ _ الشعب الحلقية : Atoll

وهذه شعب ذات شكل دائرى كامل الاستدارة تماما أو تقريبا .

٤ _ الشعب المرجانية بالبحر الأحر:

يوجد كثير من الشعب المرجانية التي يزخر بها البحر الأحمر على الساحل الغربسي للمملكة العربية السعودية . ويوضح شكل (٢) الساحل الشرقى للبحر الأحمر وشعب المرجانية وأعياقه المائية . وقد تسربت بعض أحياء المحيطين الهندي والهادي إلى البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب ، حيث وجدت في مياهه البيئة الملائمة لنموها وانتشارها بشكل كبير ، ومن أهم هذه الأحياء مرجان الشعب صورة رقم (١) ألذي وجد البيئة الملائمة في البحر الأحمر من حيث ارتفاع درجة الحرارة والأعهاق الضحلة ، وصفاء المياه ، وارتفاع نسبة الملوحة (١٩) فمن حيث درجة حرارة المياه التي ينبغي أن تكون أعلى من ٣٠° مثوية فإن متوسطها في مياه البحر الأحمر يتراوح ما بين ٢١ ـ ٣٢° مثوية ، وهي درجة ملائمة لنمو المرجان وتكاثره وبناء شعبه المرجانية بالإضافة الى ضحالة المياه التي ينمو فيها حيوان المرجان ؛ إذ ان عمقها لا يزيد عن ٤٥ مترا (٢٠) . كما ان نظام الشعب المرجانية تحمى مجموعة كبيرة من الأحياء البحرية التي تعيش ضمنها ، صورة رقم (٢) ، وبالنسبة لملوحة مياه البحر الأحمر والتي توجد بها نسبة عالية من الأملاح ، فقد بلغت حوالي ٣٦,٥ جزء في الألف عند جزيرة بريم في الجنوب ، بينا تصل الى ٤٠ جزء في الألف في الأجزاء الشيالية (٢١) . ويتضح من دراسة الخرائط المرفقة أن الشعب المرجانية تقل وتتلاشى عند مُصَابّ الأودية ، ويعود هذا إلى ارتفاع نسبة الرواسب التي تقذف بها هذه الأودية في مياه البحر مع قلة نسبة الملوحة مما يؤدي الى تعكيرها ، وينتج عن هذا ثغرات متعددة في هذه الشعب المرجانية ، وينشأ عن هذا ما يعرف بالشروم . وقد لاحظ أحد الباحثين أن الشعب المرجانية التي تمتد على طول ساحل البحر الأحمر تتميز بأن قواعدها توجد على أعياق تزيد على ١٠٠ متر في بعض الأحيان ، وهو عمق لا يسمح ببناء الشعب المرجانية (٢٢) ، ولهذا فإنه يكن القول بأنه عندما بدأت الشعب المرجانية في التكون ، كان مستوى سطح البحر الأحمر أخفض من مستواه الحالي ، أو أن قاعه كان أعلى مما هو عليه الآن . وبتضح من الخرائط البحرية أن النصف الجنوبي من البحر الأحمر مليء بالشعب المرجانية . أما النصف الشيالي ، فتتركز فيه الشعب المرجبانية عند مدخل خليج



الشعاب والجزر المرجانية بالقرب من مرافى الحجاز الشهالية

العقبة (٢٣). وقتد الشعب المرجانية على هيئة خطوط طويلة موازية للساحل ، تتصل فى كثير من جهاته ، حيث تظهر على صورة أشرطة ملاصقة للساحل لعدة كيلو مترات ، وتنقطع هذه الشعب عند مصاب الأودية . وتوجد كثير من الشعب المرجانية المنعزلة ، والتي تقع على مسافة كبيرة من خط الساحل او فى عرض البحر ، وتكون جزرا مرجانية ، كما هو الحال أمام جيزان والحريبة وأملح ، حيث تظهر كثير من الجزر الصغيرة والبقاع الضحلة المحردة .

ويمكن تقسيم الشعب المرجانية على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية إلى مجموعتين رئيسيتين هها :

ا ـ الشعب المنعزلة : Isolated Reefs

وتزداد هذه الشعب في الشيال عنها في الجنوب من البحر الأحر، ويتراوح عمق قاع البحر ما بين ٢٠٠ الى ٢٠٠ عامة عند وجود هذه الشعب المرجانية، وفي الجزء الواقع بين درجتى العرض ١٨٠ الى ٢٠٠ شيالا، تمتد هذه الشعب لمسافات تتراوح ما بين ٢٣ إلى ٨٨ كيلو مترا من الشاطئ مكونة ما يسمى بالشط ظank الشعب من النوع الذي يعرف بالتكويتات الحلقية Atoll-like Formations ويُعتقد بأن هذه الشعب المرجانية قد تكونت على جزر بركانية، تكونت بدورها نتيجة لاندفاع الصهير البركاني، ولعل حركة انسياب المياه من المحيط الهندى الى لبحر الأحمر من أهم العواصل النبي أسهمت في تكوين هذا النوع من الشعب المرجانية (٢٥).

ب _ الشعب المرجانية الساحلية : Fringing Coastal Reef

تعيط بالساحل السعودى شعب ضحلة Shallow Reeß يتراوح عرضها من عدة أمتار إلى أكثر من كيلو متر ، وتقطع هذه الشعب مصاب الأودية حيث يتشرشر الساحل ، وتوجد المراسى الطبيعية في المياه العميقة التي تعرف باسم الشروم (٢٦٠) . ويحيط بالشرم عادة بعض نباتات المنجروف . ويمكن القول إن هذه الشعب قد ثمت في المياه الضحلة المحمية التي تمد لمسافة حوالى ٥,٥ كيلو مترا من خط لشاطئ ، ويبلغ عرضها في المتوسط حوالى مده من مناسبة عاط بالشعب المرجانية ، إلا مناك منطقتين يمكن استثناؤها . المنطقة الأولى ما بين شرم الحسي شيالا إلى جنوب شرم



(1 1 13)

ينبع بين خطى عرض ٢٤° و ٣٥° شهالا . والثانية ما بين خطى عرض ٧٥° و ٥٨° شهالا . ما بين بلدة القحمة حتى رأس طرفة على ساحل عسير ، حيث تنتشر فيها بعض الأشرطة المرجانية الصغيرة .

ويمكن أن نميز في مياه الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية ثلاث مناطق تكثر فيها الشعب المرجانية والبقاع الضحلة ، وهي :

أ. المنطقة الأولى: وتقد من رأس الشيخ حميد حتى الوجه جنوبا ، وتنتشر فيها الشعب والجزر الرجانية ، وتحيط بالجزر الموجودة في المنطقة الشعب المرجانية التي تكون على مقربة من الساحل (انظر شكل ٣).

 ب ـ المنطقة الثانية : وقتد من جنوب الرجه حتى شهال الليث . وتتنائر الشعب المرجانية فيها بشكل منقطع . وحول خليج أملج المحمى من قبل الشعب المرجانية الشاطئية ،
 والجزر يظهر المرجان الحى بالقرب من الساحل ويبلغ عمق المياه حوالى ٧ قامات .

وقتد الشعب الشاطئية Treshore Reefs متوازية الى الغرب وقريبة من منطقة ذات قاع مسطح من الرأس الأبيض الى رأس مستورة . وتوجد بعض المرافى الطبيعية التى تقطع سلسلة الشعب الساحلية مثل : مرافى وابغ والقضيمة وتول (انظر شكل ٤) وتأخذ الشعب المرجانية المحيطة بالساحل فى الانتشار نحو الجنوب على طول خط الشاطئ ، وتظهر بشكل مكثف حول مدينة جدة ، ويظهر ميناه جدة نتيجة لحدوث انقطاع فى الشعب المرجانية (انظر شكل ٥) .

حـ المنطقة الثالثة: وقتل القسم الجنوبي من الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية، وتشغل مساحة قدرها حوالي ١٨ الف كم٢، ويتبعثر فيها ما يقرب من ٠٠٠ جزيرة وشعبة، ويزيد متوسط عمق المياه فيها على ١٠٠ قامة. أما الشعب المرجانية الموازية لخط الساحل والممثلة بالجزر والشعب فإنها تصل الى مستوى سطح البحر، وبعض الشطوط يتفع عن مستوى قاع البحر.

يعد البحر الأجر ظاهرة جيولوجية فريدة : حيث يمكن إثبات نظريات النزحف القارى ، وانتشار قاع البحر ، وقعرك الأمواج من خلال دراسته . كها يتميز البحر الأحر بأنه مستودع ديناميكى للثروة المعدنية التي تنبثق من خلال قشرة قاعه الرقيقة ، بالاضافة الى تركيبه الجيولوجي الذي يرجع تأريخه إلى عصر الأيوسين . ويزخر البحر الأحر بكثير من الشعب التي تكثر في النصف الجنوبي منه ، وتتركز عند مدخل خليج العقبة في النصف الشهالي .

وتظهر تجموعة من المراسى الطبيعية التى تبدو على شكل شروم على الساحل ، استخدمها الانسان فى تنقلاته البحرية وتجارته الخارجية . وتتميز منطقة الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية بما يلى :

١ انتشار مجموعة من الخلجان والشروم، والتي تصب فيها مجموعة من الأودية، والتي ساعدت مياهها على منع أبو المرجان أما مجعلها مهيأة لأن تكون مراسي للسفن الصغيرة، كيا ان الشعب المرجانية المحيطة بالساحل لم تقف عائقا أمام وجود منافذ بحرية للمنطقة، حيث وجد الكثير من المراسي الطبيعية التي قامت بين الشعب المرجانية والصخور، وقدرت بحوالي أربعة عشر شرما في القسم الشهالي من الساحل وحوالي سبعة شروم في كل من القسمين الأوسط والجنوبي من الساحل.

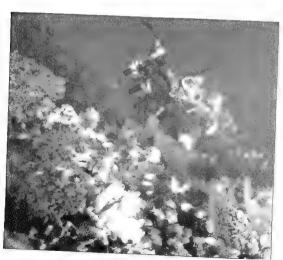
٢ ـ إن تركز وجود المراسى الطبيعية أمام مصاب الأودية التى تنصرف مياهها الى البحر الأحر، بالإضافة الى قلة ملوحتها وكثرة رواسبها نتج عنه تقطع الشعب المرجانية الملاصق للساحل ، مما أدى إلى ظهور بعض الثغرات والفتحات فى هذه الشعب المرجانية : مثل شروم المويلح والوجه وينبع وجيزان ، وتبدو هذه المراسى على شكل خلجان مقفلة وهادئة تحيط بها الشعب المرجانية التى تضم أنواعا مختلفة من الأحياء المائية التى يمكن الاستفادة منها .

٣ - إن وجود المراسى الطبيعية على البحر الأحمر قد ساعد الإنسان طوال العصور التاريخية الماضية في إقامة بعض المرافئ التي استفاد منها في الإبحار من أجل التجارة. ٤ ـ قام حول المراسى الطبيعية كثير من المدن والقرى المنتشرة على طول الساحل فى العصر الحديث ، وتتوفر حول هذه المراسى الطبيعية مصادر المياه تحت السطحية ، وقد تحولت هذه المراسى الطبيعية مع مرور الزمن وتطور الظروف الاقتصادية الى موانى تجارية مهمة ؛ مثل موانىء جدة وينبع وجيزان .

ه ـ إن نظام الشعب المرجانية على ساحل البحر الأحر يضم أنواعا من الأحياء
 البحرية التي ينبغي دراستها من النواحي البيولوجية والاقتصادية والبيئية .

٦ يتميز الساحل بوجود عدد من محطات تحلية مياه البحر التي توجد بالقرب من الشعب المرجانية ونباتات المنجروف ، وحيث أن هذه المحطات تفرز بعض التلوث الفيزيائي والكيميائي للبيئة المجاورة ، فإن الباحثين مدعوون إلى دراسة ظاهرة النيثة الطبيعية .

0 0 0





مناه جده - وتشتشرحوله ولل مغرب من المستعب المرحا ندس

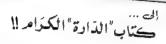
• "References" مراجع البحث وهوامشه

- Morocos, S.A.Physical and chemical oceanography of the Red Sea, London, 1970.
- Dubertret, L., Review of structural geology of the Red Sea and surrounding area, philos, trans.. Royal Society of London. Vol. 267, 1970.
- 3 The Middle East Japan ports and harbours, Joint conference, present & future status of navigation, Tokyo, 1977.

- 5 Vine, F.J., Spreading of Ocean floor-New evidence : Science, V. 154, 1966.
- 6 Coleman, R.G., Geologic background the Red Sea. Initial reports of Deep Sea Drilling Project, Vol. 23, 1974.
- 7 Hybrock, A., The Red Sea Miocene evaporite basin, Institute of Petroleum, London, 1965.
- 8 Brown, G.F., Eastern margin of the Red Sea and coastal structures in Saudi Arabia Philos, Trans. Royal Society of London. 1970.
- 9 Whiteman, A.J., Basement complex of Red Sea Hills, 1970.
- 10 Degens, E.Y., and Ross, D.A., Hot brines and recent heavy metal Deposits in the Red Sea: New York, 1969.
- 11-Brown, G.F., On Cit.
- 12- Degens, E.T., and Ross, D.A., Op, Cit.
- 13- Saudi Sudanese Red Sea Joint Commission Reports.
- 14- Op.Cit., P.13.
- 15. The New Encyclopaedia Britannica, 1974.
- 16- Op.Cit.P.15.
- 17- Straheler, A.N., and Straheler, A.H., physical Geog raphy, London, 1976.

- 19- Sparks, B.W., Geomorphology, London, 1960.
- 20- Stone, W.G. and others, Geographic Fundamentals, London, 1975.
- 21- Williams, T.M., Navigation Of The Red Coast Of Saudi Arapia, Technical Report, No. 1, 1974.

- 23-British Admiralty, Red Sea And Gulf Of Aden Pilot, Eleventh Edition, London, 1967.
- 24-British Admiralty, Op.Cit.P. 23. 26-British Admiralty, Op.Cit., P. 23 &
- 25- Williams, T.m., op. Cit., P.21. 27- Williams, T.m., Op. Cit., pp.21 & 25.



ترجومجانه للنزارة كتناغا اللجرام أي بغوا لإيعا بحوثهم وموحوعف بجحرؤمعًا للقيمت وَفَصَائِرُهِمْ بِاسْمِ رُئِيسَ الْلَحْوِيرُ ص بِس / ه٩٤٥ (لَرْيَاخِيُّ ١١٤٦١ والمملكت من الفريبيت من الفست عُولاً بيرًا.

له تكرَّق مُلْتُونِين بخط وَوضي اومطبوط ترجئ للقاليِّ الكاتِبَ بَهِ مِن يَخرِج كِيكِ الْمِنْ

بِ وَلَا يُعْلِيهِ وَلِفَ تُراجِعِ لِعِيدُ الْعَبِي إِلْمُ عِيلًا .

دُى يَرْوَدُو وَالْمُجْلِتَ بِالْعَتُورُ وَلَغُرُولُطَ لِلْفُصْلِيِّ الْوَالِسَرْلِيْحُ لِلْلُونِينِ . - لافال لاحتاج لابخت واياس - حتى تخرج لاببوس ولولوجوعاس بصورة جميشات

والفرائز ويرصفهاس البنحس الوالجعرهن بحيث يت صفحه المنفوح واست أوأكبر محداد مِكَنَ مِنَ الْاِبْعُونَ وَالْمُوضَوْفَاتَ ، وَكُذَالْ تَابِحِيمًا فِيْبِحِتَ فِي عَسَدَةُ الْأَرْضَ وترجميها إلى وللغدَّمة الله بحليزيَّة - إن أمَّلَه -

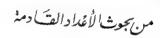
وْكَ رُوْدُو لِهُ لِمُهُ يَعْفُورُ مِينَ شُرِيسِينَ بِي وَبَهَا نَاكِ عَنْ حَمِياً وَالْكَاتِبِ وَلَهِ لَمَيْت رُوْلِينَ لِمْرَةُ وَلَوْمِنَ لِرُوْلِكَاتَ لِاللَّهَا بِينَ وَلَوْلِمُ لِالْكُنَائِمِينَا لِلْجَلِّمَ .

وَى بَكِورَ هُولُولَ وَهُا بَعْتِ الْكَابِّبِ وَالْصِيْحُ الْمِنْصِلَةُ لَلْهُ مُصَلِّلُ بِمُجْمَرُ الْفِلْوَي رورس ال معرفات وفترورة

وُلِوَيْبِعِيْدُولِنِسِيعِٰ مَا لُطِرِي مِن وَلِبَحِثْ رَبِي بِحِلْمَا زُوجِرِيدِهُ وُخِرَىٰ •

ولبحث أو ولوصوح أو ولف الدولين النارس ، يخطر كا تبديز لكن . ولنا وبنحث والذي لريتم لوجائز تم فلا يروك ، ولكن يخطر الماص بزايس.

في عَالِمَ،" عُرضُ لَنَابِ مِنْ ... " نأمل تزوير الْعَلَمَ، بنسِيحَ مَامسُ الأوبعبُ ورق ولضى اللف كون



and the state of t and the second of the second second The state of the state of a second of the state state of Complete applications of the will a some some and

the state of the s

د . بحيسى عبدالسرؤوف جبر

- الماء في القسران الكريسم.
- طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجرى . د ، سليمان عبدالغني مالكي
- د . ابراميم الضحيان على طريق تاصيل الشعر الجاهلي من خلال الصورة .
- المهجرون الاندلسيون « الموريسكيون » في مصر من خلال وثائق محكمة الاسكندرية د . عبدالرحيسم عبدالرحسن عبدالرحيم الشرعيسة في النعصر العثمانسي .
- تجارة البصرة الداخلية والعوامل المؤثرة فيها خلال القرن المسادس عشر. ر . طارق نافع الحمداني
- تجارة الحرير عبر الخليج العربي في القرن السابع عشر ١٠ . عبدالعزيز محمد عوض ا عبدالله حمد الحقيل
- اهمية دراسة تراثنا الجغراق « دراسة ميدانية » .
- و موسيقى الشعر بين الاتباع والإبتداع «عرض كتاب» . ل . محمد عبد المجيد الطويل
- ◄ كيفية إجراء البحوث في الحقل الذريوى د .عبدالرحمان محماد العيسوى أ . محمد قهمى سنك
- الإبداع الغنى في « نقر العصافير » « عرض كتاب » •
- الإسسلام ف جنسوب الباسليسكى · (. عبدالقسادر بخش .

c) The third which represents the southern part of the western kingdom coast include an area of about 18 thousands square km., where about a five hundred islands and coral reefs are found at an average water depth over 100 fathoms.

Within the coral reefs system, on the western Kingdom coast , where many other associated seabearings are found, thorough biological, economical and ecological studies are of paramount importance to maintain the best equilibrium and reservation of the Coral reefs ecosystem.



King Abdul Aziz Research Centre is the public body concerned with Keeping all archival materials related to the history of the Kingdom for the use of research - workers. If you possess any please contact the Centre.

Summary:

paper deals with the properties .charcterizing the Coral Reefs of the Red Sea, the proper e nvironmental conditions in which they occur, their different types, and their geographical distribution.

The geographical sea-maps reveal that the Coral Reefs of the Red-Sea became few in number or even disappear totally near the Wadi estuaries due to the high sedimental quantities ejected which result in sea water disturbances, in water salinity rates reduction, and in gaps occurrence in the reefs continuity.

Maps also show that Coral Reefs are immensely distributed in the southern part of the Red Sea, while their occurrence is limited in the northern part, to the Agaba bay inlet.

Many isolated reefs are to be found at some distance from the coastline forming barrier reefs.

At greater distance and depth they do form little coral islands or Atolls, causing nautical dangers at Jeizan, Khureibah and Umluj offshore as an example.

Thus Coral Reefs on the western coast of the kingdom could be classified into two categories:

- a) The isolated reefs.
- b) The fringing coastal reefs.

The former which some are Atolls, are more widely spread in the northern part, at a sea depth of a-bout 200 to 210 fathoms, while the latter, fragmented by Wadi - estuaries, are of shallow - seas chain type with a fluctuating width between few and more than a thousand metres.

Coral reefs on the western coast of the kingdom are to be found in three locations:

- a) The first, extending between cape of Sheikh Hameed in the north and el-Waih city in the south.
- b) The second, extending from the south of el-Wajh till the north of el-Leith city, where dispersed discontinued coastal reefs extend towards the west in a parallel pattern nearby a leveled area bed, from Cape White to Masture Cape, while more excessively coral reefs are present around Jeddah City.

THE RED SEA CORAL REEFS DISTRIBUTION

K.S.A.

by

Dr. M.A.Rouathy.

Dr. A.A. Muhandes.



Cover Picture:

Long — nose hawk fish on white sponge and black coral. Red Sea, Jeddah. The writers' views do not necessarily reflect those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.

Annual Subscriptions:

- Saudi Arabia: 15 Riyals.
- Arab Countries: The equivalent of 15 Riyals.
- Non-Arab Countries: US \$ 6.

Articles can not be returned to a uthors whether published or not.

O PRICE PER ISSUE O

- Saudi Arabia - U. A. E.

- Qatar

- Egypt

- Morocco

: 2 Riyats : 4 Durhams

4 Riyals

4 Dirhams
350 Milliemes

Non-Arab Countries

1 U.S. 8

Saudi Arabia: Al-Greisy Distributing Est., P.O. Box 1405, Riyadh, Tel.: 4022564.

Abu-Dhaby: P.O. Box 3778, Abu-Dhaby, Tel.: 323011.

Dhubai: Dar-Al-Hikma Library, P.O. Box 2007, Tel.: 228552. Qatar: Dar- Al-Thakafa, P.O. Box 323, Tel.: 413180.

Bahrain: Al-Hilal Distributing Est., Manama, P. O. Box 224, Tel.: 262026.

Egypt: Al-Ahram Distributing Est., Al-Gataa Street, Cairo, Tel.: 755500.

Tunisia: The Tunisian Distributing Company, 5, Nahg Kartaj

Morocco: Al-Sharifia Distributing Company, P.O. Box 683, Casablanca 05



IT. ICRIN CHILL

MOHAMMAD HUSSELY ZEIDAS

...

LUTTOR, AL D. AFCTOR

ABDI LLAH HAMAD AL-HOKAIL

...

EDITORIAL BOARD

DR. MANSOUR IBRAHIM AL-HAZMI
ABDULLAH ABDUL-AZIZ BIN EDRIS
DR. ABDUT-RAHMAN AL-TAYYEB AL-ANSARI
DR. ABDULLAH AL-SALEH AL-CITAYMIN
DR. MOHAMMAD AL-SULAYMAN AL-SUDAIS

MUSTAFA AMIN JAHIN

All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief Tet., 4417020

Editorial Director: Tel.: 4413944

Commission Supervisor

H - Denry Stankly

HASSAN BIN ABDULLARI AL-AL-SHARKH

1 - A Harry Mangara & Harry Ha

farural threebo

HALLES IN HE LEDING VIR HELLED TO DULLE

...

Morniers of the Bourst

His Excellence Mr. Abidul Ann M Refuev

- H.t. Mr. Abdullah Bin Abarus

H | Dr. Abdul Rahman Bir Salch Al-Shelmilli In parts Mouster for Higher Education

. H I In Saleh V Ash

the parts blocked of hone Sound Conversity for Higher Studies & Scientific Research

H t Dr Mobiliah & Maso

bestard (bond) Measter for Cultural Affairs

Mander of Landhan

H.J. Mr. Abetut Rahmun Fahd Al Rashud

Academy is put Mander For Issuests Information

H.t. Mr. Muthamorad Hugger Zordan

H.F. Mr. Ataba data thin Abdidlah U. Vi-Shuthh

so extens Corneral of Nong Abdul Aziz Research Control

Armin managraphing are to the section accorded distinct Total 441484.

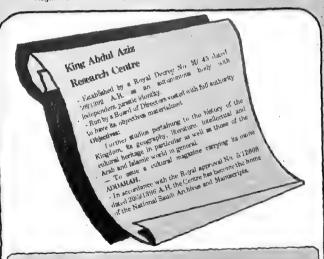


IN THE NAME OF ALLAH. THE MERCIFUL. THE BENEFICENT



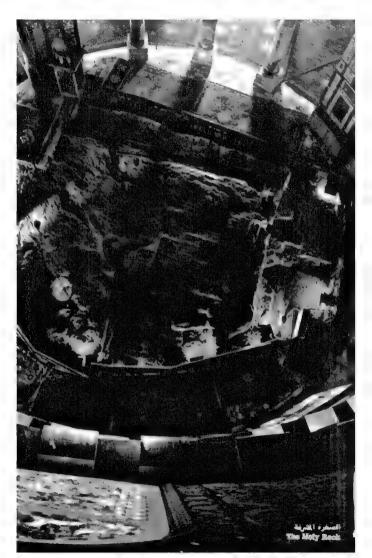
Quarterly magazine issued by King Abdul Aziz Research Centre

Rajab 1404 A.H. /April, 1984 A.D. Ninth Year No.4



P.O. Box 2945 Riyadh 11461 Kingdom of Saudi Arabia

Printe (by 1) AR EL BILA1) - Je (lah





No. 4 - Year 9 - Rajab 1404 A.H., April 1984 A.D.



